الفوائد الحسان
من آيات القرآن

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

DARUSSALAM

دار السلام للنشر والتوزيع
شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقاً) مقابل الغرفة التجارية
المملكة العربية السعودية ص. ب: 22743 الرياض 11416
هاتف: 00966-1-4033962-4043432 فاكس: 00966-1-4021659
E-mail: darussalam@awalnet.net.sa, riyadh@dar-us-salam.com
Website:www.darussalamksa.com

دار السلام العليا:	تلفون:	00966-1-4614483	فاكس: 4644945
دار السلام الملز:	تلفون:	00966-1-4735220	فاكس: 4735221
دار السلام السويدي:	تلفون:	00966-1-4286641	
دار السلام السويلم:	تلفون:	00966-1-2860422	فاكس: 2860422
دار السلام جدة:	تلفون:	00966-2-6879254	فاكس: 6336270
دار السلام المدينة المنورة:	تلفون:	00966-503417155	فاكس: 8151121
دار السلام خميس مشيط:	تلفون:	00966-7-2207055	فاكس: 0500710328
دار السلام الخبر:	تلفون:	00966-3-8692900	فاكس: 8691551
دار السلام الشارقة:	تلفون:	00971-6-5634623	فاكس: 5632624
دار السلام الكويت:	تلفون:	00965-99600845	
دار السلام لندن:	تلفون:	0044-208-539 4885	فاكس: 208-5394889
دار السلام نيويورك:	تلفون:	001-718-6255925	فاكس: 718-6251511
دار السلام هيوستن:	تلفون:	001-713-7220419	فاكس: 7220431
دار السلام لاهور:	تلفون:	0092-42-7240024	فاكس: 7354072
دار السلام كراتشي:	تلفون:	0092-21-4393936	فاكس: 4393937
دار السلام اسلام آباد:	تلفون:	0092-51-2500237	

الفوائد الحسان من آيات القرآن

المجلد الثاني

تأليف

عبد الله بن محمد المعتاز

قدم له:

معالي الشيخ/ عبد الله بن سليمان المنيع
عضو هيئة كبار العلماء

DARUSSALAM

دار السلام للنشر والتوزيع
الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓗ مكتبة دار السلام، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المعتاز، عبد الله محمد

الفوائد الحسان من آيات القرآن. / عبد الله محمد المعتاز.

الرياض، ١٤٣٤هـ ص. ١٧ × ٢٤

ردمك: ٦ - ٢٣٥ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٠ - ٢٣٧ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (المجلد الثاني)

١- القرآن - السور والآيات. ١. العنوان

ديوي ٢٢١ ٤٩٧٩ / ١٤٣٤

رقم الإيداع: ٤٩٧٩ / ١٤٣٤

ردمك: ٦ - ٢٣٥ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٠ - ٢٣٧ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (المجلد الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة: دلائل قدرة الله في بسط الأرض وبناء السماء

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ [الذاريات:٤٨] أي بسطها للجلوس والاضطجاع مثل ما يفرش البساط، أما السماء فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [الذاريات:٤٧] لأن شكلها كالقبة ونصب القبة يدعى بناء، وقدم ذكر السماء على الأرض، لأنها أعظم مخلوق يشاهده الناس، ثم ذكر خلق الحيوان فقال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] أي لتتفكروا وتراجعوا أنفسكم وتؤمنوا بالبعث والنشور، ثم قال: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠] وفي هذا جمع بين الرسول ﴿إِنِّي﴾ والمرسل إليهم ﴿لَكُم﴾ والمرسل ﴿نَذِيرٌ﴾.

فائدة: الفرار إلى الله

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠] وقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩] وفي هذه الأمور عبر بالفرار والسرعة والسعي، وهي لأمور الآخرة، أما أمور الدنيا فكان التعبير بالمشي والانتشار، قال تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك:١٥] وقال: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١٠].

فائدة: الساجدون لله

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ

وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨] من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والمؤمنون من الناس يسجدون لله تعالى، وكثير من الناس لا يسجدون يخالفون هذه المخلوقات، وهؤلاء حق عليهم العذاب فهم مستحقون له حقًّا حيث قضى الله ذلك وأنذرهم فلم ينتفعوا بالنذير، فأهانهم الله وليس لهم ناصر ولا شفيع ولا مكرم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ وهذه مشيئة الله سبحانه.

فائدة: الكعبة أول بيت وضع للناس

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج:٢٦] وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦] وقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم:٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧] كل هذه الآيات تدل على أن البيت مبني قبل إبراهيم عليه السلام، وأن إبراهيم عليه السلام بناه بعد أن هدم من الأمطار أو غيرها ورفع قواعده إبراهيم عليه السلام ودله الله عليه وبوأه، وأنه أول بيت وضع للناس، قيل: بنته الملائكة قبل وجود الإنسان، وقيل غير ذلك، وهذا البيت الحرام مأوى للدين ومعهد لإقامة شرائعه، يجب تطهيره من الشرك والمعاصي وكل خبيث، وإعداده للطائفين والقائمين والركع السجود والحج والعمرة والهدى والقربان وإطعام البائس الفقير، وتبادل المنافع الدينية والدنيوية بين المسلمين ووفاء النذور وتعظيم حرمات الله وشعائره والتوحيد لله، واجتناب الرجس من الأوثان وقول الزور، وذكر الله

وشكره على ما رزق الناس من بهيمة الأنعام، وإقام الصلاة والإنفاق مما رزق الله، وإطعام القانع والمعتر، وتقوى الله وتكبيره وتحميده وتهليله، ولا يجوز أن يرتكب فيه أي معصية، فقد حرمه الله منذ خلق السموات والأرض، فياويل من عصى الله فيه، وياسعادة من عبده فيه، فالصلاة فيه عن مائة ألف صلاة، وجميع العبادات تضاعف، وإرادة الذنب فيه كبيرة من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥] نسأل الله تعالى أن يزيده تكريمًا وتعظيمًا ومهابةً وأمنًا.

فائدة: تحدي الله تعالى الكفار بأن يأتوا بمثل هذا القرآن

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ○ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور:٣٣، ٣٤] قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي قاله من تلقاء نفسه فأعجزهم بأن يأتوا بمثله، والتعبير بالإتيان وهو إحضاره من مكان آخر، ولم يقل: فليقولوا مثله، وهذا تحدٍ لهم بأن يأتوا بكلام مماثل له ولو من أحد غيرهم، مثل قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس:٣٨] وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ○ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:١٣، ١٤].

فائدة: جواز الهدنة مع الكفار إذا كان فيه مصلحة تجلب أو مضرة تُدفع

الموافقة من المسلمين على الهدنة أو السلم والمصالحة إذا كان فيها مصلحة انتفاع يجلب بها، أو ضر يندفع بسببها، سواء كان ابتداءً من المسلمين أو إجابةً منهم، إذا دعوا إليه تحكمه المصلحة، ولهذا فقد صالح الرسول ﷺ أهل خيبر ووادع الضمري وأهل نجران

وصالح قريشًا لمدة عشرة أعوام، وهَمَّ بمصالحة عيينة بن حصن ومن معه على أن يعطيهم نصف ثمار المدينة، فعدل عن ذلك لما قال سعد ابن عبادة وسعد بن معاذ في جماعة الأنصار رضي الله عنهم (والله لا نعطيهم إلا السيف) ولما نقض اليهود العهد ونقضت قريش الصلح أنهى الهدنة والصلح، ولما تقوَّى المسلمون نسخت موادعة الكفار في سورة براءة، وبقي حكم التخيير بالنسبة لمن عدا مشركي العرب، وكل هذا حسب المصلحة وحسب ما يراه أولو الأمر من قوة الأعداء أو ضعفهم، واستعداد المسلمين وقدرتهم، ولا يجوز للمسلمين نقض العهد، كما قال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] وقال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١] وإن خاف المسلمون من خيانة الكافرين فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] وإن أراد الكفار بالهدنة خيانةً وخداعًا فإن حسب المسلمين ربهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال: ٦٢] وتدور الدائرة على المخادع الخائن، فما أحسن أخلاق الإسلام مع الصديق والعدو.

فائدة: نبوة الخضر عليه السلام

الذي يظهر أن الخضر نبي لأمور، أولًا: قوله: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] ثانيًا: علمه الذي علمه الله من أمر السفينة في قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: ٧٩] وثالثًا: علمه الذي علمه الله من أمر الغلام في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ○ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا

﴿مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ [الكهف: ٨٠، ٨١] ورابعًا: علمه الذي علمه الله من أمر الجدار في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الكهف: ٨٢] وكل هذه مغيبات لا يعلمها إلا الله تعالى أو نبي بلغ بها من ربه.

ويستفاد من قول الخضر عليه السلام: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢] أن الله تعالى يحفظ الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم، ويحفظ أموالهم وآثارهم، قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك». [الترمذي: ٢٥١٦، وأحمد: ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧ وصححه الألباني].

وقد اتخذ كثير من الطوائف المنحرفة من قصة موسى عليه السلام والخضر أصلاً بنوا عليه قواعد موهومة، فقالوا: إنه لم يكن نبيًا، وإنما كان عبدًا صالحًا، وإنما الذي أوتيه إلهام، وأثبتوا العلوم الباطنية، وأن الخضر والأولياء منهم علمهم الله علوم الباطن، أما الرسل فعلمهم علوم الظاهر، وأنه باقٍ مدى الحياة الدنيا، وهو المرجع للعلوم الباطنية، يظهر للأولياء فيفيدهم من علمه، وأن الإلهام ضرب من ضروب الوحي، وأنه يجيء على لسان ملك الإلهام وسموه الوحي الإلهامي، وأن ذلك لا يخالف الشريعة. وقد رد عليهم كثير من علماء السلف وقالوا: إن الإلهام ليس حجة شرعية لعدم الثقة بخواطر من ليس معصومًا ولتفاوت الناس في ذلك، ولا يقام الشرع على أصول موهومة لا تنضبط.

فائدة: إيمان المنافقين صوري

قول الله تعالى عن المنافقين: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾

[التوبة: ٦٦] يدل على وقوع الكفر في الماضي أي قبل الاستهزاء، وإنما أظهروا الإيمان وليسوا صادقين فيه، وليس عندهم حقيقته، ولهذا أضاف الإيمان إلى ضميرهم دون تعريفه بأل، أي بعد إيمان هو من شأنكم إيمان صوري غير حقيقي، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أي الإسلام الذي يدعونه وهو إسلام صوري لا حقيقة له.

فائدة: ولاية المنافقين بعضهم لبعض

من قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] يتبين أن اتصال المنافقين مع بعضهم بأمور غير الولاية والمحبة، وهي إما لمصالح مادية أو وطنية أو عنصرية أو كيدية، أما اتصال المؤمنين والمؤمنات فاتصالهم اتصال ولاية ومحبة، ولهذا قال تعالى عن المؤمنين: ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وقال عن المنافقين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

فائدة: العمى المجازي والعمى الحقيقي

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] يحشر الله الكافر يوم القيامة أعمى تمثيلاً لحالته الحسية يوم القيامة بحالته المعنوية في الدنيا، حيث أنه في الدنيا أعمى البصيرة في عدم النظر في وسائل الهدى والنجاة، فعماه في الدنيا مجازي وعماه في الآخرة حقيقة، ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦] فالجزاء من جنس العمل، فقد نسي آيات الله التي أتته في الدنيا وكذلك يوم القيامة ينسى.

فائدة: الله يقسم بما شاء من مخلوقاته

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] القسم بالنجم لما في

خلقه من الدلالة على عظمة قدرة الله، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦] وعبر بقوله: إذا هوى أي سقط واختفى، وفي هذا احتراز من أن يتوهم المشركون أن في القسم بالنجم إقرارًا لعبادة نجم الشعرى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم:٤٩] والنجوم في تسخيرها للخلق وطلوعها وأفولها عظيمة، وقد أقسم الله بمواقعها، فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥،٧٦] وفي ذلك إثبات أن القرآن وحي من الله منزل من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم إذا هوى مشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير إنارةً معنويةً، نازل من محل رفيع رفعةً معنويةً بحال نزول نجم من أعلى الأفق إلى الأسفل، وهو تمثيل المعقول بالمحسوس، ثم نفى الضلال والغواية عن الرسول ﷺ فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢] ونفى الهوى، وهو الميل إلى ما يحبه دون أن يقتضيه العقل السليم والوحي الحكيم، وبين هَوَى والهوى جناس شبه تام.

فائدة: الأمر بمنع المشركين من دخول الحرم

لما نزلت الآية في سورة (براءة) (التوبة) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨] في العام التاسع من الهجرة أرسل النبي ﷺ من ينادي في الموسم: أن لا يحج بعد العام مشرك [البخاري:٣٦٩، ومسلم:١٣٤٧] وبين سبحانه أن على المسلمين أن يتكلوا على الله ولا يخافوا من الفقر وانقطاع نفقات وهدايا المشركين، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[التوبة:٢٨] ومثلاً عوضهم الله بأن هدى للإسلام أهل تبالة وجُرَش من اليمن وأهل جدة وأهل صنعاء، فوفدت إلى مكة الخيرات من اليمن ومصر والهند وغيرها.

فائدة: سوء أدب اليهود والنصارى مع الله

اليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، وهما يتخذان الأحبار من علماء اليهود والرهبان المنقطعين للعبادة من النصارى أربابًا من دون الله، يحلون لهم ما حرم الله ويحرمون ما أحله الله، ولما قال عدي بن حاتم رضي الله عنه لما سمع الآية: (لسنا نعبدهم) قال له ﷺ: «أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» قال: بلى، قال النبي ﷺ: «فتلك عبادتهم» [الترمذي:٣٠٩٥،وحسنه الألباني، والطبري:١٦٦٣١،١٦٦٣٢، والطبراني في الكبير: ١٥-١٧/٩٢] قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

فائدة: كراهية الجهاد من صفات المنافقين

كراهية الجهاد في سبيل الله تعالى بالمال والنفس والفرح بالقعود عنه وعدم النفرة إليه، دليل على النفاق، قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١] وفي ذلك دليل على أن مصير أولئك النار، قال تعالى: ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾.

فائدة: من صفات الأعراب

من صفات الأعراب الذين يسكنون في البادية أنهم أشد كفرًا

ونفاقًا وجهلاً، فمنافقوهم أشد نفاقًا من نفاق أهل المدن، وكفر كافرهم أغلظ من كفر أهل المدن، وجهل جاهلهم أبعد عن الحق، وشرهم أكبر، وغلظ قلوبهم وجلافة طباعهم ووحشيتهم ونفورهم عن الحق أعظم، فهذا ذو الخويصرة التميمي كان يدعي الإسلام، ولما رأى النبي ﷺ أعطى الأقرع ابن حابس ومن معه من صناديد العرب من ذهب قسمة، قال ذو الخويصرة للنبي ﷺ: (اعدل) فقال له ﷺ: «ويحك، ومن يعدل إن لم أعدل» [البخاري: ٣١٣٨ ومسلم: ١٠٦٣ ومسند الحميدي: ١٣٠٨ واللفظ له] وسبب هذه الغلظة والجفوة عدم مخالطتهم لأهل العقول المستقيمة، وتعلق أذهانهم بالأوهام، وبعدهم عن العلماء والمساجد، وعدم تلقيهم الآداب والهدى والدين وما يهذب النفوس، وتوارثهم أخلاق الآباء والأجداد، ولذلك قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لأبي ذر رضي الله عنه لما عزم على سكنى الرَّبَذَة: (تعهد المدينة كيلا ترتد أعرابيًا) وقال يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته مشيدًا بنعمة الله عليهم: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] قال تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ○ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٧، ٩٨] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٩] قيل: إنهم بنو مقرن من مزينة الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ

مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢] ومن هؤلاء عبدالله ذو البجادين المزني وهو ابن مغفل.

فائدة: ما أعده الله للسابقين الأولين

السابقون من المهاجرين والأنصار في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠] السابقون الذين سبقوا غيرهم بالإيمان قبل الهجرة من مكة إلى المدينة، وأهل العقبتين الأولى والثانية من الأنصار، ومن صلى القبلتين، ومن شهد بدرًا، ومن أدرك بيعة الرضون والأوس والخزرج ومواليهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ في حياته وأبنائهم إلى آخر الزمان ممن اتبعوهم بإحسان ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] اللهم اجعلنا منهم.

فائدة: الإنكار والتعجب من حال المشركين

في معنى الإنكار والتعجب من حال الكفار وردت هذه الاستفهامات الإنكارية في سورة الطور: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠] (وهم يعرفون الشعر ويعلمون أن القرآن ليس منه).

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الطور:٣٢] (وفي ذلك تعريض بإضاعتهم عقولهم).

﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الطور:٣٣] (وإن كانوا صادقين فليأتوا بحديث مثله).

﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] (وفي هذا إثبات

البعث، فالذي خلق من عدم قادرٌ على الإعادة)

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٦] (فالذي خلق السموات والأرض لا يعجزه إعادة الأجساد).

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٧] (فالخزائن يملكها الله دونهم ولا يصيطرون عليها).

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ﴾ [الطور:٣٨] (فإن كان لهم ذلك فليأت مستمعهم بسلطان مبين).

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور:٣٩] (وذلك كما يزعمون وينسبون البنات إلى الله والبنين لهم).

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور:٤٠] (فأنت لا تسألهم أجرًا ولا مالاً ولا عوضًا فيغرمون بذلك).

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:٤١] (هل لديهم غيب يكتبونه فيجدونه مخالفًا لما جاء به محمد ﷺ).

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور:٤٢] (فلو أرادوا الكيد للرسول ﷺ لكادهم الله وأبطل كيدهم).

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:٤٣] (وهذا هو الضلال الأكبر، فسبحان الله عما يشركون).

وهذا هو حقيقة حالهم، فهم مشركون لا يؤمنون ولا يوقنون، فهم معاندون متكبرون ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:٤٤].

فائدة: أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح بحمده

قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ○ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٨،٤٩] قال بعض العلماء: إن هذه الآية تشير

إلى أوقات الرغائب، وهي صلاة الفجر والشفع بعد صلاة العشاء وقيام الليل. وقيل: أشارت إلى الصلوات الخمس بوجه الإجمال وبينت ذلك السنة، والله أعلم. وقيل: إن المراد في قوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ القيام من المجلس، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» [الترمذي: ٣٤٣٣ وصححه الألباني، وأحمد: ٢/ ٤٩٤].

فائدة: دروس من غزوة حنين

في غزوة حنين أعجب المسلمون بكثرتهم، وقال بعضهم: (لن نغلب اليوم من قلة) وآثروا الحظوظ العاجلة فولوا مدبرين، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم لما ثبت الرسول ﷺ والقلة التي كانت معه وتوكلوا على الله، نزلت عليهم السكينة والاطمئنان وأنزل جنودًا من الملائكة، وعذب الذين كفروا كرامة لنبيه ﷺ واستجابة لدعائه، وألقى الله في قلوبهم الرعب، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦] وفي هذا درس للمسلمين بأن لا يعتمدوا على القوة المادية وحدها، وأن يتوكلوا على الله، ويسمعوا ويطيعوا القائد وولي الأمر ويدعو ربهم، وحنين اسم واد بين مكة والطائف، وكان عدد المسلمين اثنى عشر ألفًا، وكان عدد المشركين من هوازن وثقيف أقل

من عدد المسلمين.

فائدة: إذا مس الإنسان ضر فلا يهرع إلا إلى الله

من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣] نستفيد صفة من صفات الإنسان على وجه العموم في كونه يهرع إلى الله في أقل ضر، وينسى شكره على عظيم النعم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت:٥١] وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ○ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦،٧] وقد بينت ذلك في كتابي (الإنسان ذلك المخلوق العجيب).

فائدة: أمثلة من صبر الأنبياء عليهم السلام

ذكر الله تعالى أمثلة للصابرين أيوب وإسماعيل وإدريس وذي الكفل عليهم السلام في قوله سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ○ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ○ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٥] فصبر أيوب عليه السلام أنه كان ذا ثروة واسعة وعائلة صالحة فابتلاه الله بإصابات لحقت أمواله، وفقد أبنائه السبعة وبناته الثلاث في يوم واحد، ثم ابتلي بقروح في جسده فصبر واحتسب.

أما إسماعيل عليه السلام فقد رضي بالذبح حين قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢] وأما إدريس عليه السلام فقد كان صديقا يتتبع الحكمة والعلوم، ولقي في رحلاته لطلب ذلك المشاق والمتاعب، وكان يترك الطعام والنوم مدة طويلة لتصفو نفسه للاهتداء إلى الحكمة والعلم.

وأما ذو الكفل فقد تكفل وتعهد بأمر بني إسرائيل لليسع عليهما السلام، وذلك أن اليسع لما كبر أراد أن يستخلف خليفة على بني إسرائيل فقال: من يتكفل لي بثلاث أستخلفه: أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، فلم يتكفل له بذلك إلا شاب (انظر: سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٨ صفحة ٨٩١ من التوراة) والله أعلم.

وقد ذكرت قصة هؤلاء بعد قصص داود وسليمان عليهما السلام حيث كانا من الشاكرين وهؤلاء من الصابرين.

فائدة: كل معبود سوى الله تعالى باطل

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الحج:٦] أي هو الثابت الذي لا مراء فيه، وهو الموجود الذي لا شك فيه دون غيره من معبوداتكم، فلا وجود لها، كما قال تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف:٤٠] ومعبوداتهم ليست حقًا، ولا تستطيع أن تحيي الموتى، ولا تقدر على شيء، ولا تقيم الساعة، ولا تبعث الخلق بعد موتها ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ○ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:٦،٧].

فائدة: بيان حال صنفين من رؤساء الضلال

ذكر الله تعالى صنفين من الناس في سورة الحج: الصنف الأول: ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ○ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الحج:٨،٩] ثم بين أن ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج:٩] والصنف الثاني: ﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾

[الحج:١١] ثم بين أنه ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

فالأول: يجادل بدون علم ولا هدى ولا دليل من كتاب منير، فهو متكبر يحب إضلال الناس ويحب تقليد الكفار ويثني عطفه متخايلاً معرضًا عن الحق وعن سبيل الله ليضل الناس بجداله، ولكن عاقبته الخزي في الدنيا والآخرة.

والثاني: الذي يعبد الله بدون يقين فهو على حرف وطرف وجانب كحرف الجبل والوادي سرعان ما ينهار، فهو في الحقيقة منافق نهايته الانقلاب على وجهه كما ينقلب من هو على طرف هيار، وذلك بمجرد وجود الفتنة، فيخسر الدنيا بسبب ما أصابه فيها من الفتنة، ولا يستفيد من حياته فيما يقربه إلى الله، وتذهب أعماله سدى ويخسر الآخرة، ولا ينتفع من ثواب أعماله، وهذا هو الضلال الذي لا يماثله ضلال ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الحج:١٢] ويظن هؤلاء المنافقون أن الله لا ينصر محمدًا ﷺ على الكفار فتحداهم الله تعالى بقوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:١٥] وفي هذا توجيه للمسلمين ألا ييأسوا ولا يستبطؤوا نصر الله تعالى.

فائدة: نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين أخرجه قومه

قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] الكفار تسببوا في إخراج الرسول ﷺ من مكة ودبروا لخروجه عدة مرات، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال:٣٠] فقد آذوه وضايقوه في الدعوة إلى الله وآذوا المسلمين وقاطعوهم، وقد كانوا مترددين هل يخرجونه أو لا يخرجونه، لأنهم يخافون إن أخرجوه أن يظهر الإسلام بين قوم آخرين، ثم قرروا عدم إخراجه وأقاموا عليه من يرقبه وأرسلوا من يرده إليهم، وهو (سراقة بن مالك بن جعشم) وجعلوا لمن يظفر به جزاء جزيلًا.

فائدة: السكينة نعمة ينزلها الله على رسوله وعباده المؤمنين

السكينة التي ينزلها الله على المؤمنين هي هدوء النفس وطمأنينتها، وهي نصر نفساني، وقد حصل للرسول ﷺ وهو في الغار حين قال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا، وأنزلها على رسوله ﷺ يوم بدر وأيده بجنود من الملائكة لا يراها المسلمون، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التوبة:٤٠].

فائدة: من صفات المؤمنين أنهم لا يتخلفون عن الجهاد إذا استنفر الحاكم

من صفات المؤمنين الحقة أنهم لا يستأذنون إذا استنفر الحاكم المسلمين للجهاد، وإنما الذي يستأذن المنافقون، أما الذين تخلفوا من المؤمنين فلم يستأذنوا في التخلف لأسباب، وبعضهم في نيته اللحاق بالمؤمنين، وقد كانت رغبة المؤمنين في الجهاد، ولا يليق بهم الاستئذان في تركه، قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ○ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٤،٤٥] ولهذا لم يعدوا العدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [التوبة:٤٦] فكره الله

انبعاثهم وتثبطهم عن الخروج لسوء نيتهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة:٤٧] فغايتهم التفريق بين المؤمنين وإيقاد نار الفتنة والإسراع في إيقاع التخاذل والخوف والأخبار الكاذبة، ومن المسلمين سماعون لهم.

فائدة: التدرج بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاتصال بالقوة الملكية

في سورة النجم حكاية عن جبريل عليه السلام حين ألقى الوحي على قلب رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩] أي كان على مسافة قوسين من النبي ﷺ وحكمة ذلك البعد في أوائل عهد الوحي حيث كانت قواه البشرية غير معتادة لتحمل اتصال القوة الملكية مباشرة، رفقًا بالنبي ﷺ، وحتى لا يشق عليه ذلك، ولما اعتاد النبي ﷺ اتصال جبريل عليه السلام به مباشرة صار يأتيه من قرب، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أنه جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه) [مسلم:٨، وأبو داود:٤٦٩٥، والنسائي:٤٩٩٣] وكان يأتيه جبريل عليه السلام في صورة إنسان لما ذهب عنه الخوف واعتاد مجيء جبريل عليه السلام، وكان يدارسه القرآن.

فائدة: علو قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٤] أي أن هذا المكان الذي رأى الرسول ﷺ كان منتهى القرب للنبي ﷺ، فلم يبلغ هذا الموضع أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولم يتجاوزه ولا يتجاوزه أحد، لأن ما كان أعلى منه لا تطيقه المخلوقات، فهو المنتهى وما بعده لا يعلمه إلا الله تعالى، قال رسول الله ﷺ في

حديث الإسراء: «حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي» [البخاري: ٣٤٩، ١٦٣٦، ٣٣٤٢، ومسلم: ١٦٣] وفي رواية «غشيها نور من الله، ما يستطيع أحد أن ينظر إليها» [تفسير الطبري: ٢٢٠٢١] وفي الحديث: «حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة» الحديث [البخاري: ٣٤٩، ومسلم: ١٦٣] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] فرأى الجنة ونور الله والرائحة الزكية والبهجة والجلال وغير ذلك مما الله به عليم.

فائدة: بعض الظن أكذب الحديث

الظن ليس حجة وهو باطل، كما قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال الرسول ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث». [البخاري: ٥١٤٣، ومسلم: ٢٥٦٣].

فائدة: جميع الكون يسبح لله تعالى

كل من في السموات والأرضين يسبحون لله تعالى عدا الكافرين من الإنس والجن، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١] والتسبيح في هذه الآية تنزيه لله تعالى المتجدد الدائم حيث جيء بفعل التسبيح مضارعًا كما في سورة الجمعة، أما في سور الحديد والحشر والصف فجي به بصيغة الماضي للدلالة على أن التسبيح قد استقر في قديم الزمان.

فائدة: القرآن الكريم نور

سمى الله تعالى القرآن الكريم بالنور في عدة آيات، قال تعالى:

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن:٨] وقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:١٧٤] لأنه أشبه النور في إيضاح المطلوب باستقامة حجته وبلاغة كلامه، وفي الإرشاد إلى السلوك القويم والهدي المستقيم.

فائدة: الصبر على المصائب من الإيمان

على المسلم الصبر عند المصائب، فإن ذلك دليل على الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن:١١] وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] فالمؤمن مرتاض بالأخلاق الإسلامية، متبع لوصايا ربه، بعيد عن الجزع والهلع، يتلقى المصائب بالصبر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ○ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦،١٥٧].

فائدة: المجرمون لا يعتذرون يوم الفصل ويعتذرون في جهنم

لا تعارض بين قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ○ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥،٣٦] وبين قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر:١١] لأن وقت انتفاء نطقهم يوم الفصل، أما نطقهم واعتذارهم في قوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ الآية، فذلك في جهنم بعد انقضاء الفصل، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص:٦٦] وقوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧] فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يتساءلون في النفخة الأولى حين نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، أما في النفخة الثانية فقال تعالى:

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ .

فائدة: العمل الصالح سبب لدخول الجنة وليس ثمناً لها

قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المرسلات:٤٣] يقال لهم ذلك لتكريمهم بعرض تناول النعيم والطعام والشراب الهنيء، كما يفعله المضيف بضيوفه، إذ يعرض عليهم الطعام والشراب، وكما يقال للآكل والشارب: هنيئًا مريئًا، وكما قال تعالى في سورة النساء: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [النساء:٤] وهو دعاء لهم بالهنيء والمريء، وإن ذلك بدون منة، فهو ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي بسببه، لا أنه ثمن له، فلن يدخل أحد الجنة بعمله، وإنما برحمة الله تعالى التي يكتبها للمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فائدة: أصل الماء من الأرض

قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ○ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٠،٣١] يدل على أن ماء الأرض الذي في جوفها والذي على أعلاها كله من الأرض، أما نزول الذي في أعلاها من السماء فهو بسبب البخار المتصاعد من الأرض، ثم نزوله مرة ثانية، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧] فأصله من الأرض فصعد إلى السماء ثم نزل بأمر الله تعالى، والله أعلم.

فائدة: بعض أسماء سور القرآن

سورة البقرة تسمى (فسطاط القرآن) وسورة الرحمن تسمى (عروس القرآن) وسورة المجادلة تسمى (سورة الظهار) و(سورة قد

سمع) وسورة الممتحنة تسمى (سورة الامتحان، وسورة المودة) قال ذلك علي السخاوي في كتاب «جمال القراء» وسورة الصف تسمى (سورة الحواريين، وسورة عيسى) وتسمى سورة التحريم (سورة اللِّمَ تحرم) وتسمى أيضًا (سورة النبي، وسورة النساء)، وتسمى سورة التوبة (سورة براءة، والفاضحة، والعذاب) وسورة يوسف (سورة الدعوة).

فائدة: المال والأولاد فتنة

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤] يدل على أن من الأموال والأولاد والأزواج عدوًا يضمر العداوة لأبويه وزوجه، فهم أعداء في المعاملة فيجب الاحتراس منهم ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤] فالله تعالى يحب العفو والصفح والغفران، لأنه غفور رحيم للذين يغفرون ويرحمون، وهم أيضًا فتنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥] فهم سبب للافتتان والانشغال بالمال والأولاد، واضطراب النفوس وحيرتها من جراء أفعالهم، قال ﷺ: «إن الصبر على سوء خُلق الزوجة عبادة» [تفسير التحرير والتنوير] وقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار». [البخاري:١٤١٨، ومسلم:٢٦٢٩].

فائدة: اقسام المولى سبحانه على وقوع يوم المعاد

قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ. . .﴾ الآيات [القيامة:١-٢٥] في هذه الآيات التذكير بيوم القيامة وذكر أشراطها وأوصافها والجزاء

والحساب واختلاف أحوال الناس فيها، وتكريم أهل السعادة وعذاب أهل الشقاوة والتذكير بالموت، وأنه أول مراحل الآخرة، والزجر عن إيثار منافع الحياة الدنيا على ما أعده الله من نعيم الآخرة لأهل الإيمان، فهي تعريف بحقيقة يوم القيامة من تحسّر الكفار والمجرمين من أفعالهم في الدنيا، وبروق البصر من الفزع والرعب، وخسوف القمر وانطماس نوره والتصاقه بالشمس ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩] وعدم استطاعة الكافر من الفرار عن النار فلا وزر، فلو نظر من جميع الجهات لا يجد إلا النار قبل وجهه، ويجد ما عمل كل إنسان من خير أو شر وما قدم أو أخر، ومن الدعاء المأثور: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت» الحديث [البخاري:٦٣٩٨، ومسلم:٢٧١٩] وفي ذلك اليوم لا يقبل من الإنسان عذر ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة:١٥] وهو بصيرة على نفسه حتى في حالة إلقائه المعاذير، وتكون الوجوه يومئذ إما ﴿نَّاضِرَةٌ ○ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣] أو ﴿بَاسِرَةٌ ○ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٤،٢٥].

فائدة: بالحق والعدل قامت السموات والأرض

قول الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ○ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ○ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧ـ٩] تنويه بأهمية العدل والقسط وعدم الظلم، وقد قرن الميزان مع رفع السماء لأهميته ونسبته إلى العالم العلوي عالم الحق والفضائل، وأن الله أمر به وأنزله من السماء إلى الأرض، ولهذا تكرر ذكر العدل مع ذكر خلق السماء. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ

ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٥] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ○ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨،٣٩] فبالحق والعدل قامت السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢].

فائدة: منن الله على عباده كثيرة وأعظمها القرآن

امتن الله تعالى على خلقه بأمور كثيرة وعظيمة في سورة الرحمن، منها: القرآن الكريم، وخلق الإنسان وتعليمه النطق والبيان، وخلق الشمس والقمر بحسبان، وخلق النجم والشجر ورفع السماء، ووضع الميزان، وخلق الأرض وما فيها من فاكهة ونخل وحب وريحان، وخلق الجنان، وخلق مشرقي الشمس ومغربيها، وعدم امتزاج الماء المالح بالماء العذب، وإيجاد برزخ بنيهما حتى لا يبغيان، وإخراج اللؤلؤ والمرجان من البحار متاعًا للناس، وإيجاد السفن، وبين أن كل هذه ستفنى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ثم قال: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] فهم يسألونه وهو في شؤونهم قائم يستجيب، ويزيد وينقص ويعطي ويمنع، ويقدم ويؤخر، وقد سأل عبدُالله بن طاهر الحسينَ بن الفضل قائلاً قد أشكل عليَّ قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال: (إنها شؤون يبديها، لا شؤون يبتديها) فهذا الشأن لا يخالف ما سطر في اللوح المحفوظ، ثم بين سبحانه أنه سيفرغ للإنس والجن، وتحشرون إلى ربكم فلا تستطيعون أن تنفذوا من أقطار

السموات والأرض، وإن استطعتم (ولن تستطيعوا) فانفذوا. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٥] وسوف تنشق السماء وتكون وردة كالدهان حمراء متشققة، فيعرف المجرمون بسيماهم وعلاماتهم، ويعرضون على جهنم ويدخلونها ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٤] أما من خاف مقام ربه فيدخلهم الرحمن الجنة، ثم ذكر أوصاف الجنتين وأفنانهما، والعيون التي تجري فيهما، والفواكه والفرش، ودنو الثمرات من أهلها، والحور العين، والنخل والرمان، واتكاؤهم على السرر والرفارف. ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] فنسأله سبحانه بمنه وكرمه وجوده وإحسانه ورحمته الجنان، ونعوذ به من النيران.

فائدة: جزاء السابقين من الأمم

قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ○ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠،١١] إن وصفهم باسم مثل اسمهم، فاسمهم السابقون، وصفتهم السابقون، أي أنهم سابقون في جميع الميادين المطلوبة، فهم السابقون إلى الإيمان، وهم أصحاب الرسل، وهم المستجيبون لهم إلى يوم القيامة، وهم المقربون المصطفون، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» [البخاري:٦٥٠٢، وأحمد:٢٥٦/٦] وهؤلاء ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ○ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٣] وغالبهم من أمة محمد ﷺ، كما قال ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم

أوتوا الكتاب من قبلنا» [البخاري:٨٧٦، ومسلم:٨٥٥] وهم السابقون إلى الخيرات، المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهم: ﴿السَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠] وجزاؤهم عند ربهم: مالا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:١٥-٢٦] نسأل الله تعالى برحمته ومنه وكرمه وجوده وإحسانه وفضله وعطائه أن يجعلنا منهم.

فائدة: حكم مس المصحف لصاحب الحدث الأصغر

قول الله تعالى عن القرآن في سورة الواقعة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] المراد بالمطهرين الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦] فهم السفرة الكرام البررة، وليس معناه الناس الذين يتطهرون، وقد اختلف العلماء في مس المصحف للمسلم الذي عليه نجاسة صغرى غير الجنب ولا الحائض والنفساء، قال مالك: يجوز للصبيان الذين يتعلمون القرآن وللمعلم، وكذا يرى ذلك الباجي في المنتقى، وروي عن أبي حنيفة وأحمد وداود الظاهري أن الطهارة الصغرى مندوبة، والجمهور يرون وجوب ذلك، وهو قول علي وابن مسعود وسعد وسعيد وعطاء والزهري ومالك والشافعي ورواية عن أبي حنيفة، والله أعلم. [انظر بحث المسألة في التحرير والتنوير لابن عاشور].

فائدة: حقارة الأوثان وحماقة عابديها

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣] مُثِّل ذباب لحقارته، فهو أحقر المخلوقات التي فيها حياة مشاهدة، وفي الحديث القدسي يقول تعالى عن المصورين: «فليخلقوا حبة» [البخاري:٥٩٥٣، ومسلم:٢١١١] وقال: «وليخلقوا ذرة» [المصدران السابقان] فالحبة لا حياة فيها، والذرة فيها حياة ضعيفة، فهم عاجزون عن خلق ما فيه حياة وما لا حياة فيه، وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ أي ضعفتم أنتم في دعوتهم آلهة، وضعفت الأصنام عن صفات الله.

فائدة: أعمال الخير كثيرة

من عمل الخير أفلح، وأعمال الخير كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧] ولا شك أن من فعل هذه الخيرات من الصلاة وعبادة الله وعمل الخيرات وإسداء الناس الزكاة وحسن المعاملة وصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسن الأخلاق فهو فالح في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ولا تردد في ذلك، فمحال على الله تعالى الشك في فلاح هؤلاء.

فائدة: ملة إبراهيم ومحمد عليهما السلام واحدة

في قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا﴾ [الحج:٧٨] فائدة: أن دين الإسلام جاء به رسولان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وهذا لم يحصل لدين آخر، ودليل

ذلك قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم» [الحاكم:١/ ٦٠٠، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وحسنة الألباني:١٥٤٥،١٥٤٦ وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٤١٣ بتحقيق التركي: وهذا إسناد جيد قوي] أي بقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة:١٢٩] فهما ملة واحدة، فهذا الدين حوى ملة إبراهيم عليه السلام، وهو أبو العرب المستعربة، وله مقام الأبوة، لأنه أبو محمد ﷺ، ومحمد ﷺ له مقام الأبوة، وزوجاته أمهات المؤمنين، ودين الإسلام دين الوسطية، وأهله شهداء على الناس، والرسول ﷺ عليهم شهيد، وقد سماهم الله المسلمين في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤] وقوله: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الزمر:١٢] وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨].

فائدة: جزاء العباد بأعمالهم، حق لا مرية فيه

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥] فيه أربعة مؤكدات: إن ولام التأكيد وضمير الفصل وترادف حق اليقين بإضافة الصفة للموصوف، فهو اليقين الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فكيف يحصل التباس بعد الآيات التي بينها الله تعالى.

فائدة: من صفات المنافقين الجبن

قوله تعالى: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ [التوبة:٥٧] الملجأ: المكان الذي يعتصمون به، والمغارات: الغار الذي يلجؤن فيه، والمدخل: المكان الذي يدخلون فيه، ومعنى ولوا إليه: أي انصرفوا إليه وهم يجمحون أي يسرعون، وهذه صفات المنافقين يخافون من الغزو ومن عزم الرسول

ﷺ وصحابته عليهم بالخروج للجهاد.

فائدة: ذم من تولى وأعرض عن الطاعة وبخل بالمال

في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم:٣٣،٣٤] قال بعض المفسرين: إن المراد به الوليد بن المغيرة، وقيل غيره، قالوا كان يجلس إلى النبي ﷺ ويستمع إلى قراءته، وكان رسول الله ﷺ يعظه فقارب أن يسلم، فعاتبه رجل من المشركين وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار، كان ينبغي أن تنصرهم فكيف يفعل بآبائك، فقال: (إني خشيت عذاب الله) فقال: (أعطني شيئًا وأنا أحمل عنك كل عذاب كان عليك) فأعطاه قليلاً فلما سأله الزيادة بخل عنه وتعاسر وأكدى، وانقطع بعد أن اقترب، وبخل بعد أن أعطى. [تفسير الطبري:٣٢٥٩٦]

فائدة: كثرة ذكر موسى وإبراهيم دون غيرهما من الرسل عليهم السلام لمعرفة العرب بهما

في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٦،٣٧] ذكر موسى وإبراهيم عليهما السلام دون غيرهما من الرسل لمعرفة العرب بهما، حيث كان بعضهم على دين إبراهيم عليه السلام، وكثير منهم يعرف صحف موسى عليه السلام لمخالطتهم لليهود من بني قريظة وبني النضير، وكان كثير منهم في المدينة وخيبر وتيماء، ويوجد النصارى في نجران، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٤٨].

فائدة: من صفات المنافقين الشح والهمز واللمز

من صفات المنافقين: الشح واللمز والهمز، قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً

عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:١٩] وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] وهذه الآية نزلت في ذي الخويصرة التميمي الذي قال للنبي ﷺ: اعدل، وكان ذلك في قسمة ذهب جاء من اليمن سنة تسع، فقال الرسول ﷺ: «ويحك من يعدل إن لم أعدل؟» [البخاري:٣١٣٨ ومسلم:١٠٦٣ والحميدي في مسنده: ١٣٠٨].

فائدة: كثرة الأموال والأولاد عذاب للمنافقين وسبب كراهيتهم للموت

كثرة الأموال والأولاد لدى المنافقين عذاب لهم في الحياة الدنيا، وسبب من أسباب كراهيتهم الموت، وزيادة في سيئاتهم وحزنهم وغمهم، وسبب من أسباب سلبهم طمأنينة البال، واستمرار عذابهم إلى الموت على الكفر، وعقاب الآخرة، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ○ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١] وقال: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

فائدة: اضرارالنفاق وترك الجهاد

الطبع على القلوب والختم عليها والأقفال والران والغشاوة والسد وعدم البصيرة وعدم الفقه في الدين يكون بسبب النفاق وترك الجهاد والمعاصي، قال تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨٧] وقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ

سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٩، ١٠] وقال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فائدة: من علامات الساعة

من علامات الساعة اضطراب السماء ومورها، واضطراب الكواكب واختلاف نظامها، وسير الجبال وانتقالها من مواضعها، والزلازل وخروج أثقال الأرض، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩-١٠] وقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١، ٢].

فائدة: يُجمع المؤمنون بأزواجهم وزرياتهم في الجنة

من فضل الله تعالى على أهل الجنة أن يجمعهم بأزواجهم في الدنيا وبذرياتهم وإن لم يبلغوا في أعمالهم مثل ما بلغوا، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] وقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وذلك يكون بشرط الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور: ٢١].

فائدة: خلق الله الولدان لخدمة المؤمنين في الجنة

في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] عبر بالطواف، لأنهم يدورون عليهم مثل طواف الكعبة، لأن أهل الجنة يجلسون حلقًا مستديرة متقابلين ينظر بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤] وكذا تكون مجالس الدروس حلقًا ومجالس النبي ﷺ حلقًا، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم

بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف:٧١] وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ○ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات:٤٥،٤٦].

وقال: ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ فقد خلقهم الله لخدمتهم، فهم لهم لا لغيرهم، مخلدون في سن الغلمان دون البلوغ أو يقاربه أو يبلغه، والصغار أسرع في الحركة وأقبل للتكليف، شبههم الله تعالى باللؤلؤ المكنون، وهو المخزون لنفاسته، فلا يتحلى به إلا في المحافل، لذلك يبقى على لمعانه وبياضه، ويبقى هؤلاء الغلمان في صغرهم وجمالهم.

فائدة: إذا ما ت ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث

أهل الجنة يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨] يدل على أن دعاء الصالحين لأولادهم مرجو الإجابة، وكذا دعاء الأبناء لآبائهم، كما قال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم:١٦٣١] وكذا يدعون ربهم في السراء والضراء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧] والدعاء مخ العبادة، ودليل على الإيمان واليقين والتوحيد الخالص لله تعالى، فيجب الإكثار منه، و«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء». [مسلم:٤٨٢ وأبو داود:٨٧٥].

فائدة: تقول قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قالت قريش عن الرسول ﷺ: شاعر، وقالوا: كاهن، وقالوا: ساحر، وقالوا: مجنون، واجتمعوا في دار الندوة فقال بنو عبدالدار:

هو شاعر تربصوا به ريب المنون، فيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى وغيرهم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٢٩-٣١] [تفسير الطبري: ٣٢٣٨٠].

فائدة: مؤمنوا أهل الكتاب يؤتون أجرهم مرتين إذا آمنوا بمحمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] هذه الآية تدل على وجوب إيمان أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالرسول محمد ﷺ، وأن من لم يؤمن به فلا يؤتى الأجر المذكور والرحمة المنوه عنها، ولا يكون له نور يمشي به ولا يغفر له، قال ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران...» الحديث [البخاري: ٩٧، ومسلم: ١٥٤، واللفظ له] فالإيمان بمحمد ﷺ متمم للإيمان بعيسى وموسى عليهما السلام، ومن لم يؤمن به ﷺ فهو غير متبع لهما عليهما السلام، لأنهما بشرا بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ولا شك أن رسالة نبينا محمد ﷺ للعالمين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فائدة: توقيرأهل العلم والإيمان

الاعتراف بمزية أهل المزايا وتقديرهم واجب شرعي، فقد نزلت

الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١] فمن كان من أهل الإيمان والعلم فتقديره واجب شرعي تقديرًا لإيمانه وعلمه، وقد نزلت هذه الآية عندما كان النبي ﷺ في الصفة وكان المكان ضيقًا يوم الجمعة فجاء ناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس قد سُبِقوا إلى المجلس فأقام الرسول ﷺ بعض الصحابة لجلوسهم تعليمًا للأمة بواجب رعاية فضيلة أهل الفضيلة، والاعتراف بفضل الإيمان والعلم.

فائدة: الصدقة تطهر النفوس وتكفر الذنوب

قول الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] يدل على أن الصدقة تطهر النفوس وتزكيها وتكفر الذنوب وتجلب الثواب العظيم، وكذا الدعاء يسكن النفوس ويطمئنها ويريحها ويسلمها من الخوف والحذر والاضطراب النفسي وعدم الاستقرار والقلق، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وقد جعل الله الليل سكنًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦] كما جعل الله البيوت سكنًا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل: ٨٠] وجعل الزوجات سكنًا، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: ٢١].

فائدة: صلاح النية تقلب العادات والمباحات إلى عبادة

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

تدل هذه الآية الكريمة على أن جميع الأعمال التي يعملها الإنسان أو يقولها أو يعتقدها، يجب أن تكون عبادة لله، وذلك بإصلاح النية التي تقلب العادات والمباحات إلى عبادة لله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣] وإذا حقق المسلم ذلك حصل في كل حركاته وسكناته على أجر عظيم من الله تعالى، وصارت حياته ومماته وأنفاسه ونومه وأكله وشربه عبادة لربه، والله أعلم.

فائدة: بركة بعض الامكنة

أقسم الله تعالى بالطور في قوله: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ [الطور:١،٢] وهو جبل في سيناء، لشرفه بنزول كلام الله تعالى فيه، ونزول الألواح على موسى عليه السلام ومناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام بجانبه، قال تعالى: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩] وتلك البقاع مباركة، قال تعالى: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠] وقد بارك الله بما حولها، قال تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١] وبارك في نباتها (الزيتون) فقال: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور:٣٥] وبارك في الشام وأهله، فظهر فيهم الأنبياء والعلماء، وينزل عيسى عليه السلام فيها، ويقتل المسيح الدجال وغير ذلك. والكتاب المسطور: التوراة، وقوله: ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطور:٣] الرق: الصحيفة الرقيقة ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:٤] بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا، وتحته الكعبة ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور:٥] السماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور:٦] البحار المحيطة بالأرض.

فائدة: تقليل المشركين والمؤمنين في أعينهم يوم بدر

قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال:٤٣] الرؤيا هنا بالمنام، ورؤيا الأنبياء حق، ولما أخبر النبي ﷺ الصحابة بذلك تشجعوا للقاء المشركين وذهب عنهم الخوف، ورؤياه لهم قليلي العدد كناية عن وهنهم وضعفهم.

أما الآية التي بعدها ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال:٤٤] فالرؤية هنا رؤية بصر أراها الله الفريقين، فأرى الله المسلمين أن الكافرين قلة، وأرى الكافرين مثل ذلك في غزوة بدر، وذلك لتقوية قلوب المسلمين وزيادة شجاعتهم وزوال الرعب عنهم، وإزالة الشعور بأنهم أضعف من أعدائهم عددًا وعدةً، أما تخيل المشركين قلة المؤمنين فلذهاب غيظهم ولتغريرهم بأنهم سينالون الغلبة بأدنى قتال، ولصرفهم عن التأهب والاستعداد، حتى فاجأهم المسلمون بجيش ما كانوا يتوقعونه، فانتصر المسلمون، قال بعض المفسرين: أرى الله المسلمين أن عدد المشركين يتراوح بين السبعين والمائة، وكانوا في نفس الأمر ألفًا، وأرى الله المشركين أن عدد المسلمين قرابة مائة، وكانوا في نفس الأمر ثلاثمائة وبضعة عشر ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٤].

فائدة: حقيقة الزلزلة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ

عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] حقيقة الزلزلة تحرك عظيم في جهة من سطح الأرض من أثر ضغط مجاري الهواء الكائن في طبقات الأرض القريبة من ظاهر الأرض، ويظهر أن هذه الزلزلة في الدنيا عند نهاية العالم وفساد نظامه، وإضافتها إلى الساعة حقيقة لقربها منها، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] ووصفها بالعظمة للتهويل، فلا يعرف كنهها إلا الله، ونكرت ﴿عَظِيمٌ﴾ لشدة خطر هذه الزلزلة حينما ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] وذلك لشدة الفزع والخوف والذهول، فتضع الحوامل حملها وتذهل المرضعة عن رضيعها، ويكون الناس سكارى من العذاب الشديد، وقيل: إن هذا في الآخرة عند قيام الساعة، والله أعلم.

فائدة: مراحل خلق الإنسان

قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥] بعد قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥] يدل على أن هذا التكوين ليظهر للناس الدليل الواضح على إمكانية الإحياء بعد الموت، ولنبين لكم قدرة الله وحكمته في خلق هذه الأطوار من تراب ثم من نطفة ثم من علقة مخلقة وغير مخلقة، ومدة بقاءه في رحم أمه إلى أجل مسمى، ثم تكوينه طفلاً ثم بلوغه الأشد ثم وفاته من قبل أو من بعد، ومن الناس ﴿مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥] فسبحان الخالق البصير.

فائدة: قدرة الله على إحياء الموتى

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ

وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج:٥] يفيد قدرة الله تعالى على إحياء الموتى كما أحيى الأرض الهامدة بعد ما ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت أزواجًا بهيجةً جميلةً ذكورًا وإناثًا، فلكل نبتة في الأرض ذكور وإناث، يلقح الذكر الأنثى كالناس والحيوان.

فائدة: وجود الكائنات دليل على وجود موجودها وخالقها

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] هذه الآية يستفاد منها أن انتهاء دلالات الموجودات على وجود الله ووحدانيته، فوجود هذه الكائنات يدل على أن لها موجدًا وخالقًا، وحيث إن هذه الموجودات من المجرات بما فيها الشمس والقمر والنجوم والسموات والأرضون عظيمة وكبيرة، فإن خالقها أعظم وأكبر، وما دامت هذه تتغير وتغيب فإن لها إلٰهًا لا يغيب، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ إلى آخر الآيات [الأنعام:٧٦-٧٩] إذًا ينتهي العقل إلى وجود الخالق الذي إليه المنتهى للعقلاء ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] وما دام إليه المنتهى فهو واحد أحد فرد صمد، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء:٢٢] ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون:٩١] وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢] فالله تعالى هو المضحك والمبكي والمحيي والمميت والخالق والمغني والمفقر ورب الخلق أجمعين، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ○ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ○ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ○ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ○ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ○ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ○

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٣-٤٩].

فائدة: هل ينتفع الإنسان بما عمله له غيره أم لا ؟

قول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] أي لا فائدة للإنسان إلا ما عمله بنفسه، وقد اختلف العلماء في تأويل هذه الآية:

قال عكرمة رضي الله عنه: (هذا حكاية عن شريعة سابقة، وشريعتنا نسخت ذلك).

وقال الربيع بن أنس: (إن هذا خاص بالكافر، أما المؤمن فله سعيه وما يسعى له غيره).

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم: ١٦٣١].

وقال عكرمة رضي الله عنه: كل من كان سببًا للعمل، فإنه ينتفع به، فهذه الثلاث المذكورة في الحديث هي من كسبه وسعيه. وفي الحديث: «ولد الرجل من كسبه» [أبو داود: ٣٥٢٩، وقال الألباني: حسن صحيح].

وفي الموطأ عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم سألت رسول الله ﷺ فقالت: إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: «نعم» [النسائي: ٢٦٤٢، وابن ماجه: ٢٩٠٩ والمؤطأ: ٤٨٠ وصححه الألباني].

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إنه كان على أمها صوم شهر أفأقضيه

عنها؟ قال: «لو كان على أمك دين كنت قاضيته؟» قالت: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى» [أبو داود: ٣٣١٠ وصححه الألباني].

وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه أعتق أخوه هشام عن أبيهم العاص بن وائل عبيدًا، فسأل عمرو رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن يفعل مثل فعل أخيه، فقال له: «لو كان أبوك مسلمًا فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك». [أبو داود: ٢٨٨٣، وأحمد: ٢/ ١٨١، والبيهقي: ٦/ ٢٧٩، وحسنه الألباني].

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنهما أفتيا امرأة جعلت أمها على نفسها صلاة بمسجد قباء ولم تف بنذرها، أن تصلي عنها بمسجد قباء. [البخاري: الأيمان والنذور، باب من مات وعليه نذر قبل حديث: ٦٦٩٨].

أما الإيمان فلا يجزىء النيابة عنه فلا يؤمن أحد عن غيره، وقال النووي: (الدعاء يصل ثوابه إلى الميت وكذلك الصدقة وكذلك قضاء الدين) [شرح النووي لصحيح مسلم حديث: ١٦٣١] والله أعلم.

فائدة: إهلاك المؤتفكات

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣] المؤتفكة قرى قوم لوط الأربع: سدوم وعمورية وآدمه وصبويم، وقد وصفت في سورة الحاقة بالمؤتفكات، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: ٩] وقوله: ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي أسقط وجعله بالهاوية، فقد رفعت في الجو ثم سقطت وهوت وقلبت بمن فيها ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤] وأمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾

[الفرقان: ٤٠] وقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢] وهي ما يسمى اليوم البحر الميت.

فائدة: عقوبة الخوض في آيات الله بغير علم

قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩] يدل على أن الذين يخوضون في آيات الله بغير علم، كما كان المنافقون يخوضون في آيات الله ويقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] أن هؤلاء وأمثالهم تحبط أعمالهم في الدنيا والآخرة، ويخسرون في الدنيا باستئصال الأموال والأولاد وإتلافها، وفي الآخرة بعدم نفعها، كما قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] وقد يمهل الله، ولكنه لا يهمل.

فائدة: لا عز للعرب إلا بالإسلام

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] هذا القرآن هو عز العرب بعد ما كانوا أذلة، وقد امتن الله تعالى عليهم بذلك، فقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] والعاقل يفهم ذلك، لهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] أما الذين يتحدثون عن أمجاد وتراث العرب قبل الإسلام فهم يكابرون ويتجاهلون الواقع، فليس للعرب أي مجد، وإنما كانوا عالة على العالم قبل مجيء هذا الدين العظيم الذي رفعهم وأعلى مكانتهم، وسادوا بسببه الدنيا، ولن يصلح

العرب إلا الرجوع إليه، وتحكيمه في كل أمورهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤].

فائدة: الصدقة توصل صاحبها إلى الفلاح

الإنفاق في وجوه الخير يقي صاحبه من الشح ويوصله إلى الفلاح، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] ومن صفات النفوس الشح بالأشياء المحببة إليها، قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨] ولما سئل الرسول ﷺ عن أفضل الصدقة، قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان» [البخاري:١٤١٩، ومسلم:١٠٣٢].

فائدة: تكريم الله لرسوله ﷺ في مخاطبته إياه بالنبوة والرسالة والعبودية

إذا خاطب الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ لاطفه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الطلاق:١] وإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعًا له قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] أما بقية الأنبياء فيخاطبهم بأسمائهم: ياموسى، يانوح، ياعيسى، وفي هذا تكريم خاص لرسولنا محمد ﷺ.

فائدة: الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى

الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ولم يطلق الرسول ﷺ ابتداءً، لأن الطلاق سبب في بغض المطلقة لمن طلقها، وإنما طلق لما سألته الجونية أسماء أو أميمة بنت شراحيل الكندية لما دخل بها فقالت: (أعوذ بالله منك) فقال: «قد عذت بمعاذ، الحقي بأهلك» وأمر أبا أسيد الساعدي رضي الله عنه أن يكسوها ثوبين، وأن يلحقها بأهلها

[البخاري: ٥٢٥٤-٥٢٥٨ وأحمد: ٣/٤٩٨] وذلك بسبب سؤالها. وهذا الطلاق لا يسبب البغضاء.

فائدة: عدد السموات والأرض

السموات سبع، تنفصل الواحدة منهن عن الأخرى، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٢] وقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٤] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥] أما الأرض فاختلف العلماء هل هي واحدة أو سبع، فالذين قالوا: إنها سبع، يستدلون بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقول الرسول ﷺ: «من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين» [مسلم: ١٦١٠] والذين يقولون: إنها واحدة، يستدلون بإفراد الأرض من القرآن وجمع السماوات، ويقولون: إن المثلية في الكروية لا العدد، وأما الحديث فإخبار من الرسول ﷺ بأن الغاصب يطوق بسبع قطع من سطح الأرض مضاعفة، ولو كان المراد طبقات معلومة لقال: طوقه من السبع الأرضين، وهذا للمبالغة في عذاب الغاصب. والله أعلم.

فائدة: الحكمة منة من الله لعباده

الحكمة منة من الله تعالى على عباده، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]. فأكمل الناس أوفرهم

حكمةً، وأقل الناس أقلهم حكمةً، وكل خلل في الوجود فسببه نقص الحكمة، ولها أركان ثلاثة كما قال ابن القيم:

العلم والحلم والأناة، وآفاتها ثلاث: الجهل والطيش والعجلة [مدارج السالكين: ٢/ ٤٧٧].

فائدة: لزوم العذاب لأهل النار يوم القيامة

سمي عذاب النار غرامًا للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] والغرام هو الحب اللازم للقلب الذي لا يفارقه، بل يلازمه ملازمة الغريم لغريمه [انظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، المجلد الثالث ص٤٦٥].

فائدة: العبودية أعلى الصفات وأزكاها

العبودية لله أعلى الصفات وأزكاها وأشرفها، وقد وصف الله نبيه محمدًا ﷺ بها، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩] وقال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وحقيقتها الحب الكامل مع الذل التام والخضوع لله تعالى.

كما أنه ﷺ خليل الرحمن، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا» [ابن ماجه: ١٤١، والحاكم: ٢/ ٥٥٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني] وقال: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله» [البخاري: ٣٦٥٦ ومسلم: ٢٣٨٣، واللفظ له].

فائدة: الفرح بالإسلام والإيمان عمل محمود عند الله تعالى

قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] تدل الآية على أن الله تعالى يحب من عبده أن يفرح بالإسلام والإيمان والعلم والقرآن وفضل الله وبرحمته والحسنات والتوفيق للخير والإعانة عليه وتيسيره، ويفرح بربه إلهًا وربًّا ومنعمًا ومربيًا وقادرًا ومحسنًا، ويسر بكل خير، ويحزن على كل شر.

فائدة: منة الله على العرب خاصة وعلى العالمين عامة ببعث محمد ﷺ

من منن الله تعالى الكثيرة العظيمة على العرب خاصةً أن بعث الرسول محمدًا ﷺ منهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة:٢] فالعرب أمة أمية، لا يقرؤون ولا يكتبون، وكانوا قبل الرسالة في ضلال مبين فاحش الضلالة، فزكاهم الله بهذا الرسول ﷺ، وعلمهم الكتاب والحكمة بعد الشرك والفرقة والضلال المبين، ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الجمعة:٣] أي غير العرب، فعطف آخرين يدل على المغايرة، أي ليسوا عربًا، وإنما هم من العجم غير الأميين، ومكانهم غير مكانهم وزمانهم غير زمانهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ قال رجل: من هم يارسول الله؟، فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان رضي الله عنه وقال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» [البخاري:٤٨٩٧ ومسلم:٢٥٤٦] أي أمة فارس، وهؤلاء

الآخرون من غير العرب، يتصلون بهم ويصيرون من جملتهم، فهم منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ لا يتصلون بهم، وإنما يأتون بعدهم، وهذه بشارة من النبي ﷺ أن أممًا ليسوا من العرب وهم فارس والأرمن والأكراد والبربر والسودان والروم والترك والتتار والمغول والصين والهنود وأندونيسيا والفلبين والغرب وغيرهم، هؤلاء كلهم سيلحقون بالمسلمين في أزمان أخرى، وفعلاً حصل ذلك من الموالي وغيرهم من بلاد المعمورة الذين أسلموا وحسن إسلامهم، وصاروا أئمة الهدى والصلاح وأهل الحديث واللغة العربية وقادة المعارك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فائدة: لا فرار من الموت

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] فلا ينفع الفرار من الموت، فإن الموت هو الذي يلاقي الناس والخلق أجمعين ولو كانوا في بروج مشيدة، ولم يستطع أهل الحضارات السابقة واللاحقة معرفة كنه الموت ورده عن الناس، فهو الذي يلاقيهم.

فائدة: يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم

جعل يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم وثناء على الله على نعمه العظيمة، ولهذا يجتمع الناس فيه ويخطب عليهم الإمام خطبتين يقومان مقام الركعتين، جهرًا تذكيرًا للنعمة وحثًا على استدامتها وسط النهار في مسجد واحد يصلون وقت صلاة الظهر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩].

فائدة: لا يجير أحد أحداً من عذاب الله

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٤٢] ذكر الليل والنهار لاستيعاب الأزمنة، أي من يكلؤكم أي يحفظكم في جميع الأوقات، وقدم الليل لأنه زمن المخاوف لظلامه، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ فلا ينتفعون بالقوارع، ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٣] وهو استفهام إنكار، أي أن آلهتهم لا تمنعهم من عذاب الله، فآلهتهم لا تستطيع نصر أنفسهم، ثم قال: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ فلا يجيرهم أحد من عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ [غافر:٢٩] وسوف يأتيهم العذاب أو الموت، فيحل عليهم عذاب الآخرة حتى ولو طال عليهم العمر ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٤].

فائدة: إنزال القرآن مبارك

وصف القرآن بأنه مبارك في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ﴾ [الأنبياء:٥٠] وفي غير هذه الآية، لأن جميع الخيرات بالقرآن في بلاغة ألفاظه وحسنها وسرعة حفظه وسهولة تلاوته وأخباره وحكمه وشريعته ولطائفه البلاغية وصدقه وأجر تلاوته والعمل به وإحيائه القلوب بالإيمان ورفعة أهله والعلوم التي احتواها، وهذا أعظم من وصف كتاب موسى وهارون عليهما السلام (التوراة) بأنه فرقان وضياء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً

وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

فائدة: إلهام الله لإبراهيم عليه السلام الحجة والحق منذ صغره

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] تنويه برشد إبراهيم عليه السلام وهدايته إلى الحق ورأيه السَّديد، فقد كان مضرب الأمثال في ذلك بين العرب وغيرهم، وسمعته عمت الخافقين، وهذا الرشد أوتيه إبراهيم عليه السلام من جانب الله تعالى، فقد انفرد بالرشد والهدى من بين قومه، وقد علم الله تعالى منه ذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ فقد علم الله من سريرته وصفاته ما رضيه وحمده عليه ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤] قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ○ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ○ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣] وقال: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] واستجاب الله دعاءه في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] حيث يذكر في كل صلاة وحج وغيرهما إلى يوم القيامة ذكرًا حسنًا، واتخذه الله خليلاً، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥] اللهم كما هديتهم وأحببتهم فاهدنا وأحبنا، إنك سميع عليم حكيم غفور رحيم.

فائدة: طيّ السماء يوم القيامة

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ

أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] تفيد هذه الآية الكريمة أن السماء تطوى مثل الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها، وفي هذا دلالة على عدم اضمحلال السماوات، وإنما يحصل اختلال نظامها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أنها تعود كما بدأها الله بالخلق، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله بموعظة فقال: «ياأيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاةً عراةً غرلاً، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين» الحديث [البخاري: ٣٣٤٩ ومسلم: ٢٨٦٠].

فائدة: شروط ووراثة الأرض والتمكين فيها

نستفيد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ○ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦] أن مصير الأرض لعباد الله الصالحين، فهذا وعد من الله تعالى للمؤمنين بأن يرثوا الأرض وأن يصلح حالهم، قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» [مسلم: ٢٨٨٩، وأبو داود: ٤٢٥٢ والترمذي: ٢١٧٦ عن ثوبان رضي الله عنه]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥] وفي هذا أيضًا دليل على أن المستخلفين في الأرض لا يشركون بالله شيئًا في عبادته، فهم أهل

التوحيد الخالص والمنهج السليم.

فائدة: محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] إثبات رسالة محمد ﷺ للعالمين الأنس والجن، فمن كفر برسالته فهو كافر، وإن سمى نفسه مسيحيًا أو يهوديًّا أو غير ذلك، فرسول الله ﷺ تخلق بخلق الرحمة، وشريعته رحمة لجميع الخلق، ورسالته عامة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٦،١٥٧] فمن مميزات الدين الإسلامي: الرحمة والرفق واليسر والسماحة وعدم الحرج، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٧٨] وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥] وقال الرسول ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة» [أحمد:٥/٢٦٦ حسن إسناده الحافظ في الفتح، الإيمان، باب: الدين يسر] وقد شكر الله لرجل وجد كلبًا يلهث من العطش فنزل في بئر فملأ خفه ماءً وأمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فغفر الله له ورحمه [البخاري:٦٠٠٩ ومسلم:٢٢٤٤]، فالراحمون يرحمهم الله تعالى.

فائدة: ذم المنافقين الذين يوالون الكفار

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [المجادلة:١٤] يدل على أن من تولى اليهود وغيرهم من الكفار ليس من المؤمنين، وهؤلاء الذين نزلت فيهم الآية منافقون ليسوا بمسلمين ولا يهود، وهذه الآية نزلت في عبدالله بن أُبي، وعبدالله بن نبتل، كان أحدهما يجالس النبي ﷺ ويرفع

أخباره إلى اليهود ويسبه، فإذا بلغ خبره أو أطلعه الله على نبيه جاء فاعتذر وأقسم أنه ما فعل، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١٦] وقال: وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ﴾ [التوبة:٥٦] وقال: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ [التوبة:٦٢] وقال: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة:٧٤] وقال: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة:١٨] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة:١٨] وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة:٢٢].

فائدة: العزة والنور في و جوه أهل الجنة والذلة والقترة في وجوه أهل النار

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٦] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧] هذه الذلة وهذا القتر في الوجوه الكالحة المغشي عليها بقطع من الليل مظلم، يراها كل مؤمن في وجوه الكفار والمنافقين والفساق والعصاة، كل حسب حاله، وهذه العزة والنور الذي يراه المؤمنون في وجوه إخوانهم المؤمنين واضح بيِّن من أثر العبادة ونور الصلاة، قال ﷺ: «الصلاة نور» [مسلم:٢٢٣ والترمذي:٣٥١٧] ويتضح ذلك لمن يقوم الليل، تجد في وجهه النور في الدنيا، وله النور التام يوم القيامة.

فائدة: الحق واحد لا يتعدد

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢] يدل على أن الحق واحد، وأنه لا يكون حقان، ولهذا فالصراط المستقيم والسبيل الموصل إلى رضا الله والجنة واحد، ومنهج أهل السنة والجماعة واحد، وطرق الضلال كثيرة، وقد خط رسول الله ﷺ خطًا واحدًا، وجعل عن يمينه ويساره خطوطًا كثيرة، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] [أحمد:١/ ٤٦٥، والحاكم:٢/ ٣١٨]

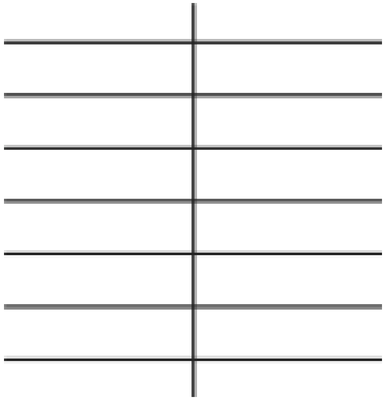

وعليه فإن منهج أهل السنة والجماعة واحد، وما عداه من مناهج المبتدعة والمنحرفين كلها ضلال، وعلى أهل الحق محاربة الضلال بأنواعه، والابتداء بما يليهم ويعيق دعوتهم منه، فكلها ضلال، وقد يكون الضلال الأقرب أكثر ضررًا من الأبعد.

فائدة: كتب الله الشقاء على أهل الفسوق

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس:٣٣] الذين فسقوا وخرجوا عن الطريق المستقيم بعد وضوحه لهم، واستمروا على الفسوق بعد بيانه لهم ومعرفتهم، حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

فائدة: الهداية إلى الحق أعظم المنن

منة الهداية إلى الحق أعظم المنن، بها صلاح الفرد والجماعة، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس:٣٥] وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ○ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ○ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨] وقال عن موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

فائدة: لا تنفع التوبة عند الغرغرة

عندما تغرغر الروح وتصل إلى الحلقوم، لا ينفع العبد إيمانه إذا لم يؤمن من قبل، ولا تنفعه توبته، ولهذا لما قال فرعون عند غرقه: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠] قال الله تعالى له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس:٩١] كما قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ [النساء:١٨] وقد أنجى الله بدن فرعون ليكون لمن خلفه آية،

وهذا من معجزات القرآن، حيث بقي بدنه إلى الآن في متحف مصر يتفرج عليه الناس، ويكون عبرة للمعتبرين.

فائدة: الإختلاف بعد العلم سببه البغي والكبر

إذا حصل البغي أو الكبر في الأنفس عند الأمم والأفراد بعد العلم والمعرفة والبينة، جاء الاختلاف والتكذيب، قال تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [يونس:٩٣] وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤] وقال: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩] وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[آل عمران:١٩].

فائدة: الفرح بنعمة القرآن

القرآن الكريم موعظة من الله، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] فهو لجميع الناس موعظة، وشفاء لما في الصدور، وهو هدى ورحمة للمؤمنين. والموعظة: النصح والتحذير مما يضر، وكونها من الرب يدل على كمالها، أما الشفاء فهو زوال المرض والألم والنقائص والضلالات وما فيه حرج، أما الهدى فهو الدلالة على الطريق المستقيم وحصول المنافع، وهو رحمة للمؤمنين وهدى لهم، كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] وهذا فضل الله ورحمته التي توجب الفرح والتقدير للنعمة التي هي أعظم من نعمة المال الذي يجمعون ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[يونس:٥٨] فغاية السرور بهذا القرآن، وأن جعلنا من أهله، واختارنا مؤمنين.

فائدة: أتباع الحق هم الأشراف خلاف ما يعتقده الجهلة

يصف الله المؤمنين بالفقر والضعف المادي وبالقوة المعنوية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:٢٧] وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢] وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ○ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:١،٢] ويصف الكافرين بالثروة المادية والهوان المعنوي والذلة، قال تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ○ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:١٤،١٥] وقوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ○ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران:١٩٦،١٩٧] وقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] وقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ [آل عمران:١١٢].

فائدة: أولياء الله هم المتقون

أولياء الله وأحبابه وأنصاره المتقون لا خوف عليهم في الدنيا وفي الآخرة، ولا حزن ولا شقاء، ولهم العزة والبشرى، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ○ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ○ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٥] وقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٢٦] وقال: ﴿طه ○ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١،٢] وقال: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧] وقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة:٢١] وقال:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] فهم مطمئون راضون غير حزنين، ولهم العزة والسعادة الحقيقية التي لا يعرفها إلا من ثبت الإيمان في قلبه، ولهم الطمأنينة بذكر الله تعالى، كما قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فائدة: المعاصي تزيل النعم

بوأ الله بني إسرائيل مبوأ صدق، ورزقهم من الطيبات، وأنقذهم من فرعون وجنوده، ومن الغرق في البحر، ونصرهم الله ورزقوا المن والسلوى، وتدرجوا في مدارج الخير، وفتحت لهم بلاد فلسطين وتمتعوا بخصوبتها وثرائها، وأورثوا مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها بسبب صبرهم وتزكية نفوسهم، فشكروا نعمة الله واتبعوا وصايا أنبيائهم أول الأمر، ولما جاءهم العلم وأرسل الرسول ﷺ من العرب حسدوه وبغوا عليه، ولما جاء القرآن اختلفوا فيه بغيًا بينهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣] وقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقال: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] وقال: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ○ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١، ٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:١٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان اليهود في زمن النبي محمد ﷺ وقبل مبعثه مقرين بنبي يأتي، فلما جاءهم العلم وهو القرآن اختلفوا في تصديق محمد عليه الصلاة والسلام، وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع، وسبب ذلك الحسد، وقد كانوا يظنون أن الرسول يبعث منهم فهم أهل الكتاب، ويسمون العرب (الأميين) والله أعلم حيث يجعل رسالته. فتحولت الرسالة الخاتمة منهم إلى العرب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

وإذا ترك العرب هذا الدين رجعوا إلى ما كانوا عليه من ضعف وهوان وذلة وضلال وجهل، فلا يصلحهم إلا هذا الدين ولا ميزة لهم إلا به، قال الإمام مالك رحمه الله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) [تفسير أضواء البيان، سورة الجمعة آية ١٠] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله). [الحاكم:١/ ٦١،٦٢، وقال على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي].

فائدة: لا ينفع الإيمان بعد نزول العذاب

إذا نزل العذاب على أمة لا ينفعها الإيمان مالم تكن آمنت من قبل، وكذا إذا خرجت الشمس من مغربها، وإذا غرغرت الروح من الحلقوم، فلم ينفع ذلك فرعون، حيث قال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١] وقال لقوم يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟

كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] فقد استثنى الله قوم يونس عليه السلام من هذه القاعدة، وذلك لما صدر من يونس عليه وعلى نبينا السلام من المغاضبة والخروج من قريته قبل أن يؤذن له بالخروج، قال الرسول محمد ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» [البخاري: ٧٥٣٩].

فائدة: الأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض

الذي لا يستعمل عقله ولا ينظر في أدلة الحق، ولا يتفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار يجعل الله في قلبه الرجس والكفر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقال عن المنافقين: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] وأمر الله تعالى بالنظر في خلقه والتفكر، فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقال: ﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٠١].

فائدة: القرابة لا تنفع مع التكذيب

في قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء:٧٧] تهديد لقريش لئلا يتكلوا على قرابتهم من النبي محمد ﷺ، وقد روي أنه ﷺ لما قرأ على عتبة بن ربيعة سورة فصلت حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣] فزع عتبة وقال له: ناشدتك الرحم.

فائدة: أجر المجتهد

في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٨، ٧٩] أن المجتهد إذا حكم باجتهاده عن علم فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وفي قوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩] دليل على ذلك، ودفع توهم أن حكم داود عليه السلام كان خطأ وجورًا، وإنما كان حكم سليمان عليه السلام أصوب، وأن فهمه في هذه المسألة أعمق وأرفق، وفيه دليل على العمل بالراجح دون المرجوح، والتفاضل بين درجات المجتهدين، والقصة هي كما يلي:

جلس داود عليه السلام للقضاء بين الناس، وكان ابنه سليمان عليه السلام صغيرًا جالسًا خارج بيت القضاء، فاختصم إلى داود عليه السلام رجلان أحدهما عامل في حرث لجماعة في زرع والآخر راعي غنم لجماعة، فدخلت الغنمُ الحرثَ ليلاً فأفسدت ما فيه، فقضى داود عليه السلام أن تعطى الغنم لأصحاب الحرث، إذ كان ثمن تلك الغنم يساوي ثمن ما تلف من ذلك الحرث، فلما خرج الخصمان وقصا أمرهما إلى سليمان عليه السلام، قال: لو كنت أنا قاضيًا لحكمت بغير ذلك، فبلغ ذلك داود فأحضره، وقال له بماذا تقضي؟

قال: أقضي بما هو أرفق للجميع، بأن يأخذ أصحاب الغنم الحرث يقوم عليه عاملهم ويصلحه عامًا كاملاً حتى يعود كما كان ويرده إلى أصحابه، وأن يأخذ أصحاب الحرث الغنم تسلم لراعيهم فينتفعوا من ألبانها وأصوافها ونسلها في تلك المدة، فإذا كمل الحرث وعاد إلى حالته الأولى صرف إلى كل فريق ما كان له، فقال داود عليه السلام: وفقت يابني، وقضى بينهما بذلك، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩].

فائدة: تسخير الله الريح لسليمان عليه السلام

قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [الأنبياء:٨١] وقال في سورة ص: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦] يدل على أن سليمان عليه السلام إن أراد السرعة سارت عاصفة، وإن أراد اللين سارت رُخاء، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [الأنبياء:٨١] أي إنه يأمرها بالسرعة تارة وباللين تارة أخرى مسخرة له.

فائدة: هبة الله لسليمان عليه السلام ملكاً لم يهبه أحدا من العالمين

في قول سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص:٣٥] دليل على أن ما مكن الله سليمان عليه السلام منه من تسخير الجن له والشياطين والطير لا يمكن أن يحصل لغيره، ولهذا لمَّا مكن الله النبي محمدًا ﷺ من الجني الذي كاد أن يفسد عليه صلاته وهم بأن يربطه بسارية المسجد، ذكر دعوة سليمان عليه السلام فأطلقه، فجمع الله لنبينا محمد ﷺ بين التمكين من الجن والشياطين وبين تحقيق رغبة سليمان عليه السلام في دعائه ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ

بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥].

فائدة: عاقبة المكذبين بالرسل

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤] ذكر الله تعالى قوم إبراهيم عليه السلام من ضمن الأقوام الذين أخذهم الله بالعذاب، بينما لم يذكرهم في آيات أخرى، وإنما بين أن إبراهيم عليه السلام خرج عنهم ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] كما أن رسول الله ﷺ خرج من قومه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠] فحصل التشابه بينهما، وليس في القرآن ذكر لعذاب قوم إبراهيم عليه السلام إلا قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠] فتبين من ذلك أن الله أخذ قوم إبراهيم عليه السلام بعد أن أملى لهم، وأنه جعلهم من الأخسرين، وأنه كادهم كما أرادوا بإبراهيم عليه السلام الكيد. والله أعلم.

فائدة: الرسل يتمنون هداية قومهم

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] الأنبياء يتمنون هداية قومهم، والشيطان يلقي في نفس الرسول أنهم لن يؤمنوا، ويحاول أن يقنطه، ولكن الله تعالى ينسخ ما يلقي الشيطان من الوسوسة والخواطر، فينسخ ما يلقي الشيطان، ويدأب على الدعوة والحرص والإرشاد

وعدم اليأس، ويحكم آياته سبحانه فيتضح الحق ويرسخ ما تمناه الرسل من الهدي، ويحكم الله آياته.

فائدة: حكمة الله في تقلب الليل والنهار والأحوال

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٦١] فوائد، منها: الإشارة إلى تقلب الزمان، فقد يصير الغالب مغلوبًا والمغلوب غالبًا، وفيه الإشارة إلى قدرة الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن العذاب سيحل بالمشركين، ولن يستمروا على عنادهم وأذيتهم للرسول ﷺ، وفيه أن لكل شيء أجلاً وكتابًا، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد:٣٨] وفيه تشبيه الكفر بالليل والإيمان بالنهار، وفيه أن الحق سينتصر بعد الظلمة والشرك، لذلك ابتدئ في الآية بإيلاج الليل في النهار، أي دخول ظلمة الليل تحت ضوء النهار، وفيه إظهار قدرة الله تعالى على كل شيء، وفيه الإشارة إلى حكمة الله وأنه سميع بصير، وإلى علمه بالأحوال كلها، فهو ينصر من ينصره بعلمه وحكمته، ويعد بالنصر من يعلم أنه ناصره، وكل شيء بحكمة وتدبير.

فائدة: آيات لا يقدر عليها إلا الله تعالى

قوله تعالى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحج:٦٥] فالله يمسك العوالم العلوية كالكواكب السيارة وغيرها، مما يعلمه الله أن تقع على الأرض إلا إذا أراد ذلك وأذن، وفي هذا تخويف للناس من وقوعها عليهم إذا أذن بذلك، كما أنه يمسك المطر أن يستمر عليهم فيضرهم، لأنه يطلق على السماء كما في قول زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه (صلى

لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل) [البخاري:٨٤٦، ومسلم:٧١ أبو داود:٣٩٠٦] وهذا من رحمته ورأفته بالعباد، لهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فائدة: أمة التوحيد واحدة

من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢] يستفاد أن أمة التوحيد واحدة، بخلاف أهل الشرك الذين تتعدد آلهتهم وتتشعب إلى عدة أديان، لأن لكل صنم عبادةً وأتباعًا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ أي وحدي لا غيري رب واحد ومعبود واحد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ وجميع أهل التوحيد الخالص من جميع المخلوقين أولهم وآخرهم إلى أن تقوم الساعة سبيلهم واحدة، يوحدون الله ويعبدونه ولا يشركون به، ويؤمنون بجميع رسل الله، صراطهم واحد ومنهجهم واحد.

فائدة: تعدد آلهة المشركين

قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٣] أي أن المشركين تفرقوا وجعلوا أنفسهم فرقًا وعبدوا آلهة متعددة، لقي الحصين بن عبيد الخزاعي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «يا حصين ما تعبد؟» قال: عشرة، قال: «ماهم؟ وأين هم؟» قال: تسعة في الأرض وواحد في السماء، قال: «فمن لحاجتك؟» قال: الذي في السماء، قال: «فمن لطلبتك؟» قال: الذي في السماء، قال: «فمن لكذا؟ فمن لكذا؟» كل ذلك يقول: الذي في السماء، قال رسول الله: «فألغ التسعة» وفي الترمذي أنه قال: سبعةً: ستةً في الأرض وواحدًا في السماء، قال ﷺ: «فأيهم تعد لرغبتك

ورهبتك؟» قال: الذي في السماء. [الترمذي:٣٤٨٣ وضعفه الألباني].

فائدة: زفير أهل النار

يستفاد من قوله تعالى عن أصحاب النار أعاذنا الله منها: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٠] خروج الزفير، وهو النفس يخرج من أقصى الرئتين لضغط الهواء من التأثر بالغم، فيخرج صوت الزفير ولا يسمعونه من شدة العذاب حيث يفقدون السمع، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

فائدة: مؤامرة أخوة يوسف على يوسف عليه السلام

قول القائل من أخوة يوسف عليه السلام: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف:٩] فيه أنهم قبل اتصافهم بالنبوة أو الولاية مزمعون على ارتكاب كبائر القتل أو التعذيب والاعتداء والعقوق والكذب، وقولهم: ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ أي تصلح أحوالكم في عيشكم مع أبيكم بدون يوسف عليه السلام إذا خلا لكم وجه أبيكم، وفي هذا الفعل من الأخلاق السيئة التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه أو مساويه، بإعدام صاحب الفضل حسدًا وإضرارًا وانتهاكًا لأمر الله، وقد تابوا بعد ذلك وأصلح الله حالهم وسماهم الأسباط واستغفر لهم أبوهم وعفا عنهم أخوهم، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها.

فائدة: جزاء المحسنين في الدنيا والآخرة

من حكمة الله تعالى أنه يجازي المحسنين في الدنيا والآخرة، ويبعد عنهم الشرور ويوفقهم للخيرات، قال تعالى عن يوسف عليه

السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢] فقد جازاه الله تعالى بأن آتاه حكمًا وعلمًا وتمكينًا في الأرض وتأويلاً للأحاديث والأحلام والرؤى لعفافه ووفائه وكرم خلقه، وصرف عنه السوء والفحشاء.

فائدة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خياراً منه

لما ترك يوسف عليه السلام ملة قومه الكنعانيين الذين نشأ فيهم والقبط الذين شب بينهم، عوضه الله بالعلم بتأويل الأحلام واتباع ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهما السلام من التوحيد الخالص لله تعالى، وهذا من فضل الله تعالى على أهل التوحيد الشاكرين لله ومن فضله سبحانه على يوسف عليه السلام، ولهذا يحكي الله تعالى عن يوسف عليه السلام قوله لصاحبي السجن: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ○ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٧،٣٨].

فائدة: دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد في السجن

لما سأل أصحاب السجن يوسف عليه السلام عن تأويل الرؤيا التي رأوها أجابهم باقتضاب: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [يوسف:٤١] وأخر الجواب حتى نصحهم بالتوحيد الخالص، وأسهب في ذلك لأهميته فقال لهم: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ○ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ○

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ○ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٧-٤٠] وهكذا يكون الداعية الحق يهتم بالدعوة أولا، لا كما يفعله بعض المؤولين للأحلام اليوم، جل اهتمامهم بتأويل الأحلام والرؤى، ومعظمهم بدون علم، وأكثرهم جعل وقته للتأويلات وترك العلم وزهد الناس فيه.

فائدة: توقيت يوسف لمن سأله أن يجيبه عند حضورالطعام

قول يوسف عليه السلام لمن سأله عن الرؤيا: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ [يوسف:٣٧] جعل لذلك وقتًا معلومًا لهم، وهو وقت إحضار طعام المساجين، إذ ليس لهم في السجن حوادث يوقتون بها، ولأن انطباق الأبواب وإحاطة الجدران يحول بينهم وبين رؤية الشمس، فليس لهم إلا حوادث أحوالهم من طعام ونوم أو هبوب منه، والله أعلم.

فائدة: عتاب الله ليوسف عليه السلام لاستعانته بالبشر

قال العلماء في قول يوسف عليه السلام للذي ظن أنه ناج ممن سألاه عن الرؤيا: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢]: إن هذا عتاب إلٰهيٌّ ليوسف عليه السلام على اشتغاله بعون العباد دون استعانة ربه على خلاصه.

فائدة: تسلية الله سبحانه لنبيه ﷺ بذكر تكذيب الأقوام الأولين لرسلهم

قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ

﴿أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢] يفيد أن جميع الرسل قالت لهم أقوامهم مثل ما قالت المشركون لرسول الله ﷺ: إنه ساحر أو مجنون، ولم يقل: ساحر ومجنون، لأن قوم نوح عليه السلام مثلاً لا يعرفون السحر، فقالوا: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [المؤمنون:٢٥] وكذا قول قوم هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ [هود:٥٤] وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ [الذاريات:٥٢] ليخرج بذلك الأنبياء دون الرسل، مثل آدم عليه السلام حيث لم يرد أنه كذبه أهله ولا يوشع ولا أشعيا الذين لم يكذبوا، والرسول أخص من النبي، ثم قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ [الذاريات:٥٣] فهم متواطؤون على هذا القول كالمتواصين بهذا القول، ثم أضرب عن ذلك فقال سبحانه: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣] فالطغيان راسخ في نفوسهم فلا يقتنعون بالآيات ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ○ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٤، ٥٥] فيجب العناية والاهتمام بهم، قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ○ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾ [الأعلى:١٠، ١١].

فائدة: رضا الله عن العبد أعظم النعم

قوله تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة:٧٢] بعد قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ [التوبة:٧٢] يدل على أن النعيم الذي يتحصل عليه المؤمن من رضا الله أكبر من الجنات والمساكن والأنهار وغيرها، والتنكير في ﴿رضوان﴾ للتنويع، وفيه دليل على أن السعادات الروحانية أعلى وأشرف من الجسدية.

فائدة: جهاد ا لكفار والمنافقين

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣] جهاد الكفار المحاربين بالسلاح والدعوة، وجهاد المنافقين بالمقاومة بالحجة وإقامة الحدود، وكان ﷺ يعلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسمائهم، وكانوا يعرفون بفلتات أقوالهم وأحوالهم، ولم يقتلهم الرسول ﷺ، وقال لعمر رضي الله عنه: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» [البخاري: ٣٥١٨، ٤٩٠٧ ومسلم: ٢٥٨٤].

فائدة: التحذير من قول كلمة الكفر

ليحذر المسلم من قول كلمة الكفر التي تهوي به سبعين خريفًا في نار جهنم، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤] والكلمة التي قالوها ما روى عروة بن الزبير ومجاهد وابن إسحاق أن الجلاس بن سويد بن الصامت قال: (لئن كان ما يقول محمد ﷺ حقًّا لنحن أشر من حمرنا هذه التي نحن عليها) فأخبر عنه ربيبه مصعب رضي الله عنه النبيَّ ﷺ فدعاه وسأله عن مقالته فحلف بالله ما قال ذلك، [تفسير الطبري:١٦٩٨٣-١٦٩٨٥] وقيل: نزلت في عبدالله بن أُبي ابن سلول لقوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨] فسعى به رجل من المسلمين فأرسل إليه رسول الله ﷺ وسأله فجعل يحلف بالله ما قال ذلك [البخاري:٤٩٠٤ وما بعدها] ومثل ذلك قول أحدهم في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، فنزلت: ﴿وَلَئِن

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] [تفسير الطبري: ١٦٩٢٧، ١٦٩٢٨].

فائدة: الفتنة أشد من القتل

الفتنة اختلال واضطراب وانتشار للأخطار والمصائب والخوف مثل الحروب والأمراض والخلافات، وهي أشد من القتل، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] وقد عاب الله تعالى على المنافقين ومرضى القلوب عدم توبتهم وعدم تذكرهم وإفاقتهم من غفلتهم، وهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين.

فائدة: علوُّ همة يوسف عليه السلام وصبره

قول يوسف عليه السلام للرسول الذي جاء من الملك يطلب إتيانه ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠] لإظهار براءته مما نسب إليه، وهذا يدل على علو همة يوسف عليه السلام وصبره، فقد رغب أن يبقى في السجن حتى تظهر براءته من السبب الذي سجن من أجله، وأن هذا سبب غير مبرر لسجنه، وأنه افتراء عليه، وأنه بريء مما نسب إليه من أمر التي راودته في بيتها، والنسوة اللاتي قطعن أيديهن، وهذه من العبر التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] فلما ظهرت براءته للملإ استجاب للخروج من السجن عزيزًا بريئًا حيث قلن عنه: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾

[يوسف:٥١] وقالت امرأة العزيز: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٥١].

فائدة: اعتراف امرأة العزيز

يؤخذ من قول امرأة العزيز: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢] إن سنة الله في الكون جرت أن الباطل وإن راج في وقت معين فإنه لا يلبث أن ينقشع، قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء:١٨].

فائدة: الأمر بعبادة الله وحده والبراءة من الشرك وأهله

قول الله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا﴾ [يونس:١٠٥] وقوله: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [البقرة:١٣٥] يدل على أن دين التوحيد الخالص لله وحده لا ميل فيه للشرك والآلهة، وأن صاحبه مقيم وجهه لله تعالى، فلا يتوجه إلى غيره مهما كانت الظروف والأحوال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠] وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٤] وقول إبراهيم عليه السلام والذين معه: ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَـٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يونس:١٠٥].

فائدة: لا يملك النفع والضر إلا الله تعالى

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] ذيل إعطاء الخير بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

لبيان أن إعطاء الخير فضل من الله ورحمة وتجاوز منه سبحانه عن ذنوب عباده وإسرافهم وعدم مؤاخذة لهم، ولولا تجاوزه تعالى على الكثير لمسهم الضر الشديد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [النحل: ٦١].

فائدة: فائدة الهداية للمهتدي

فائدة الهداية للمهتدي نفسه، وضرر الضلالة على الضال نفسه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ [يونس: ١٠٨] فمن أراد الخير لنفسه فليستقم على الهداية، ومن أراد لها الشر فعلى نفسه الضرر والضلال والعقاب الأليم، أما الداعية فما عليه إلا البلاغ، ولو أن جميع الخلق على هدى ما زاد ذلك في ملك الله شيئًا، ولو أنهم على ضلالة ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، فهو الغني الحميد، قال تعالى في الحديث القدسي: «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا» [مسلم: ٢٥٧٧ والترمذي: ٢٤٩٥].

فائدة: القرآن الكريم محكم في ألفاظه ومعانيه

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] الإحكام هو: الإتقان، قال تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] والتفصيل هو: التوضيح والبيان، وقوله: ﴿حَكِيمٍ﴾ مقابله ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ وقوله: ﴿خَبِيرٍ﴾ مقابله ﴿فُصِّلَتۡ﴾ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

فائدة: من كان يريد بعمله حظ الدنيا فليس له نصيب في الآخرة

الذي يريد الحياة الدنيا في أعماله دون الآخرة يعطيه الله من الدنيا ويحرمه من الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥] ويقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨] ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨] ويقول: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ○ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٦، ١٩٧].

فائدة: مقدار الجزاء بقدر المجزئ عليه

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣] يدل - والله أعلم - على أن الاستغفار والتوبة من الذنوب سبب للمتاع الحسن في الدنيا، وأن من عمل الخير والفضل آتاه الله جزاء فضله في الدنيا والآخرة إذا كان مسلمًا، وإن كان غير مسلم أخذ جزاءه في الدنيا، فمقدار الجزاء بقدر المجزي عليه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

فائدة: خلق العرش والماء قبل السموات والأرض

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧] يدل على أن العرش والماء مخلوقان قبل خلق السماوات والأرض،

والعرش أكبر المخلوقات، والله مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] والاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فلا يجوز تشبيهه ولا تكييفه ولا تمثيله ولا تعطيله.

فائدة: حال الناس في السراء والضراء

من صفات الإنسان أنه يؤوس كفور فرح فخور، إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود:٩، ١٠].

واليؤوس: مبالغة في اليأس من رحمة الله، والكفور: منكر وجاحد لنعمه تعالى وساخط، والفَرِح: شديد الفرح متجاوز حده إلى البطر والأشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] والفخور: كثير التباهي لا يشكر نعمة الله بعد البأساء والضراء، قال تعالى: ﴿إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:٤٨] وهذه صفات عامة للإنسان إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

فائدة: يؤمن بالقرآن من يكون على بينة من ربه مثل بعض اليهود والنصارى

قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾ [هود:١٧] أي كما أسلم من كانوا على بينة من

ربهم منكم، ومن أهل الكتاب أسلموا مثل بعض النصارى، ومثل ورقة بن نوفل ودحية الكلبي وعبدالله بن سلام - رضي الله عنه - الذي كان يهوديًّا فظهر له الحق وأسلم هو وغيره ممن عرفوا أن الرسول ﷺ حق مبشر به في التوراة والإنجيل، وكان اليهود ينتظرون مجيء محمد ﷺ فأسلم منهم القليل وحسده الكثير، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠].

فائدة: المرجع والمآل إلى الله تعالى

قول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤] فيه إثبات البعثة، فالذي قدر على الابتداء بالخلق قادر من باب أولى على الإعادة، ومن أوجد الكائنات من غير سابق وجود لا يعجزه أن يعيدها خلقًا ثانيًا ويرجعه جميعًا إليه، وإذا كان الرجوع إليه لا إلى غيره كان حقيقًا بالعبادة، وعبادة غيره باطلة، وهذا وعد الله وهو لا يخلف الميعاد، وهذه الإعادة لحكمة الجزاء على الأعمال في الدنيا، وحتى لا يستوي المحسن والمسيء، وليلقى كل عامل جزاء عمله، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤] وهذا من عدله سبحانه ومن كرمه وفضله، وقال عن جزاء المؤمنين بالقسط، وأما الكافر فلم يقل في حقهم ذلك، لأنهم لو جوزوا على قدر جرمهم لكان عذابهم أشد.

فائدة: كل شيء شاهد ودليل على قدرة الله سبحانه

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ

﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس:٥] الضياء نور معه حرارة للشمس، والنور بدون حرارة للقمر، والضياء قوي ساطع، والنور شعاع ضعيف، وقد جعل الله الشمس ضياء للانتفاع بضيائها في مشاهدة ما يهم الناس في حياتهم وأشغالهم، وجعل القمر نورًا للانتفاع بنوره انتفاعًا مناسبًا للحاجة التي قد تعرض إلى طلب رؤية الأشياء في وقت الظلمة بقدر الضرورة، وحتى لا يصرف نوره سكون الليل وظلامه، فلو جعل نور القمر مثل ضياء الشمس ساطعًا لأشغل الناس ذلك عن السكون الذي يجدونه في الليل، وهذا من فضله تعالى، وقدر الموقع الذي يظهر فيه القمر منازل، وهي البروج الاثنى عشر لمعرفة السنين والحساب ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [يونس:٥] كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [ص:٢٧] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ○ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨،٣٩] وقوله ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦].

فائدة: غفلة الناس عن النظر والتفكر في موجد المخلوقات

قول الله تعالى عن الكفار: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود:٢٠] أي ما كانوا يوجهون أنظارهم إلى المرئيات نظر تأمل وتفكر واعتبار، وإنما ينظرون إلى هذه المخلوقات نظر الغافل عن الصانع لها الموجد الخالق، ولهذا لا يستطيعون السمع ولا يبصرون ولا يؤمنون، فهم ينظرون إلى ظواهر الأشياء، وهم عن معرفة الخالق ومعرفة الآخرة والإيمان بالله غافلون، كما قال تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧] وهذا شأن علماء الفلك الكافرين وغيرهم ممن ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، نسأل الله العافية.

فائدة: القرآن كلام الله حقاً

قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٣٧] يدل على أن هذا القرآن مصدِّق للكتب السالفة، ومبين للصادق منها، ومميز لما زيد فيها وأسيء في تأويلها، كما أنه مصدَّق بشهادة الكتب السالفة، حيث أخذت العهود على أصحابها أن يؤمنوا بالرسول محمد ﷺ الصادق خاتم المرسلين ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١] والذي جاء بالقرآن الصادق المبين كما جاء مجملاً في الكتب السالفة، وناسخًا لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه، ودافعًا للمتشابهات التي ضل بها أهل الكتاب، ومفصلاً لكل شيء، لا ريب فيه من رب العالمين، فليس مفترى من دون الله.

فائدة: استبطاء قريش للعذاب حَمَلَهم على التكذيب

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩] هذه هي المشكلة التي سببت لهم التكذيب، وهي عدم الإحاطة بعلم هذا القرآن وعدم فهمه فهمًا صحيحًا وعدم حصول ما وعد الله فيه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩] أي لم يأتهم ظهور ما أنذرهم الله به من العذاب، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] ولله في تأخير العذاب عنهم حكمة، فالله سبحانه لا يعجل عذاب الكفار ولا تأويل الكتاب وظهور النذارة، ولكن وعده

آت لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف:٥٣].

فائدة: مجرد معرفة القرآن لا تنفع صاحبها إذا لم يؤمن به

الذي يؤمن بالقرآن ولا يتبعه كبرًا وعنادًا، والذي لا يؤمن به ويعتقد أنه ليس من عند الله سواء في الكفر والفساد، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٤٠] ولهذا لم ينفع أبا طالب قوله:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ
من خير أديان البرية دينًا

ولا قوله لابنه: (اتبع محمدًا ﷺ فإنه صادق) ولا مناصرته للرسول ﷺ وحمايته من أذى قومه ما دام متكبرًا عن قبول الحق والانقياد له والعمل به، والتبرء من المشركين وآلهتهم وأجداده، وخوفه من ملامة قومه وسبابهم، حيث قال:

لولا الملامة أو حذار مسبة
لرأيتني سمحًا بذاك مبينا

فائدة: الغلبة للمسلمين إذا صبروا وآمنوا

قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال:٦٥] فكان الواجب على المسلمين أن لا يفروا من القتال ما دام عددهم عُشر عدد الكفار، ثم لما علم الله في المسلمين

ضعفًا خفف عنهم ذلك، فصار الواجب عدم الفرار من الضعفِ، قال تعالى: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦] وهذا من لطف الله ورفقه بالمسلمين وتيسيره عليهم، ومن هاتين الآيتين نستفيد أن المسلمين يغلبون الكفار إذا صبروا وآمنوا، ولو كانت قوة الكفار وعددهم عشرة أمثالهم، لأن الله تعالى قيد نصرهم بالإيمان، فقال: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال:٦٥] وقيده بالصبر فقال: ﴿صَٰبِرُونَ﴾ [الأنفال:٦٥] وأن الكفار يُغلبون ولو كانوا عشرة أمثال المؤمنين بسبب كفرهم وعدم فقههم، قال تعالى: ﴿يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنفال:٦٥] فالكفر سبب لعدم الفقه، لأنه إنكار ما ليس بمحسوس، فصاحبه ينشأ من إهمال النظر وتعطيل الفكر، فلا يؤمن إلا بالأسباب المادية، ويحسب أن الكثرة والقوة المادية توجب النصر لوحدها على القلة، كما يقول قائلهم: (إنما العزة للكاثر) أما المؤمنون فيعولون نصر الله على وعده لهم إذا آمنوا وثبتوا وصبروا وصابروا رجاء إعلاء دين الله، ولأنهم موقنون بالحياة الأبدية بعد الموت، ولهذا قال تعالى: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ لا بقوة أجسادهم وقوة سلاحهم وكثرتهم، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فائدة: قصة أسرى بدر

عاتب الله تعالى النبي محمدًا ﷺ على فداء الأسرى في وقعة بدر في قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الأنفال:٦٧].

فقد روى مسلم وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن المسلمين لما أسروا الأسارى يوم بدر وفيهم صناديد المشركين، سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يفاديهم بالمال، وعاهدوا على أن لا يعودوا إلى حربه، فاستشار رسول الله ﷺ المسلمين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (يانبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام) وقال عمر رضي الله عنه: (أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، لأنهم أئمة الكفر، ويقتل كل واحد من المسلمين قريبه حتى لا يكون بقلوبنا محبة لهم) [مسلم:١٧٦٣] ولكن الرسول ﷺ هوي قول أبي بكر رضي الله عنه فأخذ منهم الفداء فأنزل الله هذه الآية عتابًا للرسول ﷺ، ولولا قدر الله سبق لمس المسلمين عذاب بسبب أخذ الفداء، وكان من رحمته سبحانه أن صرف المشركين عن محبة أخذ الثأر من المسلمين، ولم ينزل العذاب على المسلمين، لأن الرسول ﷺ لم يأخذ الفداء إلا بمشورة من أبي بكر رضي الله عنه وغيره.

فائدة: فتنة بني إسرائيل بالعجل

قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٨٣] يؤخذ منه أن موسى عليه السلام تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة قبل الوقت الذي يعينه الله له اجتهادًا منه ورغبةً في أخذ الشريعة من ربه، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحصل لقومه من ابتعاده عنهم، واعتذر موسى عليه السلام عن تعجله بأنه عجل استجابة لأمر الله ورضاه، قال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه:٨٤] فصار هذا التعجل

سببًا في حدوث فتنة قومه تعليمًا وتأديبًا لموسى عليه السلام حتى لا يتجاوز الوقت الذي حدد له، حتى ولو كان لرغبة في ازدياد الخير، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ○ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ [طه: ٨٥، ٨٦] غضبان على قومه وعلى أخيه، وأسفًا على فعله وفعلهم، وتعجله وتركه لقومه.

فائدة: من أسباب النفاق وزيغ القلوب

الحذر الحذر من الكذب وعدم الوفاء بالعهد، فإن ذلك من أسباب النفاق وزيغ القلوب، فإن الأفعال الذميمة تفسد الأخلاق الصالحة، ويزداد الفساد تمكنًا من النفس حتى يكون نفاقًا، فالذي عاهد الله في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦] أعقبه الله نفاقًا في قلبه بسبب إخلافه للوعد وكذبه في القول والعهد، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

فائدة: كفر من لا يصدق برسول الله ﷺ ولا يعمل بشرعه

الذي لا يصدق رسول الله ﷺ ويجحد رسالته كافر بدليل قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

فائدة: منافقوا المدينة

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ

ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] الذين حول المدينة من الأعراب هم جهينة وأسلم وأشجع وغفار ولحيان وعصية، من هؤلاء منافقون لم يُعلم الله تعالى نبيه بهم على وجه التفصيل، وإنما أعلمه على وجه الإجمال لئلا يغتر بهم، أما منافقوا المدينة فقد مردوا على النفاق، وسيعذبهم الله مرتين في الدنيا، ثم يعذبهم الثالثة في الآخرة، لقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

فائدة: جزاء الخروج في سيل الله والإنفاق فيه

قوله تعالى في الخارجين للجهاد في سبيله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١] يدل على أن أحسن أعمالهم النفقة وقطع الأودية للذهاب والعودة من الجهاد، كقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٨] أما قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] فليس من هذا القبيل.

فائدة: طرق الجهاد ووسائله

الجهاد في سبيل الله بالقوة المادية والمعنوية وبالتفقه في الدين والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] فوجود جماعة قائمة بعلم الدين وإصلاح المسلمين وتعليمهم وسياستهم وتثبيت سلطانهم وإعدادهم لا يقل عن قيام جماعة أخرى للغزو والجندية، وكل ذلك جهاد في سبيل الله

ونفور إلى الجهاد.

فائدة: خوف موسى عليه السلام من ظهور أمر السحرة

قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٧،٦٨] خاف موسى عليه السلام أن يظهر أمر السحرة لكثرتهم، أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السحرة فيملي لهم بظهور غلبتهم عليه، وأيقن أن العاقبة تكون له، وهذا موقف موسى عليه السلام.

أما نبينا محمد ﷺ فقد كان متأكدًا من نصر الله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] وإذ يقول: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» [البخاري:٤٦٦٣] ومتأكد من وعده حين قال يوم غزوة بدر: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» [مسلم:١٧٦٣، وأحمد:١/ ٣٢].

كما أن موسى عليه السلام بعد ذلك تيقن من وعد الله وأن الله معه يوم كان البحر أمامه والعدو خلفه وقومه يقولون له: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] فيجيبهم ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢].

فائدة: إيمان السحرة بعد ما علموا يقيناً أن عصا موسى ليست سحراً

قول السحرة ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه:٧٠] وقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٢١،١٢٢] مرة قدموا هارون عليه السلام ومرة قدموا موسى عليه السلام، إما أن يكون تقديمهم لهارون عليه السلام لكبر سنه وتقديمهم مرة أخرى لموسى عليه السلام لفضله، أو أن ذلك حكاية لقولهم مراعاة لفواصل

السورتين في القرآن.

فائدة: إذا أشرق نور الإيمان في القلب لا يخاف إلا الله

قول السحرة لفرعون بعد إيمانهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢] يستفاد منه أن المؤمن إذا أشرق نور الرسالة في قلبه ينقلب عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته ويقينه، وتكون شجاعته بعد الإيمان وقوته عظيمة، وينتهي خوفه من دون الله، انظر إلى حال الصحابة رضي الله عنهم بعد إيمانهم حيث قالوا: (لو خضت بنا البحر لخضناه معك) وكيف انقلبت صفاتهم وأحوالهم بعدما كانوا يتناحرون ويعتدي بعضهم على بعض، إلى أحباب متعاونين متعاضدين، وفي حالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إيمانه مثل صدق.

فائدة: عناد فرعون وتكذيبه لموسى عليه السالم سبب في هلاكه وهلاك قومه

قول الله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه:٧٩] تهكم من قول فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩] فقد أوقع قومه في الضلال والجهالة والضر وسوء العاقبة وقلب الحقائق بالجهل المركب وعدم السداد في أعمالهم حتى هلكوا بالغرق في البحر بسبب عناده وتكذيبه لدعوة موسى عليه السلام.

فائدة: من رحمة الله بقريش أمسك عنهم الآيات

قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٦] يستفاد منه أن الأمم السابقة لم يؤمنوا لما جاءتهم الآيات كما طلبتم أن تأتيكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ

أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء:٥٩] ومن رحمة الله تعالى أن أمسك عن مشركي مكة الآيات، لأنه أراد استبقاءهم ليكون منهم مؤمنون، وفعلاً صار من ذرياتهم علماء ودعاة، ولو أرسلت الآيات لكانت سنة الله استئصالهم.

فائدة: وجوب الجهاد في سبيل الله مستمر إلى قيام الساعة بشروطه

واجب الجهاد في سبيل الله مستمر إلى أن تقوم الساعة، ولا يجوز إيقافه والتخاذل عنه، ويجب الاستعداد له وإعداد الأمة علمًا وعملاً وقوةً معنويةً وحسيةً، ويجب الابتداء بمن يلي المسلمين من الكفار إذا توفرت شروطه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣] لهذا ابتدأ الخلفاء بفتح الشام ثم العراق ثم فارس ثم مصر ثم إفريقيا ثم الأندلس، واستمر جهادهم والغلظة على الكفار والشدة في قتال المشركين والنصارى واليهود وجميع الكفار والمنافقين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة:٧٣] وسوف ينصر الله من كان معه، ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ كقوله تعالى على لسان محمد ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة:٤٠] وقول الرسول ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» [البخاري:٤٦٦٣] وقول موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢] فمن كان الله معه نصره وخذل عدوه مهما كانت قوته المادية إذا أعد ما يستطيع، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

ومن شروط الجهاد: إعداد العدة، ووجود القيادة الصالحة، وفتوى العلماء، ورضا الوالدين، ورفع راية التوحيد والدفاع عنها.

فائدة: عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

من منة الله تعالى على العرب خاصة أنه أرسل رسولاً منهم رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] رفيقًا بهم غير غليظ ولا شديد، رؤوفًا رحيمًا بالمؤمنين، يبين للناس الحق ويبين لأهل الكتاب ما يخفون ويعفوا عن كثير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ○ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥،١٦] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:١٧٤] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤] وهو ﷺ عزيز غالب يشق عليه حزنكم وشقاؤكم، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣] يخاف عليهم من عقاب الله لهم في الدنيا والآخرة، شافع مشفع حريص رفيق محسن ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

فائدة: أحسن القصص

قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] يدل على أن بعض القصص حسن ترتاح له النفوس ويفيد العقول، ولكن قصص القرآن أحسن من قصص غيره نظمًا وإعجازًا وعبرةً وحكمًا، وليس

معناه أن قصة يوسف عليه السلام أحسن من قصص القرآن، لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ فجميع القصص الوارد بالقرآن من العليم الحكيم، فيه النفع العظيم والإبداع في الألفاظ والتراكيب، وفيه غذاء للروح وبهجة للنفس والذوق وعبرة وغذاء للعقول.

فائدة: مذاكرة القرآن تزيد الإيمان

القرآن يزيد المؤمنين إيمانًا وبشرى ورحمةً وشفاءً، ويزيد الكافرين والمنافقين رجسًا على رجسهم وخسارًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ○ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢] وقال معاذ رضي الله عنه للأسود بن هلال: (اجلس بنا نؤمن ساعةً) يعني بمذاكرة القرآن وأمور الدين رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

فائدة: الفرقة والاختلاف شر

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩] تبين هذه الآية أن الناس كانوا كلهم على الحق أمةً واحدةً على فطرة الإسلام، ثم دخل في عقولهم الاختلاف بسبب الاختلاق الباطل والتخيل والأوهام والأقيسة الفاسدة والشياطين، وهذا الاختلاف

مذموم، ولولا أن الله أراد إمهال البشر إلى يوم القيامة لأراهم وجه الفصل في اختلافهم، وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨،١١٩] وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢١٣] وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤].

فائدة: الرؤيا الصالحة من المبشرات

قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] هذه من الرؤيا الصالحة التي يراها المسلم أو ترى له، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرى له» [البخاري:٦٩٩٠ وتفسير الطبري:١٧٧٣٤ والجملة الأخيرة له] وقد ألهم تأويلها، فالكواكب والشمس والقمر كناية عن موجودات شريفة، وسجود المخلوقات الشريفة ليوسف عليه السلام كناية عن عظمة شأنه، وكونها كواكب كناية عن تماثلها، وأما الشمس والقمر فهما كناية عن أصلين لتلك الموجودات، ورؤيا الأنبياء حق، والرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وقد رأى النبي محمد ﷺ عدة رؤى، فرأى هجرته من مكة إلى أرض

ذات نخل فظن أنها اليمامة، فظهر أنها المدينة، ورأى أنه يشرب من قدح لبن حتى رأى الري في أظفاره، ثم أعطى فضله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعبره بالعلم، ورأى امرأة سوداء ناشرة شعرها خارجة من المدينة إلى الجحفة فعبرها بالحمى تنقل من المدينة إلى الجحفة، ورأى عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه في روضة وأن فيها عمودًا وأن فيه عروة، وأنه أخذ بتلك العروة فارتقى إلى أعلى العمود فعبره النبي ﷺ بأنه لا يزال آخذًا بالإيمان.

فائدة: الفرق بين السمع والنظر

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ○ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس:٤٢،٤٣] قال ابن عرفة: جيء بضمير الجمع في الاستماع ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ لأن السمع يكون من الجهات كلها، وجيء بالإفراد في النظر ﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ لأن النظر من الجهة المقابلة لا من جميع الجهات، والله أعلم.

فائدة: المحبة شيء قلبي لا يملك الإنسان صرفه

يعقوب عليه السلام يحب أولاده كلهم، أما قولهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف:٨] فهذا توهم منهم باطل، وقد تكون زيادة محبته إياهما أمرًا لا يملك صرفه عن نفسه، قال ﷺ: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» [أبو داود:٢١٣٤ وضعفه الألباني] فالمحبة من الله لأحد الأولاد ليست من تصرف العبد باختياره، وكذا لإحدى الزوجات، أما قولهم: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ فهذا من عادات البادية يعتزون بالكثرة، ولم

يعلموا أن ما ينظر إليه المؤمنون من أسباب التفضيل غير ذلك.

فائدة: تقوُّلُ المشركين على القرآن لما عجزوا عن الإتيان بمثله

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:٧٦] وهذه الحجج الواهية ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وأمثالها تدل على عدم قدرتهم على الحجة، وأنهم مغلوبون مقهورون مبهورون، وليس لهم منتشب من المعارضة المقبولة، لهذا يهرعون إلى انتحال معارضات ومعاذير لا تدخل تحت التمحيص، ولا تستند إلى دليل، ولا تثبت أمام النقد، لهذا لما عجز كفار قريش عن الإتيان بمثل القرآن أو عشر سور منه أو سورة أو آية قالوا: سحر، وقالوا للنبي: ساحر أو كاهن أو شاعر وأمثال ذلك من التمويهات غير المقبولة، ولهذا قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧].

فائدة: الكعبة قبلة الأنبياء

قول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس:٨٧] قال ابن عباس رضي الله عنه: كانت الكعبة قبلة موسى عليه السلام، وعن الحسن: كانت الكعبة قبلة كل الأنبياء، فهي قبلة إبراهيم عليه السلام وكل أهل الملة الحنيفية قبل استقبال صخرة القدس، وهي قبلة المسلمين.

فائدة: المؤمنون الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

الذين اعترفوا بذنوبهم عندما تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك عشرة، منهم الجد بن قيس وكردم وأرس بن ثعلبة ووديعة بن حزام ومرداس وأبو قيس وأبو لبابة، وقد تابوا إلى الله وربطوا أنفسهم في

سواري المسجد النبوي أيامًا حتى نزلت الآية ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢] وقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ كناية عن وقوع التوبة لهم.

فائدة: الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك

الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٦] هم ثلاثة: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم، وهؤلاء لم يكن تخلفهم نفاقًا ولا كراهيةً للجهاد، ولكنهم شغلوا وفاتهم الجيش وهجرهم الرسول ﷺ والصحابة خمسين يومًا، وأنزل الله توبتهم.

فائدة: المنافقون اتخذوا مسجد ضرار لمحاربة الله ورسوله

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:١٠٧] هم من المنافقين، وعددهم اثنا عشر رجلاً، اتخذوا مسجدًا قرب مسجد قباء لقصد الضرار، وهم طائفة من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف من أهل العوالي، ومعهم رجال من أحلافهم من بني ضبيعة بن زيد وغيرهم. وقد كان المنافقون يجتمعون فيه تهيئةً وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله ﷺ، وهو أبو عامر الراهب الذي حارب الرسول ﷺ مع الأحزاب ومع ثقيف وهوازن من قبل، أما المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فهو مسجد قباء، وقيل: المسجد النبوي، والجمع بين الرأيين أن يقال إن المسجدين بنيا على التقوى، وغيرهما ممن هذه صفته.

أما الذين يحبون أن يطهروا فهم الأنصار الذي يصلون في

مسجد قباء من بني عوف من الخزرج وغيرهم حيث يجمعون بين الاستجمار والاستنجاء، كما ورد عن رسول الله ﷺ أن الله أثنى عليهم في ذلك.

فائدة: الشباب أقرب إلى قبول الحق من الكبار المتعلقين بالآباء

التعلق بأقوال الآباء واعتقاداتهم بدون دليل انقفال وسخافة وكبر وعناد ورجعية، وهو ما كان عليه الكفار، فقد قال قوم موسى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٧٨] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] وقال قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ○ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥٣، ٥٤].

وقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢٢] وهذا قول الشيوخ والكبار والملإ، أما الشباب والذرية والفتيان فهم أقرب إلى قبول الحق، قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣] وقال تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

فائدة: الظن لايغني من الحق شيئا

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس:٣٦] يدل على أن العلم المشوب بشك لا يغني شيئًا في إثبات الحق، وذلك فيما يمكن الجزم به واليقين كالعلوم الحاصلة بالدليل، وكذا مسائل

العقيدة، أما ما طريق تحصيله بالاجتهاد فيكتفى فيه بالظاهر من الأدلة التي لا يتأتى اليقين بها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾ [الحجرات: ١٢] فليس كله إثمًا، وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث» [البخاري: ٥١٤٣ ومسلم: ٢٥٦٣] وقد يطلق الظن على الاعتقاد الجازم مثل قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ○ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

فائدة: المسلمون موحدون لله تعالى

الموحدون لله تعالى مسلمون، والتوحيد إسلام، ودين الحق الخالص إسلام في جميع الأزمنة، لهذا قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] وعن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وعن يعقوب عليه السلام وبنيه: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وعن يوسف: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] وعن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وعن سليمان عليه السلام: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١] وعن عيسى عليه السلام والحواريين: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] فالحمد لله على دين الإسلام الذي ارتضاه الله لنا حيث قال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨].

فائدة: الطبع والران والختم على القلوب يستحقها الكفار والمنافقون والظالمون

الطبع على القلوب والختم عليها والران والغِشاوة والسد

والحجب وعدم البصيرة يستحقها كل ظالم معتدٍ فاسق كافر، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١] وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس: ٩، ١٠] وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٧] وقال: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٤، ١٥] نسأل الله العافية.

فائدة: من صفات المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

التائبون: الذين اقترفوا ذنبًا وتابوا منه، قال تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ [التوبة: ٧٤] أولم يقترفوه أصلا، قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [التوبة: ١١٧]

العابدون: المؤدون لما أوجب الله عليهم من العبادات.

الحامدون: المعترفون بنعم الله الشاكرون عليها.

السائحون: المسافرون للجهاد والقربة لله أو الصائمون.

الراكعون الساجدون: المصلون.

الآمرون بالمعروف: الذين يدعون الناس إلى الهدى ويرشدونهم.

والناهون عن المنكر: الواو واو الثمانية، وهم الذين ينهون عما

ينكره الشرع.

والحافظون لحدود الله: صفة جامعة للعمل بالتكاليف الشرعية الذين لا يضيعون ذلك.

فائدة: لا يجوز الاستغفار للكفار وللمشركين

لا يجوز الاستغفار للكافرين جميعًا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣] وقد نهي النبي ﷺ عن الاستغفار للمشركين، وكذا نهي المؤمنون عن ذلك، ونهي إبراهيم عليه السلام عن الاستغفار لأبيه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤] ولم يؤذن للنبي محمد ﷺ أن يستغفر لأمه عندما زار قبرها في الأبواء، وكذا قوله تعالى عن المنافقين أمثال عبدالله بن أُبي: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة:٨٠] ونهي ﷺ أن يستغفر لعمه أبي طالب، وتبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة:١١٤] وقال الله تعالى لنوح عليه السلام لما قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود:٤٥]: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] وأمرنا الله تعالى بالبراءة من الكافرين جميعًا، فقال: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

فائدة: الصدق منجاة

الصدق منجاة، وقد نجى الله الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وتاب عليهم، وهم: كعب بن مالك من بني سلمة، ومرارة بن الربيع العَمْري من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية الواقفي من بني واقف رضي الله عنهم، وكلهم من الأنصار، وذلك بسبب صدقهم وعدم افترائهم المعاذير وعدم حلفهم كذبًا، كما فعل غيرهم من المعذرين من الأعراب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

فائدة: من تعلم العربية فهو عربي

ليست العروبة بالبنوة لأب عربي أو أم عربية، فمن تعلم العربية وانتمى للعرب ونسي قوميته وتركها فهو عربي، فإسماعيل عليه السلام تعلم العربية وقريش من نسله عرب ورسول الله ﷺ منهم من العرب المستعربة، وكثير من علماء المسلمين استعربوا كالبخاري ومسلم والترمذي ومعظم علماء الحديث واللغة العربية كسيبويه والكسائي وكثير من قادة المسلمين كطارق ابن زياد وموسى بن نصير، كل هؤلاء وغيرهم عرب مستعربة، تعلموا العربية وتعلم آباؤهم وتركوا الانتماء إلى غير العرب فصاروا عربًا، والأنبياء كلهم ليسوا عربًا - ولا يضرهم ذلك - إلا أربعة: هود وصالح وشعيب ومحمد ﷺ، وأكرم الناس عند الله أتقاهم، وأفضل الأنساب نسب الدين، ولما سئل الرسول ﷺ عن أكرم الناس نسبًا، قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام [البخاري:٤٦٨٨،٤٦٨٩] ولم يضر يوسف عليه السلام ما حصل

عليه من البيع بدراهم معدودة، ولم يضره أنه غير عربي النسب، وكذا الأنبياء الآخرون عدا الأربعة المذكورين آنفًا كلهم غير عرب. والذين يفتخرون بالقبيلة أو البلاد أو اللون أو الجمال أو غير ذلك، مما ليس للإنسان قدرة على تغييره، يفتخرون بذلك لفقدانهم الصفات الأخرى التي هي محل الافتخار، والتي هي من كسب الإنسان وله الاختيار فيها كالشجاعة والكرم والصبر والوفاء والخلق وغير ذلك، وما أخر العرب شيء أكثر من إضاعة أوقاتهم في الافتخار بالقبائل والأوطان والعصبيات المنتنة، قال ﷺ «دعوها فإنها منتنة» [البخاري:٤٩٠٥ ومسلم:٢٥٨٤] وقال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية» وفي رواية: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» [أبو داود:٥١٢١ والبغوي في شرح السنة:١٣/ ١٢٢ وابن عدي في الكامل:٣/ ١٤٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] وقال الرسول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما قال: يابن السوداء: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠ ومسلم: ١٦٦١] وقال: «كلكم بنو آدم وآدم من تراب» [الترمذي:٣٩٥٥ وأبو داود:٥١١٦ وحسنه الألباني].

فهذه العصبيات تخل بعقيدة المسلم، ولهذا شدد الرسول ﷺ عليها وجمع الناس وخطبهم وأمر بلالا رضي الله عنه بأن ينادي: «الصلاة جامعة» ليبين لهم، ووضح أن من يفتخر بنسب أبائه وأجداده الكفار «فحم من فحم جهنم» [أبو داود:٥١١٦ وأحمد:٢/ ٥٢٤ وحسنه الألباني] وليس في القرآن الكريم: يا أيها العرب، وإنما الخطاب: يا

أيها المؤمنون، يا أيها الكافرون، يا بني آدم، يا أيها الناس، يا بني إسرائيل، وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج:٧٨] والناس جميعًا: إما مؤمن تقي، أو فاجر شقي، والمسلمون تتكافأ دماؤهم، وربهم واحد، كلهم لآدم وآدم من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١] فمن زاد إيمانه وعلمه فهو أرفع من غيره، وقال ﷺ «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [الترمذي: ٢٩٤٥ وابن ماجه: ٢٢٥ وصححه الألباني].

فائدة: لا يجوز الافتخار بالأنساب

فالانتساب لا يجوز الافتخار به، إنما هو للتعريف، ولا يجوز عقد الموالاة على اسم دون الإسلام، ولا على رسم غير رسم الإسلام، قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] وقد سمى الله المسلمين عباد الله وسماهم المؤمنين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [في الوصية الكبرى ص١١١ وفي الفتاوى ٣/ ٤١٥] (وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ، مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي أو قرفندي، فإن هذه أسماء باطلة، ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا في الآثار المعروفة من سلف الأمة لا شكيلي ولا قرفندي، والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرفندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ) ثم يقول: (فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم

من أي طائفة كان) [مجموع الفتاوي:٣/ ٤١٦] ويقول الشيخ بكر أبو زيد في كتابه «حكم الانتماء» الطبعة الثانية ص٦٢ (فلا يجوز مثلاً عقد الموالاة على اسم دون الإسلام، ولا الموالاة على رسم دون رسم الإسلام) ومثل ذلك هذا خضيري وهذا قبيلي، أو هذا ١٢٠ وهذا ١١٠ كل هذه دعاوى جاهلية، ويقول في صفحتي ٨٧،٨٨ من الكتاب المذكور ما نصه: (ثم دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى توحيد الإنسانية بمحو العصبية القبلية، وقتل النعرة الجنسية، وتغيير القياس الجاهلي لدرجات الناس، فجعل التقدير والتكريم بالتقوى، وبذلك زالت الفروق الاجتماعية بين الباهلي والقرشي، وبين الفقير والغني، وبين الأسود والأحمر (إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) [أحمد:٥/ ٤١١ بنحوه انظر: المجمع ٣/ ٢٦٦ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص١٧: (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: ياللمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة» [البخاري:٤٩٠٥ ومسلم:٢٥٨٤] وعندهما «ما بال دعوى الجاهلية» وغضب غضبًا شديدًا، كما غضب على أبي ذر رضي الله عنه لما قال يا ابن السوداء وجمع الناس ونادى «الصلاة جامعة» وقال: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠، ومسلم:١٦٦١] ولم

يغضب مثل غضبه ذلك لما طلب منه شاب أن يسمح له بالزنا، لأن الزنا معصية، وهذه المعصية المقيتة تمس العقيدة. وقال ابن القيم: (الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية للإنسان، مثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية، وكونه منتسبًا إليه يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي ويزن الناس به، فكل ذلك من دعوى الجاهلية) [انظر تيسير العزيز الحميد ص٥١٥].

قال الشاعر:

عليك بتقوى الله في كل حال
ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد هدم الشرك الشريف أبا لهب

وقال آخر:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

فالافتخار بالقبيلة نقص في عقيدة المسلم.

فائدة: وجوب الاجتماع على التوحيد والتحذير عما يضاده

الاجتماع على غير التوحيد لا يستمر، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٣] وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥] وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣] وقال: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الأنفال:٦٣].

فائدة: أهل الفتنة والتأويل الكاذب والزيغ يتبعون المتشابه

الذين يتبعون المتشابه من القول هم أهل الفتنة والتأويل الكاذب والزيغ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:٧] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج:١١].

فائدة: وجوب إعلان العقيدة الصحيحة والدعوة إليها والبراءة من اشرك وأهله

لا يجوز رفع راية غير راية العقيدة الصحيحة، ويجب على أهل العقيدة إعلانها والدعوة إليها والبراءة من أعدائها وعدم موالاتهم، قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

فائدة: الليل والنهار من نعم الله تعالى على العباد

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧] الليل مظلم فناسب أن يكون للسكون لراحة الناس من تعب الأعمال في النهار، أما النهار فهو مضيء فناسبه أن يكون للحركة والجهد، ويناسب أن

يوصف النور بأوصاف العقلاء حيث قال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ لأن كيفية زمن النهار وجودي، أما الليل فظلمته عدمية لعدم وجود الشمس، وكلها نعم من الله تعالى، ففي النهار يكون العمل وتحصل الأقوات، وفي الليل يكون الاستجمام والراحة، ومن جعل لله شركاء كفر بهذه النعم التي فيها آيات لقوم يسمعون، ومن لم يهتد ولم يتفطن لتلك الدلالات والآيات فهو أصم وأعمى، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ [الزخرف:٤٠] وهذه الآيات الكثيرة منها خلق الشمس والأرض والنور والقمر والظلمة والأرض وخلق الإنسان وسكون الليل والبصر والسمع والضوء والعمل والقوة والضعف وغير ذلك من الآيات التي يدركها المتفكرون في الليل والنهار.

فائدة: الله هوالغني الذي له ما في السموات والأرض لا يحتاج إلى ولد

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس:٦٨] الغني الذي له ما في السماوات والأرض لا حاجة له بالولد، فالله تعالى لا يحتاج إلى أحد، فهو الكامل، وسواه ناقص يحتاج إلى من يخلفه بعد موته ويعينه في حياته.

فائدة: الله يمهل الظالم

من حكمة الله تعالى أنه لا يعجل بالعقاب للظالمين وإنما يمهلهم، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [يونس:١١] وقال: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الذاريات:٥٩] فهو سبحانه يمد الظالمين بالنعم والخيرات رفقًا منه ولطفًا ومنَّةً وكرمًا وحكمةً ونظامًا، فلا استعجال للعذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ

أَجَلٌ﴾ [يونس:٤٩] وهو سبحانه يمد الظالمين في طغيانهم يعمهون، فهو الحليم القادر، ولو كان العذاب بيد البشر لاستعجلوا وقوعه، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:٥٨] وجاء في الحديث أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: ألا تستنصر لنا؟ وعجبوا أن يرزق الكافرون وهم يظلمون، فقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] أما الإنسان فهو عجول، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١].

فائدة: طلب كفار مكة من رسول الله ﷺ قرآناً لا يعيب آلهتهم

عن مجاهد قال: نزلت الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥] في خمسة: عبدالله بن أمية والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبدالله بن أبي قيس والعاص بن عامر قالوا للنبي ﷺ إئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة الأصنام واللات والعزى ومناة وهبل، وليس فيه عيبها، فأمر الله نبيه أن يرد عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ○ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٥،١٦] فالرسول ﷺ لم يؤلف القرآن من عنده ولا يستطيع ذلك، وإنما تلا ما بلغ به، ولو شاء الله ما تلاه عليهم، وقد لبث عمرًا من قبله لم يتل عليهم شيئًا، وما كان يحسن ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ

بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨].

فائدة: التوحيد أول هذا الدين وآخره

جميع الأعمال الصالحة تنبعث من كلمة التوحيد لا إله إلا الله، والقرآن كله توحيد لله تعالى، لأنه إما خبر عن الله، وهذا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له، وهذا توحيد الألوهية، وإما خبر عن إكرام الله لأهل توحيده، وإما خبر عن عذاب الله لمن أشرك، فالتوحيد أول هذا الدين وآخره وأصله ومبناه، وكل أعمال الإنسان تدخل فيه لا يشذ عنها شاذ، وهو سبب الأمن والأمان وجمع الكلمة وتكفير الذنوب والاهتداء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ○ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

فائدة: محبة أهل الشرك فسق وضلال

محبة أهل الشرك ومناصرتهم فسق وضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

فائدة: لا يحصل الإيمان إلا بتحكيم شرع الله والرضا به

لا يحصل الإيمان إلا بتحكيم شرع الله والرضا به والاطمئنان

والتسليم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فائدة: الإسلام دين الرحمة واليسر

الإسلام دين الرفق واليسر والرحمة والصبر وعدم التكلف، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ○ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] وقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ○ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٣٣، ٣٤] وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] وقال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فائدة: الولاء والبراء أصل التوحيد وروحه

لابد للمسلم من خلع الشرك والبراءة من أهله ومعاداتهم وإعلان ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ

بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] ولابد من الهجرة مع المؤمنين بالجسم والقلب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء:٩٧] ولابد من عداء الكافرين، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢] ولابد من الصبر، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] ولابد من الجهاد في سبيل الله بالدعوة والمال والنفس حسب الاستطاعة، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣] ولابد من حب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠] ولابد من التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

فائدة: الذين اهتدوا زادهم هدى

الله تعالى يصرف قلوب من يشاء من خلقه بسبب ذنوبهم وعدم فقههم وتفقههم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧] فهم لم يستفيدوا من أسرار هذه السور، ولم يعتبروا بمواعظها وأحكامها، ولم ينتفعوا من أخبارها وما فيها من المغيبات، لأنهم لايتدبرون القرآن ولا يطلبون الهدى. أما من طلب الهدى فإن الله تعالى يهديه، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

فائدة: النار مأوى منكري البعث

الذين لم يؤمنوا بالبعث، وانحصر تفكيرهم في أمور الدنيا ولم يرجوا لقاء ربهم ولم يتوقعوه، ولم يعملوا النظر في الحياة الآخرة، وأنها أبقى وأرقى وليس بها كدر، وتوغلوا في متاع الدنيا واطمأنوا فيها وصرفوا همتهم في تحصيلها، وغفلوا عن آيات الله، وهؤلاء - وهم أكثر الخلق - مأواهم النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يونس:٧،٨] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [يونس:١٥] وقال ﷺ: «مالي وللدنيا» [البخاري:٢٦١٣].

فائدة: فراسة المؤمن

الذين آمنوا وعملوا الصالحات يكون إيمانهم سببًا في هدايتهم، كما أن عدم الإيمان سبب في البعد عن الحق ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يونس:٨] وكلما زاد الإيمان زادت الفراسة، وفي الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» [الترمذي:٣١٢٧ وضعفه الألباني] وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المحدثين، كما أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن رسول الله ﷺ «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» [البخاري:٣٦٨٩ ومسلم:٢٣٩٨] فهو ملهم للصواب، فللإيمان أنوار قوية وهداية إلى الصراط المستقيم وجزاء من رب العالمين ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠] فهم عند التلاقي يسلم بعضهم على بعض، ويسبحون مولاهم، وآخر دعواهم

أن الحمد لله رب العالمين.

فائدة: لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله

لما سأل المشركون عن وقت البعث وقيام الساعة بَيَّنَ الله تعالى أن علم ذلك يرد إليه سبحانه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٢] وقولهم: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأحزاب:٦٣] قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت:٤٧] وكل شيء يكون لأجل مسمى، وبين أن ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت:٤٧] فالثمر لا يخرج إلا بقدرته وعلمه، والأنثى لا تحمل إلا بعلمه، ولا يعلم وضع الأجنة إلا هو سبحانه، وكذا الساعة لا تقوم إلا بعلمه، ولا يعلم وقوعها إلا هو. وكان الأجدر بهم أن يؤمنوا بالساعة ويستعدوا لها، لا أن يسألوا متى وقوعها؟ ولهذا لما سأل رجل النبي ﷺ متى الساعة؟ قال له: «ما أعددت لها؟!» [البخاري: ٦١٧١، ومسلم: ٢٦٣٩].

فائدة: اعتراف المشركين بكذبهم يوم القيامة

إذا نادى الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت:٤٧] لم يجدوهم يوم القيامة فيقولون: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فصلت:٤٧] أي لا نرى أحدًا منهم ويعترفون بكذبهم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت:٤٧، ٤٨].

فائدة: النكير الشديد على نسبة الولد إلى الله

قول الله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى:٥] أي من كثرة ما فيهن من الملائكة والكواكب والتصاريف للأقدار،

قال النبي ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط» وفي رواية «وبحقها أن تئط، والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا فيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده» [أخرجه ابن مردويه والترمذي: ٢٣١٢، وابن ماجة: ٤١٩٠، وأحمد: ٥/ ١٧٣ وحسنه الألباني].

ومعنى الآية يكاد يقع الانفطار للسماوات والانشقاق للأرض، وأن تخر السماء على الأرض لما فشا في الأرض من الإشراك بالله تعالى والفساد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ○ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ○ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ○ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩١] وسوف تنشق السماء، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] ومن فضل الله تعالى أنه غفور رحيم، وأن الملائكة تسبح الله وتستغفر لمن في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] أما من تحق عليه اللعنة فيلعنونه، كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١].

فائدة: دعوة الأنبياء واحدة

لا فرق بينما أوحي إلى الرسول محمد ﷺ من القرآن، وبين ما أوحي إلى الرسل من قبله، فكلها تدعو إلى الخلوص من الشرك والاستسلام لله تعالى وعبادته، إلا أن هذا القرآن عربي والكتب السابقة بلغات أقوام الأنبياء قبل محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا

بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

قائدة: القرآن الكريم منزه من الأخطاء

معظم المؤلفات يقدم صاحبها تأليفه بالاعتذار عما قد يقع فيها من أخطاء، وأن الأخطاء من نفسه أو من الشيطان، ويطلب العفو عنها، أما القرآن العظيم فلا ريب فيه، قال تعالى في أول سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ○ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:١،٢].

فائدة: الناس فريقان يوم القيامة

اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون الناس فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، فريق هداهم الله، وفريق أهل ضلال، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الشورى:٨] وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩] وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣] وقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف:٣٣] اللهم اجعلنا من المهتدين.

فائدة: الشيطان قرين المعرضين عن ذكر الله

الذي لا يذكر الله تلازمه الشياطين وتقارنه وتغويه وتصده عن الحق وتغشه وتخدعه وتزين له القبيح وتقبح له الحسن، ويحسب أنه مهتدٍ وهو جاهل مركب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ○ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦،٣٧] وبعد هذا العشا (وهو ضعف البصر والبصيرة) يعمى فلا يبصر ويذهب سمعه، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ

﴿تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف:٤٠].

فائدة: قوة فراسة يوسف عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف:٥٨] تدل الآية على أن يوسف عليه السلام كان يراقب أمر بيع الطعام بنفسه، ويأذن به في مجلسه خشية ضياعه، وتدل على قوة فراسة يوسف عليه السلام حيث عرف إخوته وهم لم يعرفوه.

فائدة: الاستثناء عند ا لعزم وذكر الله عند النسيان

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ○ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٣،٢٤] لما سأل المشركون الرسول ﷺ عن أهل الكهف وذي القرنين وعدهم بالجواب من الغد، ولم يقل: إن شاء الله فلم يأته جبريل عليه السلام بالجواب إلا بعد خمسة عشر يومًا، عتابًا من الله تعالى لرسوله ﷺ، ونهاه أن يعد بفعل شيء دون التقييد بمشيئة الله، وهذا أدب من آداب النبوة، كما أنه سبحانه أمره بذكره إذا نسي، وأن يدعوه الهداية لأقرب من هذا رشدا، وأن يذكره أن لا يعد وعدًا دون إذن الله تعالى. وبعد أن بين له هذا الأدب ذكر له قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، فالواجب على المسلم إذا نسي شيئًا أن يذكر الله ليذكره فيقول: لا إله إلا الله، أما قول بعض الناس: اللهم صل على محمد في هذا الموقف عند النسيان، فالأولى منه ذكر الله، لأنه في موضع استعانة بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤].

فائدة: مكابرة فرعون في حواره مع موسى عليه السلام

لمَّا قال فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء:٢٧] بعد مجادلته، وكان موسى عليه السلام يجادله بالكلام اللين، أغلظ عليه فرعون ووصفه بالجنون فرد عليه موسى عليه السلام بشدة ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٨] أي أنكم أنتم المجانين، فلو كنتم تُعْمِلون عقولكم لعرفتم ربكم، فالجنون يقابله العقل، فكان موسى عليه السلام يقول لهم قولًا لينًا ابتداء، فلما رأى منهم المكابرة ووصفوه بالجنون خاشنهم في القول، أي إن كنتم أنتم العقلاء فلا تكونوا مجانين، لا تعبدون من خلق المشرق والمغرب، وذلك كقول من قال: (لم تقول مالا يُفهم) فأجابه (لم لا تفهم ما يقال) فلما أعيت فرعون الحجة قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩] وهكذا الطغاة يستعملون السجون إذا انقطعت حجتهم، ويهددون به ويتركون المسجون في غياهب السجن لا يسألون عنه، كما فعلوا بيوسف عليه السلام ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢].

﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ۝ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء:٣٠-٣٣] ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ۝ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ [الشعراء:٣٤،٣٥] لقد عرض موسى عليه السلام على فرعون آية تدل على أنه غير ساحر، وهي العصا التي تنقلب ثعبانًا، واليد التي تكون بيضاء للناظرين، مع أن لون

موسى عليه السلام السمرة كانت اليد بيضاء واضحًا بياضها، أعجوبة للناظرين، فما كان من فرعون إلا أن قال لقومه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ○ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٤، ٣٥] وهكذا همُّ من لم يعبأ بالدين همهم الأرض والقبيلة وأمثالهما لا الخلق والإيمان ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ○ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٦، ٣٧] أي قوي العلم بالسحر.

وهذا الحوار والمناظرة من فرعون مع موسى عليه السلام فيها من الديموقراطية أكثر ممن يزعمها اليوم ممن لا يتحاورون مع مخالفيهم ولا يسمعون أقوالهم، والديموقراطية ليست من الإسلام في شيء، لأنها حكم الشعب وحكم الأكثرية، وليست حكم الله، فقد تكون الأكثرية على ضلال، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فائدة: تشابه دعوة نبينا محمد ﷺ بدعوه الخليل عليه السلام

دعوة إبراهيم عليه السلام دعوة إلى الفطرة والعقل والعمل، ودعوته مشابهة لدعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في إقناع المشركين بأن هذه الأصنام لا تعبد من دون الله ولا تنفع ولا تضر، كما أنه استعمل المحاورة والجدال فقال لأبيه وقومه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ○ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ○ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ○ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ○ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ○ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ○ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ○ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٠-٧٧] كما أن قومه مشابهون لقوم محمد ﷺ المشركين الذين يعبدون الأصنام ويقلدون آباءهم الأقدمين، وقد مدح

إبراهيم عليه السلام وأثنى على ربه بخمس نعم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢] وهذه النعم ينفرد بها الله تعالى، ولا تستطيعها الأصنام، ثم دعا ربه بخمسة أدعية: ﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ۝ وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٣-٨٧]

فائدة: الثناء عاجل بشرى المؤمن

لا بأس أن يرغب المسلم الثناء الحسن من الناس إذا قصد به وجه الله، فمن ذكر بخير فهو من أهل الخير، والناس شهود الله في أرضه، وذكره يوجب الدعاء له، فقد قال إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] فجعل الله له ذلك، وصارت الأنبياء من ذريته، والثناء الحسن أول بشارة المؤمن، وكذا حب الناس دليل على حب الله، وقد قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه:٣٩] وقال عن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]

أما سؤال إبراهيم عليه السلام المغفرة لأبيه فكان عن موعدة وعدها إياه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبة:١١٤] ومن الثناء الحسن والدعاء أن إبراهيم عليه السلام يذكر إلى أن تقوم الساعة في كل صلاة «كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» «كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» [البخاري:٣٣٧٠،

ومسلم:٤٠٦] ويذكر في الحج والعمرة، ويكون لنا فيه أسوة حسنة ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وقد اتخذه الله خليلًا، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥] وأمرنا الله باتباع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥] فصلوات الله عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء إلى يوم الدين.

فائدة: القرآن نزل به الروح الأمين

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ○ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ○ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١٢] هذا القرآن الكريم قول الله تعالى تنزيل رب العالمين وليس من الشياطين، كما يقول الكافرون الذين زعموا ذلك، قالت العوراء بنت حرب امرأة أبي لهب لما تخلف رسول الله ﷺ لمرض: (أرجو أن يكون شيطانك قد تركك) كما أن الوليد بن المغيرة لما قال المشركون: إنه كلام كاهن، قال لهم: والله ما هو بزمزمته. فالكهانة من كذب الكهان وتمويههم وأخبارهم وكلها أقاصيص أما القرآن فهو مُشرّف عنهم ولا يستطيعون تلقيه، ولا تستطيعه شياطينهم الخبيثة، وإنما الذي يتلقاه الروح الأمين جبريل عليه السلام، ثم يلقيه على قلب رسول الله ﷺ، فهو محفوظ بحفظ الله وعنايته من التحريف والتبديل، وقد حفظ الله السماء من استراق الشياطين بعد بعثة الرسول ﷺ وملئت حرسًا وشهبًا.

فائدة: الأمر بإنذار الأقربين

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] في صحيحي البخاري ومسلم عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم قولهم: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا فدعا قريشًا فجعل ينادي: «يابني فهر، يا بني عدي ...» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فقال: «يا معشر قريش» فعم وخص «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا، ياعباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها» [البخاري: ٤٧٧٠، ومسلم: ٢٠٤ وما بعده].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما زيادة قوله ﷺ: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ○ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢] [البخاري: ٤٧٧٠].

ولما نادى رسول الله ﷺ هؤلاء، وكان منهم مؤمنون وهم: صفية عمته وفاطمة بنته رضي الله عنهما، جبر خاطرهما بقوله لصفية رضي الله عنها: «عمة رسول الله» وقوله لفاطمة رضي الله عنها: «بنت رسول الله» وهذا من خفض الجناح للمؤمنين منهم امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] ولم يقل مثل ذلك للعباس رضي الله عنه، لأنه كان يومئذ مشركًا، ولا يمنع من صلة رحمه لأقاربه الكفار، ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه: «غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها» [مسلم:٢٠٤] فقد تبرأ من كفرهم، ووعدهم بصلة الرحم.

فائدة: القرآن الكريم شفاء للقلوب والأبدان

القرآن الكريم شفاء، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧] وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت:٥١] فهو شفاء للقلوب والأبدان، ولكن ذلك يكون بالصدق والإيمان والقبول والاعتقاد الجازم واستيفاء شروطه، وكيف لا يقاوم الأدواء وهو كلام الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا متذللًا من خشية الله ومتصدعًا، ولا بد من فهمه حتى يكون شفاءً، فهو يحفظ الصحة القلبية والبدنية، يناسب الأبدان الطيبة، ولا تقبله الخبيثة، فكما أن الهرم لا ينفعه الدواء فكذا القرآن لا ينفع الخبيث.

فائدة: بتدبر القرآن والعمل به يحصل للعبد النفع العظيم في الدنيا والآخرة

المقصود بإنزال القرآن الكريم تدبر معانيه وفهمها والعمل

بمقتضاها، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤] وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]

فبالتدبر والعمل والترتيل يحصل للعبد النفع العظيم في الدنيا والآخرة، ويزداد الإيمان والعلم بالله وبالنفس ومعرفة السبيل المستقيم ومعرفة صفات أهل الجنة وأهل النار، وتزداد محبة الله تعالى ومحبة رسله، ويزداد العمل بطاعته واجتناب معاصيه.

فائدة: فضل قيام الليل وصلاة الجماعة

قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨،٢١٩] فجمع بين قيام الليل وصلاة الجماعة، قال قائل لأبي حنيفة: هل تجد صلاة الجماعة في القرآن؟ قال أبو حنيفة هذه الآية ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨،٢١٩].

فائدة: محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

الرسول ﷺ رحمة للعالمين الإنس والجن وكل ما سوى الله تعالى، فهو الرحمة المسداة، وعموم العالمين حصل لهم به النفع برسالته، أما أتباعه فحصل لهم النفع في الدنيا والآخرة، وغيرهم حصل لهم به النفع في الدنيا، فأعداؤه عجل لهم النفع بموتهم، والموت خير لهم من الحياة حتى لا تزيد سيئاتهم، وأما المعاهدون فعاشوا تحت ظل الإسلام في الدنيا وعهد الرسول ﷺ، وأما المنافقون فحقنت دماؤهم وأهليهم وأموالهم، وجرت عليهم أحكام

الإسلام، وأما من لم تبلغه الرسالة فحصل لهم النفع برفع العذاب عن أهل الأرض، وهو رحمة للعالمين، قبلها المؤمنون وانتفعوا بها، ورفضها غيرهم أو لم تصلهم، فهو رحمة قبلت من المؤمنين، كما أن الدواء شفاء، فمن تداوى به شفي بإذن الله، ومن لم يتداو به فهو شفاء لم يستعمله، ورسول الله ﷺ بما عنده من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والعلم والأمانة والصدق والجود والسخاء والشجاعة والعفو عند المقدرة والحلم، لا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، أقام الله به الملة، وفتح به أعينًا عميًا وأذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، فهو أرحم الخلق وأرأفهم وأعظم الخلق نفعًا في الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ومن نفعه يوم القيامة الشفاعات، ومنها شفاعته للخلائق مؤمنهم وكافرهم بأن يقضي الله بينهم، وهي الشفاعة الكبرى، فهو رحمة للعالمين، وهو نذير وبشير، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

فائدة: بعض صفات المنافقين

هذه بعض صفات المنافقين في سورة محمد:

١- ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ [محمد:٢٠].

٢- ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد:٢٢].

٣- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد:٢٣].

٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ

سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

٥- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

٦- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧].

٧- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

٨- ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

٩- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد: ٣٠].

فهم يكرهون القتال ويفسدون في الأرض ويقطعون الأرحام، وعليهم لعنة الله والصمم وعمى البصيرة، وقد ارتدوا بعد معرفتهم للدين وتبينه لهم، لتسويل الشيطان لهم، ويقولون للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، وتضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الموت، ويتبعون ما أسخط الله ويكرهون رضوانه، لأن قلوبهم مريضة، وهم معروفون من قبل المؤمنين بسيماهم ولحن القول.

فائدة: السرقة عيب كبير

قول إخوة يوسف عليه السلام: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣] نفوا عن أنفسهم السرقة أبلغ من نفي الإفساد في الأرض، وذلك بنفي كونهم سارقين، فلم يقولوا: ما جئنا لنسرق، وإنما قالوا: ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ لأن السرقة عيب

كبير وضلال مبين، يعير بها الإنسان، أما الإفساد فهو اعتداء في نظر العدو، وهو مما يقصده العدو على عدوه، وقد علم أهل مصر ذلك، حيث سبق أن جاؤوا قبل هذه المرة ووصفوا حال أبيهم وأخيهم، وعُرف أنهم غير مفسدين في أرض مصر.

فائدة: الخاسر من خسر نفسه وأهله يوم القيامة

الذي يخسر مالًا والذي يخسر جاهًا وأمثال ذلك تهون خسارته، أما الذي يخسر نفسه وأهله فماذا ربح؟ إن ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥].

فائدة: الوحي حياة القلوب

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢] هذا الوحي من الله وسبيله وصراطه به حياة القلوب والهداية والخير والإرشاد والنعمة والنور، وهو فضل ونعمة من ربنا علينا، ومن لم يهتد به فهو في ضلال وظلام وموت، وما كان رسول الله ﷺ قبل الوحي يدري ما الكتاب ولا الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢] نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى صراطه المستقيم، إنه سميع مجيب.

فائدة: الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب

متاع الحياة الدنيا من الذهب والفضة والزخارف في البيوت والمعارج والسرر يعطيها الله الكافر والمؤمن، وهي فتنة، ولولا أن يصير الناس كلهم كفارًا لخص بها الكافرين، لأن نعيم المؤمنين في

الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ○ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ○ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥] وهذه الدنيا بما فيها لا يساوي عند الله جناح بعوضة، ومتاعها منقطع لا قيمة له، والسعادة الأبدية للمؤمنين في الآخرة في جنات النعيم.

فائدة: حال المؤمن المخلص وحال مريض القلب عند نزول الأمر

يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ○ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١]

في هذه الآية وصف الآيات الكريمات بالإحكام وعدم التشابه وانتفاء الاحتمالات، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ﴾ [آل عمران:٧]. ومن آيات القتال المحكمة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤] ومثل قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣] ولكن الذين في قلوبهم مرض ونفاق ينظرون إلى الرسول ﷺ نظر المغشي عليه من الموت فيبهتهم ذلك، ويتسللون واحدًا واحدًا لواذًا أو جماعات، وفي غزوة أُحد خرج المنافقون فقال لهم عبدالله بن أُبي: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟! فرجعوا وهم ثلث الجيش، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [الأحزاب:١٩] أما المؤمنون فيقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فائدة: أمر الله لرسوله ﷺ بتلاوة القرآن وعدم الركون إلى الكفار

أمر الله الرسول ﷺ أن يتلو ما أوحي إليه من الله، وبين سبحانه أنه لا مبدل لكلماته وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وذلك لأن المشركين كرهوا تلاوة بعض ما أوحي إلى الرسول ﷺ ورغبوا تبديل بعضه وإخفاء بعضه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٣] وقال: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧] وقال: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:٣٤] كما طلبوا أن يبعد عن مجلسه الفقراء وبعض الموالي، فقال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ [الكهف:٢٨] وبين سبحانه أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم سادة القوم اتبعوا أهواءهم وغفلت قلوبهم وانفرطت أمورهم، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فائدة: من صفات المنافقين المخادعة والاستهزاء

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ○ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٨،٩] هؤلاء المنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤] وهم إما من أهل المدينة أو من اليهود، والأكثرون من الأعراب، وقد عرف من أسمائهم: عبدالله بن أُبي ابن سلول والجد بن قيس ومعتب بن قشير والجلاس بن أبي سويد

وعبدالله بن سبأ اليهودي ولبيد بن الأعصم من بني زريق والأخنس بن شريق الثقفي الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤] وأبو عَفَك أحد بني عمرو بن عوف الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله، فقتله سالم بن عمير رضي الله عنه، ومن المنافقات: عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، قالت شعرًا تعرض بالنبي ﷺ فقتلها عمير بن عدي الخطمي رضي الله عنه، ومنهم بشر الذي خاصم يهوديًا فدعا اليهودي بشرًا إلى حكم النبي ﷺ فامتنع، وطلب المحاكمة إلى كعب بن الأشرف فقتله عمر رضي الله عنه، وهو الذي نزلت فيه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠] وغيرهم كثير، نسأل الله العافية.

فائدة: القرابة لا تنجي أحداً من عذاب الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨] يخاطب الله تعالى بني إسرائيل حيث كانت اليهود تتوهم أن نسبتهم إلى الأنبياء، وكرامة أجدادهم عند الله سبب في عدم عقابهم على عصيانهم، وكانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] وهكذا كل أمة جاهلة منحطة تفتخر بآبائها وأجدادها وأنسابها لا بعملها وصفاتها الحسنة، ولا شك أن الشفاعة من

الصالحين ثابتة يوم القيامة، ولكنها لمن ارتضى الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبإ:٣٨].

فائدة: سلعة الله غالية لا يدخلها أحد بعمله

قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف:١٤] أدل من قوله (في الجنة) أو (لهم الجنة) لما في (أصحاب) من معنى الاختصاص، وكذا الإضافة، وقوله: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لجدارتهم واستحقاقهم بسبب عملهم، وهذا من كرم الله ولطفه ورحمته وفضله وجوده، كما قال ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة عمله» [البخاري:٦٤٦٤، ومسلم:٧٨٢] فالباء في الآية ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ سببية، وقول الرسول ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة عمله» [البخاري:٦٤٦٤، ومسلم:٧٨٢] أي ليست الجنة ثمنًا للعمل، فهي غالية «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» [الترمذي:٢٤٥٠ وصححه الألباني].

فائدة: تقديم البشارة على النذارة في قصة مجيء الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ○ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣١،٣٢].

أولًا - تقدمت البشرى بالمولود لإبراهيم عليه السلام على إخباره بأن الملائكة ستهلك قرية سدوم التي فيها لوط، وهذا من لطف الله تعالى.

ثانيًا - قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت:٣٢] أي بينهم، وليس منهم بالأصالة، وهذا من إبراهيم عليه السلام يدل على حلمه وعطفه وشفقته على ابن أخيه.

ثالثًا - قول الملائكة: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت:٣٢] لا شك أن إبراهيم عليه السلام أعلم منهم، كما أن موسى عليه السلام أعلم من الخضر، ولكن الملائكة في هذه الجزئية أعلم من إبراهيم عليه السلام وهو أفضل منهم، وموسى عليه السلام أعلم وأفضل من الخضر، فلإبراهيم عليه السلام علم النبوة والشريعة وسياسة الأمة، كما خص موسى عليه السلام بعلم التوراة وعلوم أخرى لا يعلمها الخضر، وقد عتب الله على موسى عليه السلام لما سئل: هل يوجد أعلم منك في الأرض؟ فقال: لا.

رابعا - قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت:٣٣، ٣٤] قدموا تطمينه وتأمينه قبل إعلامه بأنهم منزلون العذاب على أهل هذه القرية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت:٣٣] وقوله: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت:٣٣] وقوله: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود:١٨] وقد سيء بهم وضاق بهم ذرعًا قبل أن يخبروه بأنهم سيهلكون أهل هذه القرية استجابة لطلبه النصر عليهم، وكان لوط عليه السلام يحسب امرأته مخلصة له، فأخبروه أنها من الغابرين حتى لا يحزن عليها.

فائدة: استخلاف آدم وذريته في الأرض

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]

جعل الله آدم عليه السلام وذريته خلفاءه في الأرض لما علمهم من الأسماء التي عجز الملائكة معرفتها، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ○ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ○ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣].

فالخلافة في الأرض تحمل مسؤولية وأمانة عظيمة، فهي خلافة الله تعالى في عمرانها ومباشرة قدرة الله بجميع الأعمال التي يقوم بها البشر، وهذه الخلافة تحتاج إلى العلم ومعرفة الخير من الشر، وتحتاج إلى التفكير ومعرفة أسماء الأشياء، أما الملائكة فمجبولون على معرفة الخير ولا يستطيعون الاكتساب والتجارب مثل بني آدم، وإنما علمهم كما قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] أما الإنسان فيبدع ويخترع وتتسع مداركه بالتجارب والعلوم. وهذه المخترعات التي اكتشفت في هذا العصر وما سيكتشف كلها دليل على أن الإنسان لديه صفة التطور المعنوي والتطور المادي، فأعلى المخلوقات وأرفعهم محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، ووصل سليمان عليه السلام من الرقي المادي الشيء الكثير مع ما عنده من الرقي الروحي. وفرق كبير بين أجناس الناس وأفرادهم، فهو صالح لخلافة الأرض وعمارتها، وقد اعترفت الملائكة بذلك ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]

حسدًا وظلمًا وتكبرًا وكفرًا من الشيطان.

فائدة: التنبؤ بغلبة الروم على الفرس

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ○ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ○ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ○ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ○ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم:١-٥] انهزم الروم في الحرب التي جرت بينهم وبين الفرس عام (٦١٥م) وذلك في أدنى الأرض في بلاد الشام وفلسطين، وهي تحت حكم هرقل قيصر الروم، وهي أدنى بلاد الروم إلى بلاد العرب ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ○ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم:٢،٣] أي سيغلبون الفرس وقد غلبوهم، وفرح المسلمون بنصر الروم، لأن الروم أهل كتاب والفرس مع المشركين، وهذه معجزة من معجزات القرآن، والرسول ﷺ أخبر بها وجاءت كما أخبر، فغُلب الروم ثم غَلَبُوا بعد سبع سنين فجاء هرقل إلى بلاد الشام ونزل حمص، وهذا من نصر الله، فجميع الحوادث تنسب إلى أسبابها، ولا تعلل بغير أسبابها، ولهذا لما كسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم، خطب النبي ﷺ فقال في خطبته: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته» [البخاري:١٠٥٢ ومسلم:٩٠٧].

فائدة: قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩] الكهف هو الشق المتسع الوسط في جبل، فإن لم يكن متسعًا فهو غار، والرقيم كتاب كان مع أصحاب الكهف في

كهفهم، كتبوا فيه عقيدتهم، وهم شباب ثبتوا على الدين الحق، ولم يخالطوا الكافرين، فأووا إلى الكهف، فألقى الله عليهم النوم مدة طويلة ثم استيقظوا. قيل: إنهم في بلاد اليونان فقصتهم عجب، ولكن موت الناس بعد حياتهم أعجب، فإن إماتة الأحياء بعد حياتهم أعجب من إنامتهم وإبقاء الحياة في أجسامهم، وكان الأولى الاتعاظ بما في هذه القصة من العبر، ومن ذلك أن الله تعالى حماهم من ظلم أهل الشرك، وأنه أرشدهم إلى الحق، وصرف أعداءهم عنهم، وألهمهم موضع الكهف، وهيأ الأسباب لبقاء أجسامهم سليمة، وأنامهم ثلاثمائة سنة وتسعة أعوام، وأيقظهم ليشاهدوا انتصار الحق على الباطل، وجعلهم آية للناس تدل على صدق الدين وقدرة الله والبعث، وربط على قلوبهم، وصار هذا الكهف الضيق أوسع لهم من الدنيا وما فيها، قال تعالى: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦] ومن ذلك عناية الله تعالى بأوليائه وتسخير خلقه لهم، فالشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله، والهداية بيده سبحانه، ومن ذلك أنه يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، وهو مدخل الكهف، وقوله: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف:٢٥] وهذه التسع السنون هي الفرق بين السنوات الشمسية والقمرية، حيث لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنة شمسية، وثلاثمائة وتسع سنين قمرية.

فائدة: عدد أصحاب الكهف

قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

يَوۡمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ [الكهف:١٩] وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ [الكهف:٢٢] استنبط ابن عباس رضي الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كلبهم، وفيما يلي بيانه:

١- القائلون: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾ أقل الجمع ثلاثة ٣

القائلون: ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ أقل الجمع ثلاثة ٣

السائل: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾ واحد ١

المجموع: سبعة ٧

٢- لما قال الله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ أعقب ذلك بقوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ ولما قال: ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ لم يعقب بذلك، وإنما قال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾.

٣- أن رقم سبعة كثير في خلق الله تعالى السماوات والأراضين والطواف والسعي وغير ذلك.

فائدة: نجاة بني إسرائيل وهلاك فرعون وقومه

قال الله تعالى بعد أن ذكر قصة فرعون مع السحرة، لأنه أخرج الفراعنة ﴿مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ○ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾ [الشعراء:٥٧، ٥٨] ونصر بني إسرائيل ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٥٩] أي أن الله أغرق فرعون ونصر موسى عليه السلام وقومه وأورثهم أرض الشام، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [فاطر:٣٢] وقال في سورة الدخان: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٨]

فبنو إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر بعد إغراق فرعون، وفي الآيات التي في سورة الشعراء ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ○ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ○ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٠-٦٢] هذا هو موقف أصحاب موسى عليه السلام لما رأوا البحر أمامهم والعدو وراءهم، خافوا وظنوا أنهم مدركون، ولكن موسى عليه السلام قوي الإيمان قال لهم: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢] ثم حصل ما حصل حيث أمره الله أن يضرب بعصاه البحر ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣] فلما خرج موسى عليه السلام وقومه ودخل فرعون وقومه انطبق عليهم البحر وأغرقوا ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء:٦٦].

فائدة: تفقد سليمان عليه السلام لأحوال رعيته وجنوده

قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ○ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:٢٠، ٢١] من شأن ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية، وقد تفقدها سليمان عليه السلام بنفسه، والطير من جنود سليمان عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ [النمل:١٧] ومن الطيور الهدهد، وهو معروف بأنه يدل على مواضع الماء في قعور الأرضين، كما قاله الجاحظ، كما أنه يرى الماء عن بعد، ويحس به باطن الأرض، فإذا رفرف على موضع علم أن به ماء، والله أعلم. وقد اتخذه سليمان عليه السلام ليحمل الكتاب إلى بلقيس باليمن التي أخبر عنها الهدهد، وبدأ سليمان عليه السلام خطابه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠] روى أبو داود في كتاب المراسيل أن النبي ﷺ كان يكتب: «باسمك اللهم» كما كانت قريش تكتب، فلما نزلت هذه الآية صار يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كتبه [المراسيل، باب ما جاء في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم رقم ٩]، وصارت فاصلًا بين سور القرآن الكريم.

فائدة: فضل العلم على القوة

المناظرة التي حصلت بين عفريت الجن وبين الذي عنده علم من الكتاب في الآيات الكريمات ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ۝ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل:٣٩،٤٠] تدل على أنه يتأتى بالعلم مالا يتأتى بالقوة، وأن العلم غالب على القوة المادية، وأن الأمور الروحية أعلى من الأمور المادية، وقد أسند سليمان عليه السلام الفضل إلى الله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل:٤٠] وهكذا يجب أن يكون عليه المسلم.

فائدة: حال الناس مع المثل

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ [البقرة:٢٦] عبر في جانب المؤمنين بـ ﴿يعلمون﴾ أما جانب الكافرين فعبر بقوله: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ لأن قولهم هذا عناد ومكابرة، فهم يعلمون أنه من الله وأنه حق، لأنهم ذووا بيان وفصاحة ولسان وبلاغة، يعلمون أن بيان القرآن لا يمكن أن يكون من

مخلوق، وإنما قالوا ذلك: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فائدة: وقوف الكبراء والسادة في وجه الدعوة وإيمان السحرة

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ○ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ○ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ○ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٢] الملأ: هم الأكابر والسادة والعظماء من قوم فرعون، وهم أهل مجلسه المقدمون عنده، وهم الذين طلبوا الإفادة بماذا يفعلون تجاه ما زعموا من السحر الذي نسبوه إلى موسى عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ وكان تعلقهم بالأرض لا بالهداية، ولهذا قالوا: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ وقد أجابهم الآخرون من أهل السياسة والعقول بأن يرسل فرعون إلى المدائن في الصعيد وغيره - وكان أهل الصعيد المصري مشهورين بالسحر - أن يأتوه بكل سحار عليم، لأنهم علموا أن أمر دعوة موسى عليه السلام لا تخفى على الناس، وأن فرعون إن سجنه أو عاند، تحقق الناس أن حجة موسى عليه السلام غالبة، وشكوا في دين فرعون، فرأوا أن يلاينوا موسى عليه السلام ظانين أن يوجد سحرة تدافع الآيات التي جاء بها فيغلبونه وتظهر قوة فرعون، وهذا لم يحصل، فقد جاء السحرة الذين كان همهم المال حيث قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣] وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، ولكن الله أبطل سحرهم ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ○ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ○ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ○ وَأُلْقِىَ

ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ○ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١١٧-١٢١] ولما دخل الإيمان في قلوب السحرة الذين كان همهم جمع المال تغيرت أحوالهم فلم يبالوا بتهديدات فرعون وآمنوا بالله وسجدوا له ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ○ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٥،١٢٦] وهكذا يعمل الإيمان بصاحبه ويرفعه ويزكيه.

فائدة: أحوال الإنفاق في سبيل الله تعالى

أمر الله تعالى بالإنفاق، حيث قال: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم:٣١] وفي هذا تعميم أحوال الإنفاق سواء كان سرًا أو علانيةً، فلا يظن أن الإعلان يجر الرياء، فالإنفاق بر لا يكدره الإعلان مع النية الخالصة، كما لا يظن أن السرية فيه يفضي إلى إخفاء الغني نعمة الله فيجر إلى كفرانها، فأحيانًا يكون السر أفضل، وأحيانًا الإعلان أفضل، ليقتدي الناس بالمنفق وليمنع الغيبة عن نفسه، وليدعو الناس له، ومن فقه في دين الله يعرف الأصلح ويجمع بينهما.

فائدة: الإسلام دين لا يقبل الله ديناً سواه

قول الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] دليل على أن الله لا يقبل دينهم، وإنما عليهم أن يدخلوا بالإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله ﷺ من عند الله، لأن صلاة اليهود لا ركوع فيها ولا سجود، وإنما صلاة المسلمين هي التي فيها الركوع والسجود.

فائدة: إتباع الهوى بغير علم ضلال مبين

قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ﴾

[الروم:٢٩] اتباع الهوى ضلال، وتقييده في هذه الآية بأنه بغير علم تقبيح له، فالجاهل الذي يتبع شهوته وهواه بغير غير علم من العالم إذا اتبع هواه، لأن العالم لا يتوغل في الهوى ويعلم فساد عمله، وهما يشتركان في أن ذلك بغير هدى من الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] ومن اتبع هواه بغير علم لا يهتدي وليس له ناصر، قال تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم:٢٩] .

فائدة: الإيمان يعلي الهمة

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء:٤١] كان همهم قبل الإيمان الأجرة والمال، ولما دخل الإيمان في قلوبهم علت همتهم، فصار همهم الدار الآخرة، وقولهم هذا لم يذكر في سورة الأعراف، فهو زيادة في حكاية القصة هنا، وكذلك شأن القرآن في قصصه أن لا يخلو المعاد منها عن فائدة غير مذكورة في موضع آخر تجديدًا لنشاط السامع، كما أن في سورة الأعراف قول السحرة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ○ قَالَ أَلْقُواْ﴾ [الأعراف:١١٥،١١٦] وفي هذه السورة اختصر تخييرهم موسى عليه السلام في الابتداء بالأعمال، وإنما ذكر قول موسى عليه السلام لهم: ﴿ألقوا﴾ وفيه دلالة على كونهم المبتدئين، وفي قولهم بعد معرفتهم صدق موسى عليه السلام وإيمانهم به: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٢١،١٢٢] وقولهم: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ○ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥٠،٥١] دليل على أن الإيمان يغيِّر سلوك الإنسان

ويرفعه من الاهتمام بالدنيا إلى عزة الطمع في رضوان الله وثوابه والدار الآخرة، ويعلي همته عن سفاسف الأمور، ويقوي عزيمته وشجاعته فلا يخاف إلا من الله تعالى.

فائدة: أسعد الناس من يعبد الله وحده

أسعد الناس من يعبد الله ويستعينه ويستهديه، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ○ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٥،٦] فالطريق إلى الله يكون بعبادته بما يحبه ويرضاه، واستعانته على ذلك واستقامته على الصراط المستقيم بهداية ربه له ومعونته، فإن طرفي الانحراف عن الطريق المستقيم فساد العلم والاعتقاد، وهذا هو الضلال، أو فساد القصد والعمل، وهذا هو الغضب، قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

فائدة: المخلوقات كلها تسجد لله تعالى

جميع المخلوقات التي في السماوات والأرض تسجد لله تعالى خاضعة له، مما يدل على عبوديتها لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨] وهذا السجود يكون بعضه اختيارًا وبعضه إكراها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ○ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٤٩،٥٠] فالحيوانات والطيور والفراش والأرواح والدواب والناس والملائكة وغيرها من المخلوقات كلها يسجد لله طوعًا أو كرهًا، وكلها ظلالها ساجد لله وهم داخرون، أي ذليلون لعظمة الله سبحانه وتعالى الخالق العظيم.

فائدة: القرآن هداية الله للمؤمنين

هذا القرآن يهدي به الله كثيرًا من الناس ويضل به الكثير، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة:٢٦] ولكن منهم المستحقون للهدى، ومنهم المستحقون للضلالة، المستحق للهدى هو الذي يبحث عنه ويجاهد في سبيل الوصول إليه، ولا ينقض الميثاق، ويصل ما أمر الله به أن يوصل، ولا يفسد في الأرض، أما الذي يضل الله فهم الذين لا يبحثون عن الحق ويتكبرون، وينقضون العهود والمواثيق، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ﴾ [الأعراف:١٤٦] وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [البقرة:٢٦، ٢٧] وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ○ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ○ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد١٩-٢١] .

فائدة: الغيث نعمة عظيمة امتن الله بإنزاله على عباده

الغيث نعمة عظيمة وبسببه وجود الغذاء للناس والدواب، وقد امتن الله تعالى على عباده بنزوله، وأعقب ذلك بقوله: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ﴾ [الشورى:٢٩] فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ

مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨] وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ مناسبة للإغاثة، لأن الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يحمد عليه، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ قصر نزول الغيث على الله، لأن المشركين يظنون نزول الغيث منوطًا بالأسباب، وأن المطر من تصرف الكواكب، فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» [البخاري:٨٤٦،١٠٣٨ ومسلم:٧١].

فائدة: العلم قبل القول والعمل

قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩] أمر الله تعالى بالعلم قبل القول والعمل في قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ قال ابن عيينة لما سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله حين بدأ به: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وترجم البخاري في كتاب العلم من صحيحه (باب العلم قبل القول والعمل) لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وكان ﷺ يكثر من قول: «اللهم اغفر لي خطيئتي» [البخاري:٦٣٩٩، ومسلم:٢٧١٩] ويقول: «إنه ليغان على قلبي، وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة» [مسلم:٢٧٠٢ وأبو داود:١٥١٥].

فائدة: استدلال الكفار على كفرهم بمشيئة الله وقدره

تشابهت أقوال الكفار، فكلهم ينسب انحرافهم إلى مشيئة الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ [النحل:٣٥] وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ﴾ [الأنعام:١٤٨] فلو استدلوا بهلاك المكذبين السابقين على عدم رضى الله عن كفرهم لكان حقًا، فحجتهم مردودة، لأن الله لا يرضى عن الشرك، وأهلك المشركين، وقد بلغ الرسل البلاغ المبين ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥] فضلال الكافرين بسبب أنفسهم وعدم بحثهم عن أسباب الهداية.

فائدة: سنة الله تعالى في سلب النعم لمن كفر بها

لقد فضل الله تعالى بني إسرائيل في فترة من الفترات على جميع الأمم والقبائل من العرب والفرس والروم والهنود والصين وغيرهم، وجعل منهم العلماء والملوك والحكماء ودعاة الإصلاح والأنبياء، وميزهم بشرف النسب وكمال الخلق وسلامة العقيدة وسعة الشريعة والحرية والشجاعة وعناية الله تعالى بهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠] وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧] فلما كفروا بالله وقتلوا أنبياءهم وعصوا ربهم وارتكبوا الفواحش أزال الله عنهم هذا التفضيل، وجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم وغل أيديهم

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ المائدة: ٦٤]

ثم أعز الله العرب بهذا الدين، وهم أمة منبوذة بين الأمم قبل الإسلام، لا صناعة لديهم ولا قوة ولا علم، أميون، يقتل بعضهم بعضًا في ضلال مبين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ○ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ○ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤] وإذا ترك العرب هذا الدين رجعوا إلى ما رجع إليه اليهود من الذلة والمهانة والهوان، وهذا ما حصل اليوم، نسأل الله أن يعيدهم إلى تحكيم كتابه وسنة نبيه ﷺ، كما نسأله ألا ينزع عن العرب هذا الخير كما نزعه من اليهود، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] .

فائدة: اللغة العربية أشرف اللغات وأبلغها وأفصحها

قول الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢] أثنى الله تعالى على القرآن بأنه بلسان عربي، واللغة العربية أفصح اللغات وأنفذها في نفوس الناس وأجملها وأشرفها وأبلغها، وقوله: ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ مدح لسان العرب ولم يمدح أخلاقهم، لأن في أخلاقهم الطيب والسيء، فلما جاء الإسلام نفى عنها السيء، قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [المؤطأ، باب ما جاء في حسن

الخلق، رقم ١٦٣٤، والسنن الكبرى للبيهقي: ١٠/ ١٩٢].

فائدة: من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨، ٩] أي أرسلناك لتشهد على الأمة هذه بالتبليغ وتشهد على الأمم كلها في الدنيا والآخرة، وتبشر المطيعين وتنذر العاصين، قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٤١] وقد أرسل الرسول ﷺ ليؤمن الناس بالله، كما قال سبحانه: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧] والتعزير من نصره، كما قال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧] والتعزير للرسول ﷺ: التأييد، والتسبيح: تنزيه الله عن النقائص، والتوقير: التعظيم، وفي آية أخرى من سورة الأحزاب يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] وهذه من صفات الرسول ﷺ.

فائدة: أرسل لوط عليه السلام إلى الكنعانيين

قال الله تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾ [ق: ١٣] وقال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ﴾ [الشعراء: ١٦١] فعبر بإخوان، لأنهم ليسوا من قبيلته، وإنما هم إخوان ملازمون له، لأن لوطًا عبراني وهم كنعانيون، ولم يعبر بقوم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ۝ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٤].

فائدة: وجود آثار قرية قوم لوط عليه السلام في البحر الميت

قال الله تعالى في سورة العنكبوت عند ذكر هلاك قوم لوط عليه

السلام: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥] ولم توصف آية السفينة بـ (بينة) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥] لأن السفينة قد بليت ألواحها وحديدها، أما قرية قوم لوط عليه السلام فبقيت آثارها مغمورة بالبحر الميت (بحيرة قوم لوط) وفيها الكبريت والمعادن التي رجمت بها قريتهم.

فائدة: تعطيل الجوارح وعدم الانتفاع بها سبب الضلالة

قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] خلق الله تعالى الإنس على الفطرة، وجعل لهم قلوبًا وأعينًا وآذانًا، فاجتالتهم الشياطين وأفسدت فطرهم، وغلبت عليهم قوتا الشهوة والغضب، وهما قوتا الهوى، فمالوا إليهما وتبعتهما نفوسهم وأعرضوا عن الفطرة، ولم يستفيدوا من عقولهم فلم يفقهوا، ولا من أعينهم فلم يبصروا، ولا من آذانهم فلم يسمعوا، فهم في الحقيقة كالأنعام بل هم أضل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: ٧] وقالوا للرسول ﷺ: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: ٥] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس: ٩، ١٠] وذلك لأنهم لم يبحثوا عن الحق، ولم يتبعوا الذكر، ولم يوظفوا عقولهم وأبصارهم وسمعهم للبحث عن الطريق المستقيم، وغلبت عليهم الشهوة والغضب، ومالوا إلى الهوى كالذي آتاه الله آياته فانسلخ منها فاتبعه

الشيطان فكان من الغاوين، و ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦] فهم سبب ضلالهم وفسادهم ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

فائدة: إخفاء الله تعالى الساعة لحكم عظيمة

كان المشركون يتهكمون بالرسول ﷺ من أجل إخباره عن البعث والساعة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ○ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبإ:٧،٨] وقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ○ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[سبإ:٢٩،٣٠] وقال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ○ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ○ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبإ:١-٣] وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف:١٨٧] كما كان اليهود يسألون متى وقوعها تعجيزًا للرسول ﷺ، وقد أخفاها الله تعالى لحكم عظيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤].

فائدة: اختلاف الأحزاب في عيسى عليه السلام

قال العلماء في قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:٦٥] اختلافهم في تصديق عيسى عليه السلام وتكذيبه، فصدقه يحيى بن زكريا عليهما السلام ومريم أم عيسى والحواريون الاثنا عشر وبعض النساء مثل مريم المجدلية ونفر قليل، وكفر به جمهور اليهود، ثم تألبوا عليه حتى رفعه الله إليه.

ثم انتشر الحواريون يدعون إلى شريعة عيسى عليه السلام، فتبعهم أقوام لم يلبثوا أن اختلفوا على ثلاث طوائف وفرق:

فقالت النسطورية: عيسى ابن الله.

وقالت اليعاقبة: عيسى هو الله

وقالت الملكانية (وهم الكاثوليك): عيسى ثالث ثلاثة مجموعها (الإله) وهي الأب وهو الله، والابن وهو عيسى، وروح القدس وهو جبريل.

فائدة: مكانة النخل عند العرب

خص الله تعالى النخل بالذكر في سورة ق بقوله: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق:١٠] مع تناول الجنات لها في قوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ [ق:٩] لأن النخل أهم الأشجار عند العرب، وثمره أكثر أقواتهم، ووصف طلعه البديع وقوامه الأنيق وجماله وطوله وارتفاعه وعلوه في قوله: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ واستدل على المبعث بإحياء الأرض الميتة بالمطر ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق:١١].

فائدة: شعيب عليه السلام من سلالة مدين

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [الأعراف:٨٥] جاء ذكره بأنه أخوهم، وهذا الوصف بالأخوة لم يأت في قصة قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام، لأنهم ليسوا منهم، أما شعيب عليه السلام فإنه من قومه.

فائدة: ضرب الله المثل لرؤساء قريش بمن على شاكلتهم من الأمم السابقة

قال تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت:٣٩] ولما ضرب الله المثل لقريش بالأمم التي كذبت الرسل فأهلكهم الله، ضرب الله المثل لرؤسائهم أمثال أبي جهل وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وأبي لهب، بقارون وفرعون وهامان الذين أهلكهم الله ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي لم يكونوا منفلتين منا، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ [الأنفال:٥٩].

فائدة: الصلاة سبب لاستقامة الإنسان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] تفيد هذه الآية أن الصلاة لما تشتمل عليه من ذكر وخشوع وحركات وسكنات وتوقيت وتذلل ونية ووقوف بين يدي الله وتحميد وثناء لله وعبودية وتوحيد، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهي سبب لاستقامة الإنسان إذا أجادها وأداها كما ينبغي، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن فلانًا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال: «سينهاه ما تقول» أي صلاته بالليل [الطحاوي في مشكل الآثار:٢/ ٤٣٠ والبغوني في شرح السنة:٩/ ٩٧ وصحح إسناده الألباني، انظر: السلسلة الضعيفة: ١/ ٥٧،٥٨ رقم الحديث ٢].

فائدة: أعظم الظلم الافتراء على الله الكذب

أعظم الظلم الافتراء على الله الكذب، الذين شرعوا من الدين مالم يأذن به الله، ونسبوه إلى الله وهم يعلمون، مثل عمرو بن لحي وأبي كبشة وبعض سادات أهل الشرك من قريش وغيرهم ومن جاء بعدهم.

ومنهم من كذب بآيات الله ولم يفتر على الله الكذب، وهم عامة

المشركين، ومنهم من قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، أو قال: أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، وهؤلاء جمعوا بين أنواع الظلم والكذب والافتراء، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٣٧] وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣].

فائدة: أن من كذب برسول واحد فقد كذب بالجميع

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣] وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١] وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٦٠] وقال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٧٦] مع أن نوحًا عليه السلام أول الرسل ولم يكن قبله رسول، وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب كذبوا رسلهم، ولكن الحقيقة أن من كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع الرسل، كما أن تكذيبهم لرسولهم لم يكن لأجل ذاته، وإنما لما جاء به، وكل رسول يقول مثل ما قال نوح عليه السلام وما قاله الأنبياء من بعده. وكلهم قالوا مثل من كذبوا قبلهم أو بعدهم ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] أو ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشعراء:١٥٤] وأمثال ذلك. كما أن كل نبي قال لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء:١٠٩] أو ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٤] ونحو ذلك.

فائدة: ذم الإسراف في الملذات

قال الله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام عن قومه (عاد): ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ○ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾

[الشعراء:١٢٨، ١٢٩] وقال عن ثمود قوم صالح عليه السلام : ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ○ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ○ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ○ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٦-١٤٩] يلومهم نبيهم مع أن بعض هذه الأعمال من المباحات، لأنهم أسرفوا في ذلك، ولم يشكروا نعمة الله، وركنوا إلى ملذات الدنيا، وتجبروا وبطشوا ولهوا وعبثوا وأفسدوا وتعاظموا وتكبروا، ولو استخدموا هذه النعم للخير، وشكروا الله تعالى لما لامهم نبيهم على المباحات.

فائدة: منافع عظيمة من بطن حشرة ضعيفة أين (المنفكرون)

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ○ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٦٨، ٦٩] سميت هذه السورة بسورة النحل، وبين الله تعالى آية عظيمة من آياته في النحل وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٦٩] فالذين يتفكرون يستفيدون من هذه الآية العظيمة.

ومن صفات النحل ما يلي:

المنافع العظيمة مما يخرج من بطون النحل من الشراب المختلف أنواعه وألوانه، مع أنها حشرة ضعيفة، تدبر أمورها تدبيرًا عجيبًا متقنًا متفننًا مهندسًا، وذلك من وحي الله تعالى وتدبيره وتسخيره وتكوينه الخفي وتعليمه، فهي تتخذ البيوت في الجبال والشجر والعريش، وتقطع المسافات الطويلة للبحث عن الزهور التي تأكل منها، وتبني بيوتها بنظام دقيق مقسم إلى أجزاء متساوية بأشكال

هندسية مسدسة الأضلاع، لا يوجد بينها فراغ، وتكون مجموعها كقطعة واحدة، عليها الشمع الذي يتكون في كيس دقيق جدًا، تحت حلقة بطن النحلة العاملة فترفعه بأرجلها إلى فمها، وتمضغه وتضع بعضه لصق بعض لبناء بيوتها، ألهمها الله الأكل من الثمرات، وهذا الذي يخرج من بطونها من العسل المختلف الألوان من أعظم المنافع والفوائد للإنسان، فهو غذاء ودواء، قد أودع الله في بطونها ما يجعل ما تمضغه وتأكله حلوًا لذيذًا، تسير هذه النحل بطريق مرتب منظم تحت قيادة رئيس (ملك النحل) قال تعالى: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ﴾ [النحل:٦٩] فهي مسخرة بأن تسلك السبل للبحث عن الزهور والثمرات، وفي العسل شفاء للناس وشراب ومنافع، وهذا من فضل الله على الإنسان. في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلًا» فذهب فسقاه، ثم جاء فقال يارسول الله: سقيته عسلًا فما زاده إلا استطلاقًا، قال: «اذهب فاسقه عسلًا» فذهب فسقاه عسلًا ثم جاء فقال يارسول الله: ما زاده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك» فذهب فسقاه عسلًا فبرأ [البخاري: ٥٦٨٤، ومسلم: ٢٢١٧].

فائدة: مؤاخذة المجتهد إذا قصر

المجتهد يؤاخذ إذا قصر في فهم ما هو مدلول لأهل النظر، ولهذا قال الله تعالى للنبي ﷺ معاتبًا الصحابة رضي الله عنهم: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال:٦] كما غضب النبي ﷺ من سؤال من سأله عن ضالة الإبل

بعد أن سأله عن ضالة الغنم، فأجابه: «هي لك أو لأخيك أو للذئب» فلما سأله عن ضالة الإبل تمعر وجهه وقال: «مالك ولها، معها حِذاؤها وسقاؤها، تشرب الماء وترعى الشجر حتى يلقاها ربها» [البخاري: ٩١، ومسلم: ١٧٢٢] وروي أن أبا هريرة رضي الله عنه مر بقوم محرمين فاستفتوه في لحم صيد وجدوا أناسًا أحلوه يأكلونه فأفتاهم بالأكل منه، ثم قدم المدينة فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك، فقال له عمر: بما أفتيتهم؟ قال: أفتيتهم بأكله، فقال لو أفتيتهم بغير ذلك لأوجعتك. [مالك في الموطأ، باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد: ٧٨٦].

فائدة: الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] طيب اسم مبالغة لاتصافهم بالطيب وحسن العمل وحسن الرائحة وحسن الأخلاق وكمال النفس، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر: ٧٣] وقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨] وفي الحديث «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» [مسلم: ١٠١٥، والترمذي: ٢٧٩٩] فالطيب منزه من الخبث والسوء والشرك مطمئن النفس، وضده الخبيث، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧].

فائدة: النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] نهى الله عن ضرب الأمثال لله تعالى، لأنه سبحانه منفرد بالألوهية، ولا شريك له

ولا ولد، ولا يشبه الحوادث ولا مثيل له، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] وقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨] أما الله تعالى فيضرب الأمثال للناس لعلهم يتفكرون، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] وقال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم:٢٨] وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ [النحل:٧٥] وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:٧٦].

فائدة: الهوى المذموم والهوى الممدوح

اتباع الهوى ضلال وحجاب عن العقل، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] أما إذا كان الحق محبوبًا للمرء فهذا من التخلق بمحبة الحق تبعًا للدليل، وذلك كأن يحب المؤمن الصلاة والجماعة والصدقة وقيام رمضان وتلاوة القرآن، وقد كان ﷺ يقول لبلال رضي الله عنه: «أرحنا يا بلال بالصلاة» [أبو داود:٤٩٨٦ وصححه الألباني] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» [البغوي في شرح السنة:١/٢١٣ وصححه النووي في آخر أربعينه، والحافظ في الفتح:١٣/٢٨٩] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (إذا أصبح

الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه، فإن كان عمله تبعًا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعًا لعلمه فيومه يوم صالح) [تفسير القرطبي:١٦/ ١٦٧، ١٦٨ تفسير آية ٢٣ من سورة الجاثية].

ومن المهلكات: الشح المطاع والهوى المتبع وإعجاب المرء بنفسه، فهذه من أسباب الختم على السمع والقلب، ومن أسباب الغشاوة على البصر، وعدم الهداية إلى الحق.

فائدة: توبيخ الكفار على تفريطهم في الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠] الكافر يجازى على عمله الطيب في حياته الدنيا، ويستوفي ماله من الطيبات، لأنه يعمل لها ولا يعمل للآخرة، أما المؤمن فيجازى في الآخرة، ولا يمنع من طيبات الدنيا، وهي خير إذا أخذها من حلها وأنفقها في حلها، وعمل بواجبات دينه، روى ابن عطية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل الشام قدم إليه خالد بن الوليد رضي الله عنه طعامًا طيبًا، فقال عمر رضي الله عنه: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير؟ فقال خالد رضي الله عنه: لهم الجنة، فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: لئن كان حظنا في المقام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونًا بعيدًا.

فائدة: تقريع الله لعبدة الأوثان

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥]

قال الفخر: (يحصل مودة بين الأوثان وعبدتها، لأن من غلبت عليه اللذات الجسمية لا يلتفت إلى اللذات العقلية، كالمجنون إذا احتاج إلى قضاء حاجة من أكل أو شرب أو إراقة ماء، وهو بين مجمع من الأكابر، لا يلتفت إلى اللذة العقلية من الحياء وحسن السيرة، بل يحصِّل ما فيه لذة جسمية) [التفسير الكبير للرازي: ٩/٤٦ في تفسير الآية المذكورة بتصرف يسير] ولكن هذه المودة تنقلب إلى بغضاء وكفر ولعن في الآخرة ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

فائدة: أكبر النعم نعمة الإسلام

أكبر النعم نعمة الإسلام، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فالإسلام كمال النعم، ومن حرمه حرم الخير كله، ومن منحه منح الخير كله، فالمسلم هو المهدي إلى الصراط المستقيم، والهداية نعمة كاملة، وأهلها هم خيار الأمم من الرسل والأنبياء، وقد جمع الإسلام استقامة من مضى من الأديان وزيادة، والمنعم عليهم من وفقهم الله إليه، قال يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وإذا كان الكافر منعمًا عليه فإن نعم الله عليه تحفها آلاف سوء العاقبة وعذاب الآخرة، أما نعم الله على المؤمن فهي مستمرة في الدنيا والآخرة، حتى إذا أصيب بمصيبة فهو منعم عليه بهذه المصيبة، لأنها تكفر عنه الذنوب، فالمؤمن كل أمره خير، إن أصابه خير فله أجر، وإن أصابه شر فله أجر، وليس ذلك إلا للمؤمن، فهو إما صابر أو شاكر، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

فائدة: المراد بالغيب مالا يدرك بالحواس

الذي لايؤمن بالغيبيات ويكون منتهى إدراكه الماديات، لا يهتدي إلى الحق، ولا يؤمن بهذا القرآن، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢،٣] والمراد بالغيب مالا يدرك بالحواس كالإيمان بالملائكة والبعث والروح، فالإيمان بالغيب هو الأصل في اعتقاد ما تخبر به الرسل عن وجود عالم علوي، أما من لا يؤمن بالغيب ومنتهى إيمانه الماديات فإنه يعرض عن دعوة القرآن بوجود الله والآخرة، وهؤلاء الماديون كثروا في هذا العصر، وبهروا ضِعاف الإيمان في مادياتهم، فهم دهريون يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] ويعتقدون أن الطبيعة خلقتهم، نقول لهم: من خلق الطبيعة؟! وليس عندهم أي جواب، لأنه لابد لهذا الكون من خالق، وهذا الخلق يدل على أن خالقه عظيم، وأنه مستحق للعبادة، وأنه متصف بصفات الكمال، وأن الخلق سيبعثون ويحاسبون ويجزون على أعمالهم بالجنة أو النار، أو العذاب بالنار فترة ثم دخول الجنة، وأن هذا القرآن لا ريب فيه، وما جاء به النبي الكريم ﷺ من عند الله، لا شك في نبوته، وتجب طاعته وتصديقه واجتناب ما نهى عنه، وأن يعبد الله بما شرع.

فائدة: الملائكة تكتب كل شيء

قال الله تعالى في سورة ق: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] حض القول دون العمل، لأن للأقوال أثرًا كبيرًا في الأعمال، قال ﷺ «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» [الترمذي:٢٦١٦، وأحمد:٥/ ٢٣١،٢٣٦،٢٣٧ وصححه

الألباني] ولأن الأفعال لا تخلوا من مصاحبة أقوال، قال مجاهد ومالك وأبو الجوزاء: (الملائكة تكتب كل شيء حتى أنين المريض) وقال الحسن: (يكتبان كلما صدر من العبد) هما ملكان أحدهما عن يمين الإنسان يكتب الحسنات (رقيب) والثاني عن يساره يكتب السيئات (عتيد) قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧] والله تعالى يعلم ما توسوس به النفوس، ويعلم السر وأخفى، وهو أقرب للمرء من حبل الوريد.

فائدة: سكرة الموت

قال تعالى في سورة ق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩] أي تهرب وتفر وتكره وتتجنب أسبابه، والكفار أشد كراهية للموت، فحياتهم مادية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦] أما المؤمنون فهم يحبون لقاء الله، كما ورد في الحديث: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» [البخاري:٦٥٠٨، ومسلم:٢٦٨٦] وبيان ذلك قوله ﷺ: «إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه» [البخاري:٦٥٠٧، ومسلم:٢٦٨٤] أما الكافر فيكره ذلك لما يراه من العقاب، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] وكراهية الموت جبلة مرتكزة في الإنسان، ولكنها لدى المؤمنين لا تبلغ ألف سنة كما هي عند المشركين، وتزول من المؤمنين إذا عاينوا عند الموت منازلهم في الجنة وما أعده الله لهم، قال تعالى عن المشركين: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ

بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة:٩٦].

فائدة: حكم من كفر برسول واحد

الذي يكذب واحدًا من الرسل فقد كذب الرسل جميعهم، وكفر بالله تعالى ورسله، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥] وقال: ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ [سبإ:٤٥] وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [يونس:١٠٣] وكل المؤمنين بالرسل قديمًا وحديثًا يسمون (مسلمين) ولا نفرق بين أحد من رسل الله، نؤمن بهم جميعًا، ونتبع شريعة خاتمهم محمد ﷺ التي هيمنت على جميع الشرائع.

فائدة: الجدال عن الخائنين وأهل الزيغ

الجدال بالباطل، والجدال عن الذين يختانون أنفسهم، والدفاع عن أهل الزيغ من أكبر المنكرات التي نهى الله تعالى عنها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء:١٠٧] وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] فمن يجادل لإبطال أحكام الإسلام وتحبيب الكفر وشعائره وتخطئة المسلمين والدين، يستدرجه الشيطان بالمجادلة حتى يبلغ به إلى الشرك، ومن أطاع المشركين فهو مثلهم.

فائدة: جواز طلب المسئولية إذا علم الإنسان أنه أهل لها

إذا رأى المسلم أن عملًا من أمور الأمة لا يصلح له غيره، فإن من النصح للأمة أن يعرض المرء نفسه للعمل، وقد عرض يوسف عليه السلام نفسه للعمل، وبين أنه ذو أمانة وعلم، وهذا لا يعارض قول الرسول ﷺ لعبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه: «ياعبد الرحمن

ابن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» [البخاري:٧١٤٦، ومسلم:١٦٥٢] لأن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه لم يكن منفردًا بالفضل من بين أمثاله ولا راجحًا عليهم.

فائدة: في الأنعام وألبانها عبرة للمعتبرين

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل:٦٦] هذه البقر والغنم والضأن والإبل يخرج من بطونها هذا الشراب السائغ للشاربين، هذا اللبن الحلو الأبيض يخرج من بين الفرث والدم، إن ذلك لعبرة للمعتبرين، وقوله تعالى: ﴿خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[النحل:٦٦] أي نزيهًا نظيفًا طاهرًا من البول والفرث، سليمًا من الدم الذي لا يسيغه الشارب والذي فيه ضرر على الإنسان.

فائدة: مدة الحمل والفطام

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥].

من فوائد هذه الآية أن مدة الحمل إلى الفطام ثلاثون شهرًا، لتطابق مدد الحمل ستة أشهر وسبعة أشهر وثمانية أشهر وتسعة أشهر، وتسعة أشهر هي الغالب، فإذا كان حمل المرأة تسعة أشهر أرضعت المولود واحدًا وعشرين شهرًا، وإذا كان الحمل ثمانية أشهر أرضعته اثنين وعشرين شهرًا، وإذا كان الحمل سبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهرًا، وإذا كان الحمل ستة أشهر أرضعته أربعة وعشرين شهرًا.

ومن فوائد هذه الآية أن مدة الحمل قد تكون دون تسعة أشهر، وقد جعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه الآية مع آية سورة البقرة ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] دليلًا على أن الوضع قد يكون لستة أشهر، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عن معمر ابن عبدالله الجهني قال: تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فذكر له، فبعث إليها عثمان رضي الله عنه، فلما أتى بها أمر برجمها، فبلغ ذلك عليًا رضي الله عنه فأتاه فقال: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥] وقوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] فلم نجده بقي إلا ستة أشهر، فرجع عثمان رضي الله عنه إلى ذلك.

فائدة: من علامات الهداية والضلالة

من علامات الهداية أن يشرح الله تعالى قلب الإنسان للإسلام، ومن علامات الضلالة أن يجعل الله قلبه ضيقًا، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقد امتن الله تعالى على رسوله محمد ﷺ فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١] ومن علامات انشراح الصدر للإسلام ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يارسول الله كيف يشرح الله صدره للإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «يدخل فيه النور فينفسح» قالوا: وهل لذلك من علامة يعرف

بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الفوت» [تفسير الطبري: ٥/ ٢٣٦ برقم: ١٣٨٦١].

فائدة: مثل كلمة الإسلام وكلمة الكفر

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ○ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ○ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦] هذان المثلان للكلمة الطيبة، وهي: لا إله إلا الله، والكلمة الخبيثة، وهي كلمة الشرك.

فالشجرة الطيبة فيها البهجة والفرح والنفع والثبات والجمال والنماء والمتعة.

أما الشجرة الخبيثة ففيها الاضطراب وضيق الصدر والكدر والضر، لا يتركها الناس تفسد مزارعهم، وإنما يجتثونها من فوق الأرض مالها من قرار.

وفي الشجرة الطيبة الثمار اليانعة ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾ [إبراهيم: ٢٥] ومن حقق كلمة التوحيد ثبته الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ووقاه من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ومن فتنة سؤال القبر.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]» [البخاري: ٤٦٩٩].

فائدة: حال أهل النار

قال الله تعالى عن النار والكفار: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٩٤] أي: كُبُّوا فيها كبًّا بعد كبٍّ، فإن ﴿كبكبوا﴾ مضاعف، كُبُّوا بالتكرار، مثل كفكف الدمعَ من كفَّ الدمع، ومثله: جيش لَمْلَم أي كثير، وأهل الضلالات الذين يكبكبون في النار أصناف: (جنود إبليس، والغاوون، وعبدة الأصنام، والمنافقون، والمجرمون).

فائدة: حال المنافقين عند الابتلاء

ينبه الله عباده بأن يتوسموا الأشياء، ويستدلوا بالنظر والعقل والأسباب والمسببات، فيقول: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦] فقد وهب الله الإنسان العقل القابل للتطور والفهم، وعليه أن يستعمله حتى يبلغ إلى الكمال البشري الذي كتبه الله له، ولكن الناس - إلا من عصمه الله - لا يتذكرون، وينسبون ما يحصل لهم من ضراء أو سراء إلى العادة، ويقولون: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف:٩٥] فحاصل ما دفعوا به دلالة الضراء والسراء أن ذلك قد حل بآبائهم، ويغفلون عن الأسباب الحقيقية.

فائدة: أصول المحرمات

حصر الله تعالى أصول المحرمات في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] فإنما للقصر.

الفواحش ما ظهر منها مثل: البغاء والمخادنة والزنا العلني، وما

بطن مثل: الوأد والسرقة، والإثم: كل ذنب، والبغي: هو الاعتداء على حق الغير بسلب أموالهم، أو بأذاهم، أو الكبر عليهم، فقد كان القوي في الجاهلية يأكل الضعيف، وذو البأس يغير على أنعام الناس، ويقتل أعداءه منهم، وكانوا يضربون من يطوف بالبيت بثيابه إذا كان من غير الحُمْس، ويلزمونه بأن لا يأكل غير طعامهم، ولا يطوف إلا بثيابهم، وقوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ صفة كاشفة للبغي، لأن البغي لا يكون إلا بغير حق،وقد كان دأب الجاهليين البغي، قال سوار بن المضرب السعدي:

وإنـــــي لا أزال أخـــا حـــروب
إذا لـم أجـنِ كـنـتُ مِـجَـنَّ جـان

والإشراك حرم على لسان جميع الأنبياء، والقول على الله بغير علم من الفواحش والآثام، وقد قرنه الله تعالى بالشرك لعظم إثمه.

فائدة: تأخير يعقوب عليه السلام الاستغفار لأبنائه إلى ساعة السحر مظنة الإجابة

لما قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩٧] قال لهم: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٨] أخر الاستغفار لهم إلى ساعة هي مظنة الاستغفار، قيل: آخر الليل، وقيل: ليلة الجمعة، كما في الحديث الذي رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما. [٧/ ٣٠٠ برقم ١٩٨٨١].

فائدة: أيام الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥] أيام الله هي: أيام ظهور بطشه على من عصوا أمره، وتأييده للمطيعين لأوامره على أعدائهم، وأيام ظهور قدرته وإهلاكه للكافرين ونصره للمطيعين، والتذكير بأيام الله يشتمل على آيات قدرة الله وعزته وتأييد من أطاعه، وهي آيات لكل صبار شكور، يقال: هذه أيام القبيلة الفلانية، أي أيام ظهورها على أعدائها، فعلى المسلمين أن يصبروا ويشكروا حتى يأتي النصر، وتتحقق أيام الله التي وعدها الله لأوليائه.

فائدة: كفر الجحود

من كفر الكفار وجحودهم أنهم يجعلون لمالا يعلمون من الأصنام نصيبًا مما رزقهم الله، وأنهم يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون من الذكور، وأنهم يجعلون لله ما يكرهون، وأنهم إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، وهذا الظلم والاعتداء لو آخذهم الله عليه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أجل مسمى، فلا يستأصلهم استئصالًا، وإنما يصيب الناس من المصائب والفتن الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٥٢] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم» [البخاري:٧١٠٨، ومسلم:٢٨٧٩].

فائدة: الصراط المستقيم

الصراط المستقيم الذي نسأل الله تعالى أن يهدينا إليه في كل صلاة وغيرها، فنقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ○ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦، ٧] فسر بالهداية للإسلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:١٦١] ويشمل جميع المعارف والصالحات من اعتقاد وعمل وبعد عن الشبهات والشهوات، وبعد عن طريق وأهواء المغضوب عليهم والضالين. والصراط المستقيم واحد، أما الطرق المعوجة فكثيرة، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

فائدة: أوصاف القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿حمٓ ○ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ○ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:١-٣] وصف الله القرآن بصفتين: الأولى أنه كتاب، أي سيكتب في المصاحف، وقد كتبه كتاب الوحي، والثانية: أنه مقروء دون حضور كتاب، أي محفوظ في الصدور، وذلك في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا﴾ [الزخرف:٣] ولولا ذلك لما كانت فائدة للإخبار بأنه مقروء، لأن كل كتاب صالحٌ لأن يقرأ، وهذا مما اختص به القرآن يكتب ويحفظ في الصدور، كما وصفه الله تعالى بأنه مبين، أي بين واضح، وجعله عربيًا بلغة العرب، لأنها أشرف اللغات وأوسعها، والعرب أفهم الناس بدقائق الألفاظ والمعاني، فهم أقدر على البلاغ للأمم الأخرى، وقد اصطفى الله رسوله ﷺ من أهل تلك اللغة، كما وصفه بأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وأنه علي، وأنه حكيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:٤].

فائدة: شرف العرب وعزهم

الشرف والعز والمكانة التي حصلت للعرب بسبب نزول القرآن بلغتهم، وكون محمد الرسول ﷺ منهم، ولولا ذلك لما كان للعرب أي قيمة في التاريخ، فقد كانوا من قبل ذلك أميين في ضلال مبين، وإذا تركوا هذا الدين العظيم غلبتهم الأمم الأخرى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤] سؤال المؤمنين عن مقدار العمل بما كلفوا به، وهل بلغوا رسالة ربهم، وسؤال المشركين سؤال توبيخ وتهديد، كما قال سبحانه: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] وإن مما يجرح الفؤاد أن ترجمة معاني هذا القرآن العظيم لم تصل إلى أكثر العالم، وأن المسلمين لم يبلغوا كثيرًا من الناس هذا الدين البلاغ الكافي لإقامة الحجة عليهم، مع توفر الإمكانات المادية واتصال العالم بعضه ببعض، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] وكل مسؤول حسب استطاعته وإمكاناته ﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤].

فائدة: هل وصف الرحمن كان معروفاً في كلام العرب قبل الإسلام

قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣] قال جمهور الأئمة: إن وصف الرحمن لم يطلق في كلام العرب قبل الإسلام مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] ومن الآيات التي ذكر فيها الرحمن ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الرعد:٣٠] وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك:٣] وقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان:٦٣] وقوله: ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ [الملك:١٩] وقال

البعض: إن مسيلمة الكذاب يسميه أهل اليمامة الرحمن، قال أحدهم:

سموت بالمجد ياابن الأكرمين أبًا
وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

ورد عليهم بأنهم سموه رحمن بعد مجيء الإسلام في أيام ردتهم، والصحيح أن الرحمن اسم معروف لدى العرب قبل الإسلام، قال الشاعر:

تلك الموازين والرحمن أرسلها
رب البرية بين الناس مقياسا

والله سبحانه وتعالى رحمن الدنيا والآخرة، وهو رحمن لجميع الخلق، فرحمته عامة، ورحيم بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ومن رحمته تعالى أنه لا يعنت الناس ولا يشدد عليهم، وأن نعمه تصل إلى خلقه بالرفق واليسر ونفي الحرج، فتدبيره رحمة، وتيسير المنافع لنا رحمة، والتكاليف يسيرة ورحمة، وكل تقديره رحمة ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فائدة: الاعتبار بحال السابقين ممن دمرهم الله

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠] لقد دمر الله على الكافرين الأول، ودمر على الكافرين في عهد رسول الله ﷺ أمثال ما دمر على السابقين، فقد استأصل صناديدهم يوم بدر ويوم حنين

بالسيف، وسلط عليهم الريح يوم الخندق، وسلط عليهم الرعب يوم فتح مكة، ونصر رسوله ومن اتبعه، بيد الرسول وأيدي المؤمنين مباشرة.

فائدة: من معاني المولى في القرآن

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١] وقال في آية أخرى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٣٠] لا تعارض بينهما، ففي الأولى نفي جنس المولى للكافرين، وأنه لا ينصرهم، لأنهم لا مولى لهم، وفي الثانية معنى المولى المالك والرب، فهو مالكهم وربهم فلا تعارض بينهما.

فائدة: اعتراف ناس من قريش بصدق دعوة رسول الله ﷺ

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن الحارث بن عثمان بن نوفل ابن عبد مناف وناسًا من قريش جاؤوا إلى النبي ﷺ فقال الحارث: (إنا لنعلم أن قولك حق، ولكنا نخاف إن اتبعنا الهدى معك وآمنا بك أن يتخطفنا العرب من أرضنا، ولا طاقة لنا بهم، وإنما نحن أكلة رأس - أي أن جمعنا يُشْبِعُه الرأسُ الواحدُ من الإبل -) [تفسير الطبري:١٠/٨٩] كناية عن قلتهم.

وفي هذا اعتراف منهم بأن الرسول ﷺ يدعوهم إلى الهدى، وعدم اتكال على الله، مع أن الله تعالى مكن لهم حرمًا آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من الله تعالى، فهذا الأمن الذي لديهم أمن للحرم وبسببه وليس لهم، فلو خرجوا من الحرم لحصل لهم ما يحصل لغيرهم من العرب من الغارات على بعضهم وعدم الأمن، فهم مستحقون لذلك.

فائدة: الحكمة في خلق السموات والأرض في ستة أيام

تكرر في القرآن أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وهذه حكمة الله تعالى أن يكون خلقها مدرجًا لا دفعة واحدة، فهو القادر على أن يقول لها: (كن فيكون) ولكن جعل العوالم متولدًا بعضها من بعض لتكون أحكم وأتقن، ولتكون مظهرًا لصفتي علم الله وحكمته.

وهذه الأيام الستة قيل: إنها الأيام المعروفة، وقيل اليوم ألف سنة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] وقيل: ستة أوقات، لأن اليوم يطلق على الوقت، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال:١٦] والله أعلم.

فائدة: يُطلق لفظ الأم على الخالة ويطلق الأب على العم

قول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف:١٠٠] المقصود أبوه وخالته زوجة أبيه، واسمها (ليئة) لأن أم يوسف عليه السلام قد توفيت حين ولدت بنيامين. وهذا من التغليب، كما يطلق الأب على العم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] فإسماعيل عليه السلام عم ليعقوب عليه السلام.

فائدة: تمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين يوم القيامة

يود ويتمنى الكافرون أنهم مسلمون في مواضع كثيرة:

١- قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢] وذلك يوم بدر حين يرون نصر الله للمسلمين.

٢- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧] وذلك في الآخرة حين يساقون إلى النار لكفرهم.

٣- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ○ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧،٢٨] وذلك إذ أخرج عصاة المسلمين من النار يود الذين كفروا ممن في النار لو كانوا مسلمين.

٤- يخفون هذه المودة من قبل في نفوسهم عنادًا وكفرًا ولا يصرحون بها، كما قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]

فائدة: البسملة ليست آية من الفاتحة

البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) من القرآن، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠] والافتتاح بها في كل سورة من القرآن مطلوب عدا سورة براءة (التوبة) وكذا في كل أمر ذي بال، وقد كتبت في المصحف في أول سورة الفاتحة، والصحيح أنها ليست من الفاتحة، لقول الرسول ﷺ عن ربه: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي» إلى آخر الحديث [مسلم:٣٩٥] ولم يقل: إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ولحديث سعيد بن المعلى

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يارسول الله إنك قلت: «لأعلمنك أعظم سورة من القرآن» قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» [البخاري: ٤٤٧٤،٤٧٠٣،٥٠٠٦ والنسائي: ٩١٤].

فهذا دليل على أنه لم يقرأ منها البسملة، ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين [مسلم: ٤٩٨ وأبو داود: ٧٨٣] ولما روي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه من طرق كثيرة أنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في أول قراءة ولا في آخرها [البخاري: ٧٤٣ واللفظ له، ومسلم: ٣٩٩ والترمذي: ٢٤٦ وأبو داود: ٧٨٢ والنسائي: ٩٠٧، ٩٠٨]، ولما في سنن الترمذي والنسائي عن عبدالله بن المغفل رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلم أسمع أحدًا منهم يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إذا أنت صليت فقل: الحمد لله رب العالمين [النسائي: ٩٠٩، والترمذي: ٢٤٤ وضعفه الألباني] وكذا عمل أهل المدينة من نزول الوحي إلى زمن مالك رحمه الله في المسجد النبوي، فقد صلى فيه الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون والصحابة رضي الله عنهم وأهل العلم، ولم يسمع أحد قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة الجهرية، وكذا في حديث بدء الوحي قال الملك للرسول ﷺ بعد أن غطه الثالثة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» الحديث [البخاري: ٤٩٥٣] فلم

يقل: فقال لي: بسم الله الرحمن الرحيم، اقرأ باسم ربك.

فائدة: الرسول لا يعلم الغيب

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل مكة قالوا: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح عند الغلاء، وبالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل منها إلى التي قد أخصبت، فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨] [تفسير البغوي:٢/٢٥٦،٢٥٧] وقدم النفع على الضر، لأن النفع أحب إلى الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [الأعراف:١٨٨] قدم النذير، لأن المقام خطاب للمكذبين، والنذارة أعلق بهم، أما في سورة البقرة فقدمت البشارة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البقرة:١١٩].

فائدة: منة الله على العرب بأن أنزل القرآن بلغتهم

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ [الرعد:٣٧] من فوائد هذه الآية أن هذا القرآن حكم لكل شيء، فقد كمل في حكمته ومعانيه ومقاصده، كما أنه كمل من جهة ألفاظه بكونه عربيًا، وذلك مالم يبلغ إليه كتاب قبله، فاللغة العربية أشرف اللغات وأصلحها للتعبير عن الحكمة، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٥] وفي الآية امتنان على العرب بأنه بلغتهم، وأنه ذكر وسمعة لهم، كما قال

تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠] فبقاء العرب وكثرتهم واتساع اللغة العربية واستمرار معرفتها وحفظها كل ذلك بسبب هذا القرآن الكريم، فجميع لغات العالم تنتهي بعد مضي ما يقرب من مائتي عام، أما اللغة العربية فما قيل منذ ألف وخمسمائة عام محفوظ إلى الآن وحتى قيام الساعة، يقرأ ويفهم معناه بحفظ القرآن لها. والعرب يزدادون باتساع الإسلام، ومن تعلم العربية وصارت لغته وترك لغة قومه ودخل الإسلام صار عربيًا، لأن العروبة باللسان وليست بالأصل، فالمستعربة عرب ومنهم قريش، ومعظم العرب اليوم لهم أصول غير عربية، ولما دخلوا في الإسلام وتكلموا العربية صاروا عربًا.

فائدة: استنكار ورد على الذين يزكون أنفسهم

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٩] نزلت هذه الآية ردًا على اليهود الذين يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١].

فائدة: وجوب الجهاد إذا كان المسلمون في قوة ومنعة

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٥] وقال: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٦١] ظاهر الآيتين التعارض، أو أن الأولى ناسخة للثانية، أو العكس، والصحيح أن لكل حالة حكمًا، فإذا كان المسلمون في حالة قوة ومنعة وعِدة وعُدة ولهم قيادة ترفع علم الجهاد في سبيل الله فلا يجوز لهم أن يدعو إلى السلم رغبةً في الدعة، أو

خوفًا من العدو أو لغير ذلك، وإن كان للمسلمين مصلحة في السلم، وكان أخف الضررين، فلهم أن يبتدأوا في طلب السلم إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوه إذا دعوا إليه، وقد صالح النبي ﷺ يوم الحديبية للمصلحة التي ظهرت آثارها فيما بعد، وصالح المسلمون في غزواتهم في إفريقيا، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبة له مع أمراء الجيوش: (لقد آثرت سلامة المسلمين) أما الصلح على بعض الأرض مع فتحها فهذا لا ينافي قوة الفاتحين، وقد صالح أبو بكر رضي الله عنه وأمراؤه أهل دمشق، وصالح عمر رضي الله عنه وأمراؤه أهل سواد العراق للمصلحة العامة للمسلمين، والله سبحانه وتعالى يوفق المؤمنين الصادقين ولا يترهم أعمالهم، أما الكفار فإنه يضل أعمالهم ولا يوفقهم للصواب والخير.

فائدة: مجادلة أهل الكتاب بالحسنى

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦] تفيد الآية أن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى تكون بالتي هي أحسن، لا بالغلظة والشدة، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ○ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ○ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٥-٦٧] ويستثنى من ذلك ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ وكابروا وأظهروا العدى للنبي ﷺ وللمسلمين

وحسدوهم وأبغضوهم وكادوهم، أما المشركون والمنافقون فيظهر من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التحريم:٩] ومن قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥] أن الغلظة عليهم وعدمها في الجهاد والجدال والمعاملات خيار للنبي ﷺ وأتباعه حسب مقتضيات الأحوال، والله أعلم.

فائدة: الأصل الإنساني واحد

الأصل الإنساني واحد، كلهم من آدم عليه السلام ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] والتفاخر بالأنساب جاهلية، قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما قال لرجل يابن السوداء: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠، ومسلم:١٦٦١] وهذا التفاخر من صفات الشيطان حيث قال لآدم عليه السلام : ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] فافتخر بأصله لا بعمله، وهو من الكفر، قال ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» [مسلم:٦٧].

ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم، قال ﷺ: «من دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم» قالوا: يارسول الله وإن صام وإن صلى قال: «وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل» [أحمد في المسند: ٤/ ١٣٠ وصححه محققو المسند].

والناس جميعًا إما مؤمن تقي أو فاجر شقي، قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالأباء، مؤمن

تقي وفاجر شقي» [أبو داود: ٥١١٦، والترمذي: ٣٢٧٠، أحمد: ٢/ ٣٦١، ٥٢٤ وصححه الألباني]. والرفعة تكون بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وليس للعربي على الأعجمي ولا للأبيض على الأسود فضل إلا بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» [أحمد: ٥/ ٤١١، وصححه محققو المسند] والعروبة لسان وليست نسبًا، قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، إنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي» [الحافظ ابن عساكر ٧/ ٢٠٣/ ٢ قال الألباني في الضعيفة: ٩٢٦: ضعيف جدًا].

وقبيلة قريش قبيلة مستعربة، وأم العرب هاجر مولاة، وأرفع الناس نسبًا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، لأن أباه وأجداده أنبياء، ولم يضره بيعه بدراهم معدودة، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] وقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] ومعظم الأنبياء من غير العرب، فالمدار على الصفات المكتسبة (الإيمان والعلم) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] فسمى الله السخرية من الآخرين ولمزهم بالألقاب إثمًا وفسوقًا وخروجًا من الإيمان ومعصيةً

وظلمًا، كما أن ذلك سبب لسوء الخاتمة، نسأل الله العافية (جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي رضي الله عنه، فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هذا؟ فقام إليه معاذ بن جبل رضي الله عنه فأخذ بتلابيبه، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بمقالته، فقام النبي ﷺ مغضبًا، يجر رداءه حتى أتى المسجد، ثم نودي أن الصلاة جامعة، وقال ﷺ: «أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، إنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي» فقام معاذ رضي الله عنه فقال: ما تأمرني بهذا المنافق يارسول الله؟ قال: «دعه إلى النار» فكان قيس هذا ممن ارتد في الردة فقتل كافرًا [الحافظ ابن عساكر ٢/٢٠٣/٧ قال الألباني في الضعيفة:٩٢٦: ضعيف جدًّا] نسأل الله العافية وحسن الخاتمة ونعوذ به من سوئها.

وكل الناس لهم نسب يجتمعون في جد واحد قريب أو بعيد «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» [أبو داود:٢٧٥١ والنسائي:٤٧٣٨ وأحمد:١/١١٩،١٢٢ وصححه الألباني] وقال ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» [ابن ماجه:١٩٦٧، وحسنه الألباني] «والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» [كنز العمال:٣٠٨٩٠ ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير:٤٠٢٤].

فائدة: الهداية بيد الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦] نزلت في عم الرسول ﷺ أبي

طالب، وبينت أن الهداية بيد الله، فهو أعلم بمن يستحق لها، وهذه هداية التوفيق، أما هداية الإرشاد فهي في مقدور الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢] والذي منع أبا طالب من الهداية - والله أعلم - هو عدم براءته مما كان عليه آباؤه وأجداده من الشرك، حيث قال: أنا على دين عبدالمطلب، فعلى المسلم أن يكون قدوته وأسوته بعد نبينا محمد ﷺ وصحابته إبراهيم عليه السلام ومن معه، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

فائدة: دلائل صدق القرآن

وعد الله تعالى رسوله ﷺ بأنه سَيُرِي المشركين الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق من الباطل، فهو على ذلك قدير وشهيد، وعند ذلك يؤمن من يتجرد لله تعالى، ويزداد كفرًا المتكبرون، وقد حصل ذلك، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] ومن ذلك فتح البلاد والآفاق ودخول الإسلام فيها وقتل صناديد المشركين كأبي جهل على يد غلامين من الأنصار، وقتل أُبي بن خلف على يد رسول الله ﷺ، فصاروا يرون مثل الدخان، كما حصل من الآيات: الجوع الذي دعا عليهم به النبي ﷺ، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان:١٠] وغير ذلك.

فائدة: من أسباب البغي في الأرض بسط الرزق

من أسباب البغي في الأرض بسط الرزق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧] فلو جعل الله جميع الناس في بسطة من الرزق لبغى بعض الناس على بعض، لأن المبغي عليه يجد المقاومة من الباغي لقدرته على ذلك، أما كون بعضهم غنيًا وبعضهم فقيرًا فهو أسلم من حيث البغي، لأن بعض الأغنياء لا يبغي، وإذا بغى بعضهم لا يجد المقاومة، والله عالم بمصالح عباده وأحوالهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

فائدة: معنى الأمي

قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] يدل على أن الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحفظ ولا يتلو، أما الذي يقرأ ويتلو، أو يحفظ القرآن وغيره من كتب العلم ولا يكتب كالتالي للقرآن وكتب العلم الحافظ لها فهو عالم، ومثله الأعمى إذا تعلم العلم، ورسولنا ﷺ بعد أن أنزل إليه القرآن وصار في صدره وعلمه الله ما لم يكن يعلم صار عالمًا، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ﴾ [النساء:١١٣] وقال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وتفيد الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ﴾ [العنكبوت:٤٨] أن الخط ينبغي أن يكون باليمين لا بالشمال.

فائدة: جواز الأكل من مال اليتيم عند الإضطرار بالمعروف

قال الله تعالى لولي اليتيم: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا

﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء:٦] اختلف العلماء في الوصي الغني هل يأخذ أجر مثله، وهل يأكل من مال اليتيم قدر حاجته الضرورية؟.

فقال بعض العلماء: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [النساء:١٠] وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨] وهذا قول أبي يوسف ومجاهد وزيد ابن أسلم.

وقال النخعي، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واستحسنه النحاس وقال به الطبري: (من كان من الأوصياء غنيًا فليستعفف بماله، ولا يتوسع بمال محجوره، ومن كان فقيرًا فإنه يقتر على نفسه لئلا يمد يده إلى مال يتيمه، وقال الأكثرون: يأكل بالمعروف إذا كان محتاجًا ولا يسرف، وذلك بقدر أجرة مثله، وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس وأبي عبيدة رضي الله عنه وابن جبير والشعبي ومجاهد (أن الله أذن في القرض لا غير) فإذا أيسر الإنسان قضى هذا القرض، وقال عطاء وإبراهيم: لا قضاء على الوصي إن أيسر، وقيل: إنما يأكل عند الاضطرار كأكل الميتة والخنزير، والله أعلم.

فائدة: من أعرض عن الآخرة عاش عيشة البهائم

الذي لا يؤمن بالآخرة يزين الشيطان له سوء عمله، ويعيش في هذه الدنيا عيشة البهائم، لا يهمه إلا الأكل والشرب وإشباع الشهوات، وينسى ربه وما خلق لأجله من عبادة ربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل:٤] فهم يعمهون في طريق الضلال بدون اهتداء، ويمد لهم ذلك أحيانًا إلى أن يفاجئهم الموت، قال تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام:١٠٨] وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل:٢٤] وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل:٥].

فائدة: الآيات التسع التي أتاها الله موسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:١٠١] الآيات التسع التي آتاها الله موسى عليه السلام: بياض يده كلما أدخلها في جيبه وأخرجها - والرجز وهو الدمل - والقحط وهو السنون ونقص الثمرات - والدم - وانقلاب العصا حية - والطوفان - والجراد - والقمل - والضفادع.

قال الفيروز آبادي:

عصا، سنة، بحر، جراد، وقمَّل
يد، ودم، بعد الضفادع طوفانُ

فائدة: الجنة ليست عوضاً للعمل

قال الله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣] أي أعطيتموها ورثًا لكم كما يرث الميت أقرباءه، أي بدون عوض، لا قيمةً لأعمالكم، وإنما الأعمال والإيمان سببان في دخول الجنة، قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فالدخول إلى الجنة فضل من الله تعالى، والإيمان والعمل الصالح لا يوجبان الدخول إلى الجنة إلا برحمة الله تعالى، لأن شكر الله تعالى والإيمان به والعمل في مرضاته واجب، ولن يدخل أحد الجنة بعمله، كما قال النبي

ﷺ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة» [البخاري: ٦٤٦٤، ومسلم: ٢٨١٦، ٢٨١٧].

فائدة: من سنة الله الكونية أن الشيطان لا يتسلط إلا على الغاوين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] هذا قول الله تعالى للشيطان لما توعد الناس بالغواية، وهو يدل على أن الله وضع سنة أن الشيطان لا يمكن أن يتسلط إلا على من كان غاويًا مائلًا للشر، أما من كبح نفسه عن الشر فلا يستطيع الشيطان أن يتسلط عليه، وليس له عليه سلطان، فالعزيمة على الخير والثبات والقوة ضد الشياطين وعدم الغواية واتباع الهوى، هذه أمور تجعل الشيطان لا يستطيع غواية ابن آدم، وهي حرز منه، ومن استعاذ بالله أعاذه الله من الشياطين، ومن تحصن بالأدعية المأثورة تحصن منه، ومن أكثر ذكر الله لا تقربه الشياطين، ومن كان مع الله كان الله معه، ولما استعاذ يوسف عليه السلام بالله، وطلب منه أن يصرف عنه كيد النساء الغاويات حتى لا يصبو إليهن، ويكون من الجاهلين، صرف الله عنه ذلك، فلم يمل إليهن، وفضل السجن على بيت العزيز.

فائدة: بركة أرض الشام

قال الله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٣، ١٠٤] الأرض الأولى هي أرض مصر، والأرض الثانية هي أرض الشام، وأرض الشام مباركة، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا

ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١] وقال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٨].

فائدة: حظ الكافرين في الدنيا لا في الآخرة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢] هذا حظ الكافرين في الدنيا: التمتع، والأكل كما تأكل الأنعام، والانتفاع القليل بالمتاع الدنيوي ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧] والتقلب في البلاد ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران:١٩٦] وفي النهاية ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢] نعوذ بالله من النار.

فائدة: الغيبة من الكبائر

قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢] شبهت حالة اغتياب المسلم من هو أخوه في الإسلام وهو غائب، بحالة أكل لحم أخيه وهو ميت لا يدافع عن نفسه، وشبهت حالة المغتاب بأكل اللحم وحالة الذي اغتيب بالأخ، وشبهت غيبته بالموت، وهذا الأكل للميت مكروه تشمئز النفوس منه.

والغيبة حرام، وعدَّها بعض العلماء من الكبائر، وليس من الغيبة تجريح الشهود ورواة الحديث وما يقال للمستشير في مخالطة أو مصاهرة، بشرط ألا يتجاوز الحد الذي يحصل به وصف الحالة المسؤول عنها، ولا غيبة لفاسق بذكر فسقه دون مجاهرة له به، قال النبي ﷺ لما استأذن عليه رجل: «بئس أخو العشيرة» [البخاري:٦٠٣٢

ومسلم:٢٥٩١] وذلك ليحذر من سمعه وللمصلحة العامة، أما إذا كان للمجاهرة أو الاستشفاء منه فلا يجوز ذلك.

فائدة: طلب صناديق قريش من رسول الله ﷺ ما يثبت صدقه

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] سبب نزول هذه الآية ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المستهزئين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن حنظلة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا الملائكة يشهدون لك، وابعث لنا بعض موتانا فنسألهم أحق ما تقول، وقالوا: لا نؤمن لك حتى يحشر قصي فيخبرنا بصدقك، وقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء:٩٢] والله تعالى يعلم أنهم لا يؤمنون ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] وقد شاء الله أن يسلم بعضهم، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ يدل على أن منهم عقلاء.

فائدة: من صفات أهل الإيمان

للإيمان صفات يعرف بها، منها ما ورد في سورة الأنفال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ○ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال:٢،٣].

ومنها ما ورد في سورة المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ

لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ○ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ○ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٩].

ومنها ما ورد في سورة المعارج، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ○ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ○ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ○ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ○ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ○ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ○ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ○ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٣-٣٤].

ومنها ما ورد في سورة الفرقان، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ○ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ○ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ○ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ○ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ○ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ○ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ○ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ○ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ○ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ○ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا

○ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٤].

فائدة: رد الإسلام بالاستدلال الفاسد

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] وهكذا الكبر يأخذ بأصحابه إلى الإعجاب بالنفس والغرور، فاستدلوا بعدم صلاحية الإسلام بأن الذين آمنوا به ضعفاء الناس في زعمهم، فقالوا هذه المقالة وأمثالها: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] وهكذا الأمم السابقة، فقد قال قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] وقالوا: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وقال فرعون: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

فائدة: ذم المجادلة بغير علم

الذي تكون صفته المجادلة في آيات الله بغير علم يطبع الله على قلبه، فلا يتبع الحق، ولا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، ويبغضه الله تعالى ثم يبغضه الناس ويمقتونه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] ومن صفة هؤلاء أنهم يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون بغير دليل، ولا حجة معهم من الله ولا برهان، متكبرون جبابرة، كما وصفهم الله تعالى بهذه الآية، ومن أمثلتهم ما ذكر في الآية التي بعد الآية السابقة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ○ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

فائدة: سفينة نوح عليه السلام آية وموعظة للعالمين

قال الله تعالى عن سفينة نوح عليه السلام : ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٥] فهي آية لجميع العالمين في عصور جميع الأمم موعظة وحجة، في صحيح البخاري قال قتادة: بقيت بقايا السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة، ويقال: إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية، ثم غمرتها الثلوج، قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٥] كما تناقلت خبرها الأمم، وذكرت في الكتب المنزلة، وقد جاء في الإصحاح الثامن من سفر التكوين من التوراة (واستقر الفلك على جبال أراراط) وهي جبال بلاد الأكراد جنوب أرمينيا.

فائدة: الهجرة لأجل الدين

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ [العنكبوت:٢٦] لوط عليه السلام هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام عمه، وهو الوحيد الذي آمن بإبراهيم عليه السلام عدا زوجته سارة، والمرأة لا تسمى من القوم عند العرب، قال زهير: (أقَوْمٌ آل حصن أم نساء) وقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ وهذه أول هجرة لأجل الدين، وقوله:﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ ولم يقل: إلى البلد الفلاني، لأنها هجرة إلى الله تعالى لطلب مكان لا يعبد فيه غير الله.

فائدة: إنزال القرآن الكريم رحمة من الله على رسوله وعلى عباده

إنزال هذا القرآن المجيد على رسول الله ﷺ رحمة عظيمة من الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى عباده، وما كان محمد ﷺ يخامر نفسه

رجاء أن يبعثه الله بكتاب من عنده، وما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، ولم يفكر يومًا أن يكون نبيًا قبل إنزال هذا الكتاب عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦] وهذا التكريم يتطلب أن لا يكون ظهيرًا للكافرين، وأن لا يصده عن آيات الله أحد، وأن يدعو الله ولا يكون مع المشركين، وأن لا يدعو مع الله إلهًا آخر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

فائدة: لا يفلت أحد من عقاب الله تعالى

في سورة العنكبوت يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت:٢٢] وفي سورة الشورى يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٣١] ويقول: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن:٣٣] ويقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٢٢] كلها تدل على عدم الإفلات من العذاب وعدم النجاة منه، وأن الله تعالى قادر عليهم في الأرض والسماء والسهول والجبال والبدو والحضر، وأنهم يائسون من النجاة منه، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم من دونه من ولي ولا نصير، وأن ما يوعدون به آت، فلا طمع في نجاتهم من الله تعالى مهما ذهبوا.

فائدة: حرمة الفرار من الزحف

إذا التقى المسلمون بالكفار، وقام الجهاد فلا يجوز الفرار،

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:١٥،١٦] ولهذا قال: ﴿زحفًا﴾ أما إذا كان الرجوع عن القتال في غير تلك الحالة، وقبل بدء القتال وبموافقة أمير الجيش للمصلحة، فلا يسمى ذلك تولية أدبار، بل هو رأي ومشورة ومصلحة، والله أعلم.

فائدة: خرافة زواج الجني بالإنسية

ما يعتقده الجاهلون من أنه قد يتزوج الجني بالأنسية أو العكس، مخالف لقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١١] فهو خرافة جاهلية وكذب وخبال لا يصدقه عاقل، فللذكور أزواج من النساء، وللنساء أزواج من الذكور ليحصل الأنس والنسل.

فائدة: الذنوب سبب المصائب

المصائب التي تصيب العباد والبلاد والأفراد والجماعات هي بسبب الذنوب، ويعفو الله عن الكثير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠] وقد دلت الآية الكريمة ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر:١٥-٢٠] على أن الإهانة إنما تسببت من عدم إكرام اليتيم والحض على طعام المسكين، وكذا قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾

[الروم:٤١] وقال الرسول ﷺ: «لا تصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» [الترمذي:٣٢٥٢ وضعف إسناده الألباني] وقوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٢] وقال حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥] وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧] وقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦] وقوله ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» [ابن ماجه:٤٠٢٢ وأحمد:٥/ ٢٧٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره].

وتكون السلامة من المصائب بطاعة الله، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، قال ﷺ: «من يحافظ عليهن عاش بخير ومات بخير» [الترمذي:٣٢٣٣ وصححه الألباني] وقد تصيب الصالحين نكبات لزيادة أجرهم، وقد تصيب المسرفين خيرات استدراجًا لهم، فالله عليم بأحوال عباده وما يصلح لهم، وهو الحكيم في إمهال بعضهم وابتلاء الآخرين.

فائدة: وجوب الإحسان إلى الوالدين

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥] خص زمان بلوغ الأشد، لأنه زمن يكثر فيه الكلف بالسعي للرزق، حيث يكون له

زوجة وأبناء، وتكثر عليه المشاغل وحاجات الزوجة والبيت، فقد ينشغل عن تعهد والديه والإحسان إليهما، فنبه بالإحسان إليهما في هذا الوقت، كما نبه ألا يشغله الدعاء لنفسه وأولاده وزوجته عن الدعاء لوالديه، كما يدعو بصلاح ذريته، وفي هذا إيماء إلى أن المرء يلقى من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما، فدعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة، قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم» [الترمذي:١٩٠٥، وأبو داود:١٥٣٦ وابن ماجه: ٣٨٦٢، وحسنه الألباني] وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم:١٦٣١].

فائدة: الأمر بالعزم على الطاعة وعدم التساهل والانقطاع

قال الله تعالى في سورة الأعراف لموسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:١٤٥] وقال في سورة مريم: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] أي بعزم على العمل وحرص وعدم تأخير ولا تساهل ولا انقطاع، والقوة من صفات الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢] وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» [مسلم: ٢٦٦٤].

فائدة: مثلُ العالم الذي ينسلخ عن علمه

في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ○ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن

﴿تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٥، ١٧٦] روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بأسانيد كثيرة عند الطبري، وعن زيد بن أسلم، وقال به القرطبي وغيره: أن أمية بن أبي الصلت الثقفي كان ممن أراد اتباع دين غير الشرك طالبًا دين الحق، ونظر في التوراة والإنجيل فلم ير النجاة في اليهودية ولا النصرانية، وتزهد وتوخى الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، وأخبر أن الله يبعث نبيًا من العرب فطمع أن يكون هو، ورفض عبادة الأصنام، وحرم الخمر، وذكر في شعره أخبارًا من قصص التوراة، ومن شعره:

كل دين يوم القيامة عند الله
إلا دين الحنيفية زور

فلما بعث محمد ﷺ أسف أن لم يكن هو الرسول، وحسد الرسول ﷺ ورثى المشركين في بدر، وخرج للطائف، وأخلد إلى الأرض واتبع هواه فمات على الكفر، نسأل الله حسن الخاتمة، قال فيه الرسول ﷺ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» [البخاري:٣٨٤١ ومسلم:٢٢٥٥].

فائدة: المراد بالأخ

الأخ يراد به المشارك في النسب، يقال: يا أخا فلان، ويا أخا العرب، ومنه قوله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف:٢١] وقد يراد به الملازم والمصاحب، يقال: أخو الحرب، قال النبي ﷺ لزيد بن حارثة رضي الله عنه «أنت أخونا ومولانا» [البخاري:٢٦٩٩ ومسلم:١٧٨٣] ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٦٠، ١٦١] مع أن لوطًا عليه السلام لم

يكن من نسب قومه أهل سدوم، وإنما أرسل إليهم ودعاهم.

فائدة: الإسلام دين يُسر وسهولة

الدين الإسلامي دين يسر وسهولة، وليس فيه مشقة ولا عنت، ولو أطاع الرسول ﷺ الناس في كثير مما يرغبون، لحصل العنت والمشقة واختلال الأمور والعاقبة السيئة، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات:٧] أما في بعض الأمور مما هو من غير شؤون التشريع كما أطاعهم في نزول الجيش يوم بدر على جهة يستأثرون فيها بماء بدر، فهذا لا عنت فيه، ولهذا أطاعهم، وقوله تعالى: ﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ احتراز عن طاعته إياهم في بعض الأمر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات:٧] كان لبعضهم رغبة في أن يطيعهم الرسول ﷺ فيما يرغبون، ولكن الله لا يأمر رسوله ﷺ إلا بما فيه مصلحة لهم وإن لم يصادف رغبتهم، وعلى المسلم التسليم لأمر الله في كل شيء، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥] أما الذين لا يطيعون الرسول ﷺ ففي نفوسهم شيء من الفسوق والمرض، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ○ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ○ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ○ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٤٨-٥١].

فائدة: وجوب الصلح بين المؤمنين

من الواجب الصلح بين المؤمنين وقتال الباغية من الطائفتين منهم، فإن رجعت إلى الحق فيجب الصلح بينهما بالعدل والقسط، فالله يحب المقسطين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] ثم بين تعالى أن المؤمنين إخوة يجب الصلح بينهم، وفي الحديث الصحيح «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» [البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم:٢٥٦٤ واللفظ له] وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [البخاري:١٣ ومسلم:٤٥] والصلح من أسباب الرحمة، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] فمن رحم إخوانه المؤمنين رحمه الله، والجزاء من جنس العمل.

فائدة: كلُ يبتلى على حسب دينه

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] روى الطبري عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام رضي الله عنهم ممن كانوا يعذبون بمكة [تفسير الطبري:٢٧٦٩٢] وكان النبي ﷺ يدعو لهم الله بالنجاة، يقول: «اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» [البخاري:٨٠٤ ومسلم:٦٧٥].

فائدة: الكفار يعرفون أمور الدنيا ويجهلون أمور الآخرة

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٦،٧] بين سبحانه وتعالى أن أكثر الناس لا يعلمون ولا يدركون الأمور الدقيقة والدلالات، فهم جهال، وكل كافر غير مهتم بأمور الآخرة فهو غير عالم، بل هو غافل، فقصارى تفكيرهم منحصر في ظواهر الحياة الدنيا، وليس عندهم نظر عقلي ولا معرفة لبواطن الأمور، ولا نظر في العواقب، وهذا ذم لحالهم وغفلتهم عن الأهم من الأمور، أما المؤمنون فهم يعلمون في أمور الدنيا والآخرة، ويجعلون الدنيا مطية للآخرة، فليست معرفة الحياة الدنيا مذمومة، إذا اقترن ذلك بمعرفة بواطن الأمور وحقائقها، ومعرفة الآخرة ومآل الإنسان بعد الموت والعمل لأجل ذلك.

فائدة: من كمال قدرة الله تعالى أنه يخرج الحي من الميت

قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم:١٩] ومن ذلك إنشاء الأجنة من النطف، وإنشاء الفراخ من البيض، وإخراج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، مثل إخراج خالد بن الوليد رضي الله عنه من أبيه الوليد بن المغيرة، وإخراج هند بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها من أبيها الكافر، وإخراج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها من أبيها، وإخراج إبراهيم عليه السلام من أبيه، وإخراج ابن نوح من أبيه عليه السلام، وإخراج النبات من الأرض الميتة وغير ذلك، وخلق الأناسي من التراب.

فائدة: الله تعالى يعلم الغيب والشهادة

هناك أمور غيبية، وأمور ظاهرة للعيان، أمور الغيب والشهادة، أمور يبصرها الإنسان، وأمور لا يبصرها، قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الرعد:٩] وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨،٣٩] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد:٨] وقال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠].

وكل هذه يعلمها الله تعالى ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل، يعلم ماتوسوس به النفوس، وما من غائبة في السماوات والأرض إلا يعلمها، فسبحانه وتعالى عما يشركون.

فائدة: شهادة الله كافية وشهادة أولي العلم بأن ما أوحي إلى رسول الله ﷺ حق

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد:٤٣] شهادة الله كافية، وكذا شهادة من عنده علم الكتاب؟ شهادة من لديه علم من التوراة أو الإنجيل أو الكتب السابقة، أمثال ورقة بن نوفل الذي شهد بأن ما أوحي به إلى رسول الله ﷺ هو الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام، كما في حديث بدء الوحي في الصحيح [البخاري:٣ ومسلم:١٦٠] ومثل عبدالله ابن سلام رضي الله عنه الذي آمن بالنبي ﷺ في أول مقدمه إلى المدينة وغيره من علماء بني إسرائيل لا جُهَّالهم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

[الشعراء:١٩٧].

فائدة: بشارة خليل الله إبراهيم باسحاق عليهم السلام

قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود:٧١] البشارة بإسحاق عليه السلام من الملائكة جاءت في سورة الحجر لإبراهيم عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الحجر:٥٣] وجاءت في سورة هود لامرأته، لأن البشارة كانت لهما معًا، فهما بشارتان في وقت واحد بعد أن قدم لهم القرى وحضرت امرأته، أو تكون بشارتان منفصلتان.

فائدة: التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الألسن

قال الله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:٢٢] لا شك أن المتفكر في خلق السماوات والأرض والأجرام والتغيرات كالليل والنهار والبرد والحر وغير ذلك، ليجد في نفسه انبهارًا عظيمًا، ويعلم أن خالقها عظيم، لا يحاط بعلمه سبحانه وتعالى.

كما أن التأمل في اختلاف الألسنة واللغات والأصوات واللهجات مع أن الأصل واحد (وهو آدم عليه السلام) وكذا اختلاف الألوان بين البياض والسواد والحمرة والصفرة، ليبهر العقول، ويدل على آيات رب العالمين، وكذا النوم بالليل والنهار وابتغاء الرزق والبرق ونزول المطر وإحياء الأرض بعد موتها آيات لقوم يعقلون.

وكذا قيام السماوات والأرض على ممر القرون والعصور بهذا الإحكام والإتقان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر:٤١] وقوله: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا

بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥] وسيعتور هذا اختلال إذا أراد الله انقضاء العالم الأرضي وإحضار الخلق إلى المحشر، كما قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥] وكل العقلاء في السماوات والأرض يقنتون لله ويعبدونه ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم:٢٦] وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ○ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ○ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ○ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة:٤-٧].

فائدة: أمرالإنسان أن يذكر الله في جميع الاوقات والأحوال

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] أي اذكر ربك في خلوتك كما تذكره في مجامع الناس باللسان والقلب والسر والجهر والتضرع والتذلل والخفية والخيفة والشدة والرخاء والتخافت ودون الجهر والإعلان والإسرار والغدو والآصال والليل والنهار ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ وفي هذا الذكر استيعاب لجميع الأوقات وجميع الأذكار من قراءة القرآن وتمجيد الله وشكره والتهليل والتسبيح والحوقلة والتكبير والدعاء والصلاة والعبادات وبالقلب واللسان، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» [البخاري:٧٤٠٥، ومسلم:٢٦٧٥].

فائدة: الرحمة الخاصة تحصل لأمة محمد صلى ﷺ وللمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ

ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

هذه الرحمة التي طلبها موسى عليه السلام يوم أخذتهم الرجفة وحينما قال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٥٥] بين الله تعالى أنه سيكتبها لمن اتبع الرسول النبي الأمي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلوات الله وسلامه عليه، وهي رحمة خاصة لأمة محمد ﷺ ممن اتصف بالتقوى وإيتاء الزكاة وآمن بآيات الله واتبع محمدًا ﷺ الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث ويضع الآصار والأغلال، فمن آمن به وعزره ونصره أيده وقواه، وذلك بإظهار ما تضمنته كتب بني إسرائيل من البشارة بصفاته وصفات شريعته، وأعلن ذلك على الناس كما فعل عبدالله بن سلام رضي الله عنه وكل من اتبع النور الذي أنزل معه من القرآن والسنة من الناس عامة ومن بني إسرائيل خاصة، هؤلاء هم المفلحون، ثم قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وهذا نداء لجميع الناس وإعلام لهم بأنه النبي الخاتم، وأنه يجب اتباعه من جميعهم، ومن لم يتبعه في شريعته ويؤمن به فهو كافر، سواء ادعى أنه إسرائيلي، أو من المسيحيين، أو متبع لموسى

عليه السلام أو عيسى عليه السلام أو غيرهما، لأن الرسالات انتهت وختمت بالرسول محمد ﷺ رسول العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال ﷺ: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا كان من أهل النار» [مسلم:١٥٣].

فائدة: من منن الله تعالى على بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠] يمتن الله على بني إسرائيل أنه أرواهم من العطش، ويبين كرامة موسى عليه السلام حيث استسقى، فأمره ربه بأن يضرب الحجر فضربه فانفجرت العيون بعدد أسباطهم اثنتي عشرة عينًا، قد علم كل أناس مشربهم، إذ قالوا لموسى عليه السلام أتصعدنا في موضع ليس فيه ماء فنموت وتموت مواشينا وأولادنا، فدعا موسى عليه السلام ربه فأمره أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه المياه الغزيرة، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ يدل على أن موسى عليه السلام لم يصبه العطش مثلهم، وهكذا الأنبياء، قال النبي محمد ﷺ في حديث الوصال: «إني لست كهيئتكم، يطعمني ربي ويسقيني» [البخاري:١٩٦٤، ومسلم:١١٠٥] وهذا يدل على جواز استسقاء المخصب للمجدب، وهو

من التعاون على البر، ولأن دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة.

قيل: إن العصا هي التي خرج بها موسى عليه السلام من سيناء إلى مصر، وهي التي كانت بيده حين كلمه ربه، وهي التي ألقاها في مجلس فرعون وعند السحرة.

فائدة: لا ينتفع بالآيات إلا أهل العقول السليمة

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد:٤] يدل على أن الآيات ينتفع منها أهل العقول السليمة، وأن من لا يعقل لا تنفعه هذه الآيات، كما أن من لا ينتفع بهذه الآيات ليس عنده عقل سليم. وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣] فمن نسب نفسه إلى التفكير وقال: إن صدور الموجودات عن المادة، ونفى الفاعل المختار، تفكيره قاصر مخلوط بالأوهام، لا دليل عليه من نقل ولا عقل.

فائدة: الله تعالى يمحو من الكتاب ما يشاء ويثبت ما يشاء

قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ۝ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٨،٣٩] لقد جعل الله تعالى آجالًا لكل الأمور، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ [العنكبوت:٥٣] كما أنه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت، ومن مشيئته توبة المذنبين ورضاه عن التائبين وتقليب القلوب.

فائدة: مجادلة الرسل عليهم السلام للمكذبين

قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾

[إبراهيم:١٠] وقال بعدها: ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [إبراهيم:١١] فأتى بلفظة ﴿لهم﴾ لأن هذه المقالة خاصة بالمكذبين من قومهم يقولونها لغيرهم جوابًا عن كلام صدر منهم، أما المقالة الأولى فهي ليست خاصة بالمكذبين، بل تقال لهم ولغيرهم من المكذبين والمصدقين.

فائدة: محبة الله تعالى تستلزم اتباع الرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١] الذي يحب الله يؤثر القرب منه ومناجاته، ويحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه، ويحب رسوله ﷺ ويتبعه، ويحب ما يرضيه، ومن اتبع الرسول ﷺ أحبه الله وغفر له ذنوبه، وليست المحبة ادعاءً يدعيه الإنسان، وإقامة للموالد البدعية والمخالفات الشرعية والطرق الصوفية كما يفعله المخرفون المبتدعة.

فائدة: القرآن كلام الله غير مخلوق

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ○ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ○ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤] فالقرآن منزل غير مخلوق، ونزل به الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام، وسمى الملائكة أرواحًا، لأنهم من عالم الروحانيات، ووصف جبريل عليه السلام بالأمين، ووصف بروح القدس، فهو أمين على الوحي، والوحي أحيانًا يأتي للرسول ﷺ مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه الوحي وقد وعى، وأحيانًا يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه فيعي ما يقول، وهذا الوحي بنزول القرآن، وهناك وحي من قبيل إبلاغ المعنى وهو النفث، كما قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوْعي أن نفسا لن تموت

حتى تستوفي رزقها» [البغوي في شرح السنة: ١٤/ ٣٠٤ وفيه انقطاع بين زبيد اليامي وبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه] وهذا الوحي ليس من القرآن، وقد يكون الوحي عن طريق الرؤيا في النوم، فإن النبي ﷺ لا ينام قلبه، ويكون أيضًا بسماع كلام الله من وراء حجاب، إن القرآن باسمه ووصفه ومعانيه في زبر الأولين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] وليست سوره وآياته مسطورة في زبر الأولين بلفظها.

فائدة: ابتلاء الناس بالخير والشر

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] الله تعالى يختبر الناس ويبلوهم بالخير والشر حتى يعلم علم ظهور المجاهد الصابر من غيره، والمطيع من العاصي، والشجاع من الجبان، وظهور الحديث، والذكر الحسن، والسمعة الطيبة من ضد ذلك، مع أنه سبحانه عالم قبل وقوع البلوى وما سيقع، وعالم بمن يؤمن ومن يكفر، وجعل لكل شيء سببًا، فمن أخذ بأسباب النجاة نجا، ومن أخذ بأسباب الهلاك هلك، ولما قال النبي ﷺ: «إن الله كتب لكل عبد مقعده من الجنة أو من النار» فقالوا: أفلا نتكل على ما كتب لنا؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» [البخاري: ١٣٦٢، ومسلم: ٢٦٤٧] وقرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ○ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾» [الليل: ٥-١٠] والمسلم يؤمن بالقدر خيره وشره، ويعمل الأسباب، قال الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

فائدة: النهي عن إبطال الأعمال

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣] فنهى عن إبطال الأعمال بمثل الردة والريا والمن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤] وقال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ﴾ [الحجرات:١٧] وقال بعض العلماء: قطع العمل المتقرب به إلى الله تعالى هو ترك العمل الصالح بعد الشروع فيه، ومن فضل الله تعالى أن الحسنات يذهبن السيئات، ولم يرد أن السيئات يبطلن الحسنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

فائدة: أُمر لوط عليه السلام بالمشي وراء أهله

قالت الملائكة للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر:٦٥] وقال في سورة هود: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ﴾ [هود:٨١] أُمِرَ عليه السلام أن يجعل أهله قدامه ويكون من خلفهم يتبع أدبارهم أي ظهورهم، وأن لا يلتفت أحد من أهله إلى ديار قومهم، لأن العذاب قد نزل بديارهم، فيكون وراء أهله يخافون الالتفات لأنه يراقبهم، وأن امرأته التفتت فأصابها العذاب.

فائدة: إبطال ما كان عليه المشركون من تعدد الآلهة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١] في هذه الآية إبطال من يتخذ إلهين اثنين: إلهًا للشر وإلهًا للخير، كما كان ساريًا في بلاد فارس، وكما تأثر به

بعض قبائل العرب المجاورة لهم، مثل بني بكر بن وائل وبني تميم، وكانوا يسمون إله الخير إله النور، ويسمون إله الشر إله الظلمة، ثم بين الله تعالى أن جميع النعم من الله، وأنه سبحانه كاشف الضر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

فائدة: تبشير الصديقة مريم بعيسى عليهما السلام

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ○ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦] هذه صفات عيسى ابن مريم عليه السلام:

١- معنى (كلمة منه) أي كلمة خاصة في تكوين الجنين بدون الأسباب المعتادة للنسل، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

٢- اسمه عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو اسم ولقب، والعرب قد تنسب الرجل إلى أمه، كعمرو ابن هند، وهو عمرو بن المنذر ملك العرب، لأن أمه مفخرة عظيمة، وإما للجهل بأبيه ومعرفة أمه، كقول العرب: زياد ابن سمية قبل أن يلحق بأبي سفيان في زمن معاوية رضي الله عنهما، أو يقولون: زياد بن أبيه، إذا كان مجهول النسب، وعيسى عليه السلام نسب لأمه حيث لا أب له.

٣- المسيح: بمعنى الملك عند بني إسرائيل، وكانت كهنة بني إسرائيل يمسحون من يملكونهم بالزيت المعطر.

٤- والوجيه: هو الكريم لدى القوم والسيد المقدم بينهم، قال تعالى

عن موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

٥- ومن المقربين عند الله والصالحين المستقيمين، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

٦- ويكلم الناس في المهد: ما يمهد به الصبي مدة الرضاع، ويوضع فيه لحفظه.

٧- والكهل من دخل عشر الأربعين، وفارق عصر الشباب.

فائدة: تعريف العبادة

قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وقيل في تعريفها: (امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه) وهي سر الخلق للأنس والجن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال بعضهم: (العبادة: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود) وقيل: (العبادة فعل ما يرضي الرب، والرضا بما يفعل الرب) وقال بعضهم: (العبادة تعظيم أمر الله، والشفقة على الخلق) وقيل هي: (فعل ما يرضي الرب من خضوع وامتثال واجتناب) وقيل: (فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لله) وقيل: (أن تعبد الله طمعًا في الثواب وخوفًا من العقاب) وقيل: (أن تعبد الله لأجل أن تتشرف بعبادته والانتساب إليه بقبول تكاليفه) وقيل: (أن تعبد الله لكونه إلهًا خالقًا مستحقًا للعبادة وكونك عبدًا له) ولما قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف تجهد نفسك في العبادة وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال عليه

الصلاة والسلام: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» [البخاري:١١٣٠، ومسلم:٢٨١٩] وعلى المسلم أن يستعين بالله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا يحقق المرء العبادة إلا بإعانة الله سبحانه له عليها، فنسأله سبحانه أن يعيننا على ذكره وعلى شكره وعلى حسن عبادته.

فائدة: منن الله على بني إسرائيل وتمردهم بعد ذلك

من منن الله تعالى على بني إسرائيل ما ذكر في الآية الكريمة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة:٥٧] فقد ظلل الله عليهم بالغمام عند دخولهم سين وهي برية بين إيليم وسيناء، فلما اشتاقوا للخبز واللحم في رحلتهم أنزل الله عليهم المن، وهو مادة صمغية تنزل على بعض الأشجار يشبه الدقيق المبلول وفيه حلاوة، ولونه أصفر، طعمه كالعسل يأكلونه، والسلوى طائر بري لذيذ اللحم، وهو المسمى (السماني) قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:٥٧] ولكنهم لم يشكروا الله وظلموا أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧].

فائدة: لا يعذر الإنسان عن الخطأ بالاجتهاد إذ كانت الأدلة المخالفة لاجتهاده واضحة

لا يعذر الإنسان في الخطأ بالاجتهاد، إذا كانت الأدلة المخالفة لاجتهاده واضحة، ولهذا لما اجتهد هارون عليه السلام، في تركه كسر العجل الذي أخذ بنو إسرائيل في عبادته لما ذهب موسى عليه السلام عنهم، ولما جاء موسى عليه السلام عاقب هارون عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠] وهذا ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد.

فائدة: من سخافات المشركين تعريهم عند الطواف بالبيت

من سخافات المشركين في الجاهلية لزوم التعري عند الطواف بالبيت، فقد أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، تقول من يعيرني تطوافًا تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله
وما بدا منه فلا أحله

[مسلم: ٣٠٢٨]

عن عروة بن الزبير قال: كانت العرب تطوف بالبيت عراةً إلا الحُمْس (قريش) وما ولدت، كانوا يطوفون عراةً إلا أن يعطيهم الحُمْس ثيابًا، فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء، [البخاري: ١٦٦٥، ومسلم: ١٢١٩] وعنه: أنهم كانوا إذا وصلوا إلى منى طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة، وروي أن الحُمْس كانوا يقولون: نحن أهل الحرم فلا ينبغي لأحد من العرب يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا. [تفسير الطبري: ٣٨٤٠-٣٨٤٣] فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوبًا، ولا يجد ما يستأجر به، كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عريانًا، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه فلم يمسه أحد، وكان ذلك الثوب يسمى (اللَّقَى) قال الشاعر:

كفى حزنًا كري عليه كأنه
لَقًى بين أيدي الطائفين حرام

وكان أحدهم يطوف عريانًا ويدع ثيابه وراء المسجد، وإن طاف

وعليه ثيابه ضُرِبَ وانْتُزِعَتْ منه، لأنهم قالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها، كما حرموا اللحم والودك في أيام الموسم: والدسم والأكل إلا من طعام الحُمْس، والشاة ولبنها وسمنها، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، فأبطل الإسلام ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف:٣١].

وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه عام حجته سنة تسع أن ينادي في الموسم: «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» [البخاري:١٦٢٢، مسلم:١٣٤٧] ونزلت الآية الكريمة ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢].

فائدة: في أحوال السابقين عبرة لمن تفكر وتدبر

قول الله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] بعد القصة المبدوءة بقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحجر:٥١] يفيد آيات كثيرة، منها نزول الملائكة في بيت إبراهيم عليه السلام كرامة له، وبشارته بغلام عليم، وإعلام الله إياه بما سيحل بقوم لوط عليه السلام كرامة لإبراهيم عليه السلام، ونصر الله لوطًا عليه السلام بالملائكة، وإنجاء لوط عليه السلام وآله، وإهلاك قومه وامرأته لمناصرتها إياهم، وآية عماية أهل الضلالة عن دلائل الإنابة، وآية غضب الله على المسترسلين في عصيان الرسل. والمتوسمون هم أصحاب التأمل والعلامات والنظر والتفكر والاتعاظ بما يحصل لغيرهم، والخوف من حصوله لهم إذا عصوا، خاصة وأن المشركين يمرون على ديارهم مصبحين وبالليل، وإن قرية لوط

- سدوم - بسبيل مقيم لا يتغير ولا يرتحل.

فائدة: علم الله أتم واشمل

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] عبر بفعل الماضي لخلق الإنسان فقال: (خلقنا) وعبر بفعل المضارع للوسوسة، فقال: ﴿توسوس﴾ لأن تعلق علم الله تعالى بالوسوسة متجدد غير منقض، ولا محدود، ولإثبات عموم علم الله تعالى، وللتحذير عن إضمار مالا يرضي الله تعالى، فإن الله أقرب إلى المرء من ﴿حبل الوريد﴾ وهو الشريان الذي يوصل الدم إلى الأعضاء، وهذا الشريان مع قربه لا يشعر الإنسان به لخفائه، وقرب الله بعلمه من الإنسان أعظم ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ وعلمه أتم، فعلى المرء أن يشعر بذلك حتى يعبد الله كأنه يراه ويحسن عبادته.

فائدة: مدد من الله بالملائكة لنصر عباده

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] وقال في سورة آل عمران: ﴿بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران:١٢٤] وقال أيضًا: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] والظاهر أن قوله تعالى: ﴿بألف﴾ وقوله: ﴿بثلاثة آلاف﴾ مطلق الكثرة، وأنهم مردفون، فيكونون مع المردفين خمسة آلاف من الملائكة، والله أعلم.

فائدة: امتنان الله على بني آدم بأنه خلق لهم من أنفسهم أزواجاً

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ﴾ [النحل:٧٢] وفي هذه الآية يمتن الله تعالى على الناس بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا، فالمرأة

من الإنسان، وخلقت حواء من ضلع آدم عليه السلام، فهي من نوعه، فلو كانت المرأة من غير نوع الإنسان لما حصل الأنسُ ولا السكن، فهي قرينته وهو قرينها، وجعل له من أزواجه بنين وحفدة، والحفدة أبناء البنين، والأسباط أبناء البنات، وغير الإنسان لا يشعر بالحفدة، ولا يشعر بالبنوة إلا الأنثى من الحيوان مدةً قليلةً قريبةً من الإرضاع، والحفدة مسرة للعائلة، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] كما زرق الله الإنسان من الطيبات من المال والأرزاق والمطعومات والمشروبات، وهذه كلها توجب الشكر لله تعالى والكفر بالباطل، قال تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢].

فائدة: الله يمهل ولا يهمل

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] وقال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت:٥٣] وقال: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج:٥] فالله سبحانه وتعالى يقدر لكل شيء قدرًا وزمنًا، ويمهل ولا يهمل، فهو يؤخر العذاب للإمهال، لعلهم أو بعضهم يؤمنون، ولأنه لا تستفزه معصيتهم، فهو حليم حكيم، وهم في قبضته لا يفلتون عنه، كما أن العذاب في انتظارهم في جهنم يكفيهم ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٥] ثم قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:٥٧] فما دام أن الموت سيأتي لكل نفس من نفوس الخلق، فسواء أخر العذاب أو قدم، فالرجوع إلى الله تعالى حتم وأكيد.

فائدة: من رحمة الله على بني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١] جعل الله التناسل للإنسان بالتزاوج من جنسه للتأنس، وجعل بين الزوجين سكونًا ومودةً ورحمةً، فهما قبل الزواج لا يتعارفان، وبعده متحابان متوادان، وكانا بدون عاطفة بينهما فأصبحا متراحمين، وفي هذا آيات لقوم يتفكرون، وهذا من منة الله على الإنسان الذي خصه بهذا الفضل والكرم العظيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠].

فائدة: المبادرة إلى الإيمان من سمات أهل العزم والهمة

قول الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ○ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣] المقصود المبادرة إلى الإيمان والإسلام، وهو كناية عن قوة الإيمان، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ﴾ [البقرة:٤١].

فائدة: صراع الخير والشر

الخير والشر يتصارعان في الحياة الدنيا، وقد خلق الله الملائكة وهم للخير، وخلق الشياطين للشر، وفي الإنسان الخير والشر، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ [الأنبياء:٨١] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ﴾ [الرعد:١٧] وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩،١٠].

فائدة: دعوة الرسل واحدة

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥] لم يكن الرسول ﷺ في شك حتى يسأل، كما أن سؤاله الرسل متعذر لموتهم، وإنما المعنى استقر شرائع الرسل وأخبارهم وكتبهم هل جعل الله آلهة دونه تعبد، وتثبت من ذلك، واستفت قلبك فالله تعالى لا يرضى أن يعبد غيره، وهو الخالق الرازق.

فائدة: فضل ليلة القدر وبركتها

الليلة التي نزل فيها القرآن ليلة مباركة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣] فرق الله فيها بين الحق والباطل، وبين فيها أمره الحكيم، ورحم الله الخلق بإنزال خير كتبه فيها، وهي خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم، وهي سلام، فالملائكة تسلم فيها على الناس، والأقرب أنها إحدى ليالي العشر الأواخر الأفراد من رمضان، لقوله ﷺ: «اطلبوها في العشر الأواخر من رمضان، في ثالثة تبقى، في خامسة تبقى، في سابعة تبقى، في تاسعة تبقى» [البخاري:٢٠٢١، ومسلم:١١٦٧، وأحمد:٥/٣١٣] قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ○ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٣،٤] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ○ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ○ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ○ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ○ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:١-٥] فالموفق من وفق لقيامها، وقبل الله منه، اللهم وفقنا لذلك.

فائدة: عجب ذنب الإنسان لا يفنى

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق:٤] ورد أن «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب» [البخاري:٤٨١٤، ٤٩٣٥، ومسلم:٢٩٥٥، واللفظ له] وأن نسبة الأجساد المعادة كنسبة النخلة من النواة، ولهذا عبر بـ ﴿تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ دون التعبير بالإعدام، لأن للأجساد درجات من الاضمحلال تدخل تحت حقيقة النقص، فقد يفنى بعض أجزاء الجسد ويبقى بعضه، وحيت إن عجب الذنب لا يفنى كان فناء الأجساد نقصًا لا انعدامًا. والله تعالى يعلم ما تنقص الأرض منهم وعنده كتاب حفيظ، فالملائكة تسجل فيها الناس حين وفياتهم ومواضع أجسادهم ومقار أرواحهم وكلامهم ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٧، ١٨] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء:١٣، ١٤].

فائدة: محراب مريم

قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ**﴾ [آل عمران:٣٧] المحراب هو بناء يتخذ للخلوة فيه للعبادة والصلاة، يكون عاليًا يرتقى إليه بسلم أو درج، وكلما دخل زكريا عليه السلام الكافل لمريم وجد عندها رزقًا، يجد فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ﴾ [آل عمران:٣٨] فبشر بيحيى عليه السلام: ﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩] فهو كلمة

الله، لأنه خلق بمجرد أمر التكوين الإلهي (كن) والسيد: الذي فاق قومه في المحامد والخصال، فقدموه على أنفسهم بالرئاسة الدينية والاحترام والحلم والتقى والشرف والعلم، والحصور: الذي لا يقرب النساء فهو بعيد عن الشهوات المحرمة بأصل خلقته، والنبي: الذي أوحي إليه بالشرع، وقد وفق للصلاح، قال تعالى ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩] وليس الحصور صفة كمال بالنسبة للناس عامة، فقد كان رسولنا محمد ﷺ يتزوج النساء وهو أفضل الخلق، ولكن ذلك بالنسبة ليحيى عليه السلام صفة مدح، لما تستلزمه هذه الصفة من البعد عن الشهوات بأصل خلقته، وكذا تبرأة له مما يلصقه أهل البهتان من التهم، وإعلام لزكريا عليه السلام بأن الله وهبه ولدًا إجابةً لدعوته، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٥،٦] كما أنه تعالى قد أتم مراده من انقطاع عقب زكريا عليه السلام لحكمة علمها، وذلك إظهار لكرامة زكريا عليه السلام عند ربه. والله أعلم.

فائدة: الفرق بين التكفير والغفران

قال الله تعالى في سورة آل عمران عن أولي الألباب أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران:١٩٣] ما هو الفرق بين الذنوب والسيئات، وبين الغفران والتكفير. قال المفسرون: إن الغفر والتكفير متقاربان في المادة المشتقين منها، إلا أنه شاع الغفر والغفران في العفو عن الذنب، والتكفير في تعويض الذنب بعوض، فكأن العوض كفر الذنب أي ستره، ومنه سميت كفارة إفطار رمضان، وكفارة الحنث في اليمين، إلا أنهم أرادوا

بالذنوب ما كان قاصرًا على ذواتهم، ولذلك طلبوا مغفرته، وأرادوا بالسيئات ما كان فيه حق الناس، فلذلك سألوا تكفيرها عنهم، وقيل: هو مجرد تأكيد، وقيل: أرادوا من الذنوب الكبائر، ومن السيئات الصغائر، لأن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر، بناءً على أن الذنب أدل على الأثم من السيئة.

فائدة: من صفات الإنسان المذمومة

من صفات الإنسان قلة الصبر، واليأس والقنوط إذا مسه الشر، والضجر وعدم تذكر النعم، ولا التحمل للنقم، وعدم الانتظار للفرج، والحزن والانكسار، والتشاؤم، وقلة الشكر لله، والطمع وعدم الاكتفاء بالقليل، وعدم القناعة باليسير، والسآمة والملل، وطلب المزيد من المال والخير، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ○ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ [فصلت:٤٩،٥٠] وقال الرسول ﷺ: «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لأحب لهما ثالثا، ولو أن له ثلاثة لأحب لها رابعًا، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب» [البخاري:٦٤٣٦-٦٤٣٩، ومسلم:١٠٤٨-١٠٥٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨] وهذه صفة عامة للإنسان إلا من رحم الله، أما الكافر فيشك في وقوع الساعة ويقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت:٥٠].

ومن صفات الإنسان الطغيان عند النعمة والتكبر، ونسيان شكر الله ودعائه، والانشغال بلذات الحياة الدنيا، وهو عند النقمة والضراء لا يصبر، ويجزع ويكثر من الدعاء الذي نسيه وقت الرخاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو

دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

فائدة: الكبر والعناد يمنعان من قول الحق

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] أي عظم وشق عليهم قبول الحق لكبرهم وعنادهم، ولهذا قالوا: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨] وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وقالوا: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ○ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ○ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ○ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

فائدة: مهما أسرفتم فإن الله رحيم بكم

الله سبحانه وتعالى رحيم لطيف رؤوف بعباده مهما أسرفوا، ولهذا يقول سبحانه وتعالى في سورة الزخرف: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ○ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ○ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزخرف: ٥-٧] فوصف هذه الأمة بأنها مسرفة، ومع ذلك لم يعرض عنهم صفحًا في

إنزال هذا الذكر، كما أنه أرسل إلى الأمم السابقة مع أنهم يستهزؤون برسلهم، وهم أشد بطشًا من أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:٨].

فائدة: لا مساواة بين الرجل والمرأة

الذين يزعمون مساواة الرجل للمرأة، ويطالبون بذلك، يخالفون قول الله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ○ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٨،١٩] فالبنت تجعل لها الحلية منذ نشأتها، وتشق أذنها لتلبس الأقراط، وهي ضعيفة أمام المشاكل والمصائب، كما أنها عند المنازعة والمحاجة والمجادلة لا تقدر على الإبانة، ولا تنتصر لنفسها بقوة الحجة، وربما تقول شيئًا على نفسها، كما أنها لا تقدر على الحرب والدفاع باليد لضعفها الحسي والمعنوي، وخورها وجبنها وضعفها، فهي ناقصة عقل ودين.

فائدة: من المظاهر الدنيوية التي يتفاخر بها أصحابها

العظمة والسيادة والجاه والمال مظاهر دنيوية يتفاخر بها أهل الدنيا، أما أهل الآخرة فميزاتهم التقوى والإيمان والعلم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:١٣] والقريتان مكة والطائف، والرجل العظيم في نظرهم مثل الوليد بن المغيرة المخزومي من مكة، وحبيب بن عمر الثقفي من الطائف، وهو قول ابن عباس، وقيل: عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة ابن عبد ياليل من الطائف، وهو قول مجاهد، وقال قتادة: عنوا الوليد ابن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، وهذا

الميزان عندهم، وعند من سبقهم من بني إسرائيل إذ قالوا عن طالوت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة:٢٤٧] فالرفعة بالإيمان والعلم، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

فائدة: سوء أدب فرعون وقومه مع نبي الله موسى عليه السلام

يخاطب آل فرعون (القبط) موسى عليه السلام بقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٩] وهذا خطاب لا أدب فيه، فهم يدعون موسى عليه السلام بأنه ساحر، ويقولون: (ربك) وهو سبحانه رب الجميع، وقد نقضوا هذا العهد بأنهم مهتدون، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف:٥٠].

فائدة: نظرة الكفار مادية في كل زمان ومكان

النظرة المادية هي نظرة الكفار في كل زمان ومكان، ولهذا قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف:٥٣] وقال الكفار من قوم محمد ﷺ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣].

فائدة: من فوائد صلح الحديبية

سمى الله تعالى صلح الحديبية فتحًا مبينًا، فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] وهذا هو قول الجمهور في تفسيرها، فعن الزهري قال: (لقد كان يوم الحديبية أعظم الفتوح، ذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع صلح مشى الناس بعضهم في بعض، أي تفرقوا في البلاد، فدخل بعضهم أرض بعض من أجل الأمن بينهم، وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف) [تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١] وروى البيهقي عن عروة بن الزبير قال: (أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية راجعًا، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: والله ما هذا بفتح، صُددنا عن البيت وصُدَّ هدينا، فبلغ ذلك رسول الله فقال: «بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتوح، لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد كرهوا منكم ما كرهوا، ولقد أظفركم الله عليهم، وردكم سالمين غانمين مأجورين، فهذا أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم، أنسيتم يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]» فقال المسلمون صدق الله ورسوله ﷺ، وهو أعظم الفتوح والله يارسول الله، ما فكرنا فيما ذكرت، ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا. [دلائل النبوة للبيهقي:٤/ ١٦٠،١٦١ في الكلام على سورة الفتح]

ومن فوائد هذا الصلح غفران ذنب الرسول ﷺ ما تقدم وما

تأخر، وإتمام نعمته عليه، ونصره، وزيادة هدايته إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ○ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٢، ٣] وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين لرضاهم بالصلح، واطمئنان نفوسهم إليه، وزيادة إيمانهم بسبب هذه السكينة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] وذهاب خواطر الشيطان عنهم وثباتهم وعزمهم وإيمانهم بالنصر الموعود ورسوخ يقينهم وتأليف قلوبهم مع اختلاف قبائلهم ومجازاتهم بالجنة وتكفير السيئات ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥] قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ○ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] فلقد صاروا أخوة متحابين بعدما كانوا في الجاهلية متفرقين متباغضين.

ومن فوائد الصلح تعذيب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] كان المنافقون لم يخرج منهم أحد إلى فتح مكة، ولا إلى عمرة القضية، لأنهم لا يحبون أن يراهم المشركون متلبسين بأعمال المسلمين، فهم يظهرون كفرهم لهم، ويظهرون الإسلام عند المسلمين، وكانوا يظنون بالله ظن السوء، وأن المسلمين سيغلبون ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ كما قال تعالى:

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ [التوبة: ٩٨].

ومن فوائدها غضب الله على المنافقين ولعنهم وعذابه الأليم في جهنم وبئس المصير، وهو غضب زائد وعذاب أكثر ولعنة أعظم بسبب مواقفهم المشينة من المسلمين، كما أن إدخال المؤمنين الجنة إدخال خاص، وهو إدخالهم منازل المجاهدين، وهو غير الإدخال الذي استحقوه بالإيمان وصالح الأعمال في قوله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح: ٥].

فائدة: الآداب الإسلامية في سورة الحجرات

كم في سورة الحجرات من الآداب الإسلامية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ [الحجرات: ٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

فائدة: تحديد طوال المفصل وقصار المفصل

طوال المفصل أولها سورة ق، وقيل: سورة الحجرات، والراجح أنه ق. أواسط المفصل أوله سورة عبس، وقيل: الطارق، والراجح أنه عبس. قصار المفصل أوله سورة الضحى، وقيل: الزلزلة، والراجح أنه الضحى، ويستحب قراءة بعضها في بعض الصلوات.

فائدة: أمر الله تعالى بالتفكر في خلق السموات والأرض

التفكر من أعظم العبادات، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ○ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٦،٧] أمر الله تعالى بالتفكر في خلق السماوات التي فوقهم قريبة، لا يكلفهم النظر فيها إلا رفع رؤوسهم، فقد جعلها جميلة المنظر وزينها بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦] كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣] وأمر بالنظر والتفكر في الأرض وما فيها من الجبال الراسيات والنبات ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧] فسبحان من جعل الجبال داخلة مع الأرض، فلو كانت موضوعة وضعًا لتزلزلت وسقطت وأهلكت ما حولها، وسبحان من جعل لكل شيء زوجين اثنين، كما قال ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه:٥٣] وكذا النبات أزواج، والإنسان والحيوان وجميع الأجزاء من هواء وماء وسالب وموجب ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] أن الله واحد.

فائدة: مصالح كثيرة في مشروعية تعدد الزوجات

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم

﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء:٣] شرع الله تعدد النساء لمصالح كثيرة منها:

١- تكثير عدد الأمة الإسلامية بزيادة مواليدها.

٢- كفالة النساء والإنفاق عليهن.

٣- أن عدد النساء في الأمة أكثر من عدد الرجال خاصة في آخر الزمان لما ورد في الحديث الصحيح «حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد». [البخاري: ٨١، ٥٢٣١، ومسلم: ٢٦٧١].

٤- ما يعرض على الرجال من أسباب الهلاك في الحروب وغيرها.

٥- النساء أطول أعمارًا من الرجال.

٦- تحريم الزنا ناسب التوسع في التعدد.

٧- قصد الابتعاد عن الطلاق إلا لضرورة.

فائدة: اعتراف علماء أهل الكتاب بأن القرآن حق

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ○ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ○ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩] فهم في سجودهم لله تعالى يجمعون بين تعظيم الله تعالى ومشاهدة آياته، ويجمعون بين الفعل الدال على الخضوع والقول الدال على التنزيه والتعظيم، كقوله تعالى: ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [السجدة:١٥] ويزيدهم القرآن خشوعًا لله على خشوعهم.

فائدة: سمي القرآن فرقاناً لتفريقه بين الحق والباطل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣] هذه الآية تذكير لبني إسرائيل على نعمة الله عليهم بإيتائهم

الشريعة التي بها صلاح أمورهم ومجدهم وعزهم وشرفهم، والتي صاروا بها أهل الكتاب، وأهل العلم والشريعة، والفرقان الذي به يتميز الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء:٤٨] وسمي القرآن الكريم فرقانًا، لأنه يفرق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران:٣،٤] .

فائدة: التوحيد يقوي العقل والفسق والخرافة والبدع تضعفه

كلما زاد الفسق والفجور والخرافة والبدع، ضعف العقل والرأي والفكر، قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف:٥٤] فلفسقهم استخف عقولهم، وأنت ترى أن أهل التوحيد والعقيدة الصحيحة أكبر الناس عقولًا، ولو كانوا أميين، وترى من يحملون الشهادات العالية من الخرافيين ضعيفي العقول يصدقون بالخرافات والبدع والمتنبئين، ويسيرون وراء الأوهام والأحلام.

فائدة: الجن خلق من خلق الله تعالى مكلف بإحكام الدين

الجن خلق من خلق الله، لهم إدراك، وعليهم تكاليف ويحاسبون، ويدخل الكافر منهم النار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ الآيات [الأحقاف:٢٩-٣٢] يؤخذ منها أن الله تعالى سخر وصرف بعض الجن للإيمان بالرسول ﷺ، وأن هؤلاء المؤمنين من الجن خير من المشركين المعاندين، وأنهم يعرفون اللغة العربية، وقد فهموا ما قرأ عليهم الرسول ﷺ من القرآن، وهذه معجزة للرسول

ﷺ، وفيها أدب الاستماع والإنصات من الجن، ونصيحة بعضهم لبعض بالإنصات، وأنهم لم يغادروا المكان حتى قضى الرسول ﷺ من قراءته ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ وأنهم دعاة حق وإنذار لقومهم وأن لهم قومًا ذهبوا إليهم، وهم من بني جنسهم، وأنهم يعرفون موسى عليه السلام ويعرفون التوراة ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] أما الكتب الأخرى كزبور داود وإنجيل عيسى عليهما السلام وغيرهما فهي مكملة للتوراة ومبينة لها، وأن هؤلاء أسلموا ودعوا قومهم ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] وأن للجن إدراكًا للمعاني، وأنهم مكلفون، في الصحيح عن ابن مسعود (افتقدنا النبي ﷺ ذات ليلة وهو بمكة، فقلنا ما فُعل به اغتيل أو استطير؟! فبتنا بشر ليلة، حتى إذا أصبحنا إذا نحن به من قبل حراء، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن» [مسلم: ٤٥٠، والترمذي: ٣٢٥٨] قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠] وقال: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وقال: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وقد اختلف في دخولهم الجنة، فقال أبو حنيفة: ثوابهم أن يجاروا من النار، وقال مالك والشافعي وابن أبي ليلى والضحاك: كما يجازون على الإساءة يجازون على الإحسان فيدخلون الجنة.

فائدة: شُبه المشركين في رد الحق واحدة

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا

وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٤٨] قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ يشكل عليه أن الذين كفروا بما أوتي موسى عليه السلام هم قوم فرعون وليسوا مشركي العرب، فيقال: إن هذا من إلزام المماثل بفعل مثيله، لأن الإشراك لدى الفراعنة والعرب يجمع بينهما، فأصول تفكير المشركين واحدة، والفروع تتبع الأصول، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ○ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢،٥٣] فهم متماثلون في سبب الكفر والطغيان والإشراك، كأنما أوصى بعضهم بعضًا بذلك ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٦٧] .

فائدة: طاعة الله وطاعة رسوله صلى ﷺ مطلقة في كل الأمور

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ مطلقة في كل أمر، ولهذا أعيدت ﴿أطيعوا﴾ أما طاعة ولي الأمر فتكون بغير معصية الله، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حق على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا) وإذا حصل تنازع فيجب الرد إلى الله وإلى الرسول ﷺ. والرد إلى الله أي إلى كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٦١] أما الرد إلى الرسول ﷺ فهو الرجوع إلى أقواله وأفعاله والاحتذاء بسنته، أخرج أبو داود رحمه الله عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «أيحسب أحدكم وهو متكأ على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئًا إلا ما في هذا القرآن؟! ألا وإني والله قد وعظت وأمرت

ونهيت عن أشياء، إنها لمثل القرآن أو أكثر» [أبو داود: ٣٠٥٠ وحسنه الألباني في الصحيحة: ٨٨٢].

فائدة: تفاوت الناس في الحياة الدنيا

أفراد الإنسان متفاوتة، فيصل بعضهم إلى درجات عالية، وينحط البعض إلى أقل من الحيوانات ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] ألا ترى أن رسول الله ﷺ - وهو من الناس - أفضل الخلق أجمعين، بينما بعضهم في أسفل سافلين، إن فطرة الإنسان وخلقه يجعله قابلًا للزيادة والتجدد في الكمال والارتقاء، لما عنده من العقل والصفات، قال البحتري:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتًا
لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

وحديث رسول الله ﷺ «إنما الناس كإبل مائة لا يجد الرجال فيها راحلة» [الترمذي: ٢٨٧٢، وابن ماجة: ٣٩٩٠، وأحمد: ١٠٩/٢، وصححه الألباني] وقال أحد الصحابة وهو يجاهد في سبيل الله:

واحد منا كألف
إن مضينا صابرين

ولهذا كلف الإنسان بتكاليف تجعله يرتقي إلى الكمال، وكلف بعمارة الأرض، وسوف يرجع إلى الله فيجازى بحسب عمله، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ○ وَمَن

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧،٨].

فائدة: اللغة العربية تجمع المعاني وتوجز العبارة

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت:٤٤] وهذا تعنت منهم حيث يقولون: هلا نزل هذا القرآن بلغة العجم مثل الكتب السابقة، ولو أن الله تعالى جعل القرآن أعجميًّا لقالوا لولا فصلت لنا آياته بالعربية التي نفهمها، فقوم الرسول ﷺ العرب، أما أمته فهم الناس كلهم، والمخاطب بالقرآن جميع الأمم، وكان ﷺ بين أظهر العرب، فنزل بالعربية، وهي اللغة التي تجمع المعاني، وتوجز العبارة، ويسهل جريانها على الألسنة، ويسهل حفظها، ولها جمال في الإيقاع ومترادفات للألفاظ، وتنوع في الأساليب، وبيان وفصاحة، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ○ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ○ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

فائدة: القلب أفضل الأعضاء

في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] تقديم القلوب ثم السمع ثم البصر يدل على أن أفضل فائدته لصاحبه القلب ثم السمع ثم البصر، لأن القلب به تدرك الأمور، والسمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهو وسيلة بلوغ الحق على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع.

فائدة: يضرب الله الأمثال بما شاء صغر أو حقر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] لما نزلت الآيات التي ضرب الله بها المثل في

العنكبوت والذباب، قال اليهود: إن هذا القرآن من سخيف الكلام ينزه عنه كلام الله، وكذا قال بعض المشركين لإلقاء الشك في قلوب المؤمنين، وتنفير الناس عن الإسلام، روى الواحدي في أسباب النزول (رقم ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ [الحج:٧٣] وقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ [العنكبوت:٤١] قال المشركون: أرأيتم أي شيء يصنع بهذا؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٦] وروي عن الحسن وقتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا: ما يشبه أن يكون هذا كلام الله، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ الآية [أسباب النزول للواحدي رقم:٢٩].

فائدة: الصلاة مما يعين العبد على تحمل المصائب والمشاق

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥] الذي يعين الإنسان على الأخلاق والأوامر واجتناب النواهي، ويسهل لهم الأعمال الصالحات أمران: الصبر والصلاة، والذي يعين على الصلاة وشدتها وكبرها وتكررها الخشوع لله تعالى، فهي كبيرة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ وتسهل الصلاة إذا أقامها المسلم بالمساجد، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [القرة:٤٣] أما إقامة الصلاة في البيوت فإن الشيطان يتسلط على بني آدم ويلهيه عن إقامتها بخشوعها، وينسيه الكثير منها، والصبر

يكون عند الصدمة الأولى، كما ورد بالحديث الصحيح: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [البخاري:١٢٥٢، ومسلم:٩٢٦] فهذا هو الصبر الكامل والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر، والإمامة بالدين تكون بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف:١٣٧] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] والصلاة صبر وشكر، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وذكر الله أكبر، وكان الرسول ﷺ إذا نابه أمر فزع إلى الصلاة، فالعبد إذا استشعر أنه واقف بين يدي الله تعالى خشع وحصل على الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ○ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١، ٢] ومن أصلح صلاته صلحت جميع أعماله، وأول ما يحاسب به المرء الصلاة، فإذا صلحت أجريت جميع أعمالها عليها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ومن أراد الخير فليصلح صلاته بإقامتها بخشوعها وأركانها وواجباتها وسننها، وإقامتها بالمساجد للرجال، والعهد في دين الإسلام الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» [النسائي:٤٦٣ وابن ماجة:١٠٧٩ وصححه الألباني] فهي الصلة بين العبد وربه، ولما ذكر الله تعالى نوره في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] أعقبه بقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ○ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ الآية [النور:٣٦، ٣٧].

فائدة: معاذير المتخلفين عن رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا

وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الفتح:١١] الأعراب من غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم بعد أن بايعوا الرسول ﷺ على الخروج معه، تثاقلوا عن الخروج، وكان من أهل البيعة زيد بن خالد الجهني، وخرج مائة رجل من أسلم منهم مرداس ابن مالك الأسلمي والد عباس الشاعر، وعبدالله بن أبي أوفى، وزاهر بن الأسود، وأُهبان بن أوس، وسلمة بن الأكوع الأسلمي، ومن غفار خُفاف بن أيماء، ومن مزينة عائذ بن عمرو، وتخلف معظمهم حيث لم يتمكن الإيمان في قلوبهم، وأعدوا المعاذير للرسول ﷺ، ولكن القرآن فضحهم قبل أن يعتذروا - وهذه من معجزات القرآن - وبين كذبهم وظنهم السيء بأن أهل مكة غالبون، وأنه لا ينقلب الرسول ﷺ إلى المدينة، وقالوا: (يذهب إلى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة (في غزوة الأحزاب) وقتلوا أصحابه فيقاتلهم) وذلك من ضعف يقينهم، وقد استغفر لهم الرسول ﷺ، ولكن الله تعالى علمهم أن استغفار الرسول ﷺ لهم لا يكره الله على المغفرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح:١١] ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أقام شهر ذي الحجة سنة ست وأيامًا من محرم سنة سبع، ثم خرج إلى خيبر للغزو، فطلب المخلفون من الأعراب أن يخرجوا معه فمنعهم، لأن الله تعالى جعل غزوة خيبر غنيمة لأهل بيعة الرضوان إذ وعدهم بفتح قريب، وذلك تعويضًا لهم عن عدم دخول مكة، وسبب منع الرسول ﷺ امتثالًا لأمر الله تعالى، ولعدم تبديل كلام الله ووحيه، ولأجل أن لا يشاركوا في الغنائم وهم

لم يخرجوا معه إلى الحديبية، فقال المخلفون: بل تحسدوننا، لأنهم لا يفقهون إلا قليلًا، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥] ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقول: ﴿لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح:١٦] قيل: المراد بقوم أولي بأس شديد هوازن وثقيف، وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة، وقيل: بنو حنيفة المرتدون في اليمامة، قاله الزهري ومقاتل ورافع بن خديج، وعن ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني والحسن: هم فارس والروم، ثم بين مآلهم إن تولوا، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٦].

فائدة: البشارة بالفتوحات والمغانم

قول الله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح:٢١] أي مغانم أخرى، وقد أشارت هذه الآيات وما قبلها إلى ثلاثة أنواع من المغانم: نوع موعود لهم قريب الحصول، وهي مغانم خيبر، ونوع مرجو كثير غير معين وقت حصوله، ومنها مغانم يوم حنين وما بعده من الغزوات، ونوع هو مغانم عظيمة لا يخطر ببالهم نوالها قد أعدها الله للمسلمين، ولعلها مغانم بلاد الروم وبلاد فارس وبلاد البربر، وهذا النوع من المغانم أخبر الله تعالى أنهم لا يقدرون عليه، وأنه سيأتي فلا يناله جميع المخاطبين، لأنه لم يأت في ذكره بضميرهم، وهو الذي تأوله عمر

رضي الله عنه في عدم قسمة سواد العراق، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر:١٠] وقد حصل المسلمون بعد الفتوح العظيمة على مغانم لا تخطر بالبال، وحصلوا على سوار كسرى ومُلك قيصر، وفتحوا الأمصار والأقطار.

فائدة: سنة الله في نصر أوليائه

الله سبحانه وتعالى كف أيدي الكفار في مكة عن قتال المسلمين نعمة منه لاستبقاء قوتهم وعدتهم ونشاطهم، لا لدفع غلبة المشركين، فالغلبة والنصر للمسلمين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الفتح:٢٢] وهذه سنة الله سابقًا ولاحقًا بنصر المؤمنين حسب إيمانهم وتقواهم والضرورة، ففي حالة الخطر يكون النصر تامًا، وفي حالة السعة يكون سجالًا، ويكون على حسب تمسك المؤمنين بالدين، قال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١].

فائدة: أعداء الأنبياء من الإنس والجن

كل نبي يرسله الله لابد أن يصادمه أعداء من الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، وكذلك كل داعية إلى الله يمتحن بذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٢] وشياطين الإنس أعظم أذًى، وقد قدموا هنا على شياطين الجن، وهذا الزخرف بالقول يجذب من لا يؤمن بالآخرة ومن هو في شك، فتصغي إليه أفئدتهم ﴿وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١١٣].

فائدة: التماس العذر من شيم الكرام

قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩] إما تأدبًا من يوسف عليه السلام والتماسًا لهم العذر بكونهم جاهلين حين فعلهم المشين به وبأخيه إذ ألقوه في الجب، واتهموه وأخاه بالسرقة، أو أن عرف من كلامهم صلاح حالهم بعد الجهل.

فائدة: طاعة الوالدين في غير معصية الله

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت:٨] نزلت هذه الآية في سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه حين أسلم، قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك صبأت، فوالله لا يُظلني سقف بيت، وإن الطعام والشراب عليَّ حرام حتى تكفر بمحمد ﷺ، وبقيت كذلك ثلاثة أيام، فشكا سعد رضي الله عنه ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فأمره رسول الله ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان ولا يطيعها بالكفر بمحمد ﷺ.

وروي أنه لمَّا أسلم عياش بن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه، وهاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ، خرج أبو جهل وأخوه الحارث - وكانا أخوي عياش لأمه - فنزلا بعياش رضي الله عنه وقالا له: إن محمدًا ﷺ يأمر ببر الوالدين وقد تركت أمك، وأقسمتْ أن لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتًا حتى تراك، وهي أشد حبًا لك منها لنا، فاخرج معنا. فاستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه:

هما يخادعانك، فلم يزالا به حتى عصى نصيحة عمر رضي الله عنه وخرج معهما، فلما انتهوا إلى البيداء، قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت فاحملني معك، قال عياش رضي الله عنه: نعم، ونزل ليوطىء لنفسه ولأبي جهل فأخذاه وشداه وثاقًا وذهبا به إلى أمه، فقالت له: لا تزال بعذاب حتى ترجع عن دين محمد ﷺ وأوثقته عندها.

فالمؤمن إذا أطاع الله وترك ما كان غاليًا عليه احتسابًا للأجر - كما فعل سعد بن أبي وقاص وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهما من عصيان أمهما - أدخله الله في الصالحين جزاء له عن وحشة فرقة والديه بالأنس بالصالحين. «إنك لن تدع شيئًا اتقاء لله تبارك وتعالى إلا أتاك الله خيرًا منه» [أحمد: ٥/ ٧٨-٧٩ وصحح إسناده محقق المسند] ولهذا جاءت الآية في سورة العنكبوت بعد الآية السابقة رقم ٨ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

فائدة: صفات المؤمنين برسالة محمد ﷺ من أهل الكتاب

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠] قال الضحاك وجابر بن زيد: إن من هؤلاء فريقًا أسلموا بمكة ولم يصبروا على الأذى فارتدوا.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] هؤلاء هم الذين آمنوا من أهل الكتاب بالرسول ﷺ مثل ورقة بن نوفل وصهيب الرومي وعبدالله بن سلام ورفاعة بن رفاعة القرظي ونصارى الحبشة والذين بعثهم النجاشي لاستعلام أمر النبي

ﷺ، فقد بان لهم الحق فآمنوا، رضي الله عنهم ورحمهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص:٥٣] وهؤلاء لهم أجرهم مرتين، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص:٥٤] وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» [البخاري:٩٧-٣٠١١، ومسلم:١٥٤] وقد وصف الله هؤلاء المؤمنين برسالة نبيهم ورسالة محمد ﷺ بسبع صفات:

١- يؤتون أجرهم مرتين.

٢- بما صبروا.

٣- ويدرؤون بالحسنة السيئة.

٤- ومما رزقناهم ينفقون.

٥- وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه.

٦- وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم.

٧- لا نبتغي الجاهلين

فائدة: الله يختار للرسالة والهداية من يشاء

الله سبحانه يختار للرسالة والهداية ما يشاء، وما كان للبشر حق الاختيار، قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [القصص:٦٨] وقد ظن المشركون بمكة أن العبرة بالعظمة الدنيوية والجاه والمال، فقالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ

ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] يقصدون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة ابن مسعود الثقفي من الطائف، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص:٦٩].

فائدة: الجدال المذموم

الجدال بالباطل والكذب والافتراء من الأمور التي تضر الإنسان، وربما وصلت به إلى الكفر، ومن ذلك استهزاء أبي جهل والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف، حيث قالوا للمسلمين: لا نُبعث ولا أنتم، وإن بُعثنا حملنا خطاياكم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ○ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢، ١٣].

فائدة: بيان بما جاء به عيسى عليه السلام

قوله تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف:٦٣] ولم يقل: كل الذي تختلفون فيه، قيل: إن المصلحة لم تتعلق ببيان كل ما اختلفوا فيه، بل يقتصر على البعض، ثم يكمل بيان الباقي على لسان رسول يأتي من بعده، وهو محمد ﷺ، يبين جميع ما يحتاجه الخلق من البيان، ودينه مهيمن على جميع الأديان، كامل كل الكمال.

فائدة: عاقبة الإنفاق للصد عن سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ [الأنفال:٣٦] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:١] نزلت في المطعمين الناس يوم بدر ليثبتوا معهم ويكثروا حولهم، قيل: كانوا اثني عشر رجلًا: أبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأُبي بن خلف، وأمية بن خلف، ونبيه بن الحجاج، ومنبه بن الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والحارث ابن هشام، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر، وحكيم بن حزام، وهذا الأخير أسلم، وعدَّ آخرون منهم صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، ومقيسًا الجمحي، والعباس بن عبد المطلب، وأبا سفيان بن حرب، والأخيران أسلما، وفي بعضهم خلاف في إسلامهم فيما بعد، وهم: صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، ومقيس الجمحي، وقد أبطل الله تعالى أعمالهم التي تبدو حسنات وأضلها، وخيب أملهم وسعيهم، فانهزموا في يوم بدر، وذهب إطعامهم هدرًا باطلًا فاسدًا، وكيدهم قبيحًا، وتوالت عليهم الهزائم، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: من فوائد القتال في سبيل الله تعالى

من فوائد القتال في سبيل الله أن الله لا يضل صاحبه، وأنه يهديه، ويصلح باله، ويدخله الجنة ويعرفها له في الدنيا ببيان مكانتها وما فيها، وفي الآخرة بريحها العبق، وأن الله ينصره ويثبته، ويضاعف له الحسنات، ويكفر عنه السيئات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ○ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ○ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا

لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] كما أن الله قادر على أن يهلك الكافرين، ولكنه يبتلي بعض خلقه ببعض ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

فائدة: الإنصاف والاعتراف بفضل أهل الفضل

القسط والعدل والإنصاف، والاعتراف بفضل أهل الفضل، والثناء عليهم مطلوب شرعًا، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران:٧٥] وقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] أي يحكمون بالعدل والقسط على علم وبصيرة، ويبثون الفضائل، ولا يجورون في الأحكام، وقد جاءت هذه الآية بعد آية ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٨] لئلا يتوهم أن ذلك قد عمله قوم موسى عليه السلام كلهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠] قال بعض المفسرين: إن المراد بهؤلاء الذين آمنوا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، مثل عبدالله بن سلام رضي الله عنه ومن كان بانتظار خروج محمد ﷺ، فلما بعث آمن به وصدقه، واتبع النور الذي أنزل معه، وأقام الصلاة التي هي شعار الإسلام، حتى سُمي أهل الإسلام (أهل القبلة).

فائدة: كل الناس من آدم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] الناس كلهم خلقوا من نفس واحدة، وهي: آدم عليه السلام، كما أنهم من ذكر وأنثى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣] والزوجة سكن للرجل، فإذا حملت منه مرت بأول الحمل الخفيف الذي لا تعب فيه، ثم أثقلت فصار حملها فيه آلام، وفي مدة الحمل ينتظر الوالدان المولود، ويدعوان الله أن يجعله صالحًا، فإذا أتاهما صالحًا لم يشكرا الله تعالى على هذه النعمة، وجعلا له شركاء فيما آتاهما، ونسبا الفضل لغيره، وكفرا بالنعمة، إما بأن يجعلاه سادنًا لبيوت الأصنام، أو ينسبانه إلى الصنم فيسميانه عبدالعزى أو عبد مناة، وهذا ما يفعله كفار العرب، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] فالأصنام لا تنصر من يدعوها، ولو دعوها لم تسمع ولم تستجب، وليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا آذان تسمع بها، ولا تنصر نفسها إذا اعتدي عليها.

فائدة: أهل بيعة الرضوان وعددهم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] هذه البيعة التي بايعها المسلمون النبي ﷺ يوم الحديبية تحت شجرة السمرة، وكانوا ألفًا وأربعمائة، وقيل: أكثر، وأول من بايع أبو سنان الأسدي، ونزلت في حقهم الآية الكريمة:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] وكان سببها أن الرسول ﷺ أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة ليفاوضهم في شأن التخلية بين المسلمين والاعتمار بالبيت، فأُرجف بأن عثمان رضي الله عنه قتل، فعزم النبي ﷺ على قتالهم، ودعا من معه إلى البيعة على أن لا يرجعوا حتى يناجزوا القوم، ولم يتخلف أحد ممن خرج إلا عثمان رضي الله عنه، إذ كان غائبًا في مكة للتفاوض، فوضع النبي ﷺ يده اليمنى على يده اليسرى، وقال: «هذه يد عثمان» [البخاري:٣٦٩٩] ثم جاء عثمان رضي الله عنه فبايع، إلا الجد بن قيس السلمي، ولم يكن منافقًا، وإنما كان ضعيف العزم، وقال النبي ﷺ لهم: «أنتم خير أهل الأرض» [البخاري:٤١٥٤، ومسلم:١٨٥٦] فعلى الروافض ما يستحقون حيث يسبون هؤلاء الصحابة الذين رضي الله عنهم.

فائدة: امتنان الله على عباده أن كف عنهم أيدي المشركين

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٤] عبر بـ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ وذلك بأن نبهكم إليهم قبل أن يفاجئوكم، وكف أيديكم عنهم حين أمر الرسول ﷺ بأن يعفو عنهم، ولم يقل: نصركم عليهم، لأنه لم يحصل قتال، وبطن مكة: الحديبية، وهي أسفل مكة، وتسمى اليوم (الشميسي).

فائدة: تأييس المخاطبين من إجابة المدعوين

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف:١٩٣] في هذا تأييس المخاطبين

من استجابة المدعوين، وهذه الآية تشابه قول الله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور:١٦] وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١] وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦].

فائدة: أجمع آية لمكارم الأخلاق

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] قال جعفر بن محمد: في هذه الآية أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

نعم لقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق كلها، لأن فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفوًا عن اعتداء، وهذا يدخل في قوله: ﴿خذ العفو﴾ أو أمرًا بالمعروف، وهذا يدخل في قوله: ﴿وأمر بالعرف﴾ أو إعفاءً عن الجاهل، وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ ثم أمر الله تعالى بدفع وسوسة الشياطين، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٠٠] ثم بيَّن تعالى أن المتقين: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] وأن شياطين الجن والإنس يمد بعضهم بعضًا بالغي، فقال: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢] فلا يألون جهدًا في الإضلال، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

فائدة: ذلة المتكبرين عند الله في الدنيا والآخرة

المتكبر يناله صغار واحتقار وذلة عند الله في الدنيا والآخرة،

قال تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقد ورد أن المتكبرين يكونون كالذر تطؤهم الناس بأقدامهم يوم القيامة، وقد حصلت الذلة والصغار على المتكبرين من صناديد قريش وملأهم ومجرميهم يوم بدر ويوم أحد فهلكوا، وفي الآخرة بإهانتهم بين أهل الحشر، وكل متكبر مآله إلى الصغار والذلة والاحتقار في الدنيا والآخرة.

فائدة: الخصام بالباطل

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ○ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٧،٥٨] قيل: إن سبب نزولها أنه لما نزلت الآية: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] قال عبدالله بن الزبعرى قبل إسلامه للنبي ﷺ: (أخاصة لنا ولألهتنا أم لجميع الأمم؟) فقال النبي ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم» قال: (خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي، وقد عبدته النصارى، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه) [تفسير الطبري رقم:٢٤٨٣٦ وأسباب النزول للواحدي رقم:٦١٦ والطبراني في الكبير:١٥٣/١٢] ففرح بكلامه من حضر من المشركين، وضج أهل مكة بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١] ونزلت هذه الآية، ثم وصفهم الله بقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨] أي يحبون الخصام فيما لا يعتقدونه، والتمويه على العامة، واللجاج مع ظهور الحق.

فائدة: قوم تبع

قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان:٣٧] قوم تبع: هم حمير سكان اليمن وحضرموت من حميرو سبأ، منهم ما يضرب به الأمثال في القوة والمنعة، وكان تبع يسير بغزواته إلى كل مكان تطلع عليه الشمس ويتبعها، وقيل: تتبعه الملوك وتخضع له، واسمه أسعد أبو كرب، غزا بلاد العرب، ودخل مكة ويثرب والعراق، وبنى مدينة الحيرة، وكانت دولة تبع في سنة ألف قبل البعثة المحمدية، وقيل: في حدود السبعمائة قبل بعثة النبي ﷺ، وقد أهلك الله قومه، قال ﷺ: «لا تسبوا تبعًا فإنه كان قد أسلم» [الطبراني في الكبير:١١/٢٩٦ وأحمد:٥/٣٤٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره] وفي رواية «كان مؤمنًا» على دين إبراهيم عليه السلام، ونجا من الهلاك، ولهذا علق الله تعالى الإهلاك بقوم ولم يعلقه به، فقال: ﴿قوم تبع﴾ وقال عن قومه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

فائدة: تزويج المؤمنين في الجنة

قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠] أي قرن الله كل رجل بنساء من الحور العين، وليس معناه: التزويج، إذ ليسفي الجنة عقود نكاح، وإنما أنسهم بصحبة هؤلاء الحور، ولهذا أتى بالباء ﴿بحور﴾ ولم يقل: (زوجناهم حورًا عينًا) فهذه متعدية بنفسها.

فائدة: وجوب غض البصر وحفظ الفرج

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:٣٠] قال تعالى: ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ ولم يقل: (يغضوا أبصارهم) ومن للتبعيض، لأن المنهي التحديق بالنظر،

أما النظرة الأولى فقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الثانية» [أحمد:٣٥١،٣/٥ والترمذي:٢٧٧٧ وأبو داود:٢١٤٩ وحسنه الألباني] وغض البصر فيه زكاة وطهارة وسبب لزيادة الإيمان وجُنة من ارتكاب الذنوب، فالنظر المحرم سهم من سهام إبليس، وهو بريد الزنا. وقد أمر الرجال والنساء بغض البصر، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠] وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١].

فائدة: قصة قارون مثل " ضربة الله للطاغين بأموالهم "

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦] هذا مثل ضربه الله لأمثال المشركين الطاغين بأموالهم وجاههم بحال قارون مع موسى عليه السلام، روى الواحدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أن الملأ من قريش وسادتهم منهم عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والمطعم بن عدي والحارث بن نوفل قالوا: (أيريد محمد أن نكون تبعًا لهؤلاء، يعنون: خبابًا وبلالًا وعمارًا وصهيبًا، فلو طرد محمد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم له في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام٥٢][الواحدي في أسباب النزول رقم ٤٣٤م] وأمثال هذا في القرآن كثير، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾ [سبأ:٣٥] وقال: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ [المزمل:١١] وقال: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ○ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس:٥،٦] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ

نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

فائدة: الإسراع إلى نصرة دين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤] قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في تفسيره على الجلالين: من فوائدها أن أهل الباطل يسرعون إلى نيل غرضهم، وإذا كان أهل الباطل يسرعون إلى نيل غرضهم، فينبغي أن يكون أهل الحق أسرع منهم، لأن أهل الحق منصورون وأهل الباطل مخذولون.

وتفيد الآية أن هؤلاء القوم ينتصرون لأصنامهم ومعبوداتهم، مع أنها باطلة، فينبغي أن يكون أهل الحق الذين ينتصرون لله عز وجل أشد منهم انتصارًا لدين الله سبحانه وتعالى، وإذا نظرت إلى واقع المسلمين اليوم وجدت أنهم متفرقون، فكل عالم لا يأوي إلى عالم ولا يشاوره ولا يأخذ برأيه، بل إنه مع الأسف ربما يضاده في رأي، مع علمه بأنه على حق، وفيه شبه من اليهود الذين حسدوا العرب على ما أعطاهم الله عز وجل من النبوة العظيمة التي جعلها فيهم، فإن اليهود كانوا يستفتحون على الذين كفروا، ويأملون النصر عليهم باتباع محمد ﷺ، فلما جاء محمد ﷺ كفروا به، لأنهم يظنون أنه يأتي من بني إسرائيل وأتى من العرب، وهم يظنون هذا تمنيًا، وإلا فهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم.

فائدة: أقسام اليهود والنصارى بعد نزول القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ

﴿ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد:٣٦].

اليهود والنصارى انقسموا بعد نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ إلى قسمين:

قسم آمن به وفرح بما أنزل عليه، ولم تظهر عليهم العصبية ولا الحسد، أمثال عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وبعض نصارى نجران وبعض نصارى اليمن ممن أسلموا - رضي الله عنهم - وصار لهم فرح بهذا الدين، وأوتوا أجرهم ضعفين، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣] وكذا ورقة بن نوفل الذي بلغه شيء من القرآن أيام مقام النبي ﷺ بمكة وهو كبير السن، فقال قولته المشهورة: (ياليتني فيها جذع) [البخاري:٣، ومسلم:١٦٠].

وقسم حسد الرسول ﷺ وحسد العرب، فأنكر وتكبر وتحزب وتصلب، وأنكر ما جاء في القرآن من عبودية عيسى عليه السلام بالنسبة للنصارى، ونبوته بالنسبة لليهود.

فائدة: القرآن نزل بلسان العرب

جميع الكتب السماوية تنزل بلسان الأمة التي أرسل إليها رسولها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] والقرآن نزل بلسان العرب، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥] وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [مريم:٩٧] وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف:١٢] وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان:٥٨].

فائدة: آيات البعث والجزاء

آيات الدلالة على البعث والجزاء الواقع بعده في سورة الأحقاف كثيرة، في أول السورة: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ [الأحقاف:١-٣] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣] وقوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ [الأحقاف:١٧] وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [الأحقاف:٣٤] وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فائدة: العبد المنيب هو الذي ينتفع بالمواعظ والأمثال

قال الله تعالى في سورة ق: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٨] بعد ذكر بناء السموات وتزيينها، ومد الأرض وإلقاء الرواسي فيها، وإنبات الزروع والثمار، وخص الله تعالى التبصرة والذكرى للعبد المنيب، مع أنها تذكرة لجميع الخلق، لأن العبد المنيب هو الذي ينتفع بذلك، فكأنه هو المقصود في حكمة تلك الأفعال، وفي هذا تشريف للمؤمنين وتعريض بإهمال الكافرين، وقوله: ﴿لكل عبد﴾ أي أن هذه التذكرة والذكرى لجميع العباد على تفاوت الانتفاع بها، إذ لا يخلو المسلم من التبصر والتذكر بتلك الأفعال على درجات متفاوتة بينهم.

فائدة: العبد المنيب هو الذي يستحق الهداية من الله تعالى

الذي يستحق الهداية هو من ينيب ويرجع إلى الله، قال تعالى: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧] والذي يطلب الهداية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] والذي يجاهد لطلب الهداية ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] والمحسنون ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] والذي لا يتكبر، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦].

فائدة: المولود يولد على الفطرة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قالوا: نعم لكفروا، في هذه الآية دليل على أن الإيمان بالإله الواحد مستقر في الفطرة، لو خُلِّيت، وتجردت من الشبهات، قال ﷺ: «يولد المولود على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [البخاري:١٣٨٥، ومسلم:٢٦٥٨].

فائدة: الأنبياء كلهم من العواصم ومن الذكور دون الإناث

قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف:١٠٠] يذكر يوسف عليه السلام إحسان الله إليه من إخراجه من السجن، ومن مجيء أبويه وأخوته من البدو إليه في مصر، ويشير إلى مصائبه السابقة من الإلقاء في الجب، ومشاهدة مكر إخوته به، وينيط ذلك بنزغات الشيطان، وفي الآية دليل على أن انتقال البادية إلى المدينة ارتقاء في الحضارة وتقدم، وأن سكنى

المدن أفضل من سكنى البراري، وأن الحضارة أفضل من البداوة، والأنبياء كلهم من أهل القرى ومن الذكور دون الإناث، ومن سكن من البدو المدن والقرى صار حضريًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف:١٠٩] وقول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [يوسف:١٠١] مع أنه غير ملك، وإنما أوتي شيئًا من الملك، وهو التصرف العظيم الشبيه بتصرف الملك، إذ كان يوسف عليه السلام هو الذي يسير الملك برأيه، وأعطاه بعض الملك، ولأن الملك مجموع تصرفات في أمر الرعية، وكان ليوسف عليه السلام الحظ الأوفر من ذلك.

فائدة: أمثلة ضربها الله في ثبات الحق وبقائه واضمحلال الباطل وفنائه

قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد:١٧] شبه إنزال القرآن بإنزال الماء من السحاب، فالقرآن ينتفع به الناس، والماء تنتفع به الأرض، وشبه ورود القرآن على الأسماع بالسيل يمر على مختلف الجهات، فيأخذ منه كل بحسبه، وتلك السيول تحمل الزبد الذي لا ينتفع منه، فمن انتفع بالقرآن كالأرض الخصبة التي نفعها المطر، ومن لم ينتفع به كالأرض السبخة، والقلوب بعضها كبير يسع العلم الكبير، وبعضها صغير كالأودية كبيرها وصغيرها، فالماء مثل الحق، والزبد مثل الباطل الذي يذهب جفاء، وكذا الذهب الذي يوقد على النار يخرج منه حلية يتزين بها وتباع، وزبد لا نفع فيه، قال ﷺ «مثل ما بعثني الله به من

الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» [البخاري:٧٩].

فائدة: الأمر بالصبر على أذى المشركين

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤] وقال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ [الجاثية:١٠] أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقول للمؤمنين: لا تؤاخذوا الكافرين الذين لا يرجون أيام الله، فالنار موعدهم، وهي كافية لعقابهم، وهم لا يستحقون الالتفات والانتباه والاهتمام، قال القرطبي والسدي: نزلت الآية الكريمة: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:١٤] في ناس من أصحاب الرسول ﷺ من أهل مكة، أصابهم أذى شديد من المشركين، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأمرهم الله بالتجاوز عن ذلك، لمصلحة في استبقاء الهدوء بمكة للمصالح الكثيرة. وقيل: إنها نزلت في رجل من المشركين شتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهمَّ أن يبطش به، وقال تعالى في مثل ذلك: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما في هذه الآية، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون

عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى [البخاري:٤٥٦٦]. ومثلها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥].

فائدة: كل الناس بنو آدم وأكرمهم أتقاهم له

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] روى أبو داود في كتابه المراسيل عن الزهري قال: أمر رسول الله ﷺ بني بياضة - من الأنصار - أن يزوجوا أبا هند (مولى بني بياضة. قيل: اسمه: يسار) امرأةً منهم، فقالوا: يارسول الله نزوج بناتنا موالينا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] [المراسيل:٢٣٠] فالخلقة واحدة سواء، والتفاضل يكون بالفضائل والتقوى، والناس كلهم من آدم وحواء، وآدم من تراب، قال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب:

مهلًا بني عمنا مهلًا موالينا

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣] وخطب رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: «ياأيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى» [أحمد:٥/٤١١ وصححه محققو المسند] وقال: «إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها

بالآباء، الناس تقي أو فاجر، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب» [الترمذي: ٣٢٧٠، وأبو داود: ٥١١٦، وأحمد: ٢/ ٣٦١، ٥٢٤ وصححه الألباني].

فائدة: صفات أولي الألباب

بين الله تعالى صفات أولي الألباب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ○ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ○ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ○ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

وعهد الله على بني آدم بينه سبحانه بقوله: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ○ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس: ٦٠، ٦١] وقال: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠] ومن صفاتهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل من القرابة والرحم، ومن صفاتهم خشية الله وتعظيمه والخوف من سوء الحساب، ويصبرون ابتغاء وجه ربهم ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله سرًا وعلانيةً، ويتبعون السيئة بفعل الحسنات، قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» [الترمذي: ١٩٨٧ وأحمد: ٥/ ١٥٣، ١٥٨ وحسنه الألباني].

فائدة: من آيات الله الدالة على توحيده خلق السموات والأرض

لقد خلق الله السموات والأرض بالحق، ولم يخلقهما عبثًا، وأمر بالتفكر في خلقهما، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ○ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

[الدخان: ٣٨، ٣٩] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ○ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الروم: ٨] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ○ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ○ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فائدة: آل لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٦١] وهم قد جاؤوا إلى لوط عليه السلام نفسه وليس لآله، عبر بذلك، لأنهم نزلوا في منزله بين أهله فجاؤوا آله، وتولى لوط عليه السلام تلقيهم، كما هو شأن كبير القوم.

فائدة: الاستخلاف سنة الله في الأرض

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] فكل أهل زمان ورثوا الأرض من أسلافهم، فالأمم الحاضرة ورثوا من الأمم الماضية، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ

خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف:٦٩] وقال: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وقال: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ [الأعراف:١٠١] فأكثر أهل تلك القرى ينكثون العهد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢] فقد أهلك الله ثمود وسكنها بعدهم بلي، وكعب، والضجاغم، وبهراء، وأهلك أهل مدين وسكنت ديارهم جهينة وغيرهم، وكل أمة خلفت أمة قبلها، وهذه سنة الله في خلقه، تقوى أمم وتضعف أخرى، ولكن البشرى والعاقبة للمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

فائدة: وعظ لوط عليه السلام لقومه وما دار بينه وبينهم

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ○ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ [العنكبوت:٢٨،٢٩] قوم لوط ارتكبوا ما لم يسبقهم أحد من العالمين، فأتوا الذكران، وقطعوا السبيل، وذلك بالتصدي للمارة بأخذ أموالهم وقتلهم، أو إكراههم على الفاحشة، كما كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم علنًا، وفي إعلان الفاحشة دعوة إليها وتنبه لها وتعلق القلوب بها وإظهارها، فالمنكر إذا ظهر سهل ارتكابه على الأخرين، بل وعلى أصحابه، فلم يحصل الستر فتشيع بين الناس، ويحصل في ناديهم المنكرات العلنية والتغازل ورمي الحصا اقتراعًا بينهم على من يرمونه، ففسدت طبائعهم، وساءت أخلاقهم، وطلبوا من لوط عليه السلام أن يأتيهم

بالعذاب إن كان من الصادقين ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

فائدة: القرآن الكريم أعظم المعجزات

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] معجزة القرآن أعظم من المعجزات التي حصلت للرسل للأمور الآتية:

١- أنه ﴿يتلى عليهم﴾ فهذه التلاوة مستمرة في جميع الأزمان والأمكنة، أما معجزات الرسل فهي معجزات زائلة ومؤقتة.

٢- أنه ﴿يتلى عليهم﴾ والتلاوة تدرك بالعقل والفكر، وهو أعلى من المدركات الحسية.

٣- أنه ﴿لرحمة﴾ وقد نكرت رحمة للتعظيم الذي لا يمكن تقدير قدرها من إقامة الشريعة وصلاح الناس والعلم والأدب.

٤- أنه ﴿وذكرى﴾ للحياة الآخرة والحياة الدنيا، وفيه من الإنذار والوعد والوعيد، أما المعجزات الأخرى فهي صامتة.

٥- أن إدراكه مستطاع لكل عربي أو حاذق للعربية بخلاف نفثات السحر وطلاسمه وتخيلاته وأوهامه.

فائدة: فساد طبيعة بني إسرائيل واستبدالهم الأدنى بالذي هو خير

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٦١] يبين الله تعالى عدم شكر بني إسرائيل على النعم

التي أنعم الله بها عليهم من المن والسلوى والأطعمة اللذيذة، واختيارهم (لفساد طبيعتهم) الأدنى على ما هو خير منه، فالاختيار دليل على العقل من عدمه، وفي طلبهم جفاء وقلة أدب مع موسى عليه السلام وعدم صبر، ولما كان طلبهم مشينا قال الله تعالى لهم: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ [البقرة:٦١] ووكلهم إلى أنفسهم يسعون لتحصيل الرزق، وهذا كاف لتوبيخهم وتأديبهم، ولما حصل من بني إسرائيل عامة الامتناع عن دخول القرية التي كتب الله لهم، جبنًا وخورًا، وقالوا لنبيهم: لن نصبر على طعام واحد، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقتلوا الأنبياء بغير حق، وكفروا بالله ورسله، ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله، وفقدوا الشجاعة والقوة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١].

فائدة: اصناف الناس يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦].

الناس أربعة أصناف:

١- كافر مات على كفره، فهو مخلد في النار بالإجماع.

٢- ومؤمن محسن لم يذنب قط، ومات على ذلك فهو في الجنة بالإجماع.

٣- وتائب، وهذا عند أهل السنة والجماعة في الجنة، لاحق بالمؤمن المحسن.

٤- ومسلم مذنب مات قبل توبته، فهذا عند أهل السنة والجماعة

تحت المشيئة، إن شاء الله تاب عليه، وإن شاء عذبه بذنبه، وهذا هو الصحيح.

وقالت المرجئة: هو في الجنة بإيمانه ولا تضره سيئاته، وقالت المعتزلة: إذا كان صاحب كبيرة فهو في النار.

وقالت الخوارج: هو في النار مخلد فيها، ولا إيمان له.

فائدة: عجز المشركين عن الإتيان بمثل هذا القرآن

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] الإشارة بـ ﴿ذلك﴾ للبعد ومن البعد، عجز المشركين عن الإتيان بمثله، قال الشاعر خُفاف بن نَدْبة:

أقول له والرمح يأطر مَتْنَه
تأمل خُفافًا إنني أنا ذلك

فالإشارة بـ ﴿ذلك﴾ لإظهار رفعة القرآن وأنه بعيد المنزلة.

وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا يرتاب في صحته، فلا اضطراب فيه ولا اختلاف، ولا يشتمل على كلام يوجب الريبة في أنه من عند رب العالمين الحق المبين، وليس فيه كلام ينافي الحقيقة والفضيلة، ولا يأمر بشر ولا فساد، ولا يصرف عن الأخلاق والآداب.

فائدة: كفر الإنسان وقد مر بأطوار

قال الله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] كان الإنسان ميتًا لا روح فيه يوم كان ترابًا أو نطفةً أو مضغةً، ولما نفخ فيه الروح صار حيًا، ثم مات ثم يحيٰى الحياة الأبدية، ويرجع إلى ربه، والله تعالى يعجب من كفر الإنسان وهو قد مر على هذه الأطوار، ويعجب من كفره

بربه وهو الذي خلق له ما في الأرض جميعًا، ويعجب من كفره وقد أخذ عليه الميثاق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فائدة: عاقبة كفران نعم الله والبغي والاختلاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ○ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٦، ١٧] هذه أمور مَنَّ الله تعالى بها على بني إسرائيل قبل عصيانهم وقتلهم الأنبياء واختلافهم:

الكتاب: وهو التوراة.

والحكم: الفهم في الدين، والسيادة حيث جعلهم ملوكًا.

والنبوة: جعل منهم الأنبياء.

ورزقناهم من الطيبات: من ثمرات الأرض والأطعمة والنبات والفواكه والزخارف وبلاد الشام الطيبة.

وفضلناهم على العالمين: بأن جمع الله لهم بين الدين والحكم وحسن العيش، فقد فضلوا على العالمين في زمانهم.

وأتيناهم بينات من الأمر: أي حججًا ظاهرةً وعلمًا وهدًى.

وقد آل أمرهم إلى الاختلاف والاضمحلال وذهاب الملك ونسخ الشريعة واللعن والطرد من رحمة الله بسبب العصيان وقتل الأنبياء والبغي والظلم، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:٩٣].

فائدة: من منة الله تعالى على الناس أن سخر لهم ما في السموات والأرض

من نعمة الله تعالى وفضله على الناس أن سخر لهم ما في السموات والأرض، فسخر لهم الشمس والقمر دائبين، كما قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم:٣٣] كما سخر لهم الفلك، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الجاثية:١٢] وذلك بما ينفعهم، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة:١٦٤] كما سخر لهم الأنهار، فخلقها على كيفية تقتضي انتقال الماء من مكان إلى مكان، وتستقر في المنخفضات فيستقي منها من تمر عليه، ولتسير عليها السفن، ويشرب الناس منها، وينزلون على ضفافها، ويسقون زروعهم، ويأكلون منها لحمًا طريًا ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم:٣٣] فجعل الليل ساكنًا والنهار للمعاش ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤] فالحمد لله على نعمه التي لا نحصيها.

فائدة: لا دين لمن لا يؤمن برسول الله محمد ﷺ ويتبعه

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢] تدل هذه الآية على أن الذي لم يؤمن بمحمد ﷺ نبيًا رسولًا، ولم يتبع الحق الذي جاء به - وهو القرآن والسنة - أنه كافر، وأن عمله باطل، قد أضل الله عمله، مهما عمل من الصالحات، وأنه لا مولى له ولا نصير ولا معين، فالكفر ملة واحدة، والشرك كفر، والنفاق كفر، والنصارى كفار، واليهود كذلك، ورسولنا محمد ﷺ أرسل للعالمين، ومن لم يؤمن به ولم يتبعه

فهو كافر، فلا يجوز التقريب بين الأديان كما يقولون، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢] قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

وقد سأل عدي بن حاتم رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن أعمال كان يتحنث بها في الجاهلية من عتاقة وكرم ضيافة وغيرهما، فقال له رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما سلف من خير» [البخاري:٥٩٩٢، ومسلم:١٢٣] أي لو لم يسلم لما كان له فيها خير، فمن لم يؤمن بالرسول محمد ﷺ لا ينتفع من أعماله الصالحة في الآخرة، وسيحبطها الله، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩].

فائدة: أول كلمة خاطب بها موسى عليه السلام فرعون

فرعون عَلَم جنس لملك مصر في القديم من الأقباط، وكسرى لملك من ملوك الفرس القدماء، وقيصر لملك من ملوك الروم، ونمرود يقال لملك من ملوك كنعان، والنجاشي لملك الحبش، وتُبَّع لملوك اليمن في القديم، وخان لملوك الأتراك، وهذه لا يستنكرها الملوك، وإنما يفتخرون بها، ولهذا خاطب موسى عليه السلام فرعون بقوله: ﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١٠٤] مع أن الله تعالى أمره أن يقول هو وأخوه هارون عليهما السلام لفرعون قولًا لينًا، فهو خطاب إكرام وتقدير، وخطاب ملك وسلطان، وهي أول كلمة خاطب بها موسى عليه السلام فرعون، كما دلت عليه سورة طه وسورة الأعراف.

فائدة: الرزق بيد الله يعطيه من يشاء

الرزق بيد الله، فهو يرزق من توكل عليه وعمل الأسباب، كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٦٠] فهذه السوائم الوحشية والدواب الكثيرة التي تسير في الأرض لا تحمل رزقها، الله يرزقها كما يرزقكم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء:٣١].

فائدة: من جهالة المشركين طلب الآيات الحسية من رسول الله ﷺ

من جهالة المشركين أنهم يطلبون من الرسول ﷺ أن يأتهم بآية ويقولون: ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾ [الأنعام:١٠٩] قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ [الأعراف:٢٠٣] أي هلا اخترت آية، وسألت ربك أن يعطيكها؟! ولكن الله تعالى يأمر نبيه بأن يقول لهم: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣] ففي هذا الوحي من الله بصائر وآيات وهدى ورحمة لمن تدبره واستمع إليه وأنصت، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

فائدة: مدة غيبة يوسف عليه السلام عن أبيه

وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف عليه السلام حال انفصال العير من مصر، وهذا إلهام من الله تعالى له فقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف:٩٤] وكانت مدة غيبة يوسف عليه السلام عن أبيه اثنتين وعشرين سنة، ولما جاء البشير ومعه قميص يوسف عليه السلام الذي ألقاه على وجه يعقوب عليه السلام ارتد

يعقوب عليه السلام بصيرًا، والإلقاء على الوجه من وصايا يوسف عليه السلام للبشير، حيث إن أباهم ضعيف البصر وكبير السن مبيضة عيناه من الحزن، وهذه كرامة ليعقوب ويوسف عليهما السلام.

فائدة: السبع المثاني هي الفاتحة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] قيل: السبع المثاني هي الفاتحة، كما صح عن رسول الله ﷺ من حديث أبي سعيد بن المعلى وأُبي بن كعب وأبي هريرة رضي الله عنهم، قال رسول الله ﷺ: «إن أم القرآن هي السبع المثاني» [البخاري:٤٤٧٤، والترمذي:٢٨٧٥] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السبع المثاني: السور السبع الطوال، أولها البقرة وآخرها براءة، والأول أظهر.

فائدة: من دعى إلى ضلالة كان له من الوزر مثل أوزار من تبعه

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥] وقال ﷺ: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص من آثامهم شيئًا» [مسلم:٢٦٧٤ وأبو داود:٤٦٠٩] فمن تسبب في الضلال صار هو والمضلل سواء في الجريمة، وهذا الضلال والتضليل لا يكون بعلم، نسأل الله العافية.

فائدة: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس

الله سبحانه وتعالى يطلب من الناس الإيمان والتقوى، ولا يسألهم أموالهم كلها لينفقوها، لأنه لو سألهم جميع أموالهم بخلوا وأظهروا العصيان، قال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا

يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ○ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦، ٣٧].

ثم بين سبحانه أنه دعاهم إلى الإنفاق في سبيله، وأنه الغني وهم الفقراء، وأن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه، فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد: ٣٨] وأنهم إن تولوا يستبدل قومًا غيرهم، ثم لا يكونوا أمثالهم، روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] قالوا: ومن يُستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم قال: «هذا وقومه، هذا وقومه» [الترمذي: ٣٢٦٠ وصححه الألباني] وفيه: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطًا بالثريا، لتناوله رجال من فارس» [الترمذي: ٣٢٦١ وصححه الألباني].

وذكر بعض العلماء أن الفرس إذا آمنوا لا يرتدون، فلم يرتد منهم أحد، وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتد بعض قبائل العرب، وارتد البربر بعد فتح بلادهم وإيمانهم ثنتي عشرة مرة، ولم يرتد أهل فارس بعد إيمانهم، وهذا من دلائل نبوة محمد ﷺ.

فائدة: كل ميسر لما خلق له

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] في هذا دليل على أن كل شيء من الموجودات مشوق إلى الإيفاء بما خلق له، فالنار محبة لما خلقت له من عذاب الكافرين، ولهذا تقول: ﴿هل من مزيد﴾ والشيطان محب لإضلال العباد، ولهذا

يقول: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦] وكل ميسر لما خلق له، وممتثل لذلك، لا يتلكأ ولا يتعلل في أدائه على أكمل حال في بابه، نعوذ بالله من جهنم ومن الشيطان الرجيم.

فائدة: الحياة الحقيقية حياة الآخرة

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤] فهي الحياة الحقة حياة بعد حياة، جيء بها على وزن فعلان الذي هو صيغة تنبيء عن معنى التحرك توضيحًا لمعنى كمال الحياة، فإن التحرك أمارة على قوة الحيوية في الشيء مثل الغليان واللهبان ﴿لو كانوا يعلمون﴾ حقيقة الحياة الآخرة، وهم في الحقيقة لا يعلمون، ولم يخطر ببالهم، ففيها ما لم يخطر على قلب بشر.

فائدة: الفرح بالمعصية تزيد شؤم يعقبه عذاب

قوله تعالى عن قوم لوط عليه السلام: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر:٦٧] أي يفرحون ويبشر بعضهم بعضًا ويسرون، عبَّر بالفعل المضارع مبالغة لتجدد فرحهم ليغتصبوا الضيوف الذين جاؤوا بصورة شباب كعادتهم السيئة، نسأل الله العافية. وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر:٧٣] أي وقت شروق الشمس أخذتهم الصيحة.

فائدة: من كذب برسول من رسل الله عليهم السلام فقد كذب الجميع

من كذب برسول واحد من رسل الله فهو مكذب بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٧٦] وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام (وهم مدين) وقيل: أصحاب الأيكة فريق من قوم شعيب عليه السلام، غير أهل مدين، فأهل مدين

هم سكان الحاضرة، وأصحاب الأيكة هم باديتهم الساكنون بين الأشجار، فالأيكة معناها: الغيضة من الأشجار، الملتف بعضها ببعض. وقوله: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩] أي أن منازل قوم لوط في سدوم قرب مدينة الخليل، ومنازل أصحاب الأيكة قرب مدين في طريق واضح يمر عليها المسافرون من قريش وغيرهم بطريق قوافلهم. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر:٨٠] فمن كذب برسول واحد فقد كذب الرسل أجمعين، وأصحاب الحجر هم ثمود في مداين صالح.

فائدة: الأمر بالجهر بالدعوة

قال الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] وكانت الدعوة سرية في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، فلما نزلت هذه الآية جهر بها رسول الله ﷺ وصحابته، وأعلنوا الصلاة، وكفاهم الله شر المستهزئين ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥].

فائدة: بيان ما فعله السابقون من المكر وما حلَّ بهم من العذاب

قال الله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٢٦] إذا انهارت قواعد البناء خر السقف من فوق وسقط جميع البناء، وقد مكر الذين من قبل قوم محمد ﷺ مثل قوم هود وصالح ولوط وفرعون، كما قال تعالى عن قوم صالح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل:٥٠] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣] ولو هدم جانب من السقف أو الجدران لما خر السقف كله ولما انهدم البناء جميعه، كما

أن في ذلك إفادة بأن العذاب أتاهم فجأة وهم لا يشعرون، لأن القواعد خفية لا يراها الرائي.

فائدة: دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش

قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [الدخان:١٠-١٢] روى البخاري عن مسروق قال دخلت على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: إن قريشًا لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجَهْد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، فأُتي رسولُ الله ﷺ فقيل له: استسق لمضر أن يكشف عنهم العذاب، فدعا ربه فكشف عنهم، وقال الله له: إن كشفنا عنهم العذاب عادوا، فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان:١٠] إلى قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦] [البخاري:٤٨٢١، ٤٨٢٢، وهو مجموع الروايات ومسلم:٢٧٩٨] والبطشة الكبرى يوم بدر، وإن عبدالله قال: مضى خمس: الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام. [البخاري:٤٨٢٤، ١٠٠٧] وقد قنت الرسول ﷺ في صلاة الصبح يدعو للمسلمين الذين حبسهم المشركون بعد الهجرة أمثال عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد وغيرهم من المستضعفين من المؤمنين رضي الله عنهم، كما دعا على المشركين فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف» [البخاري:٨٠٤، ١٠٠٦].

فائدة: الصلاة صلة بين العبد وربه

قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٣٩،٤٠] المراد بالتسبيح الصلاة، لأن معناه: (صلِّ) ومعنى: ﴿قبل طلوع الشمس﴾ أي صلاة الفجر، ﴿وقبل الغروب﴾ أي صلاة العصر، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» [البخاري:٧٤٣٤، ومسلم:٦٣٣] ومعنى ﴿ومن الليل فسبحه﴾ صلاة المغرب وصلاة العشاء، ويدخل في قوله تعالى: ﴿وقبل الغروب﴾ صلاة الظهر، لأن قبل ظرف واسع يبتدئ من زوال الشمس عن كبد السماء وميلها للغروب، وينتهي بغروبها، وهذا أقوى الأقوال في ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٥،٢٦] وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٨،٤٩].

فائدة: كان رسول الله ﷺ وأصحابه رهباناً بالليل فرسان بالنهار

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧،١٨] يفيد قوله تعالى: ﴿كانوا﴾ أن هذا الفعل سنة متقررة عندهم لا يفارقونها، فهم يقومون من الليل في كل ليلة لا يتأخرون عن ذلك، ولم يقل: كانوا يقومون الليل، أو كانوا يصلون في جوف الليل، وإنما قال: ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ للتذكير بأن نومهم قليل وهجوعهم واستغراقهم بالنوم لا يحصل منهم، قد تركوا

النوم في الوقت الذي تستدعيه نفوسهم وتحبه، وقدم ﴿بالأسحار﴾ على ﴿يستغفرون﴾ للاهتمام بهذا الوقت بالاستغفار حين ينزل رب العزة إلى السماء الدنيا فيقول: «من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له» [البخاري:١١٤٥، ومسلم:٧٥٨].

فائدة: نعمة الليل والنهار وتكرارهما دليل على وحدانية الله

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ○ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:٧١،٧٢] يستدل باختلاف الليل والنهار، الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، على وحدانية الله تعالى، والذي يدركه كل مميز، ولكن الشاكرين لهذه النعمة قليل، ففي الليل السكون والراحة واستعادة النشاط والأمن، وفي النهار طلب العيش والضياء، وناسب الليل قوله تعالى: ﴿أفلا تسمعون﴾ لأن الرؤية في الظلام تكاد تكون معدومة، والسمع فيه يكون أبلغ، كما ناسب النهار قوله تعالى: ﴿أفلا تبصرون﴾ لأنه محل الأبصار والرؤية التي يناسبها الضياء.

فائدة: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم من التبديل والتغيير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] تكفل الله تعالى بحفظ القرآن من التبديل والتغيير، وأوكل حفظ الكتب السالفة إلى الأحبار، فقال: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤] فحصل التغيير والتبديل، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ

ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٧٩].

فائدة: الذي يتلقى آيات الله وأوامره بالسخرية لا تزيده الآيات إلا رجساً

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ○ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٢،١٣] تبين هذه الآية أن المجرمين الذين يتلقون الدين بالسخرية ولا يتدبرون ولا يبحثون عن الهدى، يزيدهم الوحي مرضًا ورجسًا وغيًا وعمًى وعنادًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة:١٢٥] وقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الحجر:١١] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام:٧].

فائدة: كنوز السموات والأرض ومفاتيحهما بيد الله

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:١٢] أي له وبيده خيرات السموات والأرض وكنوزهما ومفاتيحهما، فهو وحده المتصرف بما ينفع الناس من الخيرات، فهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ومشيئته نافذة، لا مالك إلا هو سبحانه.

فائدة: دين الرسل واحد

قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] ذكر في جانب الشرائع الأربع ﴿ما وصى﴾ وفي جانب شريعة محمد ﷺ ﴿والذي أوحينا إليك﴾ لأن الشرائع السابقة لمحمد ﷺ مؤقتة، أما شريعة الإسلام فدائمة، وطلب سبحانه إقامة الدين واجتماع الكلمة عليه والحرص على العمل به وعدم التفرق فيه وعدم

الاختلاف عليه وعدم الحزبية والنحل، فكل اختلاف في الأصول والقواعد مذموم، أما الاختلاف في الفروع بموجب الاجتهاد السائغ فليس بمذموم.

فائدة: عجائب خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] يدل على عجائب خلق الإنسان، فلا يقدر على خلقه إلا الله تعالى، كيف خلق الفعل وحركاته، واستخرج المعاني، وخلق النطق باللغات المختلفة، وخلق الحواس والدورة الدموية والمفاصل والأعضاء والعضلات والأعصاب والشرايين والبنان الذي يختلف بين شخص وآخر، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:٤].

فائدة: لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى

الله تعالى لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فلم ينزل عذابًا على أحد إلا بعد الإنذار وإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٨] وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦] ويكون الرسول بلسان قومه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم:٤] وقال: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ○ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٩٨،١٩٩].

فائدة: التحذير مما يحبط العمل

على المسلم أن يحذر من حبوط العمل وهو لا يشعر، وذلك بأن يرتكب جرمًا يكون سبب حبوط عمله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] وحبوط العمل عدم الانتفاع منه، بسبب ما يطرأ عليه من الإثم، وفي هذا التحذير من حبط جميع الأعمال، لأنه تعالى جمع الأعمال وأضافها، ويفيد ذلك أن عدم الاحتراز من سوء الأدب مع الرسول ﷺ يفضي إلى إثم تحبط معه جميع أعمال المرء الصالحة، وقد يكون سببًا في الكفر أو الوحشة في النفوس، فتتقهقر المعتقدات، ويسترسل في المعاصي والمنكرات، وينقص من توقير الرسول ﷺ وينزل من سيء إلى أسوء، ويملي للنفس الشيطان السوء، وتتعود على المعاصي، وربما آلت إلى الكفر، وهي لا تشعر بذلك، لأن النقص يكون تدريجيًا وبدون شعور، وقد يكون المنكر عند من اتصف بهذه الصفة معروفًا والمعروف منكرًا، فتنقلب عنده المفاهيم وهو لا يشعر بذلك، فالسيئة تجر أختها ويتراكم بعضها على بعض حتى تهلك الإنسان. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] نزل في وفد بني تميم مبينة جفاءهم، وأن أكثرهم لا يعقلون حيث نادوا الرسول ﷺ من بيوته قائلين (يامحمد اخرج علينا، فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين، نحن أكرم العرب) فلما خرج عليهم الرسول ﷺ قالوا: (جئنا نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، وكان معهم الأقرع بن حابس الذي أسلم هو وعيينة بن حصن الفزاري أخيرًا بعد المحادثة الطويلة، وشهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينًا، وحضرا الطائف [أسد الغابة: ٢٠٨] وهو أحد الأربعة الذين قسم بينهم رسول الله ﷺ ذهبة بعث بها إليه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن في أديم مقروظ لم

تحصَّل من ترابها [البخاري: ٤٣٥١، ومسلم: ١٠٦٤].

فائدة: كرم إبراهيم الخليل عليه السلام

قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ○ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ○ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ○ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧] في هذا دلالة على كرم إبراهيم عليه السلام حيث ذهب بخفية وسرعة إلى أهله فراغ وأتى بالعجل السمين بسرعة (فجاء) واختار العجل السمين وهو أطيب اللحم، وقربه إليهم ولم يضعه بعيدًا عنهم لإكرامهم، وتلطف معهم بالعبارة ﴿ألا تأكلون﴾.

فائدة: أرسل الله الرسل بالتوحيد ونبذ الشرك

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦] وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [هود: ٨٤] وقال: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ○ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩] الذي يظهر أن أهل الأيكة قبيلة غير مدين، فإن مدين هم أهل نسب شعيب عليه السلام، وهم من ذرية مدين بن إبراهيم عليه السلام سكن مدين في شرق بلد الخليل، وكانت مدينة مأهولة بالسكان.

ويرجح أن أهل مدين غير أصحاب الأيكة أن الله تعالى لما ذكر أهل مدين وصف شعيبًا بأنه أخوهم، ولما ذكر أصحاب الأيكة لم يصفه بأنه أخوهم، حيث إنه ليس من نسبهم، ولا صهرًا لهم، ومما يرجح ذلك قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ○ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩] فجعل الضمير مثنى في قوله تعالى: ﴿وإنهما﴾ حيث إنهما قبيلتان: مدين

وأصحاب الأيكة، والأنبياء ترسل من أهل المدن، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف:١٠٩] وليسوا من أهل البوادي، وكانت مدين مدينة، وأصحاب الأيكة بوادي، بعضهم تحضر وسكن مدينة مدين، ومعنى الأيكة: الغيضة من النبق المسمى العبري، وقد دعاهم إلى التوحيد كغيره من الرسل، ثم أنكر عليهم بخس المكاييل والموازين والإفساد في الأرض، وهكذا الرسل كلهم يدعون أقوامهم إلى نبذ الشرك وتحقيق توحيد الله أولًا، ثم يدعونهم إلى ترك المنكر الذي عندهم ثانيًا، ولما كذبوا رسولهم شعيبًا عليه السلام وقالوا: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء:١٨٧] جاءهم ما طلبوا وأهلكوا بسببه، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٨٩] وهو سحاب فيه صواعق متتابعة أصابتهم فأهلكتهم من جنس طلبهم.

فائدة: أمر الله لنبيه بالعفو والصفح عن المشركين

أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يصفح الصفح الجميل، وأن يعفو عنهم ويصفح، فقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] وقال: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾ [المائدة:١٣] ومعنى ذلك عدم الحزن والغضب من صنيع أعداء الدين، فالجزاء على أعمالهم موكول إلى الله تعالى، كما قال: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ○ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠].

فائدة: الشعر الممدوح والشعر المذموم

من هم الذين تتنزل عليهم الشياطين؟

هم الكذابون الكهنة الذين يسترقون السمع فيكذبون على ما استمعوا مائة كذبة، وكذا الشعراء أهل الكذب الذين يهجون النبي ﷺ أمثال النضر بن الحارث وهبيرة بن أبي وهب ومسافع بن عبد مناف وأبي عزة الجمحي وابن الزبعرى وأمية بن أبي الصلت وأبي سفيان ابن الحارث وأم جميل العوراء بنت حرب زوج أبي لهب حمالة الحطب التي كانت تهجو النبي ﷺ، ومن قولها:

مذممًا عصينا،،، وأمره أبينا،،،، ودينه قلينا

ومن يتبعهم من الغاوين، ومنهم من يهجو المؤمنين، ومنهم من يتشبب بالنساء، ومنهم من يمدح كذبًا ونفاقًا لأجل العطاء، وإذا لم يعطهم هجوه، ومنهم من يقول ما لا يفعل، ومن شغله الشعر عن استماع القرآن والدخول في الإسلام.

أما الشعراء الذين يمدحون النبي ﷺ، ويدافعون عنه وعن الإسلام وهاجروا معه، أو من أسلم من الأنصار كعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت ولبيد وكعب بن زهير وسحيم عبد بني الحسحاس فلا يشملهم الذم. فالذم ليس للشعر، وإنما لأغراضه السيئة، فقد أثنى رسول الله ﷺ على حسان رضي الله عنه، ووصف شعره بأنه جهاد، وقال له: «قل ومعك روح القدس» [البخاري:٣٢١٣، ومسلم:٢٤٨٦] وأجاز عليه كما أجاز كعب بن زهير فخلع عليه بردته وقال: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل» [البخاري:٣٨٤١، ومسلم:٢٢٥٦] وكان يستشهد بالشعر، وأمر حسان رضي الله عنه بهجاء المشركين، وقال: عن شعر كعب بن مالك رضي الله عنه: «لكلامه أشد عليهم من وقع النبل»

[النسائي: ٢٨٩٦ وصححه الألباني].

وقال للعباس رضي الله عنه لما مدحه: «لا يفضض الله فاك»

وقال لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه لما قال قصيدته التي منها:

خلوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله

ضربًا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فأنكر عليه عمر رضي الله عنه بقوله: يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول الشعر! فقال له النبي ﷺ: «خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل» [الترمذي: ٢٨٤٧ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني].

وفي الحديث عن الزهري أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال يارسول الله ما تقول في الشعر؟ فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل» [أحمد: ٣/ ٤٥٦، ٤٦٠ صحح إسناده محققو المسند].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه شاعرًا، وما زال العلماء يستشهدون بالشعر، والله أعلم.

فائدة: أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وأمته

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ

أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

هذه أوصاف محمد ﷺ وأمته التي معه مصاحبة له مصاحبة كاملة، ومطيعة له ومؤيدة صادقة معاهدة عليه الله، أصحابه أشداء على الكفار في صلابة معاملتهم في قتالهم وإظهار العداوة لهم وقت الحرب، يظهرون الغضب لله والحب فيه، والبغض في الله في قوة بالإيمان، أشرقت قلوبهم بالإيمان، واطمأنت نفوسهم إلى صدق رسولهم ﷺ، ينقادون لأمره ويتبعون هديه، وهم أشداء في إقامة الدين، وعندهم الرأفة والرحمة للمؤمنين فيما بينهم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [البخاري: ٦٠١١، ومسلم: ٢٥٨٦ واللفظ له] يتصرفون تصرف الحكمة والعقل والرشد ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] مقبلين على الصلاة، فلا تراهم إلا ركعًا سجدًا، زكية نفوسهم بسببها، يطلبون بذلك رضى الله تعالى، سيماهم علامات في وجوههم من أثر السجود، علامات حسية ونور يظهر منها، لأن الصلاة نور، في جباههم آثار السجود بدون تكلف منهم، وإنما هو بسبب كثرة السجود على الأرض، وبدون رياء، حسنة وجوههم من أثر قيام الليل، وحسن سمتهم وخشوعهم وتواضعهم، وتبقى هذه السيماء يعرفون بها في يوم القيامة علامات عليهم، وهذا مثلهم في التوراة، أما مثلهم في الإنجيل كزرع تفرع فراخه من الحبة فصار له فراخ وفروع أخرج شطأه وارتفع، يقوي بعضهم بعضًا، ويأزره ويشده ويعينه فاستغلظ على سوقه،

وأصله الذي تخرج فيه السنابل والأغصان ينمو نموًا مطردًا حتى يكثر ويستحكم أمره ويتغلب على أعدائه، يعجب الزراع من حسنه ليغيظ بهم الكفار، قال مالك بن أنس: (من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية) وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا.

فائدة: حياة الكفار مثل حياة البهائم

الكفار همهم متاع الحياة الدنيا ولذاتها، والأكل والشراب، واللعب واللهو ولذَّات الجسد، منغمسون في المتاع الفاني، تاركون إصلاح نفوسهم وتكميل عقولهم، فحياتهم مثل حياة البهائم، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢] وقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام:٧٠] وقال: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات:٤٦] وقال عن متاعهم الدنيوي: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف:٢٤] وقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

فائدة: من افتخر بأصله شابه الشيطان

شرف الموجودات بمزاياها وصفاتها، لا بأصلها ولا بمادة تركيبها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩] وقال عن الإنسان: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨] وقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾

[السجدة:٧-٩] فالإنسان في مادته مخلوق من شيء مستقذر ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠] ولكنه علا واستحق أن تؤمر الملائكة بالسجود له لما نفخ فيه الروح، فإذا زكى روحه علت، وصار أفضل المخلوقات، وإذا دسها بالمعاصي والآثام صار شرًا من الأنعام وأضل منها سبيلًا.

ومن افتخر بأصله شابه الشيطان الرجيم في افتخاره بأصله حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦].

فائدة: الفاتحة وما تشتمل عليه من المعاني والفوائد

سميت الفاتحة بهذا الاسم، لقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [البخاري:٧٥٦، ومسلم:٣٩٤] وفاتحة مشتقة من الفتح، وهو إزالة حاجز عن مكانٍ مقصودٍ وُلُوجُه، فهي أول الشيء تشبيهًا للأول بالفاتح، لأن الأول هو الذي يفتح الباب، وأول من يدخل، فهي مبدأ القرآن، وهي من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهي أم القرآن، وأم الكتاب، وهي أصله ومنشؤه، قال ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» [مسلم:٣٩٥ وأبو داود:٨٢١ والترمذي:٣١٢] فهي كالأم للولد، وتشتمل على محتويات القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله وإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ○ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والأوامر والنواهي ﴿إياك نعبد﴾ والوعد والوعيد ﴿صراط الذين﴾ إلى آخر السورة، وفيها صلاح الدارين وتحقيق صفات الله والحمد والقصص ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وهي السبع المثاني، ففي

صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» [البخاري:٤٤٧٤] وهي سبع آيات، فهي تضم إليها سورة أخرى، وتثنى في كل ركعة، أي تكرر، أولها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ للحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي» الحديث [مسلم:٣٩٥ وأبو داود:٨٢١]، ولم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا يدل على أن البسملة ليست منها:

١- الحمد لله رب العالمين.

٢- الرحمن الرحيم.

٣- مالك يوم الدين.

٤- إياك نعبد وإياك نستعين.

٥- اهدنا الصراط المستقيم.

٦- صراط الذين أنعمت عليهم.

٧- غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فائدة: من نعم الله على عباده تسخير السفن لهم

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ○ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى:٣٢،٣٣] لما ذكر الله تعالى نعمته بالسفن والبحر والريح وركود هذه السفن أو سيرها أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي أن في ذلك لآيات لكل مؤمن متخلق بخلق الصبر

في الضراء والشكر في السراء، يصبر على لأواء البحر، ويشكر على جريان السفن، ونعم الله التي تترى عليه، وإنقاذه من أمواج البحر المتلاطمة.

فائدة: التعصب لما عليه الآباء سمة من سمات الكافرين

التعصب لما كان عليه الآباء والأجداد سمة من سمات الكافرين والعصاة والمترفين وأولي النعمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] وقال تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ [المزمل:١١] ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [الزخرف:٢٤] أما المؤمنون والذين يبحثون عن الحق فيتبعونه فإنهم يتبرأون مما عليه الآباء والأجداد والقوم من الباطل، كما تبرأ إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦] وهي وصيته عليه السلام ومن بعده من الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُۖ﴾ [البقرة:١٣٢] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨].

فائدة: إكرام الله لإبراهيم عليه السلام بإنجائه من كيد قومه وخذلانهم

قوله تعالى عن قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ [العنكبوت:٢٤] يدل على أنهم ترددوا بين أمرين: قتله أو إحراقه بالنار، وأنهم عزموا أخيرًا على إحراقه، فأنجاه الله من النار، كما قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] وأمرها بالسلام حتى لا يضره البرد.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٢٤] جعلها آيات وليست آية واحدة، فهذا الإنجاء يدل على قدرة الله وكرامة رسوله وتصديق وعده وإهانة عدوه، وأن المخلوقات كلها مسخرة له.

فائدة: نعيم الدنيا عرض وزائل ونعيم الآخرة دائم ثابت

هذه النعم التي يؤتيها الله للإنسان في الدنيا متاع، وهي عرض زائل، أما نعيم الآخرة فهو النعيم الدائم الذي لا يزول، وهو الخير الذي ليس فيه كدر، وهو للمؤمنين الذين يوحدون الله ويتوكلون عليه، ويجتنبون كبائر الإثم والفواحش، ويغفرون إذا غضبوا، ويستجيبون لربهم، ويقيمون الصلاة، وينفقون من أموالهم، وأمرهم شورى بينهم، ويعفون عن الناس، ويصلحون بينهم، ويغفرون الزلات، قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ○ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ○ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ○ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ○ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ﴾ [الشورى:٣٦-٤٠].

فائدة: فوائد من لا يقبل الإهانة وإذا قدر غفر

الاستكانة والذلة منهي عنهما، وإذا أصاب المؤمن بغي ينتصر لنفسه، وإذا أصاب بلاده أو أمته من أعدائها ما يكرهه لا يستذل ولا يقبل الإهانة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٩] أما إذا قدر على العدو فإنه يغفر ويصلح ويسأل الأجر من الله، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ○ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ

○ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٠-٤٣].

فائدة: طلب قريش معجزات عينية من رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فهم غير مقتنعين بمعجزة القرآن، وإنما يطلبون معجزات عينية، مثل ما أوتي الرسل قبل محمد ﷺ، فقال الله تعالى لهم: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] وقال الرسول ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًّا أوحى الله إلي» [البخاري: ٤٩٨١، ومسلم: ١٥٢] والله تعالى أعلم بالمعجزات اللائقة بالقوم المرسل إليهم، كما أنه أعلم بمن ينال الرسالة.

فائدة: عقاب الله تعالى لبني إسرائيل لاتخاذهم العجل إلهًا

الذين اتخذوا العجل من بني إسرائيل لما غاب عنهم موسى عليه السلام نالهم غضب الله والذلة في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] مع أنهم تابوا من هذا الذنب العظيم، وهذا يدل على أن التوبة قد لا تمحو العقوبة الدنيوية، ولكنها تمحو العقوبة الآخروية، لأن للعقوبات الدنيوية مسببات تنشأ عن أسبابها، فلا يلزم أن ترفعها التوبة، إلا بعناية إلاهية خاصة، ومثل ذلك يؤخذ من حديث الإسراء لما أتي رسول الله ﷺ بإناءين

أحدهما من لبن والآخر من خمر، فاختار اللبن، فقال جبريل عليه السلام: «الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك» [البخاري:٤٧٠٩، ومسلم:١٦٨] وقد عوقب بنو إسرائيل بالغضب من الله والذلة والخضوع والاستكانة والعجز، وتسليط الأعداء عليهم، والجبن والخوف من الأعداء والاغتراب، وحرمان الملك على الأرض المقدسة، والتشتت في الأرض بلا وطن طول حياتهم حتى انقرض ذلك الجيل كله.

فائدة: انقسام بني إسرائيل

انقسم بنو إسرائيل إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

٢- قسم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلين ومنكرين على الآخرين ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤] حيث أيسوا من الانتفاع بالموعظة.

٣- قسم توغلوا في العصيان والفجور.

قال الله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥] فسمى الله القسمين الأخيرين ظالمين، وأخذهم بعذاب شديد، فلما عتوا بعدما شاهدوا العذاب قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٦] وأعلمهم الله وتوعدهم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧] وقطعهم في الأرض أممًا، كما قال سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨].

فائدة: الخداع مذموم إلا في الحرب

قال الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:٩] الخداع صفة مذمومة، وهو من يعمل عملًا، أو يقول قولًا يقصد خلافه، ليوهم أنه يريد نفع غيره وهو يريد خلافه، ويقوم بترويج كذبه ليخدع غيره ويغرر به.

أما في الحرب فهو محمود، أما من ينطلي عليه الخداع فهو أيضًا مذموم، فقد قال الرسول ﷺ «المؤمن كيس فطن» [رواه القضاعي (٢/ ٢/ ٢) قال الألباني في الضعيفة ٧٦٠: موضوع] وقال: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» [البخاري:٦١٣٣، مسلم:٢٩٩٨] أما إذا كان عن طريق الصفح والتغاضي مع معرفة غرض المخادع فيدخل في قول الرسول ﷺ: «المؤمن غر كريم» [أبو داود:٤٧٩٠ والترمذي:١٩٦٤ وحسنه الألباني] فمن صفات المؤمنين الصفح والتغاضي، ولهذا أعقبه بقوله: «كريم».

فلا يليق بالمؤمن أن يكون أبله، ولكنه كريم سليم القلب، قال الشاعر: إن الكريم إذا خادعته انخدعا.

وقال آخر: إن الحليم وذا الإسلام يختلب.

فالمؤمن يعرف مقصد المخادع ويفهم مقصوده، ولكنه يعرض عنه ولا يقابله بالإساءة، لأنه كريم، قال عمرو بن معديكرب:

فَجَاشَتْ عليَّ النفسُ أولَ مرة
فَرُدَّتْ على مكروهها فاستقرتِ

وقال عروة بن أذينة:

وإذا وجدتُ لها وساوسَ سلوةً
شفع الفؤادُ إلى الضمير فسلها

فائدة: تنجية بني إسرائيل وإغراق فرعون وآله

قال الله تعالى يخاطب بني إسرائيل ويمتن عليهم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩] (آل فرعون) أصل الآل هو الأهل، قلبت الهاء همزة للتخفيف، ويراد به الأقارب والعشيرة والموالي، وخاصة الإنسان وأتباعه، قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] وكان دخول بني إسرائيل لمصر واستقرارهم فيها بسبب دخول يوسف عليه السلام، وكان القبط يعادون اليهود، وكان آل فرعون يسومونهم سوء العذاب، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، قيل: إن الكهان أخبروا فرعون بأن ملكه سيذهب على يد رجل من بني إسرائيل، وقيل: يقتلونهم استخفافًا واحتقارًا لهم، وقيل: إن فرعون خشي أن يكونوا أعوانًا لأعدائه من العمالقة والعرب الذين يجتمعون معهم في النسب، وقيل: خوفًا من ثورتهم، وقيل: لما رأى منهم من التنكر عليه، وقيل: غير ذلك.

فائدة: لا مساواة بين المحسن والمسيء

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١] هذه الآية تسمى (مبكاة العابدين) عن تميم الداري رضي الله عنه أنه بات ليلة يقرأ هذه الآية، ويركع ويسجد ويبكي إلى الصباح، وروي مثل ذلك عن الربيع بن خيثم، وعن الفضيل بن عياض أنه كان كثيرًا ما يردد من أول الليل هذه الآية، ثم يقول: ليت شعري من أي الفريقين أنت (يخاطب نفسه) إنه لا مساواة بين المحسن والمسيء في الآخرة، قال

تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت:٤] ومن الأدلة الواضحة على عدم المساواة بين المحسن والمسيء أن الله تعالى خلق كل شيء بالحق والعدل، قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٢].

فائدة: من بشارة الله للمؤمنين جمعهم مع أحبابهم في الجنة

من بشرى الله تعالى للمؤمنين أنه يجمعهم بأصولهم وفروعهم وزوجاتهم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ﴾ [الرعد:٢٣] وهم المتأهلون لدخول الجنة، كما أن الله يجمع من هو مستحق لدخول النار بأزواجهم الكافرين، قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢] ولكل درجاته في النعيم أو العذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١] فلا يمنع اجتماعهم مع أشكالهم، ولكل درجاته حسب عمله.

أما إذا كان أحدهم صالحًا والآخر غير صالح فيفترقون، ولا يكون بينهم الود والمحبة، قال تعالى عن ولد نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ﴾ [هود:٤٦].

فائدة: تثبيت الأرض بالجبال

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] تدل هذه الآية على أن الأرض تدور، لأنها لو كانت ثابتة لما احتاج الأمر إلى إلقاء الرواسي حتى لا تميد الأرض ولا تضطرب، وهذه الجبال جعلتها تثبت، والله أعلم، وكذا قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ

يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] تدل - والله أعلم - على الدوران، لأن الليل والنهار يقعان على الأرض ويسبحان معها.

فائدة: تحالف المشركين لصد الناس عن الإسلام وتكذيب الرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩٠،٩١] قيل: إن المقتسمين هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين جحدوا بعض ما أنزل إليهم فأظهروا بعضه وكتموا بعضه، كما قال تعالى: ﴿تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ [الأنعام:٩١] كما أنهم صدقوا ما وافق أحوالهم من القرآن، وكذبوا بعضه مما يخالف أهواءهم مثل نسخ شريعتهم وإبطال بنوة عيسى عليه السلام لله تعالى.

وقيل: إن المقتسمين هم نفر من مشركي قريش جمعهم الوليد بن المغيرة لما جاء وقت الحج، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، فانتدب لذلك ستة عشر رجلًا فتقاسموا مداخل مكة، لينفروا الناس عن الإسلام، فبعضهم يقول: كلام مجنون، وبعضهم يقول: هذا القرآن سحر، وبعضهم يقول: شعر، وبعضهم يقول: الرسول كاهن، وبعضهم يقول: أساطير الأولين اكتتبها، وهؤلاء النفر هم: حنظلة بن أبي سفيان، وعتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأخوه العاص، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أمية، وهلال بن عبد الأسود، والسائب بن صيفي، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الحجاج،

وأمية بن خلف، وأوس بن المغيرة (ومعنى عضين: أقسام).

فائدة: من صفات المنافقين التي في أول سورة البقرة

من صفات المنافقين الكذب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] ومن صفاتهم السفه، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣] ومن صفاتهم الجهل، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣] ومن صفاتهم الغباوة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩] ومن صفاتهم العجب، قال تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣] ومن صفاتهم الغرور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١] ومن صفاتهم الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] ومن صفاتهم فساد الرأي، قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠] ومن صفاتهم البخل واللؤم، قال تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] ومن صفاتهم الجبن، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤]. ومن صفاتهم عدم النور ووقوعهم في الظلمات، ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧] ومن صفاتهم خوفهم الشديد من الموت، قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩] ومن صفاتهم أن الله يمدهم في طغيانهم يعمهون، وأن الله قادر على أن يذهب بسمعهم وأبصارهم، فهو على كل شيء قدير، وإنما يمدهم في هذا ليكون حجة عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠] ومن صفاتهم الخداع، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٩] ومن صفاتهم المراوغة ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ

لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النساء:١٤٣] ومن صفاتهم الفساد، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة:١٢] ومن صفاتهم مرض القلب، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ [البقرة:١٠] ومن صفاتهم أن الله يستهزأ بهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥] ومن صفاتهم التستر عما عندهم من صفات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤] ومن صفاتهم الخوف من الناس أكثر من الخوف من الله، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر:١٣] ومن صفاتهم قلة العقل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤] ومن صفاتهم المذلة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] ومن صفاتهم عقاب الله لهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر:١٥] ومن صفاتهم الخيانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧] ومن صفاتهم أن الله لا ينصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:١٢] ومن صفاتهم دوام الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] ومن صفاتهم البله وعدم الفقه، لأنهم يظنون أن الناس لا يدركون نفاقهم وكذبهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:١٣] ومن صفاتهم ادعاؤهم الإصلاح، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:٨] ومن صفاتهم تذبذب الرأي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤] ومن صفاتهم الاستهزاء والفخر واللمز، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤] ومن صفاتهم أن ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥] ومن صفاتهم أنهم يشترون الضلالة بالهدى، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٦] ومن صفاتهم الخسارة، قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة:١٦] ومن صفاتهم عدم الهداية ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦] ومن صفاتهم أنهم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] ومن صفاتهم أنهم لا يريدون الانتفاع ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩].

فائدة: لم تنتفع عاد الأولى بنعمة السمع والإبصار والأفئدة

قول الله تعالى عن عاد قوم هود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦] وجود السمع والأبصار والأفئدة لديهم حجة عليهم، فلم ينقصهم شيء من شأنه أن يخل بإدراكهم الحق، ولكنهم معاندون ومحرومون من الانتفاع بهذه النعم العظيمة (السمع والأبصار والأفئدة) وكذلك الذين أشركوا بالله وغيرهم من الكفار أعطاهم الله هذه القوى، وسلطوها لأمور الدنيا وحدها، فما أغنت عنهم من شيء لجحودهم بآيات الله، وقد شاهد كفار هذا العصر آيات عظيمة، ووصلوا إلى القمر وبعض النجوم، ولم تغن عنهم هذه الآيات شيئًا، ولم ينتفعوا بما أعطاهم الله من قوى مادية واكتشافات باهرة.

فائدة: من اتبع الهوى ألف المنكرات

إذا زين للمرء سوء عمله اتبع هواه فلا يستطيع الفكاك منه، وانقلبت عنده الأمور، فصار القبيح حسنًا، والحسن قبيحًا، وصار

فهمه معوجًا، وهواه على رأيه، قال تعالى في سورة محمد: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد:١٤] فيألف المنكرات ويغتر بما ألف ويتبع اللذات العاجلة، ويدأب على ذلك، فيتولد من ذلك الفهم الولع بسوء العمل، فتصير له أهواء لا يستطيع مفارقتها، وليس هوى واحد، وإنما هي أهواء كثيرة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] وهنا يطبع الله على قلبه، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٦] أما الذين طلبوا الهداية فيتحصلون عليها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

فائدة: استعجال المشركين للعذاب استكبارا و استخفافا

كان المشركون في عهد رسول الله ﷺ يطلبون استعجال العذاب الذي يعدهم به رسول الله ﷺ عنادًا منهم واستكبارًا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٤-٢٠٧] وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:١٦] وقال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧] وقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل:٧١] وقال: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل:٧٢].

فائدة: امتنان الله على عباده بتسخير الحيوانات

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨] الخيل: الفرس، وهو جمع لا واحد له من

لفظه، والبغال جمع بغل، وهو ما كانت أمه من الخيل وأبوه من الحمير، وهو اسم للذكر والأنثى من الأنواع غير المتولدة، فأنثاه لا تلد، والبرذون عكسه، والحمير جمع تكسير، واحده حمار، وهو الذكر، أما أنثاه فتسمى أتانًا، وقوله: ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ من السيارات والطائرات والقطارات وغيرها، وهي من خلق الله، لأن موادها من خلقه، وإلهام الله الناس لاختراعها هو ملحق بخلق الله.

فائدة: أنواع النكاح قبل الإسلام

قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٣٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد، فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر: يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، ونكاح رابع: يجتمع الناس فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن

البغايا، كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علمًا لمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به ودعي ابنه، فلما بُعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم) [البخاري: ٥١٢٧].

فائدة: من لم يشكر نعم الله ويقبلها عوقب بحرمانها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩] يمتن الله على بني إسرائيل بهذه النعمة التي لم يقبلوها فحرموا منها وعوقبوا، وتشير الآية إلى أن بني إسرائيل لما طوحت بهم الرحلة إلى بربة فاران، وصاروا على حدود الأرض المقدسة التي وعد الله بني إسرائيل بها، وهي أرض ذات خيرات، فأمر موسى عليه السلام ومن معه بدخولها، ولكن بعض بني إسرائيل خافوا وظنوا بربهم ظن السوء فحرموا من دخولها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [المائدة: ٢٦] ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦] وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] أي أنهم بدلوا ما قيل لهم من حسن القرية وكثرة خيراتها وثمارها بأن أشاعوا مذمتهاوصعوبتها، وقالوا: إن فيها وباء، وأن فيها قومًا جبارين فحرَّمها الله عليهم ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [المائدة: ٢٦] عن أبي

هريرة رضي الله عنها (أن القول الذي بدلوا به أنهم قالوا: حبة في شعرة أو شعيرة) بدلًا من أن يقولوا ما أمروا بقوله: (حط عنا ربنا خطايانا) وذلك استهزاء منهم، أي أن محاولة ربط حبة بشعيرة متعذرة، كما أن محاولة دخول هذه القرية متعذر، فعاقبهم الله، قال سبحانه: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٥٩] فالذين بدلوا القول وأشاعوا مذمة الأرض وكانوا سبب شقاء أمتهم أنزل الله عليهم الطاعون من السماء، ومثل هذا المثل العربي (على أهلها تجني براقش) وبراقش كلبة قوم كانت تحرسهم بالليل، فدل نبحها أعداءهم عليهم فاستأصلوهم فضربت مثلًا، والله أعلم.

فائدة: الإسلام حياة القلوب

الكفر موت والإسلام حياة، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد:١٦] وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة:١٨] شبه حال المسلم - بعد أن صار إلى الإسلام - بحال عديم الخير وعديم الإفادة كالميت، لأن الشرك والكفر يحول دون معرفة الحق وتمييز الصواب.

فائدة: الأمر بدعاء الله بأسمائه الحسنى

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] روى الطبري:٢٢٨٠١ والواحدي:٥٩٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ ساجدًا يدعو: «يارحمن يارحيم» فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى

مثنى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمع أبو جهل النبي ﷺ يقول: «يا الله يارحمن» فقال أبو جهل: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهًا آخر، أخرجه ابن مردويه.

فائدة: لا يقبل الله عمل عبد إلا إذا كان مؤمناً بمحمد ﷺ متبعاً لشريعته

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢] قوله تعالى: ﴿وعمل صالحًا﴾ يدل على أن من لم يعمل صالحًا ولم يؤمن بمحمد ﷺ ويتبع شريعته لا يقبل منه أي عمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فمن كان من المسلمين، أو من الذين هادوا والنصارى قبل نسخ دياناتهم بالإسلام، وآمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن لازم الإيمان بالله أن يؤمن بخاتم الأنبياء محمد ﷺ ويتبع شريعته.

فعدم الإيمان برسالة محمد ﷺ عدم الإيمان بالله، لأن مكابرة المعجزات القائمة مقام تصديق الله تعالى للرسول ﷺ يدل على تكذيب الله.

فائدة: حيل بني إسرائيل ونقضهم للعهود

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ○ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الآية [البقرة:٦٣،٦٤] لقد أخذ الله الميثاق بواسطة موسى عليه السلام أن يعمل بنو إسرائيل بالشريعة، والطور جبل تجلى الله فيه لموسى عليه السلام، فتزعزع الجبل وتزلزل وارتجف، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف:١٧١] فأعطى بنو إسرائيل لموسى عليه السلام العهد بأن يمتثلوا بكل ما أمر الله تعالى، ويجتنبوا مناهيه، ويأخذوا الدين بقوة، ولكنهم نقضوا العهد، واتخذوا العجل إلهًا، فرفع الله فوقهم الطور، وظنوا أنه واقع بهم، ومن نقضهم العهد تحايلهم في الاعتداء بالسبت حيث لا تأتيهم الحيتان، فتحايلوا بوضع الشباك قبل السبت وأخذه يوم الأحد ممتلئًا بالسمك، وكان يأتي السمك يوم السبت ابتلاءً من الله، ويوم لا يسبتون لا يأتيهم، فجعلهم الله قردةً، وجعل ذلك نكالًا لهم وموعظةً لمن يعقبهم، قال مجاهد: مسخ قلوب لا مسخ أجسام، وقال آخرون: مسخ أجسام، وهذه موعظة لهم ولغيرهم للأمم في عهد بني إسرائيل ولمن بعدهم.

فائدة: الكفر ببعض الرسل أو ببعض القرآن يعتبر كفرا بالجميع

الذي يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعضهم، أو يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعضه، أو ينكر بعض أحكام الدين الإسلامي، أو ينكر بعض الكتب المنزلة، كافر بالله ورسله جميعًا، قال الله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ [الأنفال:٧٢] وقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾ [البقرة:٨٥]

فائدة: المؤمنون هم العالمون

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨] وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ [البقرة:١١٨] وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] وغير هذه من الآيات تبين أن المؤمنين هم وحدهم الذين يعلمون، وأن غيرهم لا يعلمون، فدين الإسلام هو دين العلم والمعرفة، وغيره جهالة جهلاء وضلالة عمياء.

فائدة: حكم السارق في شريعة بني إسرائيل

قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ [يوسف:٧٥] وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦] وقول يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف:٧٩] تدل هذه الآيات على أن الشريعة لدى بني إسرائيل تخولهم أن يأخذوا السارق ويسترقوه، وهو حكم شائع في كثير من الأمم كالرومان الذين يسترقون المدين والسارق، ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [يوسف:٧٦] بعد قصة أخذ يوسف عليه السلام أخاه أن فيها رفع درجة يوسف عليه السلام بالتدبير الحكيم من حيث مناجاته أخاه إلى وقت استخراج السقاية من رحله، ورفع درجة أخيه (بنيامين) بإلحاقه بيوسف عليه السلام في

العيش الرفيه والكمال بتلقي الحكمة من فيه، وفيها شاهد لتفاوت الناس في العلم، أما العلم المطلق فهو لله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦] وقد حكم أخوة يوسف عليه السلام على أنفسهم بأن من يسرق يسترق، حيث قالوا: ﴿جَزَآؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف:٧٥].

فائدة: حُزن يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف عليه السلام

قول الله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤] يوضح مبلغ الحزن العظيم الذي اعترى يعقوب عليه السلام من فقد ابنه يوسف عليه السلام وعدم نسيانه وابيضاض عينيه وكظمه لحزنه وبكائه في خلوته وضعف بصره ثم عمى عينيه وعدم إبصارهما وتصبره وعدم إظهار حزنه للناس، وقوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] وتحسره عليه حتى أن إخوة يوسف عليه السلام قالوا لأبيهم: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:٨٥] وقول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] وأمره لأبنائه بأن لا ييأسوا وأن يتحسسوا عنه.

فائدة: أنواع المنن على بني إسرائيل

امتن الله تعالى على بني إسرائيل بأن عفا عنهم قتل أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤] لما اتخذ بنوا إسرائيل العجل وعبدوه، أمرهم موسى عليه السلام بوحي من الله بالتوبة وقتل أنفسهم،

بأن يقتل كل من عبد العجل نفسه، أو يقتل من لم يعبد العجل عابديه، قيل: فعلوا وقتلوا ثلاثة آلاف نفس، ثم استشفع لهم موسى عليه السلام فغفر الله لهم، قال الله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤] وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٨٤] وهذه نعمة من الله تعالى أن عفا عنهم قتل أنفسهم.

أما في الإسلام فقد رحم الله أهله، وجعل الحدود جوابر، كما في الحديث الصحيح.

والمنة الثانية لبني إسرائيل أن الله تعالى بعثهم من بعد موتهم، فهم لما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] أخذتهم الصاعقة فماتوا، ثم بعثهم من بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ○ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥،٥٦] .

فائدة: بالحكمة والأدب تنال أعلى الرتب

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] .

الارتفاع إلى المعالي صعب، والانحطاط عنها سهل، كالحجر الثقيل رفعه عسير وحطه يسير، ولن تنال الرتب إلا بالحكمة والأدب، ومن أحب المعالي أدركها بالحكمة، ومن أحب الحكمة أدركها بالنظر المنتظم، ومن عني بالنظر في الأمور أدركها بمساءلة العلماء ومجالسة الحكماء وإدمان الفكر واستشارة ذوي الرأي. الفرق بين الجماد والحيوان (الحياة) والفرق بين البهيمة والإنسان (العقل) والفرق بين الشريف والخسيس (العلم) والعقل يكون طبيعيًّا، ويكون

كسبيًا، ويعلم الكسبي بالدرس والتأمل، والعقل هو فائدة الحياة وروح العيش، به يفرق بين اليقظة والنوم، وبه تظهر الحقائق والطرق، وبه تبصر الأشياء، وبه تعرف المنافع من المضار، فهو يمسك النفوس عن الأهواء، ومن لا علم له ضعيف وإن كان قويًا، وفقير وإن كان غنيًا، والعلم أصل والقوة فرع، والعلم روح والقوة جسم.

فائدة: فضل الإنسان والحكمة في خلقه

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] هذا القول من الله تعالى للملائكة يدل على فضل الإنسان، وأن في خلقه حكمةً عظيمةً وتدبيرًا كاملًا في جعل الخليفة في الأرض، كما يدل على ذلك أمره سبحانه للملائكة بأن يسجدوا لآدم عليه السلام، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] كما أن أفضل الخلق من بني آدم عليه السلام محمد ﷺ، ومن تكريم الله تعالى للإنسان أنه علمه الأسماء كلها، كما قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] وهذه فضيلة العلم والمتعلم، وقد سجد الملائكة كلهم لآدم عليه السلام إلا إبليس استكبر وظن أن الأفضلية للأصل وليس للعلم، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] ومن حكمة الله أنه خلق الأرض قبل خلق السموات، خلقها وما يتصل بها من أجزاء من جنسها ومن غير جنسها في أربعة أيام، أما السموات فخلقها في يومين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ

أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ○ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ○ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢] .

فائدة: لا أحد أسفه من المشرك بالله

قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ﴾ [الأعراف: ١٥٥] لما أمر الله موسى عليه السلام بالمجيء للمناجاة في طور سيناء، وصعد هو وهارون عليه السلام على الجبل ومعهم سبعون من شيوخ بني إسرائيل، تجلى الله تعالى للجبل وارتجف، وخشي موسى عليه السلام أن تكون الرجفة مقدَّمة عذاب، وأنها غضب من الله، دعا بقوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ﴾ والسفهاء هم الذين عبدوا العجل، وسمي شركهم سفهًا، لأنه شرك مشوب بخسة عقل، إذ جعلوا صورة صنعوها بأنفسهم إلهًا لهم، ثم دعا الله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ○ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٥، ١٥٦] أي رجعنا وتبنا من الذنوب والتقصير.

فائدة: شرع الإسلام التوريث بالقرابة، وأبطل ما كان عليه أهل الجاهلية

كان العرب في الجاهلية لا يورثون النساء، وكانوا يورثون بالتبني وبالحلف والمعاقدة، وفي أول الإسلام صار التوارث بالهجرة، فالمهاجر يرث المهاجر، وبالأخوة التي آخاها الرسول ﷺ بين

المهاجرين والأنصار، ثم شرع الله الميراث بالقرابة، وجعل للنساء حظوظًا في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء:٧] روى الواحدي في أسباب النزول والطبري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدًا، وقد استفاء عمهما مالهما، وميراثهما كله، فلم يدع لهما مالًا إلا أخذه، فما ترى يارسول الله؟ فوالله ما تنكحان أبدًا إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك» فنزلت سورة النساء ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ الآيات [النساء:١١،١٢] [الترمذي:٢٠٩٢، وأبو داود:٢٨٩١ وابن ماجه:٢٧٢٠، وأحمد:٣/ ٣٥٢ وحسنه الألباني].

فائدة: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم

الجهر بالسوء، واتهام الناس ورميهم بالنفاق أو بالعلمانية، أو الجهر بالكلام البذيء، كل ذلك لا يحبه الله تعالى، إلا لمن ظلم أن يجهر لظالمه بالسوء للدفاع عن نفسه، روي أن رجالًا اجتمعوا في بيت عتبان بن مالك رضي الله عنه لطعام صنعه لرسول الله ﷺ، فقال قائل: أين مالك بن الدخشم رضي الله عنه؟ فقال بعضهم: ذلك منافق، لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله» فقال: إنا نرى وجهه ونصيحته للمنافقين [البخاري:٤٢٥، ومسلم:٣٣] ولما أن الجهر بالسوء من القول حرام فكذا الفعل، فالمسلم يبدي الخير ويعفو عن السوء، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩] فكما أن الله تعالى عفو مع المقدرة، فكذلك المسلم يطلب منه ذلك، قال رسول الله ﷺ: «أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» [الطبراني في الكبير:١٧/ ٢٧٠ وأحمد:٤/١٤٨، ١٥٨، ١٥٩، قال الهيثمي في المجمع ٨/١٨٨: وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات، وحسنه محققو المسند] .

فائدة: توجه إبراهيم عليه السلام إلى الله بالدعاء والبراءة من الشرك

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] خرج إبراهيم عليه السلام من بلده (أور) الكلدانية إنكارًا على عبادتهم للأصنام، فقال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩] واعتزل قومه، فقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ [مريم:٤٨] وذهب إلى مصر فوجدهم يعبدون الأصنام فاعتزلهم، وخرج إلى فلسطين فوجدهم كذلك فاعتزلهم، ثم أتى إلى مكة فأسكن بها زوجه ووجدها خالية، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] وسأل الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] ودعا الله بأن من اتبعه فإنه منه، ومن عصاه فإن الله غفور رحيم، وهذا دعاء لمن اتبعه وتأدب، ونفع للعصاة من الناس بقدر ما يستطيع، فقد فوض أمر من عصاه إلى رحمة الله وغفرانه، وفي هذا تبرؤ كامل من المشركين، وابتعاد عن بلادهم، وبراءة من أبيه وقومه المشركين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا

﴿تَعۡبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦] وانتقال بذريته إلى واد خال غير ذي زرع ليقيموا توحيد الله والصلاة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:٣٧] ثم دعا الله بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وأن يرزقهم من الثمرات، ثم توجه إلى الله وتوكل عليه، فهو الذي يعلم ما يخفيه العبد وما يعلن ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٨] ثم حمد لله تعالى على نعمه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩] ثم دعا دعاء عامًا له ولذريته ووالديه والمؤمنين ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ○ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤٠،٤١] ودعاؤه لوالديه قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة:١١٤] أما أمه فلم يتبين كفرها، وقيل: إنها توفيت قبل نبوته، والله أعلم.

فائدة: فضل الله الرسل بعضهم على بعض

فضَّل الله تعالى بعض الرسل على بعض، كما قال سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ [البقرة:٢٥٣] لأمور عدة منها ما جرى على أيديهم من الخيرات، وما لقوه من الأذى في سبيل الله، وما أيدوا به من الشرائع العظيمة، ومنهم من كلم الله، وما أوتوه من البينات والمعجزات، وتأييد روح القدس، كما قال تعالى: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة:٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥] وقد ثبت أن أفضل الرسل محمد ﷺ، وأمر جميعهم بالإيمان به إذا جاء ونصره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١] كما أن الدين الإسلامي أفضل الأديان، والقرآن الكريم أفضل الكتب، والصحابة رضي الله عنهم أفضل الأتباع، ورسالة الإسلام عامة لكافة الناس، دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأولو العزم أفضل من غيرهم.

فائدة: البحث عن الدليل والبرهان يقضي على الخلاف

لو اجتمع الناس على البحث عن الدليل ومعرفة البينات والبراهين واتبعوها لما حصل اختلاف ولا قتال، ولكن حصل عندهم هذا الاقتتال بسبب الخلافات، فبعضهم آمن وبعضهم كفر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣] وهذه إرادة الله أن حصل القتال بين اليهود أنفسهم وبين النصارى بعضهم ضد بعض، وبين المسلمين كما حصل من الخوارج وغيرهم، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض» [البخاري:١٧٣٩، ٧٠٧٩، ومسلم:٦٥].

فائدة: لا إله إلا الله تحقن الدماء

قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» [البخاري:١٣٩٩، ومسلم:٢٠] هذا القتال حسبما يظهر للكفار في جزيرة العرب، وقد يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب، ولا يقبل غير الإسلام فيها، وأُمِرَ

المسلمون بإخراج اليهود والنصارى منها، أما في غيرها فتقبل منهم الجزية، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] فلابد من أن يكون السلطان للإسلام في جميع الأرض، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩] والرسول ﷺ أكره العرب على الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا به، وهو قول ابن مسعود وسليمان بن موسى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [التحريم:٩] وقيل: إن أهل الكتاب لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، وإنما يجبر على الإسلام أهل الأوثان، وهو قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك، قال الشافعي: (إن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب والمجوس).

فائدة: وجوب الكفر بالطاغوت

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة:٢٥٦] يدل على أن الإيمان بالله ورسوله ﷺ لا يكفي إلا بالكفر بالطاغوت، ولهذا لم ينفع أبا طالب عم الرسول ﷺ إقراره بالله ورسوله ﷺ، وقوله:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ
من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

لأنه لم يكفر بدين آبائه وأجداده (الطاغوت) مع أنه يعلم أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، ويقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أسلم فإن دين محمد ﷺ حق، كما نصر الرسول ﷺ بماله وجاهه فلم يكفه ذلك، فلابد من البراءة من الكفر وأهله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فائدة: جواز الحوار والمجادلة بالحسنى

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] يدل على جواز المجادلة والمحاجة والمناظرة والحوار لإثبات العقائد، أما جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل فلا يجوز، ويجب أن تكون المجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فائدة: أدب الإنفاق في سبيل الله

الذي ينفق في سبيل الله تعالى أعلى درجاته أن يكون إنفاقه لنصرة الدين، لا حظ للنفس فيه، ولا أذية للمنفق عليه بالقول أو الفعل، ولا منّ ولا استكثار للنفقة، وأن تكون النفقة من المال الطيب، وبإخلاص لله تعالى، وفي وقتها ومكانها المناسب، وأن يكون قصد المنفق محبة الخير، وامتثال أمر الله وابتغاء رضوانه، وإخفاء النفقة، وعدم أذية المنفق عليه وقت النفقة أو بعدها، وأن تكون النفقة عن كرم نفس وثبات بدون تردد، لا عن حب للثناء من الناس، أو للتبجح والتطاول والرياء، ولهذا قال تعالى في مدح

هؤلاء: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١،٢٦٢] وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فائدة: تفسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه للآية رقم ٢٦٦ من سورة البقرة

قول الله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦] يفسر هذه الآية ما روى البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فيم ترون هذه الآية نزلت؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه وقال: (قولوا: نعلم أو لا نعلم) فقال ابن عباس: رضي الله عنهما (ضربت مثلًا لعمل) قال عمر رضي الله عنه: (أيُّ عمل؟) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل، قال عمر رضي الله عنه: (لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله عز وجل له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله). [البخاري: ٤٥٣٨].

فائدة: أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم

قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الخيرية التي نالتها أمة محمد ﷺ بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والإيمان بالله، فإذا زالت هذه الصفة - لا قدر الله ذلك - زالت عنهم الخيرية، وقوله: ﴿أخرجت للناس﴾ يدل على أنهم أخرجوا لإنقاذ الناس جميعًا، لا لإنقاذ أنفسهم فقط، ورسالة الإسلام عالية، ويجب على المسلمين إبلاغها للناس جميعًا، وقد كان العرب قبل الإسلام على هامش التاريخ أذلة محتقرين في ضلال مبين، فأنقذهم الله بهذا الدين ورفع من قدرهم، كما رفع من قدر غيرهم لما تمسكوا به وجاهدوا لإعلاء كلمة التوحيد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسنان، وكل من تمسك بهذا الدين رفعه الله.

فائدة: الخيرية المشروطة لأهل الكتاب

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠] هذه الخيرية ينالها أهل الكتاب لو آمنوا وصدقوا الرسول محمدًا ﷺ، فلو حصل منهم ذلك لصارت لهم الخيرية، وأوتوا أجرهم مرتين، لإيمانهم برسولهم وبمحمد ﷺ، وممن آمن من اليهود عبدالله بن سلام رضي الله عنه ، وهو من بني قينقاع، واسمه قبل الإسلام (حصين) كما آمن أخوه وعمته (خالدة) وآمن سعية أو سنعة ابن غريض بن عاديا التيماوي ابن أخ السموءل ابن عاديا، وثعلبة بن سعية وأسد بن سعية القرظي، وأسد بن عبيد القرظي، ومخيريق من بني النضير أو من بني قينقاع (على الخلاف في إسلامه) الذي أوصى بماله لرسول الله ﷺ، وأصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، وبعض نصارى نجران والحبشة وغيرهم، ولكنهم قليلون، كما

قال تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠] ثم بين سبحانه أن هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ○ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ﴾ [آل عمران:١١١،١١٢] ثم بين سبحانه أنهم ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ○ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣، ١١٤] وهؤلاء هم الذين أسلموا، وإطلاق أهل الكتاب عليهم مجاز باعتبار ما كان، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ [النساء:٢] فهم يتامى باعتبار ما كان.

فالفلاح والخيرية يتحققان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم حسب استطاعته وعلمه، إلا إذا غلب الظن أنه يجر إلى مفسدة أعظم.

فائدة: من معاني الحكمة

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩] فسرت الحكمة بإتقان العلم، وإجراء الفعل على وفق العلم، وسلامة العقل، واعتدال القوى، وفهم الأمور، والانقياد للحق، والبعد عن الهوى والعصبية

والمكابرة، وعدم التباس الحقائق المتشابهة، وتهذيب النفس، ومعرفة الله، وحسن التدبير والأخلاق الإسلامية ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

فائدة: من شروط قبول العمل : الإيمان

شرط قبول العمل الإيمان، كما أن الأعمال - وإن كانت واحدة - تتفاوت باختلاف التقوى والإيمان قوةً وضعفًا، ويتقبل الله من المتقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧] وقد مثل الله تعالى حبوط أعمالهم بمثل الحرث إذا ظلم أهله، فأنزل الله عليه ريحًا فيها برد شديد فأهلكته ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]. فهم الذين تسببوا في ذلك إذ لم يؤمنوا، وقد أعلمهم الله بذلك وأنذرهم، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، ولا يظلم أحدًا.

فائدة: التحذير من اتخاذ أعداء الإسلام بطانة

نهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا بطانة من أعداء الإسلام الذين يموهون على المسلمين بأنهم منهم، وقلوبهم ضدهم، لا يقصرون في فساد أمرهم وإفساد عقولهم وأعضائهم، وقد بدت البغضاء من أفواههم ومن فلتات ألسنتهم وأقوالهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[آل عمران:١١٨] والعاقل يعرفهم ويحذر منهم ولا يتخذهم بطانة له، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] وقد بين سبحانه أن أهل الكتاب لا يحبون المؤمنين ويبغضونهم ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالرسول ﷺ، بينما المؤمنون يؤمنون بالكتب كلها، كما بين أن أهل الكتاب ﴿إِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران:١١٩] وقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠] ولكن هذا لايضر المؤمنين إذا صبروا واتقوا الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

فائدة: من صفات الشيطان

من صفات الشيطان أنه يسول للمرء أنه إذا أنفق من ماله حصل له الفقر، ويأمره بإنفاق الرديء والخبيث، ويأمره بالفحشاء، ويزين له البخل، أما الله تعالى فإنه يعد المنفقين من طيب أموالهم المغفرةَ والفضلَ، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

فائدة: النذر

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠] النذر: إلزام مكلف نفسه شيئًا لله غير محال، وقيل في تعريفه: التزام قربة أو صدقة بصيغة الإيجاب على النفس، ويكون مطلقًا ومعلقًا على شيء، وهو معروف من الجاهلية، فقد نذر عبدالمطلب أنه إن رزق عشرة أولاد ليذبحن عاشرهم قربانًا للكعبة،

وكان ابنه العاشر عبدالله ثاني الذبيحين، وأب النبي محمد ﷺ، ونذرت نُتَيلة زوج عبدالمطلب لما افتقدت ابنها العباس وهو صغير أنها إن وجدته لتكسون الكعبة الديباج، ففعلت ذلك، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يارسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال ﷺ: «أوف بنذرك» [البخاري:٦٦٩٧، ومسلم:١٦٥٦] ونذرت امرأة عمران فقالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران:٣٥] وقال ﷺ: «إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخر، ولا يرد شيئًا، ولا يأتي ابنَ آدم النذر بشيء لم يكن قدِّر له، ولكنه يستخرج به من البخيل» [البخاري:٦٦٩٢-٦٦٩٤ ومسلم: ١٦٣٩-١٦٤٠] والوفاء به قربة لله تعالى إذا كان في طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧] وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» [البخاري:٦٦٩٦،٦٧٠٠].

فائدة: الصدقة السرية خير من الصدقة العلنية

الصدقة إذا كانت خفية، وأعطيت للفقراء خير من الصدقة على غيرهم، وخير من إعلانها، وهي في عمومها نِعِمَّا هي، كما قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١] وإذا كانت الصدقة زكاةً وخشي من غيبة الناس بأن يُظَن أنه لا يخرجها، أو كان الغرض من إظهارها وإبدائها حث الآخرين على الاقتداء به، وسن سنةً حسنةً، فيكون الإظهار أفضل من الإخفاء، ومن الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» [البخاري:٦٦٠،١٤٢٣،

٦٤٧٩ ومسلم: ١٠٣١] وتعطى صدقة التطوع للكفار، وهي للفقراء من المسلمين الذين أحصروا في سبيل الله المتعففين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء، والذين لا يستطيعون ضربًا في الأرض، والمجاهدين في سبيله، من أفضل القربات وأزكى الطاعات.

فائدة: أسباب تحريم الربا

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥] حرم الله الربا لأمور:

١- أن فيه أخذ مال بغير عوض.

٢- أن تعاطيه يمنع من الاشتغال في الاكتساب والمنافع بالتجارة والصناعة والعمارة.

٣- أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس بالقرض الحسن.

٤- أن الغالب في المقرض أن يكون غنيًا، وفي المستقرض أن يكون فقيرًا، فلو أبيح الربا لتمكن الغني من أخذ مال الضعيف، وهو أنواع:

الأول: ربا الجاهلية: وهو زيادة على الدين لأجل التأخير.

الثاني: ربال الفضل: وهو زيادة في أحد العوضين في بيع الصنف بصنفه من أصناف الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح.

الثالث: ربا النسيئة: وهو بيع شيء من تلك الأصناف بمثله مؤخرًا.

[تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٨٩] .

والربا من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] وقد حث الإسلام على إنظار المعسر، أو إسقاط الدين عنه، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

فائدة: إمداد ا لله لأوليائه يوم بدر

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] أي مردفين معهم ألف آخر فيكونون ألفين (٢٠٠٠) وقال سبحانه: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران:١٢٤] وقال: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] .

فقد وعدوا أولًا بألف، ثم وعدوا بألف ثانية ﴿مردفين﴾ فصار العدد ألفين، ثم وعدوا بثلاثة آلاف ﴿منزلين﴾ أي ينزلون إلى موقع القتال (ميمنة وميسرة وقلب، كل واحد ألف) ثم وعدوا بخمسة آلاف ﴿مسومين﴾ أي جيش عظيم له قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساق، كل واحد ألف، وهذا من الله تعالى حتى لا يخافوا من كثرة العدو، وذلك إذا صبروا واتقوا، وأتاهم العدد من فورهم، وهذا من فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيله، وما جعل الله ذلك ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦] وذلك لأمور بينت في الآية ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران:١٢٧] ثم قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨] فالأمر كله لله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢٩] .

فائدة: بيان سعة الجنة وأن سقفها عرش الرحمن

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

ﱡﭐ ﭑ ﭒ ﱠ [آل عمران:١٣٣] في الآية بيان لشدة اتساع الجنة، وأن عرضها عرض السماوات والأرض، وهي مخلوقة الآن تحت العرش، والعرش سقفها، وهذا قول الجمهور من أهل السنة والجماعة، وهو الذي دل عليه القرآن والسنة، كما في الحديث الذي فيه (إن جبريل وميكائيل قالا للرسول ﷺ: «ارفع رأسك» فرفع فإذا فوقه مثل السحاب، قالا: «ذاك منزلك» قال قلت: «دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك» [البخاري:١٣٨٦ ومسلم:٢٢٧٥] وهذه الجنة ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣،١٣٤] فهذه صفات أهل الجنة: التقوى، والإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

فائدة: أهمية علم التاريخ والنظر في حال من سبق

من قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧] نستفيد أهمية علم التاريخ والسير في الأرض ومعرفة أخبار الأمم وأسباب صلاحها وفسادها، ومن ذلك النظر في كتب السير والتفكر في خلق الله تعالى والمشاهدة. وأمروا بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب، لأن المخاطبين في الغالب أميون لا يقرأون.

فائدة: النهي عن الوهن والحزن

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] لا ينبغي للمسلم أن يهن أو يحزن، فإن ذلك مدعاة للضعف والخور، وذهاب العزيمة والإرادة، واليأس والجبن والأسف والكآبة والانكسار والذلة والخيبة والاستسلام للعدو وترك مقاومته. وبشر الله المؤمنين بالعلو بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ وسلَّاهم بأن ما أصابهم أصاب أعداءهم قرح مثله، وأن الأيام يداولها الله بين الناس لحكمة يعلمها منها ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ○ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١] و ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

فائدة: العلة في كتابة الدين

العلة في كتابة الدين والسلم بينها الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الأول: زيادة التوثيق والقسط والعدل والحفظ للحق، والثاني: أنه أعون على إقامتها، والثالث: نفي الشك والريبة والحرج.

فائدة: لا تقبل النيابة في الثواب والعقاب

قال العلماء: الأعمال لا تقبل النيابة في الثواب والعقاب، إلا إذا كان له أثر في عمل غيره، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ولقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع

به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم:١٦٣١ والترمذي:١٣٧٦، وأبو داود:٢٨٨٠] ولقوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» [مسلم:١٠١٧، وأحمد:٣٥٧/٤، ٣٥٩، وابن ماجه:٢٠٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:١٦٤] وقال: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٥٢].

فائدة: لا خلاف بين محكم القران ومتشابهه

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧] وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر:٢٣] .

وفي مواضع أخر قال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود:١] وقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان:٢] ولا تعارض بين هذه الآيات، لاختلاف المراد بالإحكام والتشابه في مواضعها بحسب ما تقتضيه المقامات، فإن المراد أنه أحكم وأتقن في بلاغته، وتشابه في الحسن والبلاغة والحقيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] أما من حيث الدلالة فإن المحكم ما اتضحت دلالته، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، فالمحكم واضح والمتشابه خفي، والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:٧] المنحرفون عن المنهج المستقيم

ممن مالت قلوبهم يؤولون الآيات المتشابهات حسب هواهم، ويتبعون الآيات المتشابهة، يحصونها ويفسرونها وفق منهجهم الزائغ عن الحق، طالبين بذلك الفتنة وموافقة أهوائهم الضالة، أما الراسخون في العلم فيقول الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:٧] وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمنع الناس عن مخالطة صبيغ بن شريك التميمي، وضربه ضربًا موجعًا، لأنه يسأل الناس عن متشابه القرآن، وممن يتبع المتشابه، فالباطنية والظاهرية والخوارج والمعتزلة والجهمية والحزبيون في عصرنا وأصحاب الطرق الصوفية وغيرهم من أصحاب المناهج المنحرفة في القديم والحديث، ويفتنون الناس في ذلك، وهذا من زيغ القلوب، ولهذا أعقبت الآية بالدعاء ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

فائدة: متاع الدنيا الزائلة

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾ [آل عمران:١٤] وهذه كلها متعة دنيوية، أما الخير كل الخير فهو ما أعده الله للمتقين من جنات النعيم والأزواج المطهرة ورضوانه، وهذه لمن يسأل الله المغفرة والعتق من النار، ويصبر ويصدق ويقنت لله وينفق مما أتاه ويقوم الليل، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ○ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ

ٱلنَّارِ ○ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

فائدة: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

القتال من أجل الوطن أو التراب أو القومية أو القبيلة أو اللون أو غير ذلك من العصبيات، سئل رسول الله ﷺ عن مثل ذلك فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [البخاري: ١٢٣ ومسلم: ١٩٠٤] وقال تعالى: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وقال: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٥] فالجهاد يجب أن يكون في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، ولإقامة دين الله، حتى لا يكون قتالًا جاهليًا، كما هو حال الكثير من الناس اليوم.

فائدة: أسباب الهزيمة والنصر

هناك أسباب للهزيمة والنصر، وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين: أسباب مادية وأسباب معنوية:

ومن هذه الأسباب للهزيمة ما يكسبه الإنسان من الذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٥] وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. كما أن إهمال الاستعدادات المادية سبب من أسباب الهزيمة، لأن ذلك معصية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

فإذا أعد المسلمون ما يستطيعون وأطاعوا ربهم نصرهم الله، ولو كانت قوتهم المادية أقل من قوة عدوه.

فائدة: من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله ﷺ رحيمًا غير فظ ولا غليظ القلب، لينًا يعفو ويصفح ويستغفر لمن أساء، ويشاور الصحابة في أموره، ويتوكل على الله، حسن الأخلاق والصفات، ليس بالجافي ولا القاسي، وهذا من كرم الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فائدة: حياة الشهداء

حياة الذين قتلوا في سبيل الله حياة زائدة، يحصلون فيها على اللذات والنعيم والمسرات، عند ربهم يرزقون، وهي أعلى من حياتهم الدنيوية، حياة فرح واستبشار، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

فائدة: الدعوة إلى الله بالحسنى والأسلوب الأمثل

يجب أن تكون المحاورة والمجادلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف وبالتي هي أحسن والأسلوب الأمثل، انظر إلى قول الله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] مع أن النبي عليه السلام هو الذي على الهدى

وهم على الضلال المبين، وإلى قوله: ﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥] مع أن الجرم عندهم، وإلى قوله لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٣،٤٤] وإلى قوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] وإلى قول الرجل المؤمن: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر:٢٨] مع أنه يعلم أنه صادق، وأنه سيصيبهم إذا لم يؤمنوا كل الذي يعدهم لا بعضه، وإلى قول يوسف عليه السلام لإخوانه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩] فقدم لهم العذر بالجهل، وإلى قول يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٩٨] وقول يوسف عليه السلام لإخوانه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] وإلى قول الرسول محمد ﷺ لقومه الذين آذوه وتمكن منهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» [البيهقي في السنن الكبرى:٩/١١٨] وقوله ﷺ: لملك الجبال الذي طلب أن يطبق عليهم الأخشبين: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا» [البخاري:٣٢٣١ ومسلم:١٧٩٥] وغير ذلك من حسن الحديث والمجادلة والعفو عند المقدرة والأسلوب الحسن، فياليت الدعاة إلى الله يستفيدون من هذه الأساليب الرائعة.

فائدة: اللجوء إلى الله عند الشدائد

قول المؤمن عند الخوف من العدو: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] سبب كبير في إنقاذه من العدو، والحصول على نعمة الله والفضل العظيم، والبعد عن السوء، وسبب لرضوان الله

ونصره وزيادة إيمانه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

إن المؤمن الحق يكتفي بالله ناصرًا ومؤيدًا ووكيلًا وكفيلًا وحسيبًا، فلا يخاف إلا منه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرجو إلا فضله ورحمته، وهذا هو التوحيد، أما أولياء الشيطان فيخافون من غير الله ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وإن الشياطين لترجف وتوسوس وتكيد وتثبط العزائم وتخوف وتحزن، نعوذ بالله منها.

فائدة: سوء خلق اليهود ودناءتهم

أرذل خلق الله اليهود المغضوب عليهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقال عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٣] كذبوا الرسل وقالوا: عزير ابن الله، وقال حبرهم حيي بن أخطب لما سمع قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١] قال: إنما يستقرض الفقير الغني، وقال أحدهم واسمه (فنحاص): ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيًا لما استقرضنا أموالنا، وذلك حين سمع قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

فائدة: من نعمة الله على بني آدم أن جعل لهم أزواجا يسكنون إليهن

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] وقال: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ ولم يقل: لتسكنوا معها، وقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] فقدم أنهن لباس على أن الرجال لباس لهن، ويظهر من ذلك أن السكينة والعاطفة واللباس والطمأنينة عند المرأة أكثر مما هي عند الرجل، والله أعلم.

فائدة: التفكر في خلق السماوات والأرض من دأب الأخيار

أولو العقول يعتبرون بخلق السماوات والأرض، وآثار هذا النظام في نفوسهم عظيمة، ويذكرون الله تعالى وهم قيام أو قعود أو على جنوبهم وفي صلواتهم، ثم يتيقنون بأن هذا الخلق ليس باطلًا، ويسألون الله تعالى أن يقيهم عذاب النار، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ○ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] إلى آخر دعائهم المنبعث من تفكرهم، ولا شك أن التفكر من أكبر العبادات وأعظمها، قيل لأم الدرداء رضي الله عنها: ما كان شأن أبي الدرداء رضي الله عنه؟ قالت: كان شأنه التفكر، وقيل لمالك رحمه الله: أترى التفكر عملًا من الأعمال؟ قال: نعم هو اليقين، وكان الرسول ﷺ دائم التفكر.

فائدة: الصبر جماع الفضائل

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] أمر الله تعالى المؤمنين بأن يصبروا، والصبر جماع الفضائل، وهو ثبات النفس وعدم تزلزلها، وأمرهم بالمصابرة أمام الصابرين الأقوياء لئلا يملوا ولا يكلوا، وأمرهم بالمرابطة في حراسة الثغور خشية أن يفاجأهم العدو، وأن يكونوا دائمًا على حذر من أعدائهم، وقال رسول الله ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه» [مسلم:١٩١٣] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة وقال: «فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» [مسلم: ٢٥١، والترمذي: ٥١، والنسائي: ١٤٣، وأحمد: ٢/ ٢٧٧، ٣٠٣] وأمر الله تعالى بالتقوى، لأنها جماع الفلاح والخيرات والبركات.

فائدة: المؤمن لا يهمه إلا رضا الله

المؤمن الحق لا يهمه ولا يبالي بلوم اللائمين في ذات الله تعالى، والقيام بأوامره واجتناب نواهيه والدعوة إليه والجهاد في سبيله، كما قال تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فائدة: أحوال موالاة الكفار

موالاة الكفار لها أحوال كثيرة:

أولًا: إذا كان سبب ذلك الميل إلى كفرهم وكراهية المسلمين، فهذا كفر بالاتفاق.

ثانيًا: الركون للكفار ومظاهرتهم لأجل القرابة والمحبة دون الميل

لدينهم، مع معرفته أن الكفار يجاهرون بعدائهم للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩] فهذا ظلم عظيم وإثم كبير.

ثالثًا: ما كان مثل الثانية بدون أن يكون الكفار متجاهرين ببغض المسلمين ولا أذاهم، كما كان نصارى العرب عند ظهور الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ﴾ [المائدة: ٨٢] وموالاة هؤلاء منهي عنها.

رابعًا: موالاة طائفة من الكفار لأجل الإضرار بطائفة من المسلمين، وقد أفتى العلماء بكفر من حصل منه ذلك.

خامسًا: أن يستعين المؤمنون بطائفة من الكفار لنصر المسلمين على أعدائهم، قال مالك رحمه الله: لا بأس بالاستعانة بالمشركين في القتال عند الحاجة، وذهب إلى ذلك أبو حنيفة والشافعي والليث والأوزاعي وغيرهم.

سادسًا: أن يتخذ واحد من المسلمين واحدًا من الكافرين صديقًا له من غير إضرار بالمسلمين، وهذا غير ممنوع، وهو من المصاحبة بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥] وقال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «صِلِي أُمَّكِ» وقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ﴾ [الممتحنة: ٨].

سابعًا: المعاملات الدنيوية مع الكفار، وهي تختلف باختلاف أحوالها.

ثامنًا: إظهار الموالاة لهم لاتقاء الضرر، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةًۗ﴾ [آل عمران:٢٨] وهذه الحالة يجب أن لا تدوم، لأنها إذا طالت دخل الكفر في الذراري، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦] ولما أخذ المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما وعذبوه عذابًا شديدًا، فقال ما أرادوه منه فكفوا عنه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «كيف تجد قلبك؟» قال: (مطمئنًا بالإيمان) فقال عليه الصلاة والسلام: «فإن عادوا فعد» [البيهقي في السنن الكبرى:٨/ ٢٠٩] قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

فائدة: الفرق بين العلم والمعرفة

قال تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣] وقال: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢].

من الفروق بين العلم والمعرفة:

١- أن فعل المعرفة يتعدى إلى مفعول واحد، وفعل العلم يتعدى إلى مفعولين.

٢- المعرفة تتعلق بالذات، والعلم بالأحوال والصفات، تقول: عرفت أباك وعلمته صالحًا.

٣- المعرفة تكون بعد الجهل بالشيء.

٤- المعرفة تكون من المخلوق لجهله أولًا، أما العلم فهو لله تعالى، ولا يقال لله تعالى: عرف كذا.

٥- إذا قلت: علمت زيدًا لم تفد شيئًا، حتى تقول: علمت زيدًا كريمًا شجاعًا، أما إذا قلت: عرفت زيدًا، فإن هذه الجملة تفيد.

فائدة: شروط قبول العمل

الإخلاص والمتابعة شرطان لقبول العمل، فأفضل الناس مَنْ أعمالهم كلها لله، ومتابعتهم كلها لرسوله ﷺ، قال الفضيل بن عياض: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، وهذا المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] وأقبح الأعمال من لا إخلاص فيها ولا متابعة، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨] ومن الأعمال من تكون من مخلص غير متابع كأهل البدع، ومنها من تكون من متابع ولكنها لغير الله كالمرائين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

فائدة: من أعرض عن الحق وقع في الباطل

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

كل من أعرض عن حق وقع في باطل، فمن أعرض عن عبادة الله عبد الشيطان والهوى والمال، ومن رغب عن العمل لوجه الله ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق، ومن رغب عن العمل لمن بيده الضر والنفع والموت والحياة والسعادة ابتلي بالعمل لمن لا يملك له شيئًا، ومن رغب عن إنفاق ماله في طاعة الله ابتلي بإنفاقه لغير الله، ومن رغب عن

قراءة القرآن وتدبره ابتلي بقراءة كتاب الآراء وزبالة الأذهان ووسخ الأفكار، ومن قال: إن الله ليس مستويًا على عرشه جعله في كل مكان حتى ولو كان نجسًا، وكل من أعرض عن الحق وقع في الباطل.

فائدة: قصة قوم نوح عليه السلام

قوم نوح عليه السلام كانوا يسكنون الجزيرة والعراق، دعاهم نوح عليه السلام إلى عبادة الله وحده، وخوفهم من عذاب الله، فقال ﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] واستمروا على كفرهم وعنادهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما آمن مع نوح عليه السلام منهم إلا قليل من المستضعفين، فأغرقهم الله بالطوفان، وأغرق معهم ابن نوح عليه السلام وزوجته، ونجاه الله ومن معه في الفلك بعد أن دعا عليهم نوح عليه السلام فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

فائدة: الله أعلم بخفايا النفوس

الله سبحانه وتعالى يعلم ما تضمره القلوب وما تكنه الصدور وما توسوس به النفوس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ [هود: ٣١] وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] فهو سبحانه يضع العطاء في مواضعه، وقال الرسول ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» [مسلم: ٢٩٦٥، وأحمد: ١/١٦٨] وقال: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره» [مسلم: ٢٨٥٤، والبغوي في شرح السنة: ١٤/٢٦٩] مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما

تقولون في هذا؟» فقالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع، ثم مر به آخر من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» فقالوا: هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يستمع، فقال النبي ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» [البخاري:٥٠٩١] وقد يزدري الناس شخصًا خيرًا منهم، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:٣١] يقال للرجل كما ورد في الحديث: ما أكيسه ما أحسنه، وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فالله تعالى أعلم بخفايا النفوس وصدق النيات وحسن الأعمال، نسأل الله تعالى أن يجعل باطننا حسنًا وظاهرنا حسنًا.

فائدة: إذا تمكن نور الإيمان في القلب فاض على الجوارح

قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية: (ذاك نور الله الذي هو نوره، إذا تجلى به لم يقم له شيء) وهو نور الإيمان الذي أخبر الله عنه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النور:٣٥] وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: (مثل نوره في قلب المؤمن) فهذا نور يضاف إلى الرب، وهو نور الله، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] فهذا النور إذا تمكن في القلب وأشرق فيه فاض على الجوارح، فيرى أثره في الوجه والعين، ويظهر في القول والعمل، وقد يظهر حتى يشاهد عيانًا.

فائدة: الرد على النصار المدعون إلهية عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] هذه الآية رد على النصارى في وصف عيسى عليه السلام بأنه ابن الله - تعالى الله عما يصفون - وإبطال لعقيدتهم في تأليهه، لأنه خلق بكلمة من الله، وليس له أب، فقالوا: هو ابن الله، فأراهم الله أن آدم عليه السلام لا أب له ولا أم، فإذا لم يكن آدم عليه السلام عندهم ولا عند غيرهم إلٰهًا فعيسى عليه السلام أولى بالمخلوقية، وكلاهما عبيد لله مخلوقان بكلمة منه (كن) ولم يقل الله لآدم عليه السلام: كن من تراب ثم أحياه، بل قال: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

فائدة: التمني الممنوع والتمني المشروع

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء:٣٢] التمني تطلع النفوس إلى ما ليس لها، مثل تمني النساء أن يكن مثل الرجال في كل شيء، وبعض التمني غير منهي عنه، مثل تمني الشهادة في سبيل الله، وتمني العلم والحكمة، وتمني المال لينفقه في طاعة الله، أما التمني للحسد فحرام كما في الحديث: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها» [البخاري:٢١٤٠،٥١٥٢] وتمني امرأة مخطوبة لآخر، وخطبتها على خطبته، وتمني مالا قبل لأحد بتحصيله، وتمني الإضرار بالآخرين، فإن هذه الأمنيات تفسد ما بين الناس من معاملات، وتسبب الحسد والغيظ والغضب، وتدعو إلى ارتكاب الجرائم، ويحصل بسببه ابتزاز الأموال. ولما قالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: (يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث) نزلت هذه الآية [الترمذي:٣٠٢٢، وأحمد:٦/٣٢٢ وصحح إسناده الألباني] وهو حديث مرسل ورواياته كلها حسان.

فائدة: طيرة المنافقين وأحزابهم بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء:٧٨] كان بعض المنافقين واليهود والأعراب إذا بايعوا الرسول ﷺ وهاجروا معه إلى المدينة فأصابتهم الحمى يستقيلون من البيعة، فقال النبي ﷺ في شأن مَنْ هذه صفته: «المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها» [البخاري:١٨٨٣، ومسلم:١٣٨٣] ومثل هذا حال أصحاب موسى عليه السلام: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ﴾ [الأعراف:١٣١] وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ﴾ [الحج:١١].

فما أصاب الإنسان من مصائب وسيئات وخسف وأمراض فهو بسبب الإنسان نفسه، قال النبي ﷺ: «لا تصيب عبدًا نكبةٌ فما فوقها وما دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» [الترمذي:٣٢٥٢ وضعفه الألباني] ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

فائدة: عاد من العرب البائدة

عاد: من العرب البائدة، وكانوا عشر قبائل، وهم أبناء عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكانت منازلهم بالشَّحْر من أرض اليمن وحضرموت وعُمان، والأحقاف كانت رمالًا، دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده فكفروا إلا القليل من المستضعفين، وقالوا لهود: إنك سفيه، فذكرهم بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وزادهم في الخلق بصطة في قوة الأجسام وسلامتها، ولكنهم لم

يشكروا الله ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] فغضب الله عليهم ووقع عليهم الرجس، وعبدوا الأوثان، وجادلوا عنها، فقطع الله دابرهم وأهلكهم ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦،٧] ونجى الله هودًا ومن معه برحمة منه.

فائدة: الأصل في النفس الخير

قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤] وقال سبحانه عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢] فعبر بكلمة ﴿واستوى﴾ بالنسبة لموسى عليه السلام ولم يعبر بها بالنسبة ليوسف عليه السلام، لأن الاستواء كمال البنية بعد بلوغ الأشد، فقد كان موسى عليه السلام رجلًا طويلًا قوي البنية، كما ورد في الحديث الشريف «كأنه من رجال شنُوءة» [البخاري:٣٣٩٤، ومسلم:١٦٨] ولهذا لما وكز القبطي قضى عليه، كما قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥] أي ضربه بيده فمات ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥] وفي هذا دليل على أن الأصل في النفس الخير، وأن الفطرة تدعو لذلك، وأن أي انحراف فهو من نزغات الشياطين الأعداء لبني الإنسان الذين يريدون إضلالهم ضلالًا مبينًا. وقال تعالى عن موسى عليه السلام على لسان بنت شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] ومن قوة موسى عليه السلام أنه بعد قدومه إلى مدين من التعب والخوف ومشاق السفر قام بالسقاية للمرأتين، ولم

يركن إلى الراحة، لهذا قالت إحدى ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

فائدة: تعظيم حرمات الله وشعائره من تقوى القلوب

تعظيم حرمات الله وشعائره من تقوى القلوب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وتعظيمها ترك انتهاكها، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، واحترام المناسك والأمكنة والأزمنة الفاضلة، والرغبة والرهبة منه سبحانه، والخشوع، والتفكر في آياته، والتشمير لمرضاته، وإرادة الدار الآخرة، والشوق إلى لقائه، والنظر إلى وجهه الكريم.

فائدة: من صفات المفلحين

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ○ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ○ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾» [المؤمنون: ١-١٠] [الترمذي: ٣١٧٣ وضعفه الألباني] قال ابن العربي في العارضة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] هي العاشرة، وقد جمعت هذه الآيات صفات المفلحين.

فائدة: عظم حق الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء:٣٦] في هذه الآية الاهتمام بشأن الوالدين، حيث جعل الإحسان إليهما عقب الأمر بعبادته، كقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان:١٤] وقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ○ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ [لقمان:١٣، ١٤] .

فائدة: مفاهيم الجاهلية الخاطئة

جاء الإسلام لينفي مفاهيم خاطئة كانت سائدة في الجاهلية، ومن ذلك اعتقادهم أن جميل بن معمر (ويقال: ابن أسد) بن حبيب الجمحي الفهري له قلبان يعملان) وقد غره ذلك، فكان يقول: إن في جوفي قلبين أعمل بكل واحد منهما عملًا أفضل من عمل محمد ﷺ، كما سموا بذي القلبين عبدالله بن خطل التيمي، وكان يسمى في الجاهلية عبدالعزى، فأسلم فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، ثم كفر وقتل يوم فتح مكة، وهو الذي تعلق بأستار الكعبة فلم يعف عنه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ [الأحزاب:٤].

ومن مزاعم الجاهلية أن الرجل إذا أراد فراق زوجه فراقًا لا رجعة فيه يقول لها: (أنت عليَّ كظهر أمي) فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ [الأحزاب:٤].

ومن مزاعمهم الجاهلية نسبة الأدعياء أبناء، فيقولون للدعي: فلان بن فلان، فينسبونه للذي تبناه، ويجعلون له جميع ما للأبناء الحقيقيين، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾ [الأحزاب:٤] وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه متبنى رسول الله ﷺ في الجاهلية،

وعامر بن ربيعة تبناه الخطاب أبو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسالم تبناه أبو حذيفة رضي الله عنهما، والمقداد بن عمرو تبناه الأسود بن عبد يغوث، وغيرهم كثير، فأبطل الله ذلك كله، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٥].

فائدة: الميثاق الغليظ الذي لا يجوز نقضه

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ○ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٧، ٨].

لقد أخذ اللهالميثاق من النبيين بتقوى الله، ونبذ طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع ما أوحى الله به إليهم، وسيسأل الله الأنبياء والعلماء الذين هم ورثتهم عن صدقهم في ذلك، وتبليغهم رسالة ربهم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فسنة الله واحدة متحدة، وشأن الرسل في هذا الميثاق واحد، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾ الآيات [الأحزاب: ١ وما بعدها] كما أنه سبحانه أخذ ميثاق النبيين السابقين بالإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه ونصرته، قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ [آل عمران: ٨١] ومن صدق من المؤمنين والعلماء والناس أجمعين جزاه الله خيرًا، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ

ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ [الأحزاب:٢٣] وقال: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأحزاب:٢٤] فالمسلم مأمور بقبول الحق، وتبليغه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وعدم الخشية من الناس، ومجاراة الأهواء، ومشاطرة أهل الضلال في الإبقاء على بعض ضلالهم، وقد وعدهم الله إذا قاموا بذلك أن ينصرهم ويهديهم السبيل، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [الأعراف:١٦٩] وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤] كما توعد الله الذين ينقضون عهده، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥].

كما وصى نوحًا عليه السلام والأنبياء من بعده بذلك، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ الآية [الأعراف:١٧٢] وإذا كان أعداء الإسلام اليوم قد اجتمعوا على محاربة الإسلام بأسماء وأشكال مختلفة، فإن أعداءه في السابق حاربوه بطرق كثيرة، وصمد أهل الحق وانتصروا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ الآيات [الأحزاب:٩ وما بعدها] ومن نعمة الله تعالى أن أيد المؤمنين ورد عنهم كيد الكافرين والمنافقين فلم ينالوا خيرًا. وهذا ميثاق من الله في

كل عصر ومصر إذا صدق المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ الآية [المائدة:٧].

فائدة: الجزاء على الأعمال

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥] وقال: ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه:١٠٣] وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:١٠٤] وقال: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٣] هذا خلافهم ومشادَّتهم بالكلام ولجاجهم وسوء فهمهم، كما كانوا في الدنيا يصرفون عن الحق كذلك يصرفون عنه في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥] فهم يقسمون على وهم، ولا عجب في ذلك، لأنهم يجيئون بأوهام، كما كانوا في الدنيا يقسمون على أوهام، قال تعالى عنهم في الدنيا: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ﴾ [النحل:٣٨] فقد تخلقوا بالأوهام الكاذبة، حتى إذا أعاد الله إليهم أرواحهم عادوا على ما كانوا تخلقوا به، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ○ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ○ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ﴾ الآية [طه:١٢٥-١٢٧] فالجزاء من جنس العمل، فيجب على المسلمين أن يتخلقوا بآداب الإسلام، ويتحاشوا الرذائل حتى لا تكون لهم خلقًا ثابتًا فيحشرون على ما كانوا عليه في الدنيا.

أما المؤمنون فإنهم يقولون كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ

وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٦] أي دعوا عنكم هذا الخلاف واشتغلوا بالأهم، فلا جدوى اليوم من الخلاف في مقدار مكثكم في الدنيا، فهذا يوم البعث الذي كذبتم به ولكنكم لا تعلمون، وفي هذا بيان لأهمية العلم والتعلم الذي يوصل إلى الحق.

فائدة: تشبيه أعمال الكافرين بالسراب والظلمات

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور:٣٩] كان المشركون يقولون: نحن نعمر المسجد الحرام ونطوف ونطعم المسكين ونسقي الحاج ونقري الضيف وغير ذلك، فبين الله تعالى أن أعمالهم كالسراب بالقيعة الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا. والقيعة هي: الأرض المنبسطة ليس فيها ربى، فأعمال الكافرين شبيهة بالسراب في أن لها صورة الماء وليست بماء، والكافر مثل الظمآن في حاجته إلى الانتفاع بعمله، وخيبة الكافر يوم القيامة تشبه خيبة الظمآن عند مجيئه للسراب، وأخذ الله الكفار عند الحساب يشبه من ظن أن السراب ماء فوجد من يترصد له ليأسره ويأخذه ويعذبه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة:١٩] والتشبيه الثاني ورد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] فأعمال الكافرين التي يظنون أنها تقربهم إلى الله، شبهت

بالظلمات بالليل في البحر شديد الموج عميق يغشاه موج يركب بعضه بعضًا بتعاقب سريع عند اشتداد الرياح وفوقه سحاب قاتم، فهي ظلمات فوقها ظلمات لا يهتدى معها طريق، ولا يُرى فيها شيء، نسأل الله العافية، وأن يجعل لنا نورًا نهتدي به ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فائدة: الله يبتلي العباد بعضهم ببعض

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] حال المؤمنين الضعفاء فتنة للمشركين حيث ترفعوا عن مجالسهم، وترفعوا عن الإيمان بسببهم، فقد كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأضرابهم يقولون: إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار بن ياسر وصهيب وبلال ترفعوا علينا، بسبقهم إلى الإسلام، وهذا القول من الكبر قال به قبلهم سادات وكبار الكفار للأنبياء السابقين، فقد قال سادة قوم نوح عليه السلام: لن نؤمن حتى تطرد الذين آمنوا بك، فقال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ○ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٩، ٣٠] وقال الله تعالى للنبي محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ○ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣] كما قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ لما طلب سادات قريش إبعاد الضعفاء عن مجلسه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

ومن ذلك قول المشركين لنبيهم نوح عليه السلام: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وقولهم له: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ [هود: ٢٧] وغير ذلك من الفتن التي يفتن فيها الناس بعضهم ببعض.

فائدة: أخوة العقيدة أعظم من أُخوة النسب

قال الله تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨] هذه الآية بينت الأخوة والمعروف والإحسان بين المسلمين، ولو كان أحدهم قاتلًا، فإطلاق وصف الأخ على المماثل في دين الإسلام، فأخوة العقيدة أعظم من أخوة النسب، لأن التوافق في الدين آصرة نفسانية، والتوافق في النسب آصرة جسدية، والروح أشرف من الجسد، واحتج ابن عباس رضي الله عنهما بهذه الآية على الخوارج في أن المعصية لا تزيل الإيمان، لأن الله سمى القاتل أخًا لولي الدم، وتلك أخوة الإسلام مع كون القاتل عاصيًا.

فائدة: الكائنات كلها تصلي وتسبح لله إلا الكافر ا لذي حُرِمَ من الهدى

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

سبحان الله العظيم الذي يسبح له من في السماوات والأرض حتى الطيور صافات، كل قد علم صلاته وتسبيحه، عدا الكافر الذي

حُرم من الهدى، فصارت أعمالهم كسراب بقيعة، وهذا من تدبير الله ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] فهذه الكائنات كلها تصلي وتسبح وتدعو الله، وقد حرم منها الكافرون، ووفق لها العجماوات التي جبلها الله على إدراك نعمة ربهم، قال تعالى عن الكفار: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

فائدة: حصول انخراق في السماوات مؤذن بنزول الملائكة

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥] وقال: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبإ:١٩] وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١] هذه الآيات تدل على انخراق يحصل في السماوات وزوال للحواجز والحدود، وهذا إيذان بنزول الملائكة وحضورهم إلى موقع الحشر والحساب.

فائدة: اعتراضات الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذه بعض أقوال الكفار للرسول ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ﴾ [الفرقان:٤] ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان:٥] ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان:٧،٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] وقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ

بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٢، ٩٣].

فائدة: قطع حجة السفهاء في استقبال القبلة

قال الله تعالى عن استقبال القبلة في الصلاة: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]

ما هي الحجة؟ الحجة للمشركين أن يقولوا: لا نتبع هذا الدين، إذ ليس ملة إبراهيم عليه السلام، لأنه استقبل بيت المقدس قبلة اليهود والنصارى.

أما حجة أهل الكتاب أن يقولوا: إن محمدًا اقتدى بنا واستقبل قبلتنا فكيف يدعونا إلى اتباعه؟! ثم قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] وتمام النعمة الاستقامة، وبها دخول الجنة، وقد مر النبي ﷺ برجل يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، قال: «يابن آدم أتدري ما تمام النعمة؟» قال: دعوة دعوت بها، أرجو بها الخير، قال: «فإن تمام النعمة فوز من النار ودخول الجنة» [أحمد: ٥/ ٢٣١، ٢٣٥ والترمذي: ٣٥٢٧، وحسن إسناده محققو المسند] وهذه النعمة للمسلمين عامة، أما النعمة التي خص الله بها العرب فهي ما ذكر في الآية التي بعدها ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وهذه المزية ينالها كل من تعلم اللغة العربية، ولو كان من غير العرب، كسلمان الفارسي رضي الله عنه وبلال الحبشي رضي الله عنه وغيرهم إلى يوم القيامة، كغالب الأمم الإسلامية التي تعلمت اللغة

العربية ودخلت في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١] ولا شك أن الإسلام هو سبب انتشار اللغة العربية والحفاظ عليها، ولهذا يفهم العربي لغة آبائه وأجداده ولو كانت في قديم الزمان في عهد أصحاب المعلقات، أو قبلهم، أما غير العرب فلا يفهمون لغة أجدادهم البعيدين، فالقرآن الكريم حفظ علينا ديننا ولغتنا، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: حياة الشهداء البرزخية خاصة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ○ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٣،١٥٤] الأمر بالصبر والصلاة قبل ذكر من مات في سبيل الله تهيئة للمسلمين للصبر على شدائد الحرب، وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥] يدل على أنها سهلة على الخاشعين، أما حياة الذين يقتلون في سبيل الله، فهي حياة زائدة عن مطلق حياة الأرواح البرزخية التي تتنعم أو تعذب، أما حياة الذين قتلوا في سبيل الله فهي حياة مشتملة على إدراكات التنعم بلذات الجنة والعوالم العلوية والانكشافات العظيمة، وقد ورد في الحديث أن أرواح الشهداء تجعل في حواصل طيور ترعى من ثمر الجنة، وتشرب من مائها. [مسلم:١٨٨٧] فقد عوضها الله جسدًا مناسبًا للجنة ليكون وسيلة نعيمها.

فائدة: الأمر بأكل الحلال الطيب

أكل الحلال الطيب أمر الله به، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨] وقد كان العرب في الجاهلية يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وما قال الله تعالى عنهم في

سورة الأنعام: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ [الأنعام:١٣٨] وقال تعالى: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤] والطيبات هي كل ما تستطيبه النفوس بالإدراك المستقيم السليم من الشذوذ. والخبيث كل ما يعود تناوله بضرر جسماني أو روحاني، كالخمر والخنزير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون:٥١] فقدم أكل الطيبات على العمل الصالح، وإذا حضر الطعام وحضرت الصلاة قدم الطعام، فليس في الإسلام كهنوت ولا إصر ولا إغلال، إنما هو دين الرحمة والوسطية والخير والاعتدال والقسط والعدل، وقد جاء الرسول ﷺ ليحل لنا الطيبات، ويحرم علينا الخبائث، ويضع الإصر والأغلال عنا، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، والحمد لله رب العالمين على كرمه وجوده وفضله وإحسانه ورحمته.

فائدة: الله لا يقبل من الصدقات إلا الحلال الطيب

الله سبحانه وتعالى لا يقبل من الزكاة والصدقات إلا الطيب المأخوذ من الحلال، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه» الحديث [البخاري:١٤١٠، ومسلم:١٠١٤] وفي حديث آخر: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» [مسلم:١٠١٥] ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧] ومن الطيب ربح التجارة وعمل

اليد والإجارة والغنيمة والصيد والزراعة والماشية وما أخرجت الأرض من المعادن والحبوب والثمار وغير ذلك، وضد الطيب الخبيث من الحرام والمستقذر والرديء.

فائدة: عقوبة المعصية

قد يعاقب العاصي أو المخطئ بالغم والهم والحزن، قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣] وذلك في غزوة أحد عندما تركوا مواقعهم، وخالفوا أمر الرسول ﷺ فانقض عليهم المشركون، ولكن رحمة الله غالبة، فأنزل عليهم من بعد الغم أمنةً نعاسًا يغشى طائفة منهم وهم المؤمنون، أما المنافقون فهم ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فائدة: النجوى مذمومة إلا في ثلاثة أمور

النجوى في عمومها مذمومة، وهي المسارة في الحديث، قال تعالى: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء:٤٧] وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ [النحل:٢٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة:١٠] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة:٨].

ويستثني من الذم ثلاثة أمور: الأمر بالصدقة والأمر بالمعروف والصلح بين الناس، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا

مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤] فهذه الثلاثة إذا فعلها الإنسان ابتغاء مرضاة الله حصل على الأجر العظيم، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

فائدة: الإجماع حجة واجبة

إجماع علماء الإسلام حجة وواجب، واتباع سبيل غير سبيلهم مشاقة لله ولرسوله ﷺ وحرام، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨] وعليه فالواجب على المسلم الالتفاف على كبار العلماء واتباع سبيلهم، وطاعة ولي الأمر، والحرص على الجماعة، وعدم الشذوذ والانفراد والاختلاف.

فائدة: التغيير المسموح والممنوع

تغيير خلق الله على قسمين:

القسم الأول: ما أذن الله به كالختان، وحلق الشعر لفائدة، وتقليم الأظفار، وثقب آذان النساء لوضع الأقراط والزينة.

القسم الثاني: ما كان من سمات العواهر والمشركات كوصل الشعر والتنمص والتفلج وفقأ عين الحامي، وهو البعير الذي حمي ظهره من الركوب لكثرة ما أنسل، وتسييبه للطواغيت، والوشم للزينة، ووسم الوجوه بالنار، وأمثال ذلك من المحرمات، قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١١٩].

فائدة: الخُلَّة أرفع درجات المحبة

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥] معنى خلة الله لإبراهيم عليه السلام شدة رضا الله عنه، واستجابة دعوته، وذكره بخير، وعبوديته لربه، وإيمانه وإحسانه وإسلام وجهه لله، وحنيفيته وعدم ميله إلى الشرك، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] فذكره والثناء عليه إلى أن تقوم الساعة (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

فائدة: من آيات الله الليل والنهار

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النمل:٨٦] وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧] هذه آيات تتكرر على الناس في كل يوم، وفي ذلك دلالة على تعاقب الموت والحياة، وآية خلق الشمس والقمر والأرض ودورانها، وسكون الليل، ورغبة الإنسان بالظلمة ليستريح دون الهوام والخفافيش وبعض الدواب التي تنشط في الليل.

فائدة: اليهود قتلة الأنبياء

اليهود هم قتلة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ [البقرة:٦١] فهم الذين قتلوا زكريا عليه السلام، لأنه حاول تخليص ابنه يحيى عليه السلام من القتل، وقتلوا يحيى عليه السلام

لإيمانه بعيسى عليه السلام، وقتلوا النبي أرميا بمصر، وقتلوا حزقيال النبي لأجل توبيخه لهم على سوء أفعالهم، وزعموا قتل عيسى عليه السلام فهو معدود عليهم لإقرارهم بقتله، وهم كاذبون في ذلك ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨] وقتل منسى بن حزقيا ملك إسرائيل النبي أشعياء، ونشره بالمنشار، لأنه نهاه عن المنكر، فلم يحمه أحد منهم، وقتلوا الدعاة إلى الله، ورضي أواخرهم بما فعل أسلافهم، فهم مشتركون في القتل، والراضي كالفاعل. وأرادوا قتل نبينا محمد ﷺ بإلقاء الصخرة عليه فحماه الله تعالى.

فائدة: مثلُ نور التوحيد وظلام الشرك

قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ [آل عمران:٢٧] أي تدخل ضوء النهار وظلمة الليل بالآخر، وكذا يحدث حصول نور التوحيد بعد ظلام الشرك، ويحصل العكس، وحصل ظهور الإسلام وإبطال الضلال، وقد كان الناس في عهد موسى عليه السلام على دين صحيح، ثم حدثت ظلمة الجهل، ثم جاء محمد ﷺ بنور الإسلام، ولهذا ابتدىء بقوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ وانتهى بقوله تعالى: ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ ثم قال تعالى: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] بعد قوله سابقًا: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ فقد أعطى الله أمة محمد ﷺ الأمية الخير بعد أن كان لدى أهل الكتاب ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحديد:٢١] وإخراج الحي من الميت كخروج الحيوان من المضغة ومن البيضة، وإخراج الميت من الحي مثل إخراج ابن نوح من نوح عليه السلام. وظهور الهدى والملك في أمة محمد ﷺ الأمية مشابه

لهذا، وكذا ظهور ضلالات الكفر في أهل الكتاب وزواله عنهم بعد ذلك، وإخراج إبراهيم عليه السلام من أبيه آزر حي من ميت.

فائدة: الجبال وما فيها من بديع صنع الله

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨] في ذلك دلالة على دوران الأرض، وخص الجبال لأنها ناتئة على الأرض ترى ويرى ظلالها، وفي الآية خطاب للرسول ﷺ ﴿وترى﴾ ﴿تحسبها﴾ وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يدل على بديع الصنع، ويبعد أن يكون بحال انخرام نظام الكون، لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن.

فائدة: وحدة الجنس البشري وأن فضلهم أتقاهم لله

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] في هذه الآية دليل على وحدة عنصر الناس، وأن العبرة بالتفضيل بينهم تقوى الله، وأنه لا ينفع مال ولا بنون ولا نسب ولا عروبة ولا حرية ولا غيرها إلا بالتقوى، قال تعالى عن ابن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] وقال مبينًا الرفعة الحقة بالعلم والإيمان: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وقال عن أبي لهب العربي القرشي الكافر: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:٢] وقال عن الشعوب والقبائل مبينًا عدم افتراقها وتفاضلها إلا بالتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وقال

محذرًا من التفاخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] فبين أن المسخور منه خير من الساخر، وأن الساخر فاسق ناقص الإيمان، ظالم آثم، وبين الرسول ﷺ أنه كفر، حيث قال: «اثنتان بالناس هما بهم كفر: الطعن بالأنساب، والنياحة على الميت» [مسلم:٦٧] فهذا من كفر النعمة، وقال رسول الله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» [مسلم:٢٥٦٤ والترمذي:١٩٢٧] وقال: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [أبو داود:٣٦٤٣، والترمذي:٢٩٤٥ وصححه الألباني] وقال: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وتفاخرها بالآباء والأجداد، الناس رجلان: مؤمن تقي وفاجر شقي» [أبو داود:٥١١٦ وأحمد:٢/ ٣٦١ وحسنه الألباني] وقال: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد» [أحمد:٥/ ٤١١ وصححه محققو المسند] وقال: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» [أبو داود:٢٧٥١ وابن ماجه:١٦٨٣ وقال الألباني: حسن صحيح] وقال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [مسلم:٩١ والترمذي:١٩٩٨،١٩٩٩، وأبو داود:٤٠٩١ وابن ماجه: ٤١٧٣] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الوصية الكبرى صفحة ١١١ وفي الفتاوى ٣/ ٤١٥ (وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ، مثل أن يقال للرجل. أنت شكيلي أو قرفندي، وجوابه أن يقول: أنا مسلم، فلا يجوز أن يمتحن الناس بها، ولا يوالى بهذه الأسماء ولا يعادى عليها، بل

أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان). وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] .

فائدة: نسب ثمود ومساكنهم وما حل بهم من العذاب

(ثمود): أمة من العرب البائدة، وهم أبناء ثمود بن جاثر بن إرم ابن سام بن نوح، كانت مساكنهم بالحِجْر بين الحجاز والشام (مدائن صالح) وتسمى (حجر ثمود) وصالح نبي أرسله الله إليهم، وهو ابن عبيل بن آسف بن ماشج (أو شالخ) بن عبيل بن جاثر بن ثمود، وقد كفر به قومه، وعبدوا الأصنام إلا القليل منهم من المستضعفين، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣] وقال: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود:٦٢] وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:٧١] وقد عقروا الناقة التي جعلها الله لهم آية، وأمرهم أن لا يمسوها بسوء، وأن يتركوها تأكل من أرض الله، وقد كانوا خلفاء من بعد عاد، وبوأهم في الأرض، فاتخذوا القصور ونحتوا من الجبال بيوتًا، وعثوا في الأرض بالفساد وتكبروا، وطلبوا من صالح عليه السلام أن يأتيهم بما يعدهم من العذاب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨].

فائدة: قوم لوط عليه السلام أول من ارتكب الفاحشة الكبرى

لوط عليه السلام ابن أخي إبراهيم عليه السلام نزل في بلاد

(سدوم) وكانوا خليطًا من الكنعانيين وممن نزل عندهم، ولم يكن لوط عليه السلام منهم في النسب، وقد دعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده، وترك الفاحشة الدنيئة من إتيان الذكور التي لم يسبقهم أحد إليها، ولكنهم أسرفوا وعصوا واستمروا في معصيتهم التي نهاهم عنها من إتيان الرجال واعتدوا ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢] فأنجاه الله وأهله إلا امرأته، وأمطر عليهم حجارة من سجين منضود ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٣].

فائدة: من صفات القرآن العظيم

القرآن هو البينة والحجة والدعوة والهدى والحق والعلم والذكر والدليل والمدلول عليه والشاهد والمشهود له والحكم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود:١٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١] وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ﴾ [العنكبوت:٥٢] وقال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:٢] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الفتح:٢٨] وقال: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦] وقال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ﴾ [العنكبوت:٤٩] وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فائدة: حياة الروح هي الحياة الحقيقية

الحياة تكون للبدن وتكون للروح، وحياة الروح هي الحياة الحقيقية المهمة، وتكون حياة الروح بالعلم والهدى والإيمان، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] وقد سمى الله تعالى

الوحي روحًا، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل:٢] وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر:١٥] وحياة الآخرة هي الحيوان ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤] فهي حياة بعد حياة، وحياة روح الشهيد أعظم من حياة غيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤] والحياة الكاملة لله تعالى الحي القيوم، ولكل مخلوق حياة على قدر ما عنده من الإيمان والعلم والهدى، ومن فقد ذلك فهو ميت، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩].

فائدة: حرمة مكة

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٩١] يدل على أن مكة حرام فلا يدخل فيها ما يضاد صلاحها، فيدخل في ذلك منع غزو أهلها والاعتداء عليهم وظلمهم وإخافتهم، وتحريم صيدها وقطع شجرها، وفي هذا مزية لمكة وتفضيل لها على غيرها، وذلك استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦] فمكة حرام منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض، ومن أراد بها ظلمًا وإلحادًا أذاقه الله من عذاب أليم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

فائدة: من شعار الصادقين إفراد المحبة لله تعالى

محبة الله وإفراد المحبة له، والحب لأجله، ومحبة رسله وأنبيائه وملائكته وأوليائه من محبته، وهذا شعار الصادقين، أما المشركون فيتخذون من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله، ودليل المحبة اتباع أمر الله واجتناب نهيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤] .

فائدة: العقول الرشيدة والفطرة السليمة توجب توحيد الله تعالى

توحيد الله تعالى من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، توجبه العقول السليمة والبديهيات، لهذا يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٨] قال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] قال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩] قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥] قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [البخاري:

١٣٨٥، ومسلم: ٢٦٥٨].

أما الإيمان والهداية إلى الطريق المستقيم واتباعه، فهذا فضل من الله تعالى على العبد، فقد يعرف العبد التوحيد ويستيقن به ولا يتبعه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨] وقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وقال: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فائدة: الدعاء هو العبادة

من أنواع العبادة سؤال الله، فالله تعالى يحب أن يسأل ويطلب ويدعى ويرغب إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] وقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يرويه عن ربه: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم» [مسلم: ٢٥٧٧] ولا بد للداعي من ثلاثة أمور: إما أن يعطيه الله ما سأل، أو يصرف عنه من الشر مثله، أو يدخره له في

الآخرة، كما ورد في الحديث. [أحمد: ٣/١٨ وقال عنه محققو المسند: إسناده جيد].

فائدة: أهل العبادة والاستقامة هم أفضل الناس

أفضل الناس هم أهل العبادة وأهل الاستقامة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ولهذا علَّم النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه هذا الدعاء، فقال: «يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أبو داود: ١٥٢٢، وصححه الألباني] وهذا أنفع الدعاء، وأقل الناس من لا عبادة عندهم لله ولا استعانة، ثم من لهم عبادة بلا استعانة؟، ثم من عندهم استعانة بدون عبادة؟.

فائدة: الورع يطهر القلوب

قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] فتطهير الثياب تطهير للقلوب، وبينهما مناسبة ظاهرة وباطنة، وقد نُهي عن لبس الحرير والذهب وجلود السباع والثياب النجسة، وللثياب تأثير على النفس، كما أن للنفس تأثيرًا على الثياب، فيعرف أهل الورع في نظافة ثيابهم وطهارتها ورائحتها وبهجتها، وكما أن الماء يطهر الثياب، فكذلك الورع يطهر القلوب، وكل ما حاك في النفس فتركه من الورع، وكل متشابه تركه من الورع، ولا يبلغ العبد حقيقة الورع حتى يدع مالا بأس به حذرًا عما به بأس، قال بعضهم: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام، ومن الورع صيانة النفس، والبعد عن الرذائل، والحفاظ على الإيمان، وتوفير الحسنات، وعدم التعدي على حدود الله، والخوف من الله.

فائدة: صراط الله واحد

الصراط المستقيم معرف بالألف واللام، وبالوصف بالاستقامة، وهو مفرد، فهو صراط واحد، أما طرق أهل الضلال فتأتي مجموعة، كما أن سبلهم تأتي بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١] وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:٩] وقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل:٧٦] وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦] .

فائدة: وجود امرأة فرعون كان سبباً في صد فرعون عن قتل موسى عليه السلام

وجود الصالحين بين المفسدين يخفف من لأواء فساد المفسدين، فوجود امرأة فرعون كان سببًا في صد فرعون عن قتل الطفل، مع تحققه بأنه إسرائيلي، حيث قالت: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [القصص:٩].

فائدة: العبودية لله أكمل صفات البشر

عبودية الله أكمل الأوصاف وأعلاها، ولا يستنكف عنها إلا الأراذل، قال تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء:١٧٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦] وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم:٢٦] وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾

[ص:١٧] وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [ص:٤٥] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ الآية [الجن:١٩] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠] وقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ الآية [الإسراء:١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان:١] ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة:٢٣] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١] وقال: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر:١٧،١٨] وقال: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الزخرف:٦٨،٦٩] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾ [الإسراء: ٦٥] وقال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣].

فائدة: فضل الذكر وأنواعه

قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وذكر الله يكون بالقلب وباللسان، وبهما معًا، ومن ذكر الله الصلاة وقراءة القرآن، وكذا ذكر الله عند أمره ونهيه، وفي الحديث القدسي: «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» [البخاري:٧٤٠٥] وشكر الله على نعمته يكون بعدم إنكارها ولا إخفائها ولا السكوت عن ذكرها وشكرها، ومن شُكْرِ الله تعالى على نعمه العمل الصالح، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

فائدة: قدرة الله في خلق السحاب وما يتبعه

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ۝ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور:٤٣،٤٤] الخطاب للرسول ﷺ تذكيرًا له بما في خلق الله تعالى، حيث يسوق السحاب بواسطة الريح فيؤلف بينه وينظم بعضه إلى بعض حتى يكون كالركام بعضه على بعض، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:٤٤] ثم يحصل البرق ويخرج المطر من خلاله وفتوقه، وينزل من السماء إلى الأرض، ومن جبال السحب التي يكون فيها أحيانًا البرد الذي قد يصيب بعض الناس بالضرر، ويخرج منه البرق الذي يكاد سناه أن يذهب بالأبصار، وهكذا يقلب الله الليل والنهار من ظلمة إلى نور، وفي ذلك عبرة للمعتبرين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٣].

فائدة: تخويف مشركي قريش بما حل بالأمم السابقة من أنواع العذاب

قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٣٨] الرس بئر عظيمة، أو حفرة كبيرة، وهو اسم لنوع من الأماكن، قال زهير:

بَكَرْنَ بُكورًا واستحرن بسَحرة
فهن ووادي الرس كاليد للفم

وقد أصابهم الخسف، قيل: إنهم قوم من بقايا ثمود، وقيل: كانوا في عدن أرسل إليهم حنظلة بن صفوان رسولًا، وقد عبدوا

الأصنام وقتلوا نبيهم فأهلكهم الله بالخسف بهم وبديارهم، وقيل: إنهم أهل أنطاكية بعث إليهم حبيب النجار فقتلوه ورسُّوه في بئر، وهو المذكور في سورة يس ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات [يس: ٢٠ وما بعدها] وقيل: هم قوم شعيب عليه السلام، وقيل: قوم كانوا مع قوم شعيب عليه السلام، وقيل غير ذلك، والله أعلم. والعبرة من ذلك أن الله أهلكهم لما كذبوا رسلهم، وفي هذا تهديد لقريش إذا لم يؤمنوا برسولهم، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠] وقد كانت قريش تمر بديار قوم لوط في سفرهم إلى الشام، وهم في مكان بحيرة قوم لوط عليه السلام (البحر الميت) ومدينة (سدوم) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

فائدة: كم من مكروه يأتي بالخير

قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ﴾ [البقرة: ٢١٦] فقد كرهت أم موسى عليه السلام التقاط فرعون لابنها، وصار ذلك خيرًا، وكره يعقوب ويوسف عليهما السلام ما حصل ليوسف عليه السلام من بيعه بدراهم معدودة، فصار خيرًا له ولهم، وكذا السجن وغيره، وأحب فرعون وفرح باستخدام بني إسرائيل وتدبير قطع نسلهم والتقاط موسى عليه السلام، فصار عدوًا لهم وحزنًا، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص: ٨].

فائدة: التوكل نصف الدين

قال الله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ [الممتحنة:٤] وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١] وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

التوكل نصف الدين ونصفه إنابة، فالمؤمن يتوكل على الله في الإيمان ونصرة الدين وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفي عباداته كلها وفي نفسه وحفظ حاله، وفي عموم ما يناله من الرزق والعافية والزوجة والولد، وفي إقامة دينه ودفع أعدائه، وهو من أعمال القلوب، ينطرح القلب بين يدي الباري، ويرضى بقضائه وقدره، ويطمئن إليه، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، لا يتعلق قلبه بالأسباب، إذا أعطي شكر وإذا منع صبر، مسلمًا لأمر الله مع عمل الأسباب الممكنة، ومعرفة الرب وصفاته وقدرته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومن صفات المتوكل الاعتماد على الله، وحسن الظن به، ومعرفة أسمائه وصفاته والعمل بمقتضاها، وتقواه والذل له، وسؤاله وحده، وتفويض الأمر له، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر:٤٤] وقال إبراهيم عليه السلام لِلملَكَ لما ألقي في النار: «أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى» [تفسير القرطبي وابن كثير] وقال الرسول ﷺ لصاحبه وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ

مَعَنَاۖ﴾ [التوبة:٤٠] وقال موسى عليه السلام لما لحقه فرعون وصار البحر أمامه، وفرعون وجنوده خلفه، حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١]: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢].

فائدة: الناس قسمان: مؤمن تقي وفاجر شقي

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ○ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ○ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧].

هذان قسمان من الناس:

القسم الأول: مُخاصِم لَدُود، يقول الحق ويعمل الشر، يظهر الخير، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، منافق مخادع مراوغ إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم، فهو كبير في منصبه، عزيز في قومه، استعمل هذه العزة بالإثم، لا يستمع إلى نصيحة الناصحين، فحسبه جهنم ولبئس المهاد.

القسم الثاني: يعرض نفسه للهلاك، ويتعب جسمه وعقله لأجل تحصيل رضا الله، ولأجل عمل الخير، يترك دنياه لأجل بقاء آخرته، مؤمن بالله خائف منه، ينصر الحق أينما كان، ويخذل الباطل والفساد والمفسدين.

وقد كان صهيب الرومي رضي الله عنه من هؤلاء، كان عبدًا للروم ثم لطائفة من قريش، وهم بنو كلب، فلم يرأفوا به وعذبوه في

الله، فلما صار عبدًا لله رأف به ربه، وقد رزقه الله المال الكثير وأسلم، فلما هاجر النبي ﷺ خرج صهيب رضي الله عنه مهاجرًا، فلحق به نفر من قريش ليوثقوه، فنزل عن راحلته وانتثل كنانته - وكان راميًا ماهرًا - فقال لهم: لقد علمتم أني من أرماكم، وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فقالوا: لا نتركك تخرج من عندنا غنيًا وقد جئتنا صعلوكا، ولكن دلنا على مالك ونخلي عنك، وعاهدوه على ذلك، فدلهم على ماله، فلما قدم على النبي ﷺ قال له حين رآه: «ربح البيع يا أبا يحيى» وتلا عليه هذه الآية [الطبراني في الكبير:٨/٤٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى:٣/ ١/ ١٦٣] فسجد لله شكرًا.

فائدة: شكر موسى عليه السلام لنعمة الله عليه وتجرده من العصبية

قول موسى عليه السلام بعد أن غفر الله له قتله للقبطي الذي وكزه فمات: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:١٧] يدل على أن الله تعالى أعطاه الحكمة والعلم وتبين الأمور، ولم يبق عنده من العوائد والتقاليد والعصبية أي تأثير، وأنه بدأ ينظر إلى الأمور نظرة حقيقة، ومن ذلك أن لا يكون ظهيرًا وعونًا للمجرمين، وهذا من شكر موسى عليه السلام للنعمة، بأن جعل شكرها الانتصار للحق وتغيير الباطل وعدم إعانة أهل الظلم والجور، والبعد عن العصبية للقبلية وللوطنية وللجنس، وأن تكون محبته لأهل الصلاح، وبغضه للمجرمين، مهما كانت قبائلهم وأوطانهم وألوانهم.

فائدة: عدة المتوفى عنها زوجها قبل النسخ

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً

لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]

كان العرب في الجاهلية من عادتهم المتبعة أن المرأة إذا توفي عنها زوجها تمكث في شر بيت لها حولًا محدةً، لابسةً أقل ثيابها، متجنبة الزينة والطيب، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك الغلو في سوء الحالة، وشرع عدة الوفاة والإحداد، فلما ثقل ذلك على الناس في مبدأ أمر تغيير العادة أمر الأزواج بالوصية لأزواجهم بسكنى الحول بمنزل الزوج، والإنفاق عليها من ماله، فإن خرجت وأبت السكنى هنالك لم ينفق عليها فصار الخيار للمرأة في ذلك، بعد أن كان حقًا عليها لا تستطيع تركه، ثم نسخ بالميراث.

وفي صحيح البخاري قال مجاهد: (شرع الله العدة أربعة أشهر وعشرًا، تعتد عند أهل زوجها واجبًا، ثم نزلت وصية لأزواجهم، فجعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، ولم يكن لها يومئذ ميراث معين، فكان ذلك حقها من تركة زوجها، ثم نسخ ذلك بالميراث) [البخاري: ٥٣٤٤].

فائدة: بيان من يستحق الهداية

قال الله تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥] في هذه الآية بيان من يستحق الهداية، وأن الله تعالى يهدي من يشاء، فالذي يعاند ولا يبحث عن الحق لا يهديه الله ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يعزب عن علمه شيء، ومن ذلك علم من هو قابل للهدى، ومن هو مصر على غيّه.

فائدة: أهمية القول السديد في صلاح الأعمال

للقول أهمية كبيرة في صلاح الأعمال وغفران الذنوب والفوز برضا الله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠،٧١] فإذا كان القول سديدًا لا يميل إلى الباطل نافعًا غير ضار، صار بابًا عظيمًا للخيرات، ورفع الله به الدرجات، قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» [البخاري:٦١٣٨ ومسلم:٤٧] وإذا كان القول سيئًا صار بابًا من أبواب الشر، قال ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» [الترمذي:٢٦١٦، وابن ماجة:٣٩٧٣، وأحمد:٥/ ٢٣١، ٢٣٦،٢٣٧ وصححه الألباني].

فالكلم الطيب يصعد إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] ومن القول السديد الإصلاح بين الناس والأمر بالصدقة والمعروف، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤] ومنه التسبيح والتهليل وقراءة القرآن والأذان والإقامة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وغير ذلك.

ومن القول السيء إشاعة الضلال والدعوة إليه، والفجور، والتمويه على الناس، والكذب واللعن والطعن وفاحش القول ونشر المجون والغيبة والنميمة واليمين الغموس وغير ذلك.

فائدة: علم الغيب لله وحده

قال الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ:٢] الذي يدخل ويسلك في الأرض مثل ولوج الماء وقبر الأموات، والذي يخرج منها مثل النبات والمعادن والدواب المستكنة فيها، والذي ينزل من السماء مثل المطر والرياح، والذي يعرج فيها ما يتصاعد من طبقات الجو من الرطوبات البحرية والعواصف الترابية والأبخرة، وما يسبح ويطير في الهواء، وعروج الأرواح عند مفارقة الأجساد، وقال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤] والعمل الصالح يرفعه الله، وكذا الكلم الطيب يصعد إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ:٢] لحث الناس على طلب أسباب الرحمة والمغفرة.

فائدة: الغرباء وُجدوا في كل زمان ومكان

الغربة في الدين موجودة في أهل جميع الأديان السماوية السابقة، وفي الإسلام في الماضي والحاضر والمستقبل، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ﴾ [هود:١١٦] فهم قلة قليلة غرباء، وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: ومن الغرباء يارسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» [مسلم:١٤٥،١٤٦، وأحمد:١/١٨٤، ٤/٧٣،٧٤ وأبو يعلى:٧٥٦، والبزار: ٣٢٨٦، والطبراني في الكبير:٥٨٦٧ وفي الصغير:٢٩٠] فهم يزيدون تقىً وإيمانًا وخيرًا، إذا نقص الناس من ذلك، وفي رواية «هم النزاع من

القبائل» وفي رواية: «الذين يحيون سنتي ويعلمونها الناس» وفي رواية: «إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة» [ابن ماجه: ٣٩٨٩ وضعفه الألباني].

قال ابن قيم الجوزية: (أهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين غرباء، فالمؤمن في الدنيا غريب متمسك بالسنة، تارك للبدعة، موحد لله، لا ينتسب إلى شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة غير الله تعالى ورسوله ﷺ والإسلام، وقد كان نزاع القبائل الذين تغربوا عن عشائرهم، هم أول من دخل في الإسلام، وسيعود الإسلام غريبًا، وأهله غرباء كما بدأ، قال ﷺ: «إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا، ودنيا مؤثرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله» قال أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه قلت: يارسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم» [الترمذي: ٣٠٥٨ وأبو داود: ٤٣٤١ وصحح بعضه الألباني].

فائدة: أشدُّ العذاب وأعظمه: حجاب القلب عن الرب

حجاب القلب عن الرب أعظم العذاب وأشده وأنكاه، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ○ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾

[المطففين: ١٥، ١٦] وقال: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٩٤] وهذا الحجاب عن الله تعالى هو الضرر الأكبر والمصيبة العظيمة، ولا كاشف له إلا الله، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [يونس: ١٠٧].

فائدة: إكرام الله وتشريفه لرسوله محمد ﷺ بمخاطبة بوصف النبوة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الأحزاب: ١] النداء للنبي ﷺ في القرآن يأتي بوصفه لا باسمه: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، أما غيره من الأنبياء عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام فقد يأتي بأسمائهم ياموسى، يا عيسى، وذلك تشريفًا للنبي محمد ﷺ بوصف النبوة دون اسمه العلم، أما الإخبار عنه فقد يجيء بالوصف، مثل: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التحريم: ٨] ومثل: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠] ومثل: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: ١] ومثل ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦] وقد يجيء باسمه العلم، كقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ومثل: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] ومثل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومن أسماء الرسول ﷺ: (محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب) وقد أمره الله تعالى في هذه الآية بتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وذلك أنه بعد وقعة أُحد جاء إلى المدينة سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان من قريش، وأذن لهم الرسول ﷺ بالأمان في المدينة، وأن ينزلوا عند

عبدالله بن أُبي ابن سلول، ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح ومعتب بن قشير والجد بن قيس وطعمة بن أبيرق، فسألوا النبي أن يترك ذكر آلهة قريش، فغضب المسلمون، وهمَّ عمر رضي الله عنه بقتل النفر القرشيين، فمنعه رسول الله ﷺ، لأنه كان أعطاهم الأمان، فأمرهم أن يخرجوا من المدينة [أسباب النزول للواحدي: ٦٨٨ وتفسير القرطبي] فنزلت هذه الآية. ثم أمره الله باتباع الوحي والتوكل عليه، فقال: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ○ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢، ٣]. والله أعلم.

فائدة: الله يحب الإعذار

قال الله تعالى: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ○ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ [المرسلات: ٥، ٦] وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من اعتذر إلى الله قبل الله عذره» [أبو يعلى: ٤٣٣٨ وضعفه الألباني في الضعيفة: ٥٨٨]. وفي الحديث الصحيح: «لا أحد أحب إليه العذر من الله» [الطبراني في الكبير: ١٠٣٧٨، ومسلم: ٢٧٦٠ مطولًا]. وروي «تملقوا لله» أما الاعتذار بالقدر فهو مخاصمة الله واحتجاج من العبد على الرب، وهذا الفعل كذب على الله واحتجاج ومنافاة للتوبة.

فائدة: معنى الاخبات في القرآن الكريم

معنى الإخبات المذكور في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣] بينه الله تعالى في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ

وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج:٣٥] فقد جمعوا بين التواضع والسكون إلى الله والطمأنينة والإنابة والخشوع والإخلاص في الصلاة ورقة القلوب وعدم الظلم وعدم الانتصار للنفس إذا ظلموا وعدم الفرح بمدح الناس وعدم الحزن من ذمهم والإيمان واليقين والصبر وقوة العزيمة والشجاعة وثبات القلب، فهؤلاء هم المخبتون المبشرون بالخلود في جنات النعيم.

فائدة: إيذاء اليهود لموسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب:٦٩] لقد آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام فقالوا له مرة: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] وفي هذا عصيانه، وقالوا له مرة: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة:٦٧] وفي هذا نسبته إلى الطيش والسخرية والجهل، وقالوا له مرة: (لقد أخرجتنا من مصر وخير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية) [الإصحاح السادس عشر] وقالوا له ولهارون عليهما السلام مرة: (إنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع) [الإصحاح السادس عشر] وفي الحديث أن موسى عليه السلام كان رجلًا حييًا ستيرًا، فقال فريق من قومه: ما نراه يستتر إلا من عاهة فيه، فقال قوم: به برص، وقال قوم: آدر - أي مقطوع الذكر - ونحو ذلك) فبرأه الله مما قالوا، وقد أوذي رسولنا محمد ﷺ مثل قول رجل من الأنصار في قسمة مغانم حنين (هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) [البخاري:٣٤٠٥ ومسلم:١٠٦٢] ومثل إيذائه في حديث الإفك، وفي قول المنافقين: إنه تزوج مطلقة

ابنه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكذا رفع أصوات الذين لا يعقلون من تميم: (يا محمد اخرج إلينا) فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤] ومثل دخول بعضهم إلى بيته وبقائهم بعد الإطعام.

فائدة: مراحل خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ○ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ○ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

السلالة ما يفرزه الجهاز الهضمي من الغذاء فيصير دمًا، ثم يمر على الأنثيين فيصير مادة دهنية شحمية تتحول إلى مني حين حركة الجماع، وقد كانت من الغذاء الذي كان طينًا من الأرض، وكذا بويضات المرأة أصلها من الطين، فتستقر نطفة الذكر في قرار الرحم المكين الثابت، كما أن آدم عليه السلام خلق من الصلصال المسنون من الطين، وهذه النطفة تتحول إلى علقة من دم جامد عالق بالرحم، ثم يتحول إلى مضغة - وهي القطعة الصغيرة من اللحم بقدر ما يمضغ - ثم إلى عظام، ثم يكسي الله العظام لحمًا، ثم يخلقه الله خلقًا آخر، حين ينفخ فيه الروح فتدب فيه الحياة، فهذه أطوار سبعة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] ثم بعد ذلك الموت ثم البعث ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ○ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥،١٦].

فائدة: تهديد من الله سبحانه للمترفين المعرضين عن القرآن

قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٤] الغمرة

الماء الذي يغمر قامة الإنسان بحيث يغرقه، أضيفت إلى ضميرهم ﴿غمرتهم﴾ لملازمتها لهم، وفي هذا تشبيه تمثيل حالهم واشتغالهم بما هم فيه من ترف العيش، واللهو عن التدبر في آيات الله، بحال قوم غمرهم الماء فأوشكوا على الغرق وهم يحسبون أنهم يسبحون. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام:٩٣].

فائدة: لا تنفع معرفة الحق مع المصانعة لأهل الباطل

قال الله تعالى عن الكفار: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون:٧٠] أسندت كراهية الحق إلى أكثرهم دون جميعهم، إنصافًا لمن كان منهم من أهل الأحلام والعقول الذين علموا أن الشرك باطل، ولكنهم شايعوا قومهم إما خوفًا من أذاهم، أو تعصبًا لآبائهم، مثل أبي طالب، فأكثر القوم كرهوا الحق، وقليل منهم صانعوا المشركين وجاملوهم، وقد شمل الكفر الجميع، فهذا أبو طالب أقل أهل النار عذابا، يلبس نعلين يغلي بهما دماغه، ولم ينفعه معرفته للحق ما دام يصانع قومه ويجاملهم ويشايعهم، وهذا الذي يقول:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ
من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة
لرأيتني سمحًا بذاك مبينًا

كما لم ينفعه حمايته للرسول ﷺ والذب عنه عصبية جاهلية ما دام لم يتبرأ من عبادة ما يعبده المشركون من الأصنام.

فائدة: فضل الله ورحمته بعباده

فضل الله ورحمته هما السبب في دفع أذى بعض الناس لبعض، فضل الله ورحمته أن شرع لنا هذا الدين القويم، فضل الله ورحمته أن خفف عنا من الزواجر في حالة الاضطرار والعذر، ولولا ذلك لم نستطع، فضل الله ورحمته في كل شيء أنعم الله به علينا، وفي كل شيء نهانا عنه، وفي كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، فضل الله علينا ورحمته أن يتوب على التائبين ويصلح أحوالهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:١٠] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٠] وكل هذه الآيات في سورة النور، فالحمد لله على فضله ورحمته.

فائدة: حديث الإفك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١].

خلاصة حديث الإفك أن النبي ﷺ لما قفل من غزوة بني المصطلق، (وتسمى غزوة المريسيع) آذن بالرحيل آخر الليل، فلما علمت عائشة رضي الله عنها بذلك خرجت من هودجها وابتعدت عن الجيش لقضاء حاجتها، فلما انتهت أقبلت إلى رحلها فافتقدت عقدًا لها، فرجعت تبحث عنه، فلما وجدته رجعت فلم تجد الجيش ولا

رحلها حيث احتملوه يحسبونها فيه، لأنها كانت خفيفة قليلة اللحم، فلما لم تجد أحدًا اضطجعت في مكانها ونامت، وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه قد أوكل إليه النبي ﷺ حراسة ساقة الجيش، فلما ركب راحلته ليلتحق بالجيش بصر بسواد، فإذا هي عائشة رضي الله عنها فاسترجع، فاستيقظت عائشة رضي الله عنها باسترجاعه، فنزل من الناقة وأدناها من عائشة رضي الله عنها وأناخها ولم يكلمها، فركبتها عائشة رضي الله عنها، وأخذ يقودها حتى لحق بالجيش في الظهيرة، فحصل ما حصل من المنافقين وبعض المؤمنين، ومن المنافقين عبدالله بن أُبي ابن سلول الذي قال (والله ما نجت منه ولا نجا منها) فراج قوله على حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، أما الكثرة من المؤمنين فظنوا خيرًا ولم يتكلموا بهذا، فنزلت بعد ذلك براءة عائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهما، وبين الله سبحانه أن ﴿هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦] لأنه كذب وطعن بالعرض وإحن وحسد، ولكون المفترى عليهم من خيرة الصحابة، وكون عائشة رضي الله عنها زوجة أفضل الخلق محمد ﷺ، فهو اجتراء على مقامه ﷺ ومقام أم المؤمنين رضي الله عنها، وإشاعة كاذبة، ورمي بدون دليل، فالمؤمن الحق يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يتبع خطوات الشياطين، ولا يشيع الفاحشة حتى لو حصلت، وعائشة رضي الله عنها بريئة منها .

فائدة: الإنسان مجبول على العجلة

قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ [الأنبياء:٣٧] أي في

الأمور، قال مجاهد: خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس، وذلك في آخر ساعة من يوم الجمعة [تفسير الطبري: ٢٤٥٩٢ وما بعده] والحكمة في ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ﷺ وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك، ولكن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قال تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الأنبياء: ٣٧] أي نقمي وحلمي واقتداري على من عصاني ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

فائدة: الزلزلة أول أحوال الساعة

قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ○ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ الآيات [الحج: ١، ٢] هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ قال: قبل الساعة. [تفسير الطبري: ٢٤٨٩٨].

فائدة: المشبطون عن الخير

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] قال مجاهد: يثبطون الناس عن متابعة الرسول ﷺ، وكذا قال عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (مراغمين).

فائدة: لحظة انقطاع الآمال

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧] أي حتى إذا جاءهم أمر الله، وجاءتهم الساعة

بغتة، انقطعت آمالهم ورجاؤهم، وأبلسوا من كل خير، وأيسوا من كل راحة، وأخذهم عقاب الله الذي لم يكونوا يحتسبونه.

فائدة: حال المجرمين عند الاحتضار

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٢٢] أي لا يرون الملائكة في يوم خير ولا بشرى، وذلك وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار، ويقولون لروحه: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ اخرجي أيتها الروح الخبيثة من الجسد الخبيث إلى سموم وحميم وظل من يحموم، فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه ويقولون حجرًا محجورًا، أي حرام عليكم الفلاح، ومعنى الحجر في اللغة: المنع، ومنه الحجر عند البيت الحرام، لأنه يمنع أن يطوفوا فيه، ويسمى العقل حجرًا، لأنه يمنع صاحبه من تعاطي مالا يليق.

فائدة: لا ينال العبد البر حتى ينفق من أحب أمواله

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

البر كمال الخير وشموله، ففي الإنفاق لا ينال إلا بإنفاق ما يحبه العبد من الأموال وحسن الخلق من البر، روى النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس» [مسلم:٢٥٥٣] ومن جمع الصفات التي في الآية الكريمة ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧] فقد نال البر، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا، وكان أحب أمواله بيرحاء وكانت مزرعة مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء أبو طلحة فقال: يارسول الله إن الله قال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يارسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أفعل يارسول الله، فجعلها [البخاري:٤٥٥٤ ومسلم:٩٩٨]. وقد أمر الله تعالى بالتعاون عليه وعلى التقوى، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

فائدة: من علامات المنافقين إشاعة الأخبار الكاذبة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] هذه الآية بينت إذاعة المنافقين للأخبار الكاذبة لترويع المسلمين، فإنهم إذا سمعوا خبرًا عن أمن المسلمين ونصرتهم وظفرهم، أو جاءهم خبر من الخوف واشتداد العدو عليهم أذاعوا ذلك وأفشوه، وإذا وصلهم خبر من الرسول ﷺ من أحوال الأمن والخوف تحدثوا به وزادوا ونقصوا وأرجفوا وثبطوا المسلمين عن الاستعداد للقتال، فحذر الله من مكائدهم، وعلم المسلمين فقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ فهو الذي يستنبط الأحكام، وكذا إلى أولي

الأمر ممن يعرفون الأحكام، لاستنبطه العالمون المتثبتون، وهذا من مكر المنافقين يشوشون على الناس، ويشيعون الأخبار الكاذبة لغرض سيء في نفوسهم فيروج هذا على دهماء المسلمين فيتبعون هذه الأخبار الشيطانية إلا القليل ممن لديهم استنباط وعلم وفهم.

فائدة: عبودية الجوارح

لكل جارحة في الإنسان عبودية خاصة به، فعبودية اللسان: النطق بالشهادتين وتلاوة القرآن والأذكار ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم وإرشاد الضال وأداء الشهادة المتعينة وصدق الحديث، وعبودية السمع: الإنصات والاستماع لما أوجبه الله ورسوله ﷺ واستماع القرآن وخطبة الجمعة واستماع المستحب من العلم وذكر الله، وعبودية البصر: النظر إلى المصحف وكتب العلم والدين والنظر إلى وجوه الوالدين بعطف ومحبة والنظر في آيات الله المشهودة.

وعبودية الشم: شم ما يعينك على طاعة الله كالطيب.

وعبودية اللمس: لمس الزوجة حين جماعها، وما فيه غض بصره وكف نفسه عن الحرام وإعفاف أهله.

وعبودية اليد: التكسب بالصنعة التي تعينه على النفقة، وإعانة المضطر، ورمي الجمار، ومباشرة الوضوء والتيمم، وكتابة ما فيه منفعة في الدين، أو مصلحة للمسلمين، وإعانة الصانع والأخرق وإفراغ دلوه في دلو المستقي أو حمله على دابته، أو معاونة الضعيف والكبير والمريض، ولمس الركن اليماني والحجر الأسود.

وعبودية الرجل: المشي إلى الجمعات والجماعات والطواف

والسعي والمشي إلى حكم الله إذا دعي إليه والمشي لصلة الرحم وبر الوالدين ومجالس الذكر والعلم والحج والجهاد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:١٣١] وقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] وقال: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤] وقال رسول الله ﷺ: «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه» [البخاري:٦٨٨٨، ومسلم:٢١٥٨، واللفظ له].

فائدة: الشفاعة الحسنة

الوساطة في إيصال الخير إلى الناس بدون إضرار بالآخرين، أو دفع شر عنهم، فيها أجر عظيم، ومن سبب شرًا وسيئةً فهو آثم، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥] والكفل هو الحظ من الإثم، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥] أي حافظًا ورقيبًا وشاهدًا ومقتدرًا وعالمًا.

فائدة: الفرح المحمود

المؤمن يسر ويفرح بالله وبعبادته لله، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغيره في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦] فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلنا من أهله، فالفرح بالله وبرسوله ﷺ بالإيمان والانتساب إليه، والعلم والقرآن والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد:٣٦] وقال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٠] وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤] وقال: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١] وهذا في الآخرة كما كانوا في الدنيا. فالمؤمن في نور إيمانه حي مسرور فرح، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ [البقرة:٢٥٧] أما الكافر والمنافق فهو كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٧] كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ○ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٣٩،٤٠] وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

فائدة: التوحيد مفتاح دعوة الرسل والدعاة

التوحيد أول ما يدخل به المرء في الإسلام، فمن قال واعتقد بـ لا إله إلا الله دخل في الإسلام، وهو آخر ما يخرج به من الدنيا، قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» [أبو داود:٣١١٦، وأحمد:٥/٢٣٣،٢٤٧، والحاكم:١/٣٥١،٥٠٠ وصححه الألباني] وهي مفتاح دعوة الرسل والدعاة، كما أمر الرسول ﷺ معاذًا رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن بأن يدعوهم أولًا إلى عبادة الله وحده، وهو أول واجب على المكلف، وهو دعوة الرسل أجمعين لأقوامهم، فكلهم كان يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره،

وقد شهد الله تعالى والملائكة وأولوا العلم به، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] وكلمة لا إله إلا الله مفتاح باب الجنة.

فائدة: الجنة دار الطيبين

الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، فلا يدخلها الخبيث، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢] والله تعالى يمحص المسلمين قبل دخولهم الجنة، فيلهمهم التوبة من الذنوب، والاستغفار، وعمل الحسنات التي تمحو المعاصي، ويصيبهم بالمصائب المكفرة لهم، ومن تمحيصهم صلاة المؤمنين على جنازتهم ودعائهم له، وفتنة القبر والعصرة، وما يهدى إليه من إخوانه المسلمين من هدايا الأعمال كالصدقة والحج والعمرة عنه، والصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو له، قال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم: ١٦٣١].

فائدة: الرضا بالقدر خيره وشره

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] وقال عن المؤمنين: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨] فالمؤمن الحق لا يسخط من شيء قدّره الله عليه،

فهو مطمئن البال، شاكر لله تعالى، راضٍ بالله ربًا والإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، محبٌّ لله أكثر من كل شيء، فمحبة غيره تابعة لمحبة الله، فهو يحب المتقين، وفي الرضا يذوق المسلم طعم الإيمان، ويتلذذ بتوحيد الله وعبوديته، ويسخط عبودية ما سواه، إذا أحب أحدًا أحبه لله، لا يظن بالله الظن السيء، ولا ينازعه في اختياره، ولا يخالف شرعه.

فائدة: لا ينتفع بالذكر إلا من كان له قلب حي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] أفادت هذه الآية أن الذي ينتفع من كلام الله تعالى من جمع بين الصفات الثلاث المذكورة في هذه الآية:

١- أن يكون له قلب حي واعٍ مدرك فاهم.

٢- أن يصغي ويلقي السمع وينتبه إلى قول الله تعالى ويتدبره.

٣- أن يحضر ذهنه ولا يفكر في شيء آخر فيكون بذلك شهيدًا حاضرًا مبصرًا، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] فالقلب يرى ويسمع ويعمى ويصم، وعماه وصممه أبلغ من عمى البصر وصمم الأذن.

فائدة: ثقة موسى عليه السلام بوعد الله له بالنصر

قول موسى عليه السلام لفرعون وقومه عند محاورتهم: ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [القصص:٣٧] يدل على ثقة موسى عليه السلام بوعد الله له بالنصر، وأن فرعون وقومه لن يفلحوا، وأن العاقبة لموسى عليه السلام، وأنه سيتمكن في الأرض، لقوله: ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ﴾

[القصص:٣٧] وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢] وقال: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ [الأنعام:١٣٥] وقوله: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٤٢].

فائدة: مما وصف به بنو إسرائيل الجهل

قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] هذه الآية تدل على جهل بني إسرائيل، حيث طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا بعد أن أنقذهم الله من البحر، فقد خفت عقولهم، وضعف علمهم، وقتلت علماؤهم واستضعفوا وانتشرت الخرافة بينهم، وقد وصفهم موسى عليه السلام بأنهم قوم يجهلون، وأكد ذلك بـ(إن) وأثبت الجهالة للقوم جميعًا وليس لأفراد منهم، ومن جهلهم اتخاذهم العجل من بعد ما جاءتهم البينات، ونقضهم المواثيق، وقتلهم الأنبياء، وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم، وقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ﴾ [المائدة:٦٤] ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ [النساء:١٦١] وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران:١٨١] والجهل والالتواء والخديعة وفساد الفطرة، وتبديلهم القول الذي قيل لهم، وقولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] وغير ذلك.

فائدة: القسم لا يدل على صدق المقسم

قال الله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا

تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٥٣].

القسم وتكراره لا يدل على صدق المقسم، فهؤلاء المنافقون الذين أعرضوا عن التحاكم إلى الله وإلى رسوله ﷺ وأحبوا التحاكم للطواغيت، وتولوا حين دعوا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وكرهوا ذلك، أتوا النبي ﷺ فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا لخرجنا، ولو أمرتنا بالجهاد لجاهدنا، فنزلت هذه الآية (القرطبي).

فقال الله تعالى: ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ [النور: ٥٣] أي لا تقسموا هذا القسم على الخروج من الديار والأموال، لأن الله تعالى لا يكلفكم الطاعة إلا في معروف، وقد أمرتم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

فائدة: آية الظل

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ○ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦] في الظل عبرة، وهو يحصل من حيلولة جسم بين شعاع الشمس وبين المكان الذي يقع عليه الشعاع، فينطبع على المكان مقدار من الظل بمقدار كيفية الجسم الحائل بين الشعاع وبين موقعه على حسب اتجاه ذلك الجسم الحائل من جهته، ويكون الظل متفاوتًا حسب تفاوت بُعد اتجاه الأشعة عن موقعها من الجسم، ومختلفًا باستواء المكان أو تحدُّبه، فكلما زاد مقدار الظلمة زاد امتداد

الظل، ولو شاء الله لجعل الظل ساكنا، فالظلمة سابقة، وفي مد الظل وقبضه نعمة عظيمة، حيث تعرف أوقات النهار وموعد الصلوات وفوائد الفي وانتفاع الناس بذلك، فلو دامت الشمس لزاد الحر، ولو دام الظل لزاد البرد وتضرر الخلق، وفي هذا إشارة إلى أن الحياة الدنيا كالظل يمتد ثم ينقبض، وكذا الإنسان، فسبحان الخالق البصير.

فائدة: عدم تدبر القرآن يورث الشك والنفاق

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] وخوطب بها المنافقون والكفار بيانًا بأن كفرهم وشكهم ونفاقهم من أسبابه عدم تدبر القرآن وعدم تفهمهم لآياته، وعدم الاستفادة منه وجهلهم به، فلو تدبروا القرآن وتأملوا دلائل تفاصيله ومقاصده وجمله وبلاغته لحصل لهم خير كثير، ولعرف من أراد الله هدايته أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق، وفي هذه الآية حث على تدبر القرآن، والحرص على معرفة آياته، فهو أكبر دليل على أنه من عند الله، وأنه ليس فيه أي اختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فائدة: حقيقة البر

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآيات [البقرة: ١٧٧ وما بعدها] استقبال القبلة من الوسائل لا من المقاصد، فلا ينبغي الاشتغال به

عن مقاصد البر المذكورة بالآية من الإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآيات [التوبة: ١٩ وما بعدها] إن البر هو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة، والإيمان بالكتب السماوية والأنبياء، وإعطاء المال على حبه لذوي الأرحام واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء وحين البأس والصدق والتقوى، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ○ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

فائدة: قصة أبناء أبي لهب مع النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] عن قتادة ابن دعامة رضي الله عنه قال: تزوج أُمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ عتيبةُ بن أبي لهب، وكانت رقية عند أخيه عتبة بن أبي لهب فلم يَبْنِ بها حتى بعث النبي ﷺ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قال أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة: رأسي في رؤوسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد ﷺ، وقالت أمهما بنت حرب بن أمية - وهي حمَّالة الحطب -: طلقاهما يابني فإنما صبأتا، فطلقاهما، ولما طلق عتيبة أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها فقال: كفرت بدينك أوفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه، فشق قميص النبي ﷺ وهو خارج نحو الشام تاجرًا، فقال النبي ﷺ «أما أني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه» فخرج في تجارة حتى نزلوا بمكان بالشام يقال له - الزرقاء - ليلًا فطاف بهم أسد فعدا عليه من بين

القوم فقتله. [الطبراني في الكبير ٢٢/٤٣٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد:٦/ ١٩: وفيه: زهير بن العلاء وهو ضعيف].

فائدة: فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] قال النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم: (يستحب لكاتب الحديث إذا مر بذكر الله أن يكتب: عز وجل، أو تعالى، أو سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى، أو جل ذكره، أو تبارك اسمه، أو جلت عظمته، أو ما أشبه ذلك، وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ بكمالها، لا رامزًا إليها، ولا مقتصرًا على بعضها، ويكتب ذلك وإن لم يكن مكتوبًا في الأصل الذي ينقل منه، فإن هذا ليس رواية، وإنما هو دعاء، وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكورًا في الأصل الذي يقرأ منه، ولا يسأم من تكرر ذلك، ومن أغفل ذلك حرم خيرًا عظيمًا) اهـ.

فائدة: الزهد الحقيقي

يفهم بعض الناس الزهد فهمًا خاطئًا فهمًا صوفيًا، فليس من الزهد ترك نعم الله وفضله، فإن نعم الله عون للمهتدين على الهدى وصالح الأعمال والتقوى، فمن أعرض عن نعم الله واحتقرها فليس زاهدًا، ولا مهتديًا بهدي رسول الله ﷺ وهدي صحابته، ولا مقدرًا للنعمة، ولا فرحًا بفضل الله، ولا محققًا لشكرها، إن المؤمن الحق هو الذي يتخذ من نعم الله تعالى مراقى للبر والإحسان والحياة الكريمة المباركة، وقد كان رسول الله ﷺ فقيرًا فأغناه الله، ومات وعنده مما أفاء الله عليه من بني النضير وخيبر وغيرهما الكثير، ولم

يكن مسرفًا، ولا صاحب مخيلة، ولا زاهدًا عن نعم الله ماقتًا لها متباعدًا عنها، كان يحب الطيبات من المطعومات والمشروبات والملبوسات والنساء، ولنا فيه أسوة حسنة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] أما من شغلته النعم عن عبادة ربه فهو منحرف عن الصراط المستقيم، عابد للدينار والدرهم ومتاع الحياة الدنيا، غير منتفع بنعم الله في طاعته وفي عمارة الأرض واستخراج كنوزها وزراعتها، وإعداد القوة لتكون الأمة قادرة على محاربة عدوها وتمكينها، وليس من الزهد ترك العشرة مع الأهل والأصحاب والأولاد والجيران، ولا ترك المآكل والمشارب والملابس، ومباعلة الزوجات، ولا ترك إنشاء الأجيال الصالحين العاملين، ولا ترك الصناعات والحرب والعمران، فإن هذه من نعم الله إذا أحسن استعمالها والانتفاع بها، وليس من الإسلام لزوم المساجد والانقطاع للصلاة والصيام وتكرير الأوراد بدون فقه ولا تدبر، إن المسلم من يسعى في الأرض ويضرب فيها ليعيش وتعيش معه أمته في رغد من العيش وهناء وسعادة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] فقرن بين من يبتغي من فضل الله في الضرب في الأرض وبين المجاهدين في سبيله. وسمى الداعين إليه معلمي الناس الخير مجاهدين، فقال: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

فائدة: القومية والوطنية والتفرقة بين المسلمين من صنع أعداء الإسلام

المؤمنون أمة واحدة، فلا يجوز لأحد أن يجعل أمته من يتكلم بلغته ولو كان كافرًا، ولا من يسكن في أرضه ولو كان منافقًا، إن دين الإسلام دين حضارة، فأمة الإسلام من تمسك به في هذا العصر وما بعده وما قبله من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى لما ذكر قصص الصالحين والأنبياء: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢] أما من يريد تقطيع الأمة الإسلامية الممتدة من آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد اختلت عقيدته، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] إن أعداء الإسلام يريدون تفريق صفوف المسلمين، فهذا عربي، وهذا تركي، وهذا باكستاني، إن الإسلام وحد بين المسلمين، قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] فلا قومية ولا وطنية إلا للإسلام والمسلمين، وما عدا ذلك فتدابر وتقاطع وخلل في المنهج والعقيدة - والله المستعان - لقد تقطع المسلمون زبرًا وتفرقوا أشتاتًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فهذه التفرقة بين المسلمين، وهذه الحدود بين بلادهم من صنع أعداء الإسلام المستعمرين.

فائدة: أقسام العرب

قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:٣] العرب ينقسمون إلى قسمين: مستعربة، وهم العدنانيون وجدهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإن كان

رسولًا نبيًا - كما وصفه الله تعالى في سورة مريم - فإنما كانت رسالته خاصة بأهله وأصهاره من جرهم، ولم يكن مرسلًا إلى الذين وُجِدوا بعده، لأن رسالته لم تكن دائمة ولا منتشرة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥] وأما القحطانيون القاطنون بالحجاز مثل الأوس والخزرج وطيء فإنهم قد تغيرت فرقهم ومواطنهم بعد سيل العرم، وانقسموا أقوامًا جددًا، ولم يأتهم نذير منذ ذلك الزمن، وإن كان المنذرون قد جاءوا أسلافهم مثل هود وصالح وتُبَّع، وذلك كان قبل تَقَوُّم قوميتهم الجديدة، أما أهل اليمن واليمامة والبحرين وغيرهم من العرب فهم لا يعدون أن يكونوا من القسمين السابقين، وقد كان انقسامهم أقوامًا ومواطن بعد سيل العرم، ولم يأتهم نذير بعد ذلك الانقسام، فالعرب على وجه العموم لم يأتهم رسول من قبل الرسول محمد ﷺ، وكان منهم من تهود أو تنصر أو بقي على ملة إبراهيم عليه السلام، فمن الذين تهودوا كثير من قبائل اليمن، ومن الذين تنصروا طيء وكلب وتغلب وغيرهم، ومن الذين اتبعوا الحنيفية مثل قُسّ بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت، وكان ذلك تطلبًا للكمال، ولم يأتهم رسول بذلك.

فائدة: وسطية الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي كما جعلنا قبلتكم أفضل قبلة ووسط الأرض، جعلناكم أمةً وسطًا، فدين الإسلام في جميع أحكامه وسط، والوسط خيار الأشياء

النفيسة كواسطة العقد، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨] والوسط العدل بين صفتين ذميمتين فيهما إفراط أو تفريط، فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والكرم وسط بين الشح والإسراف، والعدالة وسط بين الرحمة والقساوة، روي عن رسول الله ﷺ: «خير الأمور أوسطها» [البيهقي في السنن:٣/٢٧٣] ويوصف الوسط بالخيار، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] وهذه الوسطية لعموم المسلمين المهتدين لاستقبال الكعبة في الصلاة عربًا وعجمًا، وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] شهادة الأمة كلها على الأمم، ولا يختص هذا بالموجودين يوم نزول الآية، فهم متوسطون في الدين بين الإفراط والتفريط، فلم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا المسيح ابن الله، ولم يقصروا كما قصرت اليهود فبدلوا الكتب واستخفوا بالرسل وقتلوهم، وفي هذا دلالة على أن إجماع علماء الأمة حجة شرعية، وأن الأمة عادلة على وجه العموم، وفيها خير عظيم، فالأمة لا تجمع على خطأ، وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] فهم شهداء على الأمم الماضية والحاضرة في الدنيا والآخرة. روى البخاري:٤٤٨٧ والترمذي:٢٩٦١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يجاء بنوح عليه السلام يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يارب، فتُسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول الله: من شهودك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة:١٤٣].»

ومن الشهادة على الناس وجوب دعوتنا الأمم للإسلام، وقال ﷺ في حجة الوداع: «ألا هل بلغت؟» فقالوا: نعم، فقال: «اللهم اشهد» [البخاري:١٧٤١، ومسلم:١٦٧٩] ورسالة محمد ﷺ عامة لجميع أهل الأرض ولجميع العالمين، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

فائدة: التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب

التوكل على الله لا ينافي عمل الأسباب، في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة» فقال رجل من القوم: ألا نتكل يارسول الله؟ قال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» [البخاري:٦٦٠٥ ومسلم:٢٦٤٧] وفي السنن عنه ﷺ أنه قيل له: أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتقي بها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: «هي من قدر الله» [الترمذي:٢٠٦٥ وابن ماجة:٣٤٣٧ وأحمد:٣/٤٢١ قال الألباني: ضعيف] وكما قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقد فر من الطاعون في الشام: أتفر من قدر الله؟ قال: (أفر من قدر الله إلى قدر الله) ومن الأسباب نزول المطر للإنبات، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف:٥٧] والهداية للمهتدي، قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [المائدة:١٦] وقال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٩] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران:١٨٢] ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٥] ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الحشر:١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ [يونس:٩] فالالتفات

إلى الأسباب بمعنى الاعتماد عليها والاطمئنان لها واعتقاد أنها تؤثر بنفسها دون الله تعالى شرك، أما فعل الأسباب امتثالًا لأمر الله، وأداءً لحق عبوديته سبحانه، واعتقادًا بعدم تأثيرها بنفسها دون الله تعالى فمأمور به شرعًا، أما اعتقاد أن الأسباب لا تأثير لها البتة فخلل بالعقل والحس والفطرة، وقدح في الشرع، قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز» [مسلم: ٢٦٦٤، وابن ماجة: ٧٩].

فائدة: من علامات محبة الله تعالى الشوق إلى لقائه

من علامات محبة الله الشوق إلى لقائه، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال ﷺ في دعائه: «أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة» [أحمد: ٤/ ٢٦٤، وابن أبي عاصم في السنة: ١٢٨، ١٢٩، وأبو يعلى: ١٦٢٤، والحاكم: ١/ ٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي]. وقال موسى عليه السلام لربه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وفي الحديث «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» [البخاري: ٦٥٠٨، ومسلم: ٢٦٨٤] .

فائدة: فضل الله ونعمه على عباده

كل فضل ومنة فمن الله تعالى وكرمه وجوده ورحمته، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ [النور: ٢١] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٦] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا

هُوَ﴾ [يونس :١٠٧] .

فائدة: الرجاء والخوف جناحان للإيمان

الرجاء والخوف جناحان يطير بهما الإنسان إلى مرضاة الله تعالى، فإذا استويا استوى الطيران.

فالرجاء هو الاستبشار بفضل الله ورحمته ومطالعة كرمه والثقة بجوده، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:٢١٨] وقال: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت:٥] وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

والخوف من عقاب الله وعذابه وتذكر الإنسان لذنوبه، هو الجناح الثاني لرحمة الله قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الملك:١٢].

فائدة: ماهية الإحسان

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] وقال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك:٢] وقال: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤] وقال: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] فالمحسن يراقب الله تعالى، ويعلم أنه مطلع عليه، رقيب على عمله، سامع

لقوله في كل لحظة ونفس وطرفة عين وحركة، لا يفوت لحظة من مراقبة مولاه، راجٍ لفضله، خائف من عقابه، مخلص لله في سره وعلانيته، يحاسب نفسه على كل شيء، يعلم أن الله سبحانه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير، يكون دومًا معظمًا لربه، لا يلتفت لغيره، محبًا له مستأنسًا به، يعلم أنه قريب منه أقرب من حبل الوريد، قرير العين بمناجاته، فرحًا بعبادته، راضيًا بقدره وقضائه، منشرحًا صدره في عبادته، حافظًا لجوارحه، لا يعترض أوامره ونواهيه، ولا يعارض شرعه بالآراء والأقيسة والعقول والذوق.

فائدة: فضل الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١] في هذه الآية دلالة على فضل الاقتداء بالرسول ﷺ، وأنه الأسوة الحسنة، وكلما زاد اقتداء المسلم بالرسول ﷺ في الواجبات والمستحبات والأقوال والأفعال، والتأسي به في كل شيء كلما صدق في دينه، وصار ممن يرجو الله واليوم الآخر ويذكر الله كثيرًا.

فائدة: نصر الله لأنبيائه واستجابته لدعائهم

لما أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون، قال موسى عليه السلام لربه: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص:٣٤] ومع ذلك فقد كان المجادل لفرعون موسى عليه السلام وليس هارون عليه السلام فقد استجاب الله دعاء موسى عليه السلام في أن يحلل عقدة من لسانه، فصار عنده من البيان والفصاحة وقوة المجادلة بالحق الشيء العظيم، وجعل الله لهما

سلطانًا وقوةً ومهابةً ورعبًا في قلوب الأعداء، ومن جعل الله له سلطانًا لا يُغْلب ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥] وقد صرف الله فرعون عن الإقدام على أذاهما مع ما لديه من القوة.

وقد حصل لنبينا محمد ﷺ ما حصل لموسى عليه السلام حيث نودي من غار حراء كما نودي موسى عليه السلام من جانب الطور الأيمن، وخاف كما خاف موسى عليه السلام، وثبته الله وكفاه أعداءه، كما كفى موسى عليه السلام، قال النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» [البخاري:٣٣٥، ومسلم:٥٢١].

فائدة: من معاني الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت:٣٠] وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:١١٢] وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣] وقال: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦].

الاستقامة: الاعتدال والإخلاص لله، وعبوديته ومحبته وطاعته واجتناب معصيته، والسداد والمقاربة إن لم يقدر، وعدم التفريط أو الإفراط، والإصابة في جميع الأقوال والأفعال والنيات، وعدم الركون للعمل أو الإعجاب به، وأن يعلم المرء أن نجاته برحمة الله وعفوه وفضله، ومن الاستقامة الصدق والوفاء بالعهد والاجتهاد بالعمل مع الاقتصاد والمتابعة، فكما أن الخوارج أفرطوا وأسرفوا وتجاوزوا الحد، فكذا المفرطون فرطوا في الكسل والتراخي،

وللشيطان نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، ومن كانت فترته إلى سنة أفلح، ومن كانت إلى بدعة خسر، والخير كل الخير في الاتباع، والشر في الابتداع، ومن خرج عن الاستقامة تجاوزها إلى السبل المنحرفة والبدع الضالة والفرقة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فائدة: قصة زيد بن حارثة وزواج رسول الله ﷺ بزينب رضي الله عنها

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ﴾ [الأحزاب:٣٧] وهو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي رضي الله عنه من كلب بن وبرة، وبنو كلب من تغلب، كانت خيل من بني القين بن جسر أغاروا على أبيات من بني معن من طيء، وكانت أم زيد وهي سعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت به إلى قومها تزورهم، فسبقته الخيل المغيرة وباعوه في سوق حُباشة بناحية مكة، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ، وزيد رضي الله عنه يومئذ ابن ثمان سنين، وذلك قبل البعثة، فحج ناس من كلب فرأوا زيدًا رضي الله عنه بمكة فعرفوه وعرفهم، فأعلموا أباه ووصفوا موضعه وعند من هو، فخرج أبوه حارثة وعمه كعب لفدائه فدخلا مكة وكلما النبي ﷺ في فدائه فأتى به النبي ﷺ إليهما فعرفهما، فقال له النبي ﷺ: «اخترني أو اخترهما» قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، فانصرف أبوه وعمه وطابت أنفسهما ببقائه، فلما رأى النبي ﷺ ذلك

منه أخرجه إلى الحجر وقال: «يا من حضر اشهدوا أن زيدًا ابني يرثني وأرثه» [طبقات ابن سعد ٣:١:٢٨ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٤٥٧] فصار ابنًا للنبي ﷺ على حكم التبني في الجاهلية، وكان يدعى زيد بن محمد رضي الله عنه ، زوجه النبي ﷺ أم أيمن مولاته فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنه وطلقها، ثم زوجه زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها، وهي ابنة عمته، وآخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه بعد الهجرة، وكان يدعى حب رسول الله ﷺ، فلما قضى زيد من زينب وطرًا تزوجها الرسول ﷺ، وزوجه ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأمها البيضاء بنت عبدالمطلب، فولدت له زيد بن زيد ورقية، ثم تزوج درة بنت أبي لهب، ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام أخت الزبير، شهد جميع المغازي وقتل في غزوة مؤتة سنة ثمان وهو أمير الجيش، وعمره خمس وخمسون عامًا، وقد تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد أن قضى زيد رضي الله عنه منها وطرًا، زوجه الله منها من فوق سبع سماوات ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧] ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لو كان زيد رضي الله عنه حيًا لوليته الخلافة.

فائدة: حال الخلق في النفختين

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧] إن قوله تعالى:

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ في النفخة الأولى التي وردت في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨] أما في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فالزمان مختلف، والتساؤل المقصود به طلب المعونة والنجدة، وحينئذ لا ينفع ذلك لا الأنساب ولا الاستنجاد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ○ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ○ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ○ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج:١٠].

فائدة: أولى الناس بإبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨] .

إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، ما كان يهوديًّا ولا نصرانيًا، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] فاليهودية والنصرانية ليستا من الحنيفية لخلوهما من فريضة الحج، فالحنيفية هي ملة الإسلام التي كان عليها إبراهيم عليه السلام، وأولى الناس بإبراهيم عليه السلام الذين اتبعوه ومحمد ﷺ والذين آمنوا معه، فالذين اتبعوه مثل لوط وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام، ومن ثم محمد عليه الصلاة والسلام ومن آمن معه إلى يوم القيامة، فهؤلاء هم الذين تخلقوا بأصول شرع الله الذي نزل على إبراهيم عليه السلام، وعرفوا قدر إبراهيم عليه السلام، وكانوا له لسان صدق دائبًا بذكره، فهم أحق به من المشركين الذين نقضوا أصوله، وأشركوا بالله ولم يوحدوه، وأولى من اليهود والنصارى الذين أُنْسُوا ذكر شرعه، ونحن

في كل صلاة نذكر إبراهيم عليه السلام فنقول: (كما صليت على إبراهيم) (كما باركت على إبراهيم) ونتذكر مواقفه في الحج ونتبع آثاره، ونحن الحنفاء المسلمون كما كان إبراهيم حنيفًا مسلمًا، أما المشركون واليهود والنصارى الذين بدلوا وأشركوا فليسوا من إبراهيم عليه السلام وليس هو منهم.

فائدة: الشوق إلى لقاء الله تعالى

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه مدارج السالكين الجزء الثالث ص١٥ - دار البيان - في باب منزلة الشوق في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ [العنكبوت:٥] هذا تعزية للمشتاقين وتسلية لهم، أي أنا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إليَّ، فقد أجَّلتُ له أجلًا يكون عن قريب، فإنه آت لا محالة، وكل آت قريب، وفيه لطيفة أخرى، وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء، وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك» [أحمد: ٤/ ٢٦٤، وابن أبي عاصم في السنة: ١٢٨، ١٢٩، وأبو يعلى: ١٦٢٤، والحاكم: ١/ ٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي].

فائدة: وعيد لمن صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] هذا وعيد لمن صد عن المسجد الحرام وهو الحرم كله، فهو محل نسكه وقفه الله لخلقه، قال بعض العلماء: لا يجوز بيع أرضه ولا إجاره، وقال آخرون بجواز ذلك، وأدلتهم أوضح من أدلة المانعين، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر:٨]

وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٩٥] وقال ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور» [البخاري:١٥٨٨ ومسلم:١٣٥١] وكان معروفًا لدى المسلمين دار فلان ودار فلان، وقوله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحج:٢٥] أي من سبق فهو أحق بالمقام في منى وعرفة ومزدلفة وغيرها من المشاعر، قال ﷺ: «منى مناخ من سبق» [الترمذي:٨٨١، وابن ماجة:٣٠٠٦، وأحمد:٦/١٨٧،٢٠٧ وضعفه الألباني] والله أعلم.

فائدة: الرد على مُنكر البعث وجزاؤه

روي أن أُبي بن خلف أتى إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد أرفت، فقال: يامحمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم، ثم فته في يده، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: «نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار» فأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ○ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ○ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٧٨-٨٠] [تفسير الطبري:٢٩٢٤٢ وأسباب النزول للواحدي:٧٢١].

فائدة: نعم الله على موسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٣] القرون الأولى التي أهلكت قبل موسى عليه السلام هم قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، كما قال تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ [ص:٣] وقد أرسل موسى عليه السلام لبني إسرائيل وقوم

فرعون ولمن يريد الهداية من غيرهم، مثل الذين تهودوا من عرب اليمن ومن بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وغيرهم، والكتاب الذي أرسل به موسى عليه السلام التوراة، وسمي بصائر لكثرة بيناته وعدة دلائله، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

فائدة: تكليم الله لعبده ورسوله موسى عليه السلام

يظهر من الآيات في سورة القصص وسورة الأعراف وغيرهما أن موسى عليه السلام نودي وكلمه ربه مرتين: الأولى بعد قدومه من مدين حيث أمره أن يلقي عصاه ويدخل يده في جيبه، والثانية في نفس المكان الجانب الغربي، وهو الجانب الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة، وهو النداء لميقات أربعين ليلة، وإنزال ألواح التوراة عقب تلك المناجاة، وكان بنو إسرائيل حول الطور، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] ومن رحمة الله تعالى برسوله محمد ﷺ أن علمه ذلك بالوحي لينذر قومه الذين لم يسبق أن جاءهم نذير قبله، أما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فكانا نذيرين حين لم تكن قريش موجودة يومئذ ولا قبائل العرب العدنانية التي منها رسول الله ﷺ وقبيلته قريش. والله أعلم.

فائدة: الفضل والمنة لله أن هدانا للإسلام

جميع الخلق في منة الله تعالى مغتبطون، ولا يطيب العيش إلا بمعرفة منة الخالق، فالإقرار بها وذكرها وشكرها ومحبته لأجلها

واجب، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧] والخلائق كلهم يتقلبون في نعمة الله ومنته وصدقته بلا عوض منهم، فهو المنان الكريم الجواد، المنان عليهم بأن وفقهم للإسلام والأعمال الصالحة، وهداهم إليه وأدخلهم الجنة، وكل خير منه سبحانه.

فائدة: آيات في مخلوقات الله العظيمة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون:١٧] خلق الله سبحانه وتعالى هذه العوالم لحكم عظيمة، فقد جعلها فوقنا بحيث نراها لما لها من الصلة بنا، فعالم الجزاء فيها، وفيها مخلوقات، وهي طرائق سائرة في طريقها الذي يعلمه الله ويعلم منتهاه، وفي ذلك لفت نظر للناس بأن ينظروا ويتفكروا فيها، للاستدلال على قدرة الخالق وكونها فوقنا، ليسهل الانتفاع بها في المواقيت، وهذا من لطف الله بنا، وتيسير شؤون حياتنا، وهو منه منة عظيمة علينا، ولهذا قال بعدها: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ وعالم الجزاء كائن فيها، لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧] وأكثرها نفعًا الشمس، فهي للإنارة وإصلاح الأرض والأجساد، فقد خلقت لحكمة عظيمة ولمصالح العباد، فالحمد والشكر لله تعالى على نعمه وآلائه العظيمة.

فائدة: امتنان الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم ما ينفعهم

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

[الشعراء:٧] فوصف الأزواج من النبات بهذا الوصف ﴿كريم﴾ للامتنان وبيان فضله عليهم، وفي سورة طه قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه:٥٣] لاختلاف المقام، وغير خافٍ أن النبات والثمرات أزواج مذكر ومؤنث، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد:٣] فسبحان الخالق العليم.

فائدة: أجر الرسل والدعاة من بعدهم على الله تعالى

قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٥٧] هذا استثناء منقطع، أي أن أجري هو أن تؤمنوا وتتخذوا سبيلًا إلى رضا الله، ومثله قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣].

فائدة: مطاردة فرعون وأتباعه لموسى عليه السلام وقومه

قال تعالى عن موسى عليه السلام وقومه وفرعون وقومه: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء:٦٠] إما أن يكون المعنى: قاصدين جهة الشرق، حيث توجه بنو إسرائيل صوب البحر الأحمر، وهو شرق مصر، ويجوز أن يكون المعنى: داخلين في وقت الشروق، أي أدركوهم وقت شروق الشمس، والله أعلم.

فائدة: المعاصي تصد عن طاعة الله تعالى

قال الله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل:٤٣] أي صدها عن الإسلام وأبعدها عن قبوله عبادتُها للشمس من دون الله، حيث إن ذلك منطبع على نفسها بالوراثة، ومحيط بها الكفر، وهكذا المعاصي تصد الإنسان عن قبول الطاعة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

فائدة: العجب والغلو من صفات الخوارج

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] إذا استعظم المرء عمله وعبادته واحتقر غيره وتشدد في دينه وغلا وكفَّر وبدَّع، صار من الخوارج الذي يحقر أحدنا صلاته عند صلاتهم وعبادته عند عبادتهم، أمثال ذي الخويصرة التميمي الخارجي الذي قاد الخوارج يوم النهروان لحرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيره من العباد الذين أورثهم طغيان عملهم الكبر واحتقار المؤمنين، فسلوا سيوفهم لقتال المسلمين واستباحوا دماءهم، فطغيان المعاصي هي أسلم عاقبة من طغيان الطاعات، وإن كان في كل شر، فهذا السكير الشريب عياض بن حمار الذي كان كثيرًا ما يؤتى به إلى النبي ﷺ فيحده على الشراب، قامت به قوة إيمانه ويقينه ومحبته لله ورسوله وتواضعه وانكساره واعترافه بذنبه حتى نهى الرسول ﷺ عن لعنه، روى الإمام أحمد في كتاب الزهد: «أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أنذر الصديقين، فإني لا أضع عدلي على أحد إلا عذبته من غير أن أظلمه، وبشر الخطائين فإنه لا يتعاظمني ذنب أن أغفره».

فائدة: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

لقد آذى فرعون وقومه بني إسرائيل قبل إرسال موسى عليه السلام وبعده، كما قالوا في الآية الكريمة: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف:١٢٩] فقد استعبدهم فرعون، كما قال:

﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧] وكلفهم الأعمال الشاقة، وقتل أبناءهم، واستحيى نساءهم للخدمة، وتوعد بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل، ولكن موسى عليه السلام طمأنهم وأمرهم بالتوكل على الله والاستعانة به والصبر، فقال: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨] وبشرهم بأن الله سيهلك فرعون وقومه، ويستخلف بني إسرائيل ومن معه في الأرض ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩] وقد أخذ الله آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات، وأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فحصل عندهم غرق محاصيل الزراعة، والرعاف حتى تغيرت ألوان مياههم منه، وحصل عندهم انتشار الأمراض كالطاعون، كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩] ومع ذلك تكبروا ولم يتركوا دينهم ولم يتبعوا موسى عليه السلام، وقالوا لموسى عليه السلام: ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٤] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف:١٣٥] عند ذلك انتقم الله منهم وأغرقهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٣٦] وأورث الله الأرض المباركة - وهي أرض الشام - لموسى عليه السلام ومن معه، ودمر ما كان يصنع فرعون وقومه من المصانع، وما كانوا يعرشون من الحدائق.

فائدة: لا يتم إيمان العبد إلا بالرضا والتسليم لحكم الله تعالى

الحكم بغير ما أنزل الله، وكذا التحاكم إلى غير دين الله وسنة رسوله ﷺ كفر، والتحاكم إلى الطواغيت ضلال مبين ونفاق وصدود عن الحق، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ○ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦٠،٦١] ومن كانت هذه صفته فزعمه أنه مؤمن كذب وافتراء، ومن رضي بالتحاكم إلى الطواغيت وعدم التحاكم إلى شرع الله فضلاله بعيد ونفاقه أكيد، ولا يتم الإيمان إلا بالرضا بحكم الله والتسليم له وعدم الخروج، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] ولابد من تنبيه من يصدر منه مثل هذا بأن لازم ذلك الكفر، فإن لم يرجع وتبين له ذلك وقامت عليه الحجة عد كافرًا.

فائدة: عدم جواز لعن المعين

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «اللهم العن فلانًا، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل ابن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية» قال فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨] فتيب عليهم كلهم [أحمد في المسند:٢/٩٣،٢/٢٥٥ وابن خزيمة في صحيحه ٦٢٢ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٨٠ وذكره ابن حجر في فتح

الباري ٧/ ٣٦٥و٨/ ٢٢٦ و١١/ ١٩٣ وفي تغليق التعليق لابن حجر ١١٣٧و١٢١٨].

فائدة: كبائر القلوب أشد تحريماً من الكبائر الظاهرة

كبائر القلوب هي أعظم وأشد تحريمًا من الكبائر الظاهرة، مثل الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، فمن وجد فيه خصلة من هذه الخصال الذميمة فقلبه فاسد.

فائدة: الخصال التي تجمع الشريعة كلها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

اشتملت هذه الآية على الخصال التي تجمع الشريعة كلها:

فالإسلام يجمع قواعد أعمال الدين.

والإيمان يجمع قواعد الاعتقادات القلبية.

والقنوت يجمع قواعد الطاعات وترك المنهيات.

والصدق يجمع كل عمل هو من موافقة القول والفعل للواقع، ومطابقة الظاهر للباطن.

والصبر يجمع ما يختص بتحمل المشاق من الأعمال كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

والخشوع يدخل فيه الإحسان وجميع القرب والتوبة والإخلاص

والانقياد.

والتصدق يجمع أنواع العطيات وبذل المعروف.

والصوم خص بالذكر لعظم جزائه، قال تعالى في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به» [البخاري:١٤٩٤، ومسلم:١١٥١].

وحفظ الفروج مما أُمِر الإنسان بحفظها منه لا النكاح الشرعي.

والذكر يكون باللسان والقلب وطلب العلم وذكر الله عند أمره ونهيه، ووصف سبحانه الذاكرين الله بكثرة الذكر، وقيده بقوله: ﴿كثيرًا﴾ لاستغراقه لجميع أنواع الذكر وأوقات العمر. فاشتلمت الآية على صفات الدين كلها في الذكور والإناث.

فائدة: من معاني الصلاة

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:٤٣] صلاة الله للمؤمنين ذكرهم بخير والثناء عليهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِىٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢] وفي الحديث القدسي: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منهم» [البخاري:٧٤٠٥، ومسلم:٢٦٧٥] أما صلاة الملائكة للمؤمنين فهي دعاؤهم لهم، ودعاؤهم مستجاب عند الله تعالى.

فائدة: من مواعظ لقمان وحكمه التي جمعت أصول الشريعة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ الآيات [لقمان:١٢-١٩].

لقمان رجل حكيم من الحبشة أسود اللون صالح كثير التفكر حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه فمنَّ عليه بالحكمة، ليس نبيًا على الصحيح، قيل: كان عبدًا فأعتق، وكان معروفًا لدى العرب

يتناقلون حكمه، وأعظم حكمه شكره لله تعالى، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ [لقمان:١٢] ومن حكمه العظيمة عظته لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] فقد جمع في هذه الموعظة أصول الشريعة، وهي الاعتقادات والأعمال وأدب المعاملة وأدب النفس، ومن ذلك:

١- أمره بتجنب الشرك.

٢- بيَّن له أن الله تعالى يعلم الحبة من الخردل، إذا كانت في صخرة، أو في السموات أو في الأرض، ويأتي بها.

٣- أمره بالصلاة: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان:١٧].

٤- أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان:١٧].

٥- أمره بالصبر: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ﴾ [لقمان:١٧].

٦- أمره بالتواضع: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾ [لقمان:١٨].

٧- أمره بالقصد، وهو العدل: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان:١٩].

٨- أمره بغض الصوت: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ﴾ [لقمان:١٩].

ومن وصاياه:

١- أي بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها أناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك أن تنجو، ولا أراك ناجيًا.

٢- ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع.

٣- يابني ارجُ الله عز وجل رجاء لا يجرئك على معصيته تعالى،

وخَفِ الله سبحانه خوفًا لا يؤيسك من رحمته تعالى شأنه.

٤- من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

٥- يابني حملتُ الجندل والحديد وكل شيء ثقيل فلم أحمل شيًا هو أثقل من جار السوء، وذقتُ المرار فلم أذق شيًا هو أَمَرُّ من الفقر.

٦- يابني لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطًا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.

فائدة: من استمع إلى القرآن وطلب الهداية ألهمه الله رشده

الذي يستمع للقرآن، ويلقي السمع له، ويبحث عن الحق، ويطلب الهداية، ويجاهد في ذلك، يهديه الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧] فالألف والتاء للطلب، أي طلبوا الهدى فهداهم الله، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] أما المعرض عن الاستماع والمتكبر فإن الله تعالى يضله ويعميه، قال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعراف:١٤٦] وقال تعالى عن الكفار: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت:٥] وقال عنهم: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] وقال: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الروم:٥٢] وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الروم:٥٣].

فائدة: مراتب اكتساب العلم

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [لقمان:٢٠] هذه مراتب اكتساب العلم: إما الاجتهاد، أو التلقي من العالم، أو مطالعة الكتب الصحيحة، أما اتباع الآباء على ما كانوا عليه فهو جهل وضلال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢١] وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

فائدة: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين

بالصبر واليقين تنال إمامة الدين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] فلما صبر قوم موسى عليه السلام على مشاق التكليف والخروج من أرض مصر وما لقوه من فرعون وقومه من العذاب والاضطهاد وتيههم في البرية أربعين سنة وتدبروا الآيات ونظروا حتى أيقنوا جعل الله منهم أئمة في الدين، وكذا أمة محمد ﷺ.

فائدة: المغيبات التي لا يعلمها إلا الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:٣٤] هذه المغيبات التي لا يعلمها إلا الله: علم الساعة، وتنزيل الغيث، أي علم وقت نزول المطر، وليس المقصود مجرد الإخبار بأنه ينزل، فهو سبحانه المتفرد بعلم

وقت نزول الغيث من قرب وبعد وضبط ووقت، ويعلم ما في الأرحام بجميع أطواره من نطفة وعلقة ومضغة وكونه ذكرًا أو أنثى ومتى يولد، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، فهو العالم باكتسابها ومكان انقضاء حياتها، وهو سبحانه العالم بانتهاء وفناء العالم وانقراضه واعتياضه بعالم الخلود، وهذه مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

فائدة: إحياء الأرض بالماء دليل على البعث

الأرض التي انقطع نباتها، إذا نزل عليها المطر أنبتت الزرع، وفي هذا دلالة على البعث، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة:٢٧] فدلالة إحياء الأرض بعد موتها دلالة مشاهدة، والاستفهام في ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ استفهام تقريري.

فائدة: حلف الأشرار

قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] المقتسمون هم سبعة عشر رجلًا من قريش، اقتسموا أعقاب مكة، فكانوا إذا حضروا الموسم يصدون الناس عن رسول الله ﷺ وهم: حنظلة بن أبي سفيان، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن هشام، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أمية، والأسود بن عبد الأسد، وصيفي بن السائب، والنضر بن الحارث بن كلدة، وأمية بن خلف، وأوس بن مغيرة (أخو أبي محذورة) وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، ومنبه بن الحجاج، ونبيه بن الحجاج.

فائدة: إن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٥٥] هذه المصائب التي تصيب المسلم دليل على محبة الله تعالى، إذا سلَّم المسلم بقضاء الله وقدره، وسبب من أسباب الرفعة وتزكية النفس، وقوله ﴿بشيء﴾ يدل على أنه غير مفجع كثيرًا، كما هو الحال في العقوبات التي تنزل على العصاة أو الأمم أو البلدان، قال تعالى:﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢] فالجوع والخوف ملابس لهم، وقد أصاب المسلمين شيء من نقص الأموال والأنفس والثمرات، فنقص زادهم في بعض الغزوات، ونقصت أموالهم لقلة عنايتهم بنخيلهم، ونقصت أولادهم لبعدهم عن نسائهم ولاستشهاد كثير منهم، وبشرهم الله إذا صبروا، وقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] بالصلوات من ربهم والرحمة والهداية، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ○ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] وصلوات الله: تزكياته ومغفرته لهم، فالحياة لا تخلو من الأكدار ومصائب الدنيا لتخفيف عذاب الآخرة، أو لرفع درجات المسلم، وقد تكون بسبب ذنب عجل له العقوبة في الدنيا، وعلى المسلم الاستغفار دائمًا وأبدًا، وفي الحديث «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل بلاء عافية» [أبو داود:١٥١٨، وابن ماجه:٣٨١٩، والطبراني في الكبير:١٠/٣٤٢، والبيهقي:٣/٣٥١ وضعفه الألباني].

فائدة: من شروط لا إله إلا الله محبة الله تعالى

محبة الله من شروط لا إله إلا الله، ومن أحب أحدًا كحب الله لم يحقق التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥] فالمسلم يحب الله لما يعلمه من صفاته العليا وكماله، ولما يصله من نعمه وفضله ورحمته، وحرصه على هدايتنا ونجاتنا، ويحب كل من يحبه وكل ما أحبه، ومن لازم المحبة طاعته، فالمحب لمن يحب مطيع، ويبغض كل من يبغضه الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ [التوبة:٢٤] المسلم يحب رسله لما يتصفون به من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، ولما وصل إلينا على أيديهم، وحرصهم على هداية الخلق ونجاتهم، خاصة رسول الرحمة محمد بن عبدالله ﷺ الذي جعل دعوته المستجابة شفاعة لأمته يوم القيامة، والذي قال عنه الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فائدة: حُرمة الأنفس مقدمة على حرمة الأزمنة والأمكنة

قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤] نزلت هذه الآية بسبب أن المسلمين في عام القضية لما قصدوا مكة في ذي القعدة سنة سبع معتمرين، خشوا ألا يفي لهم المشركون بدخول مكة أو أن يغدروا ويتعرضوا لهم بالقتال قبل دخول

مكة، وهم في شهر حرام، فإن دافعوا عن أنفسهم انتهكوا حرمة الشهر، فنزلت هذه الآية. وقيل معنى الآية: إن قريشًا صدتهم عن البيت عام الحديبية سنة ست، ويسر الله لهم الرجوع عام القضية سنة سبع، فقال لهم هذا الشهر الذي دخلتم فيه بدل الشهر الذي صددتم فيه، فقد جعل الله الحرمة للأشهر الحرم لقصد الأمن، فإذا أراد أحد أن يتخذ ذلك ذريعة إلى غدر الأمن أو الإضرار به، فعلى الآخر الدفاع عن نفسه، لأن حرمة الناس مقدمة على حرمة الأزمنة، وكذا للمكان حرمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة:١٩١] وقال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤] وأمرهم بأن لا يتجاوزوا الحد، فقال: ﴿واتقوا الله﴾.

فائدة: عظم قدرة الخالق جل وعلا في تقلب الليل والنهار

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:٤٧] في هذا دلالة على عظم قدرة الخالق، وتذكير بنعمه، ودقة نظام الأرض والشمس، وفوائد نورها، والسكون في الليل والنوم السبات في الظلام، حين ترتخي الأعصاب، وفي ذلك تجدد نشاطهم والتستر في ظلمة الليل، وانبعاث الناس للعمل بالنهار، والإبصار والراحة، وتذكير بالبعث للأموات وتذكير بالموت.

فائدة: عذوبة الإيمان وملوحة الشرك

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣] هذا تمثيل لحال دعوة الإسلام، واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاوز البحرين أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج، فالإيمان عذب فرات

والشرك ملح أجاج، وقد حجر الله بين المسلمين والمشركين، فلا يستطيع المشركون أن يدسوا كفرهم بين المسلمين، كما قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران:١١١] ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢].

فائدة: أهل التعبد المطلق هم أفضل الناس

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

أهل التعبد المطلق هم أفضل الناس، فهم يعملون لمرضاة الله في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت، ففي وقت الجهاد يجاهدون، وفي وقت حضور الضيوف يقومون بحقهم، ويصلون الأرحام، وفي وقت الأسحار يستغفرون ويقومون، وفي وقت التعلم يتعلمون ويعلمون، وفي وقت الأذان يجيبون المؤذن، وفي وقت الصيام يصومون، وفي وقت الزكاة يزكون، وفي وقت الصلاة يصلون مع المصلين، وفي وقت الصدقة يتصدقون، وفي وقت قراءة القرآن يقرأون، وفي وقت الحج يحجون، يعكفون في العشر الأخير من رمضان، ويصومون عشر ذي الحجة، يزورون المرضى، يخالطون الناس ويصبرون على أذاهم ولا يعتزلونهم، تجدهم عند العلماء ومع العباد ومع المجاهدين ومع الذاكرين ومع المتصدقين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون إلى الخيرات بشمول وتوازن، لا يتركون وجهًا من وجوه الخير إلا شاركوا فيه ممتثلين لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

فائدة: أهل الترف والكبر هم سبب ضلال الشعوب

المترفون والمتكبرون هم سبب ضلال الشعوب، وسبب نزول

عذاب الله تعالى على العباد، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤] وقال: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] وقال: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] وقال: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] وقال: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١] وقال: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٦٠] وقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٧٦] فالكبر هو أول معصية إبليس حيث استكبر عن السجود، وهو صفة الطغاة والمفسدين في الأرض أمثال فرعون وهامان وقارون وأبي جهل والنمرود وجالوت وملأ القوم في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٦]

فائدة: المراد بالوفاة في شأن عيسى عليه السلام

قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال ابن عباس ووهب بن منبه: (إنها وفاة موت، وقال ذلك مالك رحمه الله. وقد وردت أحاديث صحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، وأنه يقتل المسيح الدجال، وقد رفعه الله إلى السماء، وهو ابن ثلاثة وثلاثين عامًا، ويمكث في الأرض بعد نزوله أربعين عامًا، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه [أبو داود: ٤٣٢٤، وأحمد: ٢/٤٠٦].

فائدة: بشرى للسائلين بأن الله يجيب دعوتهم

جاءت الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾

[البقرة:١٨٦] بعد الآيات عن الصيام، وجاءت بعدها أيضًا آيات تخص الصيام، فهي في الوسط، وفي هذا بشرى للصائمين باستجابة دعائهم، وإلى أن شهر رمضان مرجوة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان، وقوله: ﴿فليستجيبوا لي﴾ تفريع على ﴿أجيب﴾ أي إذا كنت أجيب دعوة الداعي فليجيبوا أوامري.

فائدة: لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧] أي معلومات عند العرب، لأنهم كانوا يحجون قبل الإسلام من عهد إبراهيم عليه السلام، وهي: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، والاختلاف بين العلماء هل شهر ذي الحجة كله من أشهر الحج أو العشر الأوائل منه أو التسع أو ثلاثة عشر منه، فبالأول قال ابن مسعود وابن عمر والزهري وعروة بن الزبير، وهو رواية عن ابن المنذر عن مالك، وقال بالثاني ابن عباس والسدي وأبو حنيفة، وهو رواية ابن حبيب عن مالك، وقال بالثالث الشافعي، وقال بالرابع مالك في رواية عنه.

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣] وهي أيام منى الثلاثة بعد يوم النحر، وتسمى أيام التشريق، وهي غير الأيام المعلومات، فالأيام المعلومات: أيام النحر الثلاثة، فاليوم العاشر من المعلومات وليس من المعدودات، واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، والرابع من المعدودات، قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج:٢٨] وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن: لا فرق

بينهما، فهي يوم النحر ويومان بعده، وقال الشافعي: الأيام المعلومات من أول ذي الحجة حتى يوم النحر، وما بعده معدودات، وهو رواية عن أبي حنيفة، وتدل الآية على طلب الذكر في أيام الرمي عند الرمي وعند نحر الهدايا، وكان العرب يفتخرون بها ويغازلون بها النساء، قال العرجي:

ما نلتقي إلا ثلاث منى
حتى يفرِّق بيننا النفر

وقال عمر بن أبي ربيعة:

بدا لي منها معصم حين جمَّرت
وكفٌّ خضيبٌ زُيِّنَتْ ببنان

فوالله ما أدري وإن كنتُ داريًا
بسبعٍ رميتُ الجمرَ أم بثمان

وقال امرؤ القيس:

فلله عَيْنَا من رأى من تفرُّقٍ
أَشَتَّ وأنأى من فراقِ المحصَّب

غداة غدوا فَسَالِكٌ بَطْنَ نخلة
وآخر منهم جازعٌ نَجْدَ كبكب

وقال كثير:

ولما قضينا من منى كلَّ حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح

وشُدَّتْ على دهم المهارى رِحالُنا
ولـم ينظر الغـادي الـذي هـو رائح

أخـذنـا بـأطـراف الأحـاديـث بـيـنـنـا
وسـالـت بـأعـنـاق الـمـطـي الأبـاطـح

فائدة: التذكير بالبعث وانقضاء الأمر

قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرعد:٢] أي كل هذه المخلوقات تمشي بسرعة إلى أمد يعلمه الله، فإذا انتهى ذلك الأمد بطل ذلك الجري والتنقل، وهو الوقت الذي يؤذن بانقراض العالم، وهذا تذكير بوقت البعث وانتهاء سير هذه المخلوقات.

فائدة: بشارة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن دينه سيظهر

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ﴾ [السجدة:٢٣] أي لا تكن في شك في أنه سينالك مثل ما نال موسى عليه السلام من قومه، ويجوز أن يكون ضمير ﴿لقائه﴾ عائدًا إلى موسى عليه السلام على معنى: من مثل ما لقي موسى عليه السلام من إرساله، وهو أن كانت عاقبة النصر له على قوم فرعون، وحصول الاهتداء بالكتاب الذي أوتيه، وتأييده باهتداء بني إسرائيل، فيكون بشارة للنبي ﷺ بأن الله سيظهر هذا الدين، ويجوز أن يكون ضمير ﴿لقائه﴾ عائدًا إلى الكتاب، أي فلا تكن في شك من لقاء الكتاب، أي من أن تلقى من إيتائك الكتاب ما هو شنشنة تلقي الكتب الإلهية كما تلقاها موسى عليه السلام، ويجوز أن يكون

الخطاب في قوله ﴿فلا تكن﴾ لغير معين، وهو موجه للذين امتروا في أن القرآن أنزل من عند الله سواء كانوا المشركين أو الذين يلقنونهم من أهل الكتاب، أي لا تمتروا في إنزال القرآن على بشر، فقد أنزل الكتاب على موسى عليه السلام فلا تكونوا في مرية من إنزال القرآن على محمد ﷺ، وقيل: لقاء موسى عليه السلام ليلة الإسراء، وفي هذا وعد الله به وقد حققه له، والله أعلم بمراده.

فائدة: ولاية النبي صلى الله وسلم وأمومة أزواجه للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الأحزاب:٦] لاشك أن أقرب الناس للمؤمنين هو النبي الكريم محمد ابن عبدالله ﷺ وأن محبته ونصرته أولى من محبة ونصرة غيره، حتى الوالدين والأبناء والأقربين والنفس، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» [أحمد:٤/٣٣٦ وروى معناه البخاري:٦٦٣٢] وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨] وقال ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه ورثته من كانوا، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتني، فأنا مولاه» [البخاري:٢٣٩٩ ومسلم:١٦١٩] وقال تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦] وقال تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣] وقال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ

أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب:٦] فالأرحام بعضهم أولى ببعض إلا الذين لم يؤمنوا ولم يهاجروا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ [الأنفال:٧٢] وبين سبحانه أن حق المواساة والأخوة والولاية والحلف باقٍ، وذلك بإسداء المعروف والإنفاق والإهداء والوصية دون الإرث الخاص بالأرحام.

فائدة: دلائل قدرة الله التامة وسلطانه العظيم على خلق الأشياء المختلفة المتضادة

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ○ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ○ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان:٤٨-٥٠] في هذه الآيات إظهار نعم الله تعالى بانفراده بالخلق، وتكوينه الرياح والسحاب والمطر، وأنه وحده الذي يكوِّن ذلك، وتذكير بالبعث، وطهارة الماء الذي ينزل من السماء، فهو في نهاية الطهارة مطهر لغيره، قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال:١١] وفي ذلك بيان لحياة الأرض الميتة إذا نزل عليها هذا المطر الطهور الذي لم يُجْرَ عليه ماء آخر غير ماء المطر، لما أحيا الكثير من الأراضي الميتة مثل إحياء هذا المطر ولما كفى لشرب الأنعام والأناسي، وامتلاء الأودية والسدود، وقد صرَّف الله هذا المطر بين الناس، فعن ابن عباس رضي الله عنهما (ما عام أقل مطرًا من عام، ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء،

وتلا هذه الآية ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان:٥٠] وذكر القرطبي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من سَنة بأمطر من أخرى، ولكن إذا عمل قوم المعاصي صرف الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعًا صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» [تفسير القرطبي:١٣/٥٧ وتفسير الطبري:٢٦٤١٧] وهذه قررها علماء حوادث الجو في هذا العصر والله أعلم.

فائدة: خطر الإشاعة ودور المنافقين فيها

لما أرجف الناس بموت الرسول محمد ﷺ وقالوا: إنه قتل في غزوة أُحد، حصل اضطراب، فقال المنافقون: لو كان نبيًا ما قتل، فارجعوا إلى دين أبائكم، وتكلم عبدالله بن أُبي بمثل ذلك، وهَمَّ البعض بترك القتال والانضمام للمشركين، وثبت من ثبته الله، وقال الصحابي الجليل أنس بن النضر الأنصاري رضي الله عنه: (إن كان قتل محمد ﷺ فإن رب محمد ﷺ لا يموت، ما تصنعون بالحياة بعده؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه) فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٤٤] وقد حصل ما حذرهم الله منه بعد وفاة الرسول ﷺ فارتد كثير من المسلمين، وقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومنهم من هداهم الله بعد ذلك.

فائدة: وجوب الصبر والثبات على الحق

يجب على المسلم أن يثبت على الحق مهما أصابه من أذى، ولا يهن ولا يستكين، ويصبر، ويرجع هذه المصائب إلى ما كسبت يداه، ويسأل الله المغفرة والثبات والنصر، ويحسن كما أحسن الله

إليه ولا ييأس، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ○ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ○ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦-١٤٨] فهؤلاء الثابتون على الحق هم الربيون أو (الربانيون) أتباع الأنبياء عليهم السلام.

فائدة: التوحيد سبب للأمن والأمان

الأمن سببه التوحيد الخالص، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] قال الإمام أحمد: الظلم هو الشرك، والشرك هو سبب الخوف والرعب وقلة الأمن والأمان، قال تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ [آل عمران:١٥١] كما أن الفشل والتنازع والتخالف سببه العصيان للرسول ﷺ، حيث لم يلازم الرماة موقفهم الذي حدده لهم رسول الله ﷺ في جبل أُحد، وطمعوا في الغنيمة بعد أن شاهدوها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢].

فائدة: تحكيم الحكمين للإصلاح بين الزوجين

قال الله تعالى عن الحكمين الذين يصلحان بين الزوجين في سورة النساء: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء:٣٥] فنية الإصلاح تكون سببًا في التوفيق بينهما في حكمهما، وبين الزوجين في اتفاقهما والتوفيق بينهما، بخلاف الاختلاف، فإن ذلك سبب

للفرقة.

فائدة: التوحيد أساس الإسلام

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] فقرن الله شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته سبحانه، على أنه لا إله إلا هو، وذلك أساس الإسلام، وهو توحيد الله وإعلان ذلك والخلوص من الشرك وشوائبه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] وهذه الشهادة من العدل والقسط، ثم أكد سبحانه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران:١٩] فلا دين غيره، ولا يقبل من أحد سواه، فالإسلام هو الدين الشامل المهيمن على الأديان كلها، وهو الذي لجميع العالمين، كما أن محمدًا ﷺ رسول إلى جميع الخلق، أما شرائع الأنبياء السابقة فهي لأقوامهم، فجاء الإسلام عامًا لجميع العالمين لإصلاح العقيدة أولًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران:٦٤] وجمع بين إصلاح النفوس بالتزكية وإصلاح نظام الحياة بالتشريع، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] وقام الإسلام بالحجة البالغة والمجادلة وبعموم الدعوة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] فدين الإسلام مستمر دائم، مبشر به من جميع الأنبياء وفي جميع الكتب السابقة، وهو صالح لكل زمان،

ومستوفٍ لكل حال ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام:٣٨] وهو دين الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، حلاله بيِّن وحرامه بيِّن، وبينهما متشابهات، لا يعلمهن كثير من الناس، وهو دين الرأفة والرحمة والسماحة وعدم الغلو، قال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» [البخاري:٣٩، والنسائي:٥٠٣٧، وأحمد:٤/٤٢٢، ٥/٣٥٠،٣٥١]. وهو دين الشريعة والسلطان والقوة والحكم والعمل والنظام والعبادة، وهو دين حفظه الله من التحريفات التي طرأت على الأديان السابقة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

فائدة: مآل المكذبين يوم القيامة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦] خص الله تعالى الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء، لأن حر النار يؤذي الوجوه أشد مما يؤذي بقية الجسم، لأنها مقر الحواس الرقيقة كالعيون والأفواه والآذان والأنوف، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [الزمر:٢٤].

فائدة: الاختلاف بسبب البغي

الاختلاف بين أهل الكتاب بعدما جاء الإسلام بالحق المبين بسبب البغي، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ﴾ [آل عمران:١٩] ويتمثل اختلافهم في أمور منها إساءتهم فهم الدين واختلافهم في صحة دين كل منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۗ﴾ [البقرة:١١٣] وكذا اختلافهم وتفرقهم إلى

فرق، كما قال ﷺ: «افترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة» [الترمذي:٢٦٤٠،٢٦٤١ وأبو داود:٤٥٩٦، وابن ماجه:٣٩٩٢ وأحمد:٢/ ٣٣٢، والبيهقي:١٠/ ٢٠٨ والطبراني في الكبير:١٨/ ٧٠، ٨/ ٣٢٨ قال الألباني: حسن صحيح] كما أنهم أجمعوا على مفارقتهم للإسلام، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩] واختلفت كل ملة في أمور دينها كاختلاف اليهود بعد موسى عليه السلام، واختلافهم بعد سليمان عليه السلام إلى مملكتين: مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا، واختلاف النصارى في شأن المسيح عليه السلام وفي أمور الدين واختلافهم في أمر الإسلام، فآمن به من هداه الله، وقال فريق: إنه للأميين خاصة وكفر به بعض، فهم في ذلك نقضوا قواعد أديانهم، وأنكروا دين الإسلام، وكفروا بآيات الله، وعبدوا العجل ورسولهم بينهم، وعبدوا آلهة الأمم غير مرة، وعبدوا مريم والمسيح عليه السلام، وادعوا حلول الخالق بالمخلوق، وقد حذر الله المسلمين من الاختلاف مثلما اختلف اليهود والنصارى، وبين أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

فائدة: أكابر القوم وعظماؤهم هم المتصدرون لرد الحق

قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف:٦٠] تدل هذه الآية على أن الذين تصدروا لمجادلة نوح عليه السلام ومناضلته عن دينهم هم الملأ الأكابر في زعمهم، وهكذا يتصدى للرسل كبار القوم وملئهم

والمتكبرون منهم، وفي قصة قوم هود عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦] وكان الذين عاندوا رسولنا محمدًا ﷺ وكذبوه هم كبار قريش ومترفوهم، وفي كل زمان ومكان يتصدى للدعاة إلى الله أكابر القوم وعظماؤهم ومترفوهم وقادتهم، ويؤمن بهم من الضعفاء والفقراء، وهذا من الفتنة حتى يقولوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:٢٧].

فائدة: أمر الله لعباده بإخلاص الدين له

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤] وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] فخالص العمل لله تعالى، والإحسان متابعة الرسول ﷺ، فإذا كان العمل على السنة صوابًا وأريد به وجه الله قُبل، وإن اختل شرط منهما رُدَّ على صاحبه، سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل حميةً أو رياءً أو شجاعةً فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [البخاري:١٢٣، ومسلم:١٩٠٤].

فالواجب على العبد أن يكون قصده مرضاة الله صادقًا صابرًا في ذلك، لا رياء عنده، ويجب أن يكون باطنه وظاهره سواء، لا يهمه أن يراه الناس ويمدحوه، ولا يترك العمل من أجل الناس، ولا يعمل لأجلهم، وأن لا يطلب جزاءً أو شكورًا إلا من الغنى الكريم، لا يعظم عمله ولا يطلب أجرًا ولا يمن به، وأن يحمد الله على توفيقه

للعمل الصالح وهداه، وأن يحبه ويعظمه، ويعلم أن حقه أكبر، وأن يطالع عيوبه وخطاياه، ولا يلتفت إلى وساوس الشياطين، وأن يأمل من الله قبول عمله، ويبذل ما في وسعه في إصلاحه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وأن يكون العمل عن علم موافقًا للشرع متبعًا لهدي رسول الله ﷺ.

فائدة: الصدق أساس الدين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] وقال: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] وقال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] وقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] وقال: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠] الصدق صفة المنعم عليهم، وهو أساس الدين وأرفع درجاته، وأصحابه مع الله، ينجيهم من الكربات في الدنيا والآخرة، ويثني عليهم ويدخلهم الجنة ويطمئن قلوبهم بالإيمان، وهو يهدي إلى البر، ويكتب صاحبه صدِّيقًا، ويرضى الله عنه، ويرفع درجاته عنده، وهو خير كله.

فائدة: بطلان تأويل الصفات

تأويل الصفات في القرآن والسنة باطل، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] فالإتيان لله لا يحتمل التأويل، وكذا قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] أي كلمه كلامًا مؤكدًا لا يحتمل التأويل، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى:٥١] فهذه أنواع التكليم لا تحتمل التأويل، وقال: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤] وقال ﷺ: «إنكم ترون ربكم عيانًا، كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس دونه سحاب، وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب» [البخاري:٤٥٨١، ومسلم:١٨٣] لا تحتمل الرؤية أية تأويل، وهكذا.

فائدة: من فضل الله ورحمته أن جعل الأرض قارة ساكنة

قال الله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١] هذه الأرض مع أنها تسير وتسبح في الهواء، قارَّة ثابتة ساكنة فيما يبدو لسكانها، وهذا من تدبير الله تعالى القوي العزيز ورحمته بعباده ونعمته، كما أنه جعل الجبال رواسي ثابتة ليعتدل سيرها في الهواء، وجعل سبحانه بين البحرين الحلو والمالح حاجزًا، فلا يمتزجان بسبب اختلاف ثقلهما واختلاف تركيبهما، وهذه المعلومات لا يفقهها إلا العالمون، ولهذا قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولو كانت الأرض ثابتة لا تدور ما احتاجت إلى الجبال

الرواسي، ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] وهذا كله من فضله ومنه وكرمه وجوده، ولهذا أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل:٧٣].

فائدة: الحياة الحقيقية

الحياة الحقيقية هي حياة الروح وحياة الآخرة في الجنة، فهي الحياة الطيبة، وهي لأهل معرفة الله ومحبته وعبادته، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] يحيي الله قلبه بالرضا والرزق الحسن والقناعة والسرور بالإيمان والتوكل على الله، ولو يعلم الملوك ما في قلوب الصالحين من السعادة لجالدوهم عليها بالسيوف، أما أهل الشقاوة فحياتهم ضنك في الدنيا والآخرة، فالمحسن يزيده الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنات، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل:٣٠] والمستغفر قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣].

فائدة: لا إيمان لمن لا أمانة له

قول هود عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨] رد على قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦] فالأمانة حالة في الإنسان تبعثه على حفظ ما يجب عليه من حق غيره، وتمنعه من إضاعته، أو جعله لنفع نفسه، وضدها الخيانة، والأمانة من أشرف العبادات وأزكاها، فلا إيمان لمن لا أمانة له، وقد ورد من حديث حذيفة رضي الله عنه «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب

الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، ثم ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت .... فيقال إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» [البخاري:٦٤٩٧، ومسلم:١٤٣] فالصدق أمانة والكذب خيانة، فمن أخبر بالواقع لا يزيد ولا ينقص فهو أمين، والأمانة تجري في كل شيء، فللعين أمانة، وهو عدم النظر إلى المحرم، وللسمع كذلك وللسان أمانة، ولجميع الجوارح والمعاملات أمانة.

فائدة: وجوب إقامة الحجة قبل إيقاع العذاب

لابد من إقامة الحجة على الناس قبل إيقاع العذاب على المكذبين، فلا يعذب الله أحدًا إلا بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ○ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ الآية [الملك:٨،٩] وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص:٥٩] وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وقال: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٥٩] وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١] وقال: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام:١٥٧].

فائدة: إذا امتلأ القلب بشيء أعرض عما سواه

إذا امتلأ القلب بشيء صار تفكيره فيه، وأعرض عن ذكر ما سواه، ولما امتلأ قلب يعقوب عليه السلام بحب يوسف عليه السلام

ومصيبته في فقده، وأخبره أبناؤه عن أخيهم بنيامين تولى يعقوب عليه السلام وقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤] وكذا النسوة لما استولى على قلوبهن حب يوسف عليه السلام قطعن أيديهن ونسين السكاكين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] وكذا أم موسى عليه السلام لما ألقته في اليم امتثالًا لأمر الله تعالى، امتلأ قلبها بالتفكير فيه، قال تعالى: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

فائدة: الفرح المحمود

الفرح متى كان بالله وبما مَنَّ الله به وقارن الخوف والحذر لا يضر، وإذا خلا من ذلك ضَرَّ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقال قوم قارون له: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وقال تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فائدة: الأحاديث الكاذبة والأغاني من لهو الحديث

استماع الأحاديث الكاذبة والأغاني من لهو الحديث، وإذا قصد بها الصد عن سبيل الله صارت أعظم إثمًا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان: ٦] قيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث فإنه كان يسافر في تجارة إلى بلاد الفرس فيتلقى أكاذيب الأخبار عن أبطالهم من الحروب وغيرها، فيقصها على قريش في

أسمارهم، ويقول: هذا محمد ﷺ يحدثكم بأحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث رستم واسفنديار وبهرام، وكان يُحضر معه كتبهم ويترجمه بواسطة المترجمين ليلهي الناس بها عن استماع القرآن.

فائدة: كلمات الله لا تحصى ولا تنفد

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧] وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] وقال: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنفال:٧] وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥] في هذه الآية إثبات كلام الله، وأنه لو فرض إرادة الله أن يكتب كلامه كله صحفًا، ففرضت الأشجار كلها مقسمة أقلامًا، وفرض أن يكون البحر مدادًا، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد، لنفد البحر ونفدت الأقلام وما نفدت كلمات الله في نفس الأمر.

فائدة: تهديد من الله للمكذبين والمستهزئين

قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء:٦] لقد استهزأوا بأمور كثيرة منها البعث، وعذاب الدنيا، ونصر الله المسلمين عليهم، وقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨] واستهزاؤهم بالفقراء والضعفاء من المؤمنين، واستهزاؤهم بحصول فتح مكة، وبعذاب جهنم، وبشجرة الزقوم، وكان أبو جهل يقول: زقمونا استهزاءً، وبملائكة النار التسعة عشر، وبالرسول ﷺ، واتخذوا آيات الله هزوًا.

فائدة: التعلق بموروثات الآباء سبحية المتكبرين

التعلق بموروثات الآباء والأجداد سجية وطبيعة لدى المتكبرين المفاخرين بالآباء والأجداد، وكل نبي يقول له قومه الكافرون: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠] أو يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] وقد قال هود عليه السلام لقومه: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الأعراف:٧١] كما قالت قريش لأبي طالب: (أترغب عن ملة عبدالمطلب) وهكذا في كل عصر يتفاخر المتكبرون بأفعال آبائهم وأجدادهم لا بأفعالهم وصفاتهم، قال الشاعر الحكيم:

ليس الفتى من يقول كان أبي
إن الفتى من يقول ها أنا ذا

ولو أن المسلمين تدبروا هذا القرآن لما افتخر أحد منهم إلا بعمله وتقواه وعلمه وإيمانه، فلم يضر إبراهيم عليه السلام كفر أبيه آزر، ولم ينفع ابن نوح عليه السلام إيمان أبيه الذي تبرأ منه بعدما تبين له أنه عدو لله، وقال الله لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] وكل من لديه نعرة جاهلية يدعو إليها فهو من جثى جهنم، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما قال لبلال رضي الله عنه: يابن السوداء: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠، ومسلم:١٦٦١] فتاب عن ذلك رضي الله عنه وأرضاه، وبين سبحانه أن التنابز بالألقاب إثم وفسوق وخروج من

الإيمان وظلم، فقال: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

فائدة: قيام الليل من شعار الصالحين

قيام الليل والابتهال إلى الله تعالى فيه حَثَّ عليه القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [السجدة:١٦] وقال: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨] وقال الرسول ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» [البخاري:١١٤٥، ومسلم:٧٥٨] فقيام الليل من شعار الصالحين، وقد واعد الله تعالى موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وهذه الليالي لمناجاة موسى عليه السلام لربه، والنفس في الليل أكثر تجردًا لله تعالى وابتهالًا فيه إلى الرب سبحانه وتعالى.

فائدة: قصة شعيب عليه السلام مع قومه

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾ [الأعراف:٨٥].

مدين أمة جدها مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام من ذرية إبراهيم كانت مساكنهم بين الحجاز وخليج العقبة على ساحل البحر الأحمر من بلادهم وج وتبوك، وتسمى الأيكة التي كان يسكنها شعيب عليه السلام وقد تعربوا بمجاورة الأمم العربية، فيهم عرب

مستعربة مثل بني إسماعيل عليه السلام (قريش)، وقد زوج شعيب عليه السلام ابنته موسى عليه السلام لما خرج من مصر، وأقام عندهم عشر سنين أجيرًا، وقد أقام شعيب عليه السلام على قومه حجة بيِّنة عجزوا عن مجادلته فيها ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وأمرهم باستيفاء الكيل والميزان بعد أن أمرهم بعبادة الله وحده، وهكذا كل نبي يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك، ثم يدعوهم إلى ترك المعصية المتلبسين فيها. وقد كان قومه يفسدون في الأرض، ويبخسون الناس أشياءهم، وينقصون الكيل والميزان، ويتعرضون للناس، ويمنعونهم من الخير وإصلاح أنفسهم، ويصدون الوافدين على شعيب عليه السلام من الدخول عليه لئلا يؤمنوا، ويوعدونهم بالشر إذا أقدموا على شعيب عليه السلام وانقادوا للإيمان به، ويبغون في الأرض عوجًا، وقد ذكرهم شعيب عليه السلام بتكثير الله لهم بعدما كانوا قلة قليلة، وذكرهم بالنظر إلى عاقبة المفسدين قبلهم، وأمرهم بترك المؤمنين منهم على إيمانهم حتى يحكم الله بينهم وهو خير الحاكمين، ولكنهم كفروا وعاندوا، وتزعم عنادهم أكابرهم وزعماؤهم وملأهم، وهكذا كل نبي يتزعم عناده الأكابر، وقالوا لشعيب عليه السلام والذين آمنوا معه: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] فأنزل الله عقابه عليهم بالرجفة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١] ونجى الله شعيبًا عليه السلام والذين آمنوا معه بأن خرج مع من آمن معه إلى مكة وغيرها، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٩١] وقال: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] قال المفسرون: الرجفة: الزلزال،

والصيحة: الصاعقة من السحاب الذي خرج من ظلة، فهي زلازل ورجفة وصواعق قطعت دابرهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].

فائدة: الحث على طهارة القلوب

الآيات التي تحث على صلاح وطهارة القلوب، وعلم الله ومراقبته لخواطر العبد كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥١] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقوله: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٤] وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأعراف: ٥٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥].

فائدة: لعن الله اليهود لكتمانهم العلم

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

روي أن أبا سفيان قال: أناشدك ياكعب بن الأشرف - وكان يهوديًا - أديننا أحب إلى الله أم دين محمد ﷺ وأصحابه؟، وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نطعم الجزور الكوماء - أي عظيمة السنام طويلته - ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ماهبت الريح، فقال له كعب بن الأشرف: (أنتم أهدى سبيلًا) فأنزل الله هذه الآية. [تفسير الطبري: ٩٧٩٥].

فائدة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد هي الهلكة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] روى الترمذي [٢٩٧٢] عن أسلم أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم - القسطنطينية - فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. وقيل في معناها خمسة أقوال، الأول: التهلكة: الإسراف أو البخل الشديد، وقيل: الإمساك عن الصدقة، وقيل: الخروج للجهاد بغير زاد، وقيل: الاستسلام في الحرب، وقيل: الاشتغال عن الجهاد وعن الإنفاق فيه بإصلاح الأموال.

فائدة: مراحل خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] فالإنسان أصله ماء من نطفة، ثم يكون علقةً، ثم مضغةً ثم عظامًا، ثم يكسى اللحم، ثم يكون إنسانًا، وهو إما نسب وإما صهر، والنسب أبوه أو بنوه أو أخوه أو أبناء لهما،

والصهر: قرابة الزوجة وأقارب الزوج، فصهر الرجل قرابة امرأته، وصهر المرأة قرابة زوجها ومن له علاقة المصاهرة، فقريب زوج الرجل صهر، وقريب زوج المرأة ختن أو حمو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ [الحجرات:١٣] فتبارك الله أحسن الخالقين.

فائدة: صفات عباد الرحمن

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآيات [الفرقان:٦٣-٧٦] في هذه الآيات صفات عباد الرحمن، وهي باختصار:

١- أنهم في تصرفاتهم في المعاشرة مع الناس يرفقون بهم، ويتواضعون لله، ويتأدبون بالآداب الشرعية، ويرحمونهم، ولا يفسدون في الأرض، لهم سمت خاص.

٢- أنهم إذا جهل عليهم جاهل قالوا له (سلامًا) فلا يهجون ولا يغضبون.

٣- أنهم يقومون من الليل فيصلون، فتراهم سجدًا وقيامًا والناس نائمون.

٤- أنهم يدعون الله تعالى بأن يصرف عنهم عذاب جهنم، فهم خائفون منها.

٥- أنهم في إنفاقهم على أهلهم وأنفسهم وأصحابهم لا يسرفون ولا يقترون وكان بين ذلك قوامًا، فيضعون النفقات في مواضعها الصالحة كما أمرهم الله تعالى.

٦- أنهم لا يشركون مع الله إلهًا آخر، فعقيدتهم سليمة صحيحة،

ومنهجهم منهج أهل السنة والجماعة ومفهومهم.

٧- أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، إما قصاص أو جهاد في سبيل الله.

٨- أنهم لا يزنون، فالزنا من أقبح الصفات وأشنعها ومن كبائر الذنوب، وأضراره عظيمة.

٩- أنهم لا يشهدون الباطل والزور والكذب واللهو والغناء والغيبة وأعياد الكفار.

١٠- أنهم إذا مروا باللغو مروا كرامًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨] فهم لا يسمعون اللغو، كريمة نفوسهم.

١١- أنهم إذا ذكروا بآيات ربهم امتثلوا وآمنوا وانقادوا للحق، لا كما يفعل المشركون من طأطأة الرؤوس واستغشاء الثياب والإصرار والاستكبار.

١٢- أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] فهم يدعون الله أن يصلح زوجاتهم وذرياتهم، وهم عالو الهمة، يسألونه الإمامة في الدين، ثم قال تعالى عن جزائهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ○ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٧٥،٧٦].

فائدة: وجوب الحج على المستطيع

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧] هذه الآية هي التي

فرض الله بها الحج على المسلمين، وقد فرض الحج العام الثالث من الهجرة على الصحيح، ولم يحج المسلمون حجة الإسلام إلا بعد فتح مكة، ووقعت حجتهم سنة تسع، وقد تعذر قيام المسلمين بأداء الحج عقب نزول هذه الآية، لأن المشركين كانوا لا يسمحون لهم بذلك حيث كانوا مُحْصَرين عن أداء هذه الفريضة، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ معناه: استطاع الزاد والراحلة، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: معناه كفر النعمة، وقيل: من جحد وجوب الحج، وروي عن الحسن أن من ترك الحج مع القدرة عليه كَفر، وقيل - من كفر - أي بالإسلام، وهو تعريض بالمشركين من أهل مكة بأنه لا اعتداد بحجهم، وإنما يريد الله أن يحج الموحدون.

فائدة: أحكام النسب مقدمة على أحكام التبني

قول فرعون لموسى عليه السلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩] فعلة موسى عليه السلام أنه وكس القبطي فقضى عليه، وقوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي كفر نعمة فرعون حيث اعتدى على خاصته وانتصر لبني إسرائيل، فهو يرى أن الواجب على موسى عليه السلام أن يعد نفسه من قوم فرعون فلا ينتصر للإسرائيلي، حيث إن فرعون تبناه، ولكن أحكام النسب مقدمة على التبني، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤] وكان موسى عليه السلام كافرًا بدين فرعون، فيجوز أن يكون معنى ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي بدين فرعون وملئه، وكان جواب موسى عليه السلام

أن قال: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء:٢٠] لأن قتل النفس ضلال، ولهذا دعا موسى عليه السلام ربه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦] ثم بين موسى عليه السلام لفرعون أن الله أرسله ووهب له الحكم، فقال: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢١] وهذا الطاغية فرعون مع ما هو عليه من الكفر يسمع لكلام موسى عليه السلام ويحاوره ويجمع الناس لاستماع أقواله وإحضار بيناته، أما طغاة عصرنا فلا يفعلون ذلك، نسأل الله العافية.

فائدة: خروج موسى عليه السلام إلى مدين

قول الله تعالى على لسان الناصح لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠] وخروج موسى عليه السلام إلى مدين خائفًا يترقب، ودعاؤه لربه أن ينجيه من القوم الظالمين، مشابه لخروج نبينا محمد ﷺ من مكة وهجرته إلى المدينة، وتآمر المشركين على قتله وإنجائه من الظلمة ونصره على أعدائه، وهذه سنة الله تعالى أن يصطفي من يشاء من عباده، وأنه أعلم حيث يجعل رسالته، وأن الله ييسر من يشاء لليسرى ومن يشاء للعسرى حسب أعمالهم ونياتهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ○ وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

فائدة: الخاشعون هم المفلحون

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١،٢] قدم ﴿في صلاتهم﴾ على ﴿خاشعون﴾ للاهتمام

بالصلاة، فلو قال: الذين إذا صلوا خشعوا لفات المعنى، كما أن ما في الآية يدل على أن صفتهم الثابتة الدائمة الخشوع، وأنه خلق لهم في الصلاة وغيرها والله أعلم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣] ومن خشع في صلاته اعتاد القول الحسن وتجنب اللغو والقول الباطل وتأدب بآداب الإسلام، وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون:٥] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون:٨] فإنها كلها تدل على استمرار هذه الصفات الحسنة لديهم.

فائدة: حفر الخندق وبشائر النصر

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الآيات [الأحزاب:٩-١٢] جمع أبو سفيان رضي الله عنه جيشًا بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل وتوجه إلى المدينة، وأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بحفر خندق حول المدينة، وحاول الكفار اجتيازه ولكن سهام المسلمين كانت تردهم، واستمر ذلك شهرًا واشتد البرد والرياح التي قلعت خيام المشركين وطرحت قدورهم وأطفأت نيرانهم فانهزموا، فقال النبي ﷺ «اليوم نغزوهم ولا يغزوننا» [أحمد في المسند:٤/ ٢٦٢ والطبراني في المعجم وأبو نعيم في الحلية والسيوطي في الدر المنثور والهندي في كنز العمال والبيهقي في دلائل النبوة].

فائدة: حال العرب قبل البعثة

لقد ضل العرب قبل بعثة الرسول ﷺ ضلالًا مبينًا من الشرك

وقتل النفوس بغير حق والنهب والسلب والقمار والزنا وانتهاك الأعراض، فاستحقوا العذاب لما قدمت أيديهم، ولكن الله يرأف بعباده إذا طالت السنون عن الوحي وانقرضت القرون، وصار الناس في غفلة، فتعهدهم الله ببعثة الرسل للتذكير بالفطرة التي أخذها الله على بني آدم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧] أي هلا أرسلت إلينا قبل أن تأخذنا بالعذاب فتصلح أحوالنا، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] خلافًا للذين يعدون توحيد الله بالألوهية عقليًا، وأن ذنب الإشراك لا عذر فيه لصاحبه، لأن توحيد الله قد دعا إليه الأنبياء والرسل من عهد آدم عليه السلام بحيث لا يعذر بجهله عاقل، فإن الله قد وضعه في الفطرة إذا أخذ عهده به على ذرية آدم عليه السلام، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فائدة: أسباب سلامة الصدر

الإخلاص سبب سلامة الصدر وذهاب الغل والحسد، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] ولما علم إبليس أنه لا سبيل على أهل الإخلاص استثناهم فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ○ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢،٨٣] وقال ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص

العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمن، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» [ابن ماجه: ٢٣٠،٣٠٥٦، وأحمد: ٣/ ٢٢٥، ٤/ ٨٠،٨٢، ٥/ ١٨٣، والبيهقي في الشعب: ٧٥١٤] فالمخلص لله تعالى لا يحمل الغل والغش وفساد القلب وسخيمته ولا السوء ولا الفحشاء ولا الغواية، وكذا مناصحة المسلمين ولزوم جماعتهم، فأهل السنة والجماعة هكذا، أما أهل البدع من الروافض والخوارج والمعتزلة وأمثالهم من الفرق المنحرفة، فإنهم يحملون الغل والحسد، ولا يلزمون جماعة المسلمين ولا إمامهم، وينشغلون بالطعون والعيوب والذم والغيبة والنميمة.

فائدة: وجوب الحجاب على المؤمنات

آية الحجاب هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وتفصيل من يجوز الكشف لهم في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥] ولم يذكر من أصنافهم الأعمام والأخوال، لأن ذكر أبناء الإخوان وأبناء الأخوات يقتضي اتحاد الحكم، لأنهم أولى بذلك، أما قرابة الرضاعة فعلمت من السنة، أما غيرهم فقد أمرت النساء بإدناء الجلابيب وضرب الخمار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] والخمار تضربه المرأة على جيبها، قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وتلبس الجلباب وتدنيه عليها، وهو ثوب تضعه المرأة على رأسها فيتدلى جانباه وتدنيه عليها، وهو أكبر من الخمار، فالجلباب مثل العباءة

تدنيه عليها، وكن يسترن وجوههن ويخرجن عينًا واحدةً أو اثنتين في البرقع، والخمار مثل الشيلة، تضربها على جيبها ويكون أسود اللون غالبًا، قال الشاعر بشار بن برد:

ليلة تلبس البياض من الشهر
وأخرى تدني جلابيب سودا

وقال كثير:

هن الحرائر لا ربَّات أخمرة
سود المحاجر لا يقرأن بالسور

فائدة: عظم الأمانة وجهل الإنسان

أبت السماوات والأرض والجبال أن تحمل الأمانة، وحملها الإنسان لظلمه وجهله، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢] وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة» وحدثنا عن رفعها فقال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النوم فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل كجمر دَحْرَجْتَه على رجلك فَنَفِطَ، فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال:

إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» [البخاري:٦٤٩٧، ومسلم:١٤٣].

وقال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الأحزاب:١٥] وقال عن المؤمنين: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] وقال ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٦،٢٧] وقال الرسول ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» [البخاري: ٦٤٩٦،٥٩، والبيهقي في الشعب:١٠/١١٨، والبغوي في شرح السنة:٦/١٧٩].

فائدة: وجوب حسن الظن لما وقع بين الصحابة من القتال

قول الله تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] أشكل على الناس خروج عائشة رضي الله عنها إلى البصرة في الفتنة التي تدعى (واقعة الجمل) فأنكر عليها عمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأيدها معظم الصحابة، ومنهم: طلحة والزبير رضي الله عنهما، والجواب عن ذلك أن ذلك اجتهاد منها حيث خرجت لمصلحة المسلمين لتسعى بين الفريقين بالصلح، خاصة وأن الناس شكوا إليها ورجوها أن تخرج، حيث ظنوا أن الفريقين يستحيون منها ويقبلون صلحها، ورأت أن في ذلك خيرًا وإصلاح ذات البين، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] وقد خرج معها بعض الصحابة، ويجب حمل ما وقع منهم على أحسن المخارج،

والظن بها أحسن الظنون، ومخالفة أهل الأهواء كالروافض ودعاة الفتنة.

فائدة: الرسول ﷺ مخير في القسمة بين زوجاته

الرسول محمد ﷺ مخير في القسمة بين زوجاته، بقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب:٥١] ولكنه ﷺ لم يأخذ لنفسه به تكرمًا منه على أزواجه، بل آواهن كلهن، إلا من وهبت ليلتها، وهي سودة رضي الله عنها، حيث وهبتها لعائشة رضي الله عنها، وكذا ما ورد في الصحيح أنه كان في مرضه الذي توفي فيه يطاف به كل يوم على بيوت أزواجه، وكان مبدأ شكواه في بيت ميمونة رضي الله عنها إلى أن جاءت نوبة ليلة عائشة رضي الله عنها فأذن له أزواجه أن يمرض في بيتها رفقًا به.

فائدة: آية الله في خلق السموات والكواكب

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون:١٧] سميت هذه الأفلاك طرائق، لأنها تسير على طريق يسرها الله لها، وجعلت هذه الكواكب فوقنا، لنراها ونعتبر ونستدل بها على قدرة الله وعظمته، وننتفع بها في التوقيت وغيره، ولكون عالم الجزاء فوقنا، وهذه المخلوقات العظيمة لم تخلق عبثًا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ○ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨،٣٩] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾ [الأنعام:٩٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون:١٧] عنكم ولا عنها.

فائدة: لا إيمان لمن كره الحق وابتع هواه

ليس هناك ضلال أشد من ضلال من يتبع الهوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وقال: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١] وقال: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] فمن كره الحق واتبع هواه لا يؤمن، كما قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» [البغوي في شرح السنة: ١/ ٢١٣، وصححه الحافظ في الفتح: ١٣/ ٢٨٩ والنووي في آخر الأربعين] فالأهواء مختلفة والعقول متنوعة والحق يوافق العقول السليمة، والهوى شهوة ومحبة لما يلائم غرض صاحبه، فمن يشتهي الزنا أو غيره من المحرمات فاسد الطبع، ومن يكره ما جاء عن الله تعالى وجاء به رسوله الكريم ﷺ فاسد الطبع ليس مؤمنًا.

فائدة: لم يكن للعرب ذكر في التاريخ قبل الإسلام

العرب ليس لهم ذكر في التاريخ قبل الإسلام، فليسوا أهل صناعة، بل كانوا يحتقرونها ويحتقرون أهل المهن اليدوية منهم، وكانوا متفرقين قبائل، يقتل بعضهم بعضًا وينهب بعضهم بعضًا، أميين لا يقرأون ولا يكتبون، يئدون البنات خوف العار، جفاة الطباع، وكان الفرس والروم قبل الإسلام أقوى منهم وأكثر حضارة، وكان العرب يستقدمون حاجاتهم الضرورية منهم، فلما جاء الإسلام صار لهم ذكر، وسادوا العالم، وظهرت لهم من البطولات مالم تظهر لغيرهم، قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة:٢] فانقلبت أحوالهم من الجفاء إلى الأخلاق الفاضلة، ومن العصبية الجاهلية إلى التعاون والترابط، ومن الفساد إلى الصلاح، فدانت لهم الأرض، وطأطأ ملوك الفرس والروم لهم رؤوسهم، وسادوا العالم. وكما قال الإمام مالك رحمه الله: (لن يصلحنا إلا ما أصلح أولنا) وكما قال ابن خلدون: (إن العرب لا يصلحهم إلا الدين، فهم لا يرضخون بطبعهم لنظام إلا إذا كان من الله) قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤] فكلما ابتعدوا عن دينهم سلط الله عليهم من يستذلهم ويستعبدهم، وكلما تمسكوا به نصرهم الله، فالمسؤولية عليهم أكثر من غيرهم من المسلمين غير العرب، لأن القرآن والسنة بلغتهم، ومكة والمدينة والقدس بلادهم، فيجب أن يتمسكوا بهذا الدين وينشروه في العالمين.

فائدة: الباطل مكروه عند الله تعالى

كل باطل وكل سيء وكل ناقص وكل محرم فهو مكروه عند الله تعالى، وكماله سبحانه يأباه شرعًا ودينًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [آل عمران:٢٨،٢٩] وقال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسراء:٣٨].

فائدة: تفاوت المسلمين في توحيدهم لله تعالى

المسلمون يتفاوتون في توحيدهم لله تعالى بالعلم والحال، فأعلاهم توحيدًا أولو العزم من الرسل، ثم بقية الرسل، ثم الأنبياء عليهم السلام، وأكملهم محمد ﷺ، ثم إبراهيم الخليل عليه السلام،

ثم نوح وموسى وعيسى عليهم السلام، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ○ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠] ومن يرغب عن التوحيد - ملة إبراهيم عليه السلام - فهو سفيه، ومن وحد الله واتبع ملة إبراهيم حنيفًا فهو رشيد مهتد مصطفى صالح، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

فائدة: لا يعذب الله أحداً حتى يقم عليه الحجة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ربنا رب العالمين رحمن رحيم، لم يترك عباده سدى هملًا، بل أرسل لهم الرسل وأنزل الكتب، وكرر المواعظ، فرحمته تسبق غضبه، وما كان ليعذب أحدًا حتى يقيم الحجة عليه، وقد أقامها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فله الحمد والشكر، ونسأله الهداية إلى الصراط المستقيم، وأن يزكي نفوسنا. وكل ذلك موضح في سورة الفاتحة، فالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم.

فائدة: قصة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون

امرأة فرعون اسمها (آسية) ضربها الله مثلًا للذين آمنوا فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١] وقد كمل إيمانها، كما قال ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون» [البخاري: ٣٤٣٣ ومسلم: ٢٤٣١] وقد منعت فرعون من قتل موسى عليه

السلام وقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص:٩] وقد ورد أنها تكون زوجة للرسول محمد ﷺ في الجنة رضي الله عنها.

فائدة: الإسلام يصلح الظاهر والباطن

الإسلام يصلح الظاهر والباطن، اقرأ الآيات الآتية:

١- قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦] اللباس بالريش واللباس بالتقوى.

٢- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ○ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] جمال الوجوه والقلوب.

٣- ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠] حسان الوجوه وخيرات الأخلاق.

٤- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١] تزيين ظواهرهم وبواطنهم.

٥- ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١] الأساور زينت ظواهرهم، والشراب الطهور زين بواطنهم.

٦- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ○ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات:٦، ٧] جمل ظاهر السماء الدنيا بالكواكب، وباطنها بالحراسة من الشياطين.

فائدة: الاستغفار بعد الطاعات

الاستغفار عقيب الطاعات يشعر بإقرار العبد بالتقصير في طاعة

مولاه، وترك القيام بما يجب عليه، فيكون بعد الإفاضة من عرفات، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٩٨،١٩٩] ويكون بعد قيام الليل، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] ويكون بعد النصر والفوز، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:١-٣] ويكون بعد الصلاة، كان النبي ﷺ إذا سلم استغفر الله ثلاثًا، وبعد الوضوء يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» [النسائي في عمل اليوم والليلة:٨١].

فائدة: أرجى آية في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٧] قال بعض العلماء: هذه الآية أرجى آية في القرآن، والفضل الكبير هو ما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى:٢٢] .

فائدة: مضاعفة عذاب الكبراء والسادة

السادة والكبراء وعظماء القوم والملوك إذا أضلوا الضعفاء والعامة والتابعين يذيقهم الله ضعفين من العذاب، بسبب ضلالهم بأنفسهم وإضلالهم لغيرهم بتسببهم في إضلال أتباعهم، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ

مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٧،٦٨] وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٣٨] نسأل الله العافية والسلامة، وأن يعيذنا من عذاب النار.

فائدة: قصة قوم صالح

قال الله تعالى عن ثمود قوم صالح عليه السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [المؤمنون:٣٢] جعل الله الرسول بينهم ومنهم ومن قبيلتهم، ولهذا قال: ﴿فيهم﴾ وقال: ﴿منهم﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٨٣] أي في الصباح، كما قال تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون:٤٠] وقد بقيت آثارهم في ديار الحجر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ○ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧،١٣٨] وكان بعض الأنبياء يرسلون إلى غير قومهم، مثل لوط عليه السلام أرسل لأهل سدوم، ويونس عليه السلام لأهل نينوى، وموسى عليه السلام للقبط، أما رسولنا محمد ﷺ فقد أرسل إلى العالمين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ورسالته قائمة إلى قيام الساعة، ومن يبتغ غير دينه لا يقبل منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

فائدة: قُوبِلَ الرسل كلهم بالتكذيب

يقابل الأقوام رسلهم بالزجر والرد والتكذيب، كما حصل لقوم هود عليه السلام حيث قالوا له: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ

بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ○ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٣، ٥٤] وكما قابل قوم صالح رسولهم صالحًا عليه السلام بقولهم: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢] فيدعو الأنبياء عليهم السلام ربهم بأن ينصرهم فيحصل النصر المبين، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ○ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ○ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٣٩-٤١] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] ثم يهلك الله تعالى المكذبين في الأجل المقدر لهم، قال تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٣].

فائدة: من معاني الإحسان

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦] وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩] فالذي يحسن عبادته لله يكون الغيب عنده كالمشاهدة، فكأنه يرى الله سبحانه فوق سمواته على عرشه مستوٍ يسمع كلام خلقه ويرى سرائرهم وعلانياتهم، يتكلم ويأمر وينهى ويدبر أملاكه، يرضى ويغضب، ويحب ويبغض، ويعطي ويمنع، ويضحك ويفرح ويثني ويذم ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] أشرقت الأرض بنوره ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ويقول الله تعالى لآدم عليه السلام: «أخرج بعث النار» [البخاري: ٣٣٤٨ ومسلم: ٢٢٢] ويقول: ﴿مَاذَآ

أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥] ويقول: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء:٩٢].

فائدة: هجرة موسى عليه السلام تشبه هجرة إبراهيم ولوط ومحمد ﷺ

من قول الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص:٢٢] هذه هجرة تشبه هجرة إبراهيم ولوط ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦] ولم يكن موسى عليه السلام يعلم أين هو متوجه إليه، وإنما خرج خائفًا هائمًا على وجهه هاربًا من بطش فرعون متوكلًا على الله داعيًا ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص:٢٢].

فائدة: أمر الله تعالى لنساء النبي ﷺ بالقرار في البيوت

قال الله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] هذا أمر لنساء النبي ﷺ ألا يخرجن عن بيوتهن، واستثنى من ذلك الضرورة لزيارة الوالدين ونحوه، أما خروج عائشة رضي الله عنها في الفتنة المسماة وقعة الجمل فإن ذلك اجتهاد منها، حيث رأت أن في خروجها إلى البصرة مصلحةً للمسلمين لتسعى بين فريقي الفتنة بالصلح، ولشكوى الناس إليها وإلحاحهم على خروجها، ظانين أن الناس يستحيون منها، فتأولت ذلك ورأت أن الأمر بالإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات:٩] يشملها، وقد خرج معها من الصحابة الكثير منهم طلحة والزبير رضي الله عنهم مجتهدين في ذلك الأمر، وقد كانت سودة رضي الله عنها لا تخرج امتثالًا لأمر الله تعالى

بالقرار في البيوت.

فائدة: العقوبة المترتبة على إيذاء رسول الله ﷺ وإيذاء أصحابه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧] وقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب:٥٣] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣] ومن إيذاء النبي ﷺ سب أصحابه، أو الاستئناس بالحديث بعد الانتهاء من الطعام في بيته، أو الإنكار عليه فيما يفعله، أو الكيد له، أو أذى أهله، ومنه الكلام في الإفك، أو الطعن في أعماله كالطعن في إمارة زيد وأسامة رضي الله عنهما، والطعن في أخذه صفية رضي الله عنها لنفسه، وفي الحديث «من آذاني فقد آذى الله» [أحمد:٤/ ٨٧، والترمذي:٣٨٦٢، وضعفه الألباني] ومنه رفع الصوت أمامه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤] وقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات:٢] ويترتب على أذى النبي ﷺ اللعن في الدنيا والآخرة والعذاب الأليم، كما يترتب على أذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا البهتان والإثم المبين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

فائدة: الآجال محدودة

الأمم والأفراد لها آجال وأعمار محدودة لا تسبقها ولا تتأخر عنها، تزدهر تارة وتضعف أخرى، كلما أطاعت ربها ازدهرت وارتفعت، وكلما عصت رسلها اضمحلت وانتهت، قال الله تعالى:

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [المؤمنون:٤٣] وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩] وقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون:٤٢] وقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [المؤمنون:٤٤].

فائدة: الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل

قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] هؤلاء مسلمون وليسوا بمؤمنين، لأن الإيمان ما وقر بالقلب وصدقته الجوارح، فهؤلاء لم يباشر الإيمان قلوبهم وليسوا كفارًا، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين حقًا في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:١٥] وحال كثير من المسلمين اليوم مثل حال الأعراب، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر بالقلب وصدقه العمل.

فائدة: من أساليب فرعون في الإفساد

قال الله تعالى عن فرعون: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤] وإفساده بما يلي:

١- التكبر واحتقار الناس.

٢- أنه جعل أهل مصر شيعًا وفرقهم فرقًا وأحزابًا.

٣- استضعافه لبني إسرائيل، وهضمه حقوقهم، وعدم المساواة بينهم وبين الأقباط، وإثارة العنصرية والقبلية الممقوتة.

٤- أنه يذبِّح أبناء الإسرائيليين حتى لا تكون لهم قوة وتكاثر.

٥- أنه يستحي نساء بني إسرائيل دون رجالهم حتى لا يجدن رجالًا يتزوجونهن فيصرن بغايا ليس لهن أزواج، ويمنع قومه من الزواج بهن.

٦- يستعبد ويستذل رجال بني إسرائيل ويضعفهم، ويسميهم العبيد، كما قال: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧] وقال موسى عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢].

فائدة: آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] يدخل في أهل البيت زوجات الرسول ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين وسلمان الفارسي رضي الله عنهم، قال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» [الطبراني في الكبير:٦/ ٢٦١ والحاكم:٣/ ٥٩٨ وغيرهما] ومن يخرج زوجات النبي ﷺ من آل البيت يصادم القرآن العظيم، ويجعل هذه الآية حشوًا حيث نزلت في أزواج النبي ﷺ وجاءت أحاديث أخر عن ذلك.

فائدة: شؤم الكبر

المتكبرون يذلهم الله تعالى، وإذا أراد الله أن يرفع المستذلين رفعهم، وقد كان الأقباط قوم فرعون وملؤه متكبرين، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون:٤٦] وكانوا يستعبدون بني إسرائيل ويستضعفونهم، فرفع الله بني إسرائيل عليهم، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ○ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥،٦] وقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢] وقال: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧].

فائدة: تنزيه الله سبحان عن اتخاذ الولد ووجود إله غيره معه

استحالة اتخاذ الله ولدًا، واستحالة وجود إله غيره سبحانه، كما قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [المؤمنون:٩١] فلو كان لله ولد لكان الأولاد آلهةً، لأن الولد يتكون من جنس الوالد، ولو كان هناك إله غيره لذهب كل إله بما خلق، وصار الآخر لا يتصرف في مخلوقات الأول، وكذا الأول لا يتصرف في مخلوقات الثاني، وهذا ينافي صفات الإله، ولاعتز القوي منهما، ولحصل تفاوت في الخلق ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

فائدة: الصفا والمروة من شعائر الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] الصفا والمروة هما الجبلان اللذان كانت هاجر تصعد إليهما مشيًا بينهما، تبحث عن أحد يسعفها وابنها بالماء، وقد وضع المشركون في الجاهلية عليهما صنمين هما إساف ونائلة يذبحون لهما، فتوهَّم العرب أن السعي بينهما طواف بالصنمين، وكانت الأوس والخزرج وغسان يعبدون مناة، وهو صنم في المشلل قرب قُدَيْد، فكانوا لا يسعون بين الصفا والمروة تحرجًا من أن يطوفوا بغير صنمهم، وقد روى البخاري عن علقة بن معمر عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل بمناة، قالوا يا نبي الله: كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيمًا لمناة، فلما فتحت مكة أزيلت الأصنام وأبيح السعي بين الصفا والمروة

[البخاري: ٤٨٦١، ٤٤٩٥، ١٦٤٣]، فتحرج الأنصار وسألوا النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية تبين أن الصفا والمروة من شعائر الله، وأمر المسلمون بالسعي بينهما تعبدًا لله، وفي هذا دليل على وجوب السعي بينهما، لأنهما من شعائر الله، ثم بين تعالى أن من تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم، وهذا من كرمه وفضله أن يشكر عباده المؤمنين.

فائدة: المراد بالليلة

الليلة تكون قبل اليوم، فإذا قيل: ليلة الخميس فالمراد بها الليلة التي تسبق يوم الخميس، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] إلا ليلة عرفة فإنها الليلة التي تعقب يوم عرفة.

فائدة: الجماع في ليالي رمضان

قوله تعالى عن جماع النساء (الزوجات): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] استعارة بجامع شدة الاتصال، أي أنهن متصلات بكم وأنتم متصلون بهن، ومن ذلك قول امرىء القيس:

فسُلِّي ثيابي عن ثيابكِ تَنْسِلِ

فائدة: تحديد وقت السحور

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي يتبين الشعاع الممتد في الظلام والسوادُ الممتد بجانبه، أي الشعاع الناشىء عن الفجر، وقد روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عهدت إلى عقال أسود

وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي الأبيض من الأسود، فغدوت إلى رسول الله فذكرت له ذلك، فقال: «إن وسادك لعريض» وفي رواية: «إنك لعريض القفا، إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» [البخاري:١٩١٦،٤٥٠٩،٤٥١٠، ومسلم:١٠٩٠].

فائدة: من صفات المتقين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ○ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ○ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

هذه الآيات تبين صفات المتقين التي منها إشفاقهم وخشيتهم وخوفهم من عقاب الله، وإعطاؤهم الأموال من الزكاة والصدقات والصلات والنفقات في سبيل الله، وإيمانهم بالله وما جاء عنه سبحانه وعن نبيه عليه الصلاة والسلام، وتوحيدهم لله، ووجل قلوبهم مع مسارعتهم في عمل الخيرات والإكثار منها ما استطاعوا، ومنافستهم وسباقهم فيها، وقوله: ﴿يؤتون ما آتوا﴾ ولم يقل: ويؤتون الزكاة والصدقات، لأن بعض المؤمنين ليس عندهم من المال ما تجب فيه الزكاة، فهم يخرجون مما آتاهم الله ولو قليلًا، كما في الحديث، أن أهل الصفة قالوا يارسول الله: ذهب أهل الدثور بالأجور إلى آخر الحديث، فأرشدهم الرسول ﷺ إلى التسبيح والتحميد والتكبير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانوا يتحاملون فيتصدق أحدهم بالمد، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ○ إِنَّمَا

نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ○ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨-١٠].

فائدة: حُرمة الأعراض

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤، ٥] أسند فعل ﴿يرمون﴾ إلى اسم الموصول المذكر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [النور: ٥] وقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤] لأمور منها سبب نزول الآية، ولأنه بناء على الغالب من أن الذين يرمون المحصنات من الرجال، وكانت المعرة عند الجاهليين على المرأة الزانية دون الرجل، وقد أبطل ذلك الإسلام، فالمعرة عليهما معًا، وقال بعض المفسرين: إن اعتداء الرجل بزناه أشد من اعتداء المرأة بزناها، لأن الرجل الزاني يضيع نسب نسله فهو جان على نفسه، أما المرأة فولدها لاحق بها، فلا جناية على نفسها في شأنه، وإنما جنايتها على الولد بإضاعة نسبه، كجناية الرجل في هذا، حيث يشتركان في إضاعة نسب الولد، أما عدم قبول شهادة القاذف في المستقبل، فلأنه لما قذف بدون إثبات دل ذلك على تساهله في الشهادة، لهذا فلا تقبل منه في المستقبل.

فائدة: حديث الإفك

قال الله تعالى في حديث الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١] الشر الخالص النار، والخير الخالص الجنة، أما أمور الدنيا فما غلب شره يسمى شرًا،

وما غلب خيره يسمى خيرًا، وحديث الإفك خير للمؤمنين، ففيه من المنافع الكثيرة، منها تمييز المؤمنين من المنافقين، وشرع بسببه أحكام تردع أهل الفسوق، وتبين منه براءة عائشة وصفوان بن معطل رضي الله عنهما، وفيه بيان للمنافقين وغيظ لهم واحتقار وذم وحزن، وفيه انتصار للمؤمنين وفرح، وفيه بيان للآداب الإسلامية من عدم إشاعة الفاحشة وعدم القول بدون علم، والأمر بالظن الطيب، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١٦] وقال: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور:١٢] وبسببه نزلت آيات قبول الشهادة من عدمها، والنهي عن اتباع خطوات الشيطان، والأمر بكتم الغيظ، وأن يؤتي أولو الفضل من فضلهم لمن أساءوا إليهم، واللعنة لمن يرمي المحصنات المؤمنات، وآداب دخول البيوت والاستئذان والسلام، وآداب غض البصر وحفظ الفروج، وعدم إظهار الزينة للنساء وعدم التبرج، وبيان المحارم، وآداب الحجاب، والنكاح، والتوبة، ومكاتبة من يبتغي الكتاب من الأرقاء والاستعفاف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [النور:٣٤] ونزلت آيات النور ضمن هذه السورة، وبيَّن الله تعالى نوره وأنه في المساجد، وبيَّن ظلمات الكافرين وغير ذلك.

فائدة: وجوب الرد على أهل الباطل وذم المداهنة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١] كتمان الحق والسكوت عن المخالف للمنهج السليم والعقيدة الصحيحة، يترتب عليه خذلان أهل

الحق والمداهنة لأهل الباطل، وانتشار الباطل وارتفاع أهله، وخذلان المؤمنين وانتشار الشبه والشهوات، وضعف الإيمان وظهور المنافقين وأعداء الدين، وعدم تنفيذ الأحكام الشرعية والإثم العظيم واستمراء الناس للباطل، وسقوط الدول والعقاب الأليم، قال ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» [الترمذي:٢١٦٨، وابن ماجه:٤٠٠٥ وصححه الألباني] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يتغير الدين بالتبديل تارة، وبالنسخ أخرى، وهذا الدين لا ينسخ إن أمكن فيه من يدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به الحق من الباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفًا عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) انتهى.

فيجب الرد على أهل الباطل بالرفق والأدب والحكمة والجدال بالتي هي أحسن، وبالدليل من الكتاب والسنة والنصيحة والمرحمة، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد:١٧].

فائدة: جزاء المحاربين

أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (إن نفرًا من عكل قدموا على النبي ﷺ فاجتووا المدينة وكرهوا المقام بها لضرر لحقهم، فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا وسمنوا فقتلوا راعيها واستاقوا الذود (الإبل)، فبعث النبي ﷺ في طلبهم، قال: فأتي بهم فقطع أيدهم وأرجلهم وسمر أعينهم ولم يحسمهم وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] [البخاري: ٢٣٣، ومسلم: ١٦٧١ والنسائي: ٤٠٣٠].

فائدة: أول بيت وضع في الأرض للعبادة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ○ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

أول بيت وضع للناس هو الكعبة، فإنها أول البيوت المبنية للناس، وقد بناها إبراهيم عليه السلام، فهي أول بيت عبادة حقة وضع لإعلان التوحيد للناس ولمصلحتهم، فليس بيت سكنى، فلو كان بيت سكنى لقيل: وضعه الناس، دليل ذلك الحالان ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ فهو بيت عبادة، وقد سأل رجل عليًا رضي الله عنه فقال: أهو أول بيت؟ قال: (لا، قد كان قبله بيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركًا وهدًى) وعن مجاهد قالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة، لأنه مهاجر الأنبياء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فالكعبة أسبق بيوت العبادة الحقة بناها إبراهيم بأمر الله تعالى، وساعده إسماعيل عليهما السلام عام ١٩٠٠ قبل المسيح، وسليمان عليه السلام بنى بيت المقدس، كما أن الكعبة بنيت بيد إبراهيم عليه السلام، أما بيت المقدس فبناه عمال سليمان عليه السلام بأمره.

أما ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي مسجد وضع أول؟، قال:

«المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة» [البخاري:٣٣٦٦،٣٤٢٥ ومسلم:٥٢٠]. فاستشكله العلماء بأن بين إبراهيم وسليمان عليهما السلام قرونًا، فكيف تكون أربعين سنة؟!، وأجاب بعضهم بإمكان أن يكون إبراهيم بنى مسجدًا في موضع بيت المقدس، ثم درس فجدده سليمان عليه السلام، فيكون الفرق بين بناء إبراهيم للمسجد الذي في موضع بيت المقدس وبين بنائه الكعبة أربعين سنة، وكان بناء إبراهيم عليه السلام متقدمًا على بناء سليمان عليه السلام، وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما مر ببلاد الشام ووعده الله أن يورث تلك الأرض نسله، عين الله له الموضع الذي سيكون به أكبر مسجد تبنيه ذريته، فأقام هنالك مسجدًا صغيرًا شكرًا لله تعالى، وجعله على الصخرة المجعولة مذبحًا للقربان، وهي الصخرة التي بنى سليمان عليه السلام عليها المسجد بعد قرون، أما بركة بيت الله الحرام فبركة الثواب والخيرات والأمن ووجود الحجر الأسود من الجنة واحترام الناس له حتى من المشركين والآيات الموجوده فيه، ومنها مقام إبراهيم عليه السلام، وعدم القتال فيه وغير ذلك.

فائدة: الولاء والبراء من كمال الإيمان

البراء والولاء من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ○ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦،٢٧] وقال الله

تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ○ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ﴾ [الأنعام:٧٨،٧٩] وقال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ○ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ○ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ○ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ○ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ○ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦].

فائدة: فضل الصبر والصابرين

قال الله تعالى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:١٥٣] وقال: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران:٢٠٠] وقال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [البقرة:١٧٧] وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦] وقال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩] وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧] أمر الله تعالى بالصبر ونهى عن الجزع، وأثنى على الصابرين، وبيَّن أنه يحبهم وأنه معهم، وأخبر أن من صبر فهو خير له عند ربه، وبيَّن جزاء الصابرين بغير حساب، وبشرهم بالنصر المبين والمدد العظيم، وأنهم أهل العزائم، وأن أهل الصبر ذوو حظ عظيم، وأنهم هم الذين ينتفعون بالآيات، وأن دخول الجنة كان بالصبر، وأن الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين، فهو رأس الإيمان ونصف الإيمان، وبين الرسول ﷺ أن الصبر عند الصدمة الأولى، وقرن الله الصبر مع الشكر والصدق وطاعة الله، ويكون ضد معصية الله، وعند أقدار الله المؤلمة وأمام الشهوات، كما فعل يوسف عليه السلام، وهو صبر بالله ولله ومع الله، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧] وأعلى الصبر الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا معه إلا إلى الله، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ

أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] وكما قال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] فوصفه ربه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

فائدة: عاقبة قذف المحصنات

قال الله تعالى عن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤] خصت هذه الأعضاء بالذكر، لأن هذه الأعضاء تستعمل في رمي المحصنات، فهم ينطقون بالقذف، ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات، ويسعون بالأرجل إلى مجالس الناس لإبلاغهم بالقذف، والله أعلم.

فائدة: دعاء رسول الله ﷺ على قريش

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدبارًا قال: «اللهم سبع كسبع يوسف» [البخاري:١٠٠٧ ومسلم:٢٧٩٨] فأخذتهم سنة حصَّتْ كلَّ شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان رضي الله عنه فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، قال الله عز وجل: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ○ يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ○ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ○ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ○ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ○ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٠-١٦] [البخاري:١٠٠٧ ومسلم:٢٧٩٨].

فائدة: يود الكفار لو يكفر المسلمون

قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء:٨٩] وقال: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة:١٢٠] وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة:٢١٧] هذا هو هدف الكفار من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم، يريدون أن يكفر المسلمون، ولا يرضون عنهم إلا بذلك، ولا يزالون يقاتلونهم حتى يحصل لهم ذلك، فهذه مودتهم ورغبتهم وغايتهم، ولا يرضون بإنصاف الحلول ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥] وقال: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] وقال: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] صحيح أنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] فلا يكره أحد بأن يدخل في الإسلام، أما البقاء على الإسلام بعد إسلام العبد فيكره عليه، ومن ارتد عن دينه قتل.

فائدة: حال المرأة قبل الإسلام إذا مات زوجها

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ [النساء:١٩] كان العرب في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها بمن شاؤوا، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية. [البخاري:٤٥٧٩].

فائدة: المصائب سببها الذنوب

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الروم:٣٦] وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وغير هذه الآيات تدل على أن المصائب والسيئات والفساد في البر والبحر بسبب ذنوب العباد، وأن الله تعالى يعفو عن الكثير، ولو يعاقب الله الناس بذنوبهم وخطاياهم لهلكوا، وما ترك على ظهر الأرض أحدًا، ولكنه سبحانه الغفور الرحيم.

كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٦،١٧] وقد أهلك الله العاصين المكذبين، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم:٤٢] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الروم:٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

فائدة: حقيقة البر

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ الآية [البقرة:١٧٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الآية [البقرة:١٨٩] في هاتين الآيتين يبين الله تعالى أهمية الإيمان والتقوى، وأنهما البر، فمن اتقى الله وامتثل أوامره واجتنب نواهيه فهو المتصف بالبر، فالجهات ملك لله تعالى،

وليست مستحقة للتوجيه للاستقبال استحقاقًا ذاتيًا، وإنما أمره تعالى باستقبال جهة الكعبة في الصلاة، مع أن لله تعالى المشرق والمغرب وجميع الجهات، ومن أخطأ القبلة بعد اجتهاده حتى فرغ من صلاته لا يجب عليه إعادتها عند مالك وأبي حنيفة وأحمد، كما أنه ليس من البر أن تأتوا البيوت من ظهورها، وإنما البر بالتقوى والإيمان، وقد كان المحرمون إذا أرادوا أخذ شيء من بيوتهم تسنَّموا على ظهور البيوت، أو اتخذوا نقبًا من ظهورها إن كانوا من أهل المدر، وإن كانوا من أهل الخيام دخلوا من خلف الخيمة، أما الحمس فلم يكونوا يفعلون ذلك وهم أهل مكة كأمثال قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبني نصر بن معاوية ومدلج وعدوان وعضل وبني الحارث بن عبد مناة وبني عامر بن صعصعة الذين كانت أمهم من قريش، وفي هذا غلو في الدين أبطله الإسلام، والحمد لله رب العالمين.

فائدة: أمر الله لنبيه بأن يدفع الأعداء بالتي هي أحسن

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦] أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بأن يدفع مكذبيه ومؤذيه والمسيئين إليه بالتي هي أحسن، وأن لا يضيق صدره منهم، فإنه ناصره ومنجز وعده ومعاقب أعدائه، فالمؤمن الكامل الإيمان ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله تعالى، فهو الذي يتولى الانتصار لمن توكل عليه، وكان هذا هو خُلق رسول الله ﷺ، لا ينتقم لنفسه، بل يحسن إلى من أساء إليه، قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]

وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦] وقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧] كما أمره بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، لأن الشيطان هو الذي يؤزه لينتقم لنفسه، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧،٩٨] فالمؤمن يتعوذ بالله من همز الشياطين ولمزهم وكيدهم ومن حضورهم عنده ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٨].

فائدة: طلب رسول الله ﷺ مباهلة نصارى نجران

قال الله تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] طلب رسول الله ﷺ مباهلة نصارى نجران، كما أمره ربه تعالى فلم يستجيبوا إليها، وقد روى أبو نعيم في الدلائل أن النبي هيأ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا معه للمباهلة في أمر عيسى عليه السلام، وذلك لإقامة الحجة عليهم بصدق ما ورد في القرآن، وصدق الرسول محمد ﷺ، وصدق ما ورد عن عيسى عليه السلام، وأنه قد بشَّر برسول الله محمد ﷺ وغير ذلك.

فائدة: عدل الإسلام وإنصافه

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ [آل عمران:٧٥] هذا إنصاف لهم، فالإسلام اشتهر بالإنصاف، ولما ذكر الله تعالى خيانة فريق من أهل الكتاب وعدم أمانتهم وقولهم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي

ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ [آل عمران:٧٥] وإباحتهم خيانة العرب الأميين الذين لم ينزل عليهم كتابًا قبل القرآن الكريم، بين أن منهم من عنده أمانة، وأنك إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، وهؤلاء أمثال عبدالله بن سلام رضي الله عنه، أما المكابرون المعاندون فبقوا على كفرهم أمثال فنحاص بن عازوراء.

فائدة: تحريم أكل الأموال بالباطل

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨] نهى الله تعالى أكل الأموال بالباطل بين الناس كالإغارات والميسر وغصب القوي مال الضعيف وأكل الأولياء أموال اليتامى والغرر والمقامرة والربا والنجش وتلقي الركبان والإدلاء بها إلى الحكام كالرشوة والجور في الحكم، قال ﷺ: «فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار» [البخاري:٦٩٦٧، ومسلم:١٧١٣] وذلك بسبب أن أحد الخصمين يكون ألحن بالحجة من الآخر.

فائدة: الصلاة الوسطى

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] ما هي الصلاة الوسطى؟ اختلف العلماء فيها، فقيل: إنها العصر، لما روي أن النبي ﷺ قال يوم الخندق حين نسي أن يصلي العصر من شدة الشغل في حفر الخندق حتى غربت الشمس: «شغلونا - أي المشركون - عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا» [البخاري:٢٩٣١،٤١١١، ومسلم:٦٢٧، وأبو داود: ٤٠٩، والترمذي: ٢٩٨٤].

وهو قول عبدالله بن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن وأبي حنيفة وابن حبيب وغيرهم.

وقيل: إنها صلاة الفجر، لما في الموطأ وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما أمرتا كاتبي مصحفيهما أن يكتبا قوله تعالى: (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) وأسندت عائشة رضي الله عنها ذلك إلى النبي ﷺ ولم تسنده حفصة رضي الله عنها [مسلم: ٦٢٩، ومالك: ٣١٠، ٣١١ وأحمد: ٦/٧٣] فإذا بطل أن تكون الوسطى هي العصر بحكم عطفها على الوسطى، تعين كونها الصبح، كما أن أفضلية الصبح ثابتة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] وفيها تجتمع ملائكة الليل والنهار، وهي متوسط بين الليل والنهار، فالظهر والعصر نهاريتان، والمغرب والعشاء ليليتان، والصبح وقت متردد بين الوقتين، وهي أجدر بالوصاية لثقلها، وهو قول جمهور الفقهاء بالمدينة وقول عمر وابنه عبدالله وجابر بن عبدالله ومالك وغيرهم، والله أعلم.

فائدة: نصيحة موسى لأخيه هارون عليهما السلام

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] هذه نصيحة موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام عندما أراد الصعود للجبل لمناجاة ربه، وهي نصيحة قيمة اشتملت على ما يلي:

١- أن يكون خليفة له في قومه، يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر،

تنتهي خلافته عند قدومه.

٢- ﴿وَأَصْلِحْ﴾ فإن سياسة الأمة تدور حول الصلاح والإصلاح، ويجب أن تكون تصرفاته وأحواله صالحةً وخيرًا له وللأمة، ولا تكون صالحةً له وحده.

٣- ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ينهاه عن اتباع طريقة المفسدين، وعدم المشاركة مع من عرف بالفساد، وفي هذا سد لذريعة الفساد، وتجنب الاقتراب من المفسد ومخالطته، وعدم مسايرة المفسدين، كما في قوله تعالى على لسان هارون عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] وقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

فائدة: تحريم نكاح الزانية

قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣] نزلت هذه الآية كما روى أبو داود والترمذي وصححه وحسنه في رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه، وهو من المسلمين، كان يخرج من المدينة إلى مكة يحمل الأسارى الذين أوثقهم المشركون بمكة لأجل إيمانهم ولم يتركوهم يهاجرون إلى المدينة، فكان مرثد يحملهم إلى المدينة سرًا، وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها (عناق) كانت خليلة له في الجاهلية فقالت له: (بت عندنا الليلة) فقال لها حرم الله الزنى، فقالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم، فقدم مرثد رضي الله عنه إلى المدينة وأتى الرسول ﷺ فقال له يارسول الله أنكح عناقًا؟ فأمسك رسول الله فلم يرد عليه، حتى نزلت هذه الآية، فقال

له رسول الله ﷺ: «يامرثد لا تنكحها» [الترمذي:٣١٧٧ وحسنه الألباني].

فائدة: أهمية القوة والأمانة

القوة والأمانة صفتان عظيمتان إذا توفرتا في الشخص، كما قال تعالى عن موسى عليه السلام على لسان إحدى ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللهم إني أشكو إليك ضعف الأمين وخيانة القوي).

فائدة: الأعمال الصالحة سبب رفعة العبد في الدنيا والآخرة

الحسنة تجر أختها، والسيئة تجر أختها، فمن عمل الطاعات وفقه الله للخيرات، فمعاشرة الصالحين والمروءة وفعل المعروف وإغاثة الملهوف والرأفة بالضعيف والقناعة والزهد وشكر نعمة الله والعفاف والوفاء بالعقود والثبات على العهود وتزكية النفوس والإعانة على نوائب الحق والصبر وصلة الرحم وقرى الضيف، كل هذه وغيرها إذا وفق المرء لها سببت له الرفعة، ويسرت له اليسرى، وأبعدت عنه بإذن الله العسرى، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ○ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧،٨] وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ○ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

فائدة: الأنبياء أكثرُ الناس بلاءً

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون:٣٠] الإبتلاء من حكمة الله تعالى لترتاض به نفوس أوليائه، وتظهر مغالبتها للهوى والشياطين من الجن والإنس، ولتحمد الله على النصر بعد

الابتلاء، والقضاء على شر المعاندين، وليظهر الخبيث من الطيب، وأكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأكثر إيمانًا، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤] وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون:٣٠] تسلية للنبي محمد ﷺ على ما يلقاه من المشركين وتهديدهم.

فائدة: وجوب رد السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦] رد السلام واجب، والابتداء به سنة، ورده بأحسن سنة، وإذا كان المسلَّم عليهم جماعة فالرد واجب على الجماعة وجوب الكفاية، وإذا قال المسلم: السلام عليكم، فرد عليه المسلم هلا أو مرحبا أو نحو ذلك، فقد نقص عن الرد المشروع.

فائدة: مثل نور قلب المؤمن وظلمة قلب الكافر

مثل نور قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور:٣٥] ومثل ظلام قلب الكافر ومن فقد النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

فائدة: آيات الله في تسيير الكون

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] هذه المخلوقات العظيمة دليل على الخالق الذي يستحق العبادة، وآيات للعقلاء، وهي رد على الدهريين والمشركين، السموات والأرض ونظام الكون والفلك والمطر وحياة الأرض بعد موتها والدواب وتصريف الرياح والسحاب والنظام الشمسي والكواكب السيارة العظيمة كعطارد والزهرة والمريخ والشمس والمشترى وزحل وأرانوس ونيتون وفوق ذلك العرش العظيم، إن تلكم آيات عظيمة لمن تفكر، كيف تسير وبدون خلل وبجاذبية محددة ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] هذه المخلوقات العظيمة يمد بعضها بعضًا بما يحتاجه كل منها فلا ينقص من الممد شيء، لأنه يمده غيره بما يُخلف له ما نقص، فالبحر يمد الجو بالرطوبة، فتكون منه الأمطار، ولا ينقص على طول الزمان، لأنه يمده كل نهر وواد، إن طلوع الشمس وغروبها وظهور الكواكب وغروبها واختلاف الليل والنهار والضياء والظلمة، آيات عظيمة ففي الضياء حياة الناس ويقظتهم، وفي الظلمة السكون واسترجاع القوى، وذلك بسبب دوران الأرض، فكل واحد من الليل والنهار يخلف الآخر، ولو لم يتعاقبا لتضرر الخلق ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١، ٧٢] ويتفاوت الطول والقصر، ويعتدلان بحسب الأزمنة والفصول والأمكنة، والقرب من الشمس والبعد، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ○ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ○ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ○ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٤] وقال تعالى: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩] وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فائدة: الملاعنة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ○ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النور: ٦، ٧] قال تعالى في جانب الرجل: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وقال تعالى في جانب المرأة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩] لأن الرجل سبب في لعنة الناس للمرأة فناسب أن يلعنه الله تعالى، ولأن المرأة سبب في غضب زوجها عليها فناسب أن غضب الله عليها، وجعل الشهادة بعدد أربع مناسبة لعدد الشهود، لأن القاذف يطلب منه أربعة شهود، فإن تعذر فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، وهي تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، أما الخامسة فهي لتقوية الأيمان الأربع وتغليظ أمرها، والله أعلم.

فائدة: معنى الخبيث والطيب

قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ

﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:٢٦] فهل ينقض ذلك أن امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام كانتا كافرتين.

الجواب لا، لأن الخبث المقصود فيه خبث الصفات الإنسانية كالفواحش.

والطيب زكاء الصفات الإنسانية من الفضائل المعروفة لدى البشر.

فائدة: كل نفس ذائقة الموت

قال الله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء:٧٨] جاءت بعد قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء:٧٧] جاءت هذه الآية بعد طلبهم تأخير الأجل في قولهم: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ﴾ [النساء:٧٧] فالإنسان صائر إلى الموت والموت ملاقيه، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ [الجمعة:٨] وبين الله تعالى في الآية أن مواقع القتال لا تدني من الموت ولا تؤخره ولو كان الإنسان في بروج مشيدة، أي مبان عالية رفيعة، وقيل: إن البروج منازل الكواكب في السماء، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ [الفرقان:٦١] وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج:١] وهذا مروي عن مالك رحمه الله، أي ولو بلغتم بروج السماء المرتفعة.

فائدة: أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب:٤٨] أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن لا يطيع الكافرين والمنافقين، ولا يوافقهم ولا يصغي إلى ما يرغبونه، وأن لا يكترث بما يصدر منهم من أذى، فهو ﷺ أَجَلُّ من الاهتمام

بهم، وعليه الإعراض عنهم والكف من الإضرار بهم ترفعًا عن مؤاخذتهم، وعليه أن يتوكل على الله فهو الكافي الوكيل، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩] فالله الذي يجزيه ويعاقبهم كما قال سبحانه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات:١٧٤،١٧٥].

فائدة: الله هو الحق

الله تعالى هو الحق، كما قال سبحانه: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه:١١٤] وغيره مما يدعى من دون الله باطل، أي فيه صفة الباطل وشائبته من جهة أنه غير كامل، وفيه نقص وحاجة إلى الغير، فهو يحتاج إلى غيره لجبر احتياجه، لأنه غير تام، وملك غيره باطل، لأنه مالك من جهة ومملوك من جهة أخرى.

فائدة: إعلان حد الزاني ليرتدع غيره

قال الله تعالى في حد الزاني: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢] في حضور طائفة من المؤمنين تحقيق من إقامة حد الزنا وللحذر من التساهل في تنفيذه، فإن إخفاءه ذريعة لذلك، ومن فوائد ذلك أن يرتدع غير الزاني، ويتعظ به الحاضرون ويزدجروا، ويشيع الحديث عن ذلك فيخاف الناس، وتعظم عندهم هذه المعصية ولا يقدمون عليها.

فائدة: الأمر بإخلاص الإ يمان والثبات عليه

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية [النساء:١٣٦] قيل: معناها أن إيمانهم مختل منه بعض ما يحق الإيمان به، مثل من آمن ببعض الكتب المنزلة ولم يؤمن ببعض، أو كراهية

بعض أوامر الدين، أو يراد بالأمر بالإيمان الدوام عليه والثبات وعدم الردة عنه، أو أنه خطاب للمنافقين المدعين الإيمان المظهرين له، فالمراد هنا إخلاصه، والله أعلم.

فائدة: التحاكم إلى غير شرع الله تعالى منافي الإيمان

الذي يزعم أنه آمن بالله وبرسوله ﷺ، ويتحاكم راضيًا إلى غير شرع الله وشرع رسوله ﷺ فهو غير مؤمن، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ○ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ○ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [النور:٤٧-٤٩] فهؤلاء المنافقون ومن أظهر عدم الرضا بحكم الرسول ﷺ وإن قالوا آمنا فهم في الحقيقة غير مؤمنين، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات:١٤] يروى أن نفرًا من المنافقين صارت لهم خصومات فأبوا حكم النبي ﷺ، وروي أن رجلًا يدعي الإسلام تخاصم مع يهودي، فلما حكم النبي لليهودي لم يرض بحكمه، ودعا إلى التحاكم عند كعب بن الأشرف اليهودي، فأبى اليهودي، وذهبا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقصا عليه القضية، فلما علم عمر رضي الله عنه بأن من يدعي الإسلام لم يرض بحكم الرسول ﷺ وأتى إليه، دخل بيته فأخرج سيفه وضربه بالسيف فقتله، وروي أن النبي ﷺ لما علم بذلك لقب عمر رضي الله عنه بالفاروق، وروي غير ذلك، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا

○ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦٠،٦١] وروي أن بعض الناس يميل إلى التحاكم إلى من يظن أو يتيقن أنه يحكم له، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:٤٩] وإذا ظن أنه سيحكم ضده لم يرض بالتحاكم عنده، وهؤلاء منافقون، أو في قلوبهم مرض، وليسوا بمؤمنين، فالمؤمن الحق يسمع قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ وينقاد للحق ويرضى به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] فالمؤمن الحق يقول: سمعنا وأطعنا، ويرضى بحكم الله تعالى، كما قال الأنصار رضي الله عنهم لإخوانهم المهاجرين رضي الله عنهم مواساةً لهم وامتثالًا لأمر رسول الله ﷺ «تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة» قالوا: سمعنا وأطعنا [البخاري:٢٧١٩] وكذا قولهم: والله لو خضت بنا البحر لخضناه معك، رضي الله عنهم أجمعين.

فائدة: لا تسقط التكاليف الشرعية عن أحد بحال من الأحوال

قوله تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب:٣٣] من الفوائد المستنبطة من هذه الآية الرد على المتصوفين الزاعمين أن الأولياء إذا بلغوا المراتب العليا من الولاية سقطت عنهم التكاليف الشرعية، خاصة الصلاة والزكاة، لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية والروحية، هما أصل سائر الطاعات، فمتى صلحتا صلحت سائر الأعمال، ومن ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع، كما ورد بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ.

فائدة: من صفات اليهود

من صفات بعض اليهود أنهم يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥] فهم يحلون سرقة أموال العرب الأميين ويحلون الربا، ومن صفات فريق منهم: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨] ومن صفات طائفة منهم أنهم يودون لو يضلون المؤمنين ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران:٦٩] ومن صفاتهم أنهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق، كما قال تعالى توبيخًا لهم: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١] ومن صفاتهم الحسد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٣، ٧٤].

فائدة: وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله» قال: فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن فأتته، فقالت: (ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) قال عبدالله رضي الله عنه: (ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله) قالت

المرأة: (لقد قرأت المصحف فما وجدته) فقال: (لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه) أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] [البخاري:٤٨٨٦، ٥٩٤٧، ومسلم:٢١٢٥].

فائدة: الأمر بإعطاء الأموال للمستحقين وإخلاص النية في ذلك

قال الله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم:٣٨] وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٠] كان العرب في الجاهلية يعطون المال والهدايا والإكرام للسادة وأهل السمعة، تقربًا إليهم، وحبًا للمدح من أهل الوجاهة، وللرياء والسمعة والفخر، فأمر المسلمون أن يخلصوا النية لله ويعطوا أولي القربى والوالدين والمساكين وابن السبيل، فإن في ذلك إرضاء لله وتحصيلًا للثواب.

فائدة: شناعة شهادة الزور

قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠] في المسند والترمذي من حديث خريم بن فاتك الأسدي أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائمًا فقال: «عدلت شهادة الزور الشرك بالله» ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج:٣٠، ٣١] [أبو داود:٣٥٩٩، والترمذي:٢٣٠٠، وابن ماجه:٢٣٧٢ وأحمد:٤/ ١٧٨، ٢٣٣، ٣٢١، ٣٢٢ وضعفه الألباني].

فائدة: تحويل القبلة ونفاق اليهود

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٤٣] ورد أن اليهود تظاهروا بالإسلام وتأولوا لأنفسهم ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ وكانوا يصلون مع النبي ﷺ يوم كان مستقبلًا بيت المقدس متأولين معه بأنها عبادة لله تعالى وزيادة على صلواتهم التي هم محافظون عليها إذا خلوا إلى شياطينهم، حيث إن صلاتهم مع المسلمين تعظيم شعائرهم، إذ هم يستقبلون بيت المقدس، فلما حولت القبلة صارت صفة الصلاة منافية لتعظيم شعائرهم لاستدبارهم بيت المقدس، فلم يبق لهم سعة للتأويل، فظهر من دام على الإسلام وأعرض المنافقون، ثم بين الله تعالى أن صلاة من ماتوا قبل أن تحول القبلة مقبولة، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣].

فائدة: مآل الكافرين وجزاء المتقين

لما ذكر الله تعالى مآل الكافرين (النار) وذكر جزاء المتقين (الجنة) قال سبحانه: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ [الفرقان:١٦] أي يسأل عنه مستحقه ويطالب به، والله تعالى لا يخلف الميعاد ﴿وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

فائدة: قصة موسى عليه السلام مع صاحب مدين وابنتيه

قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص:٢٣] تدل الآية على حسن خلق وتربية المرأتين ابنتي شعيب عليه السلام، حيث لا تزاحمان الرجال، ولا تستقيان حتى يصدر الرعاء، وأن مجيئهما إلى

هذا الماء لإرواء الغنم، لأن أباهما شيخ كبير لا يستطيع مزاحمة الرجال وسقاية الرعاء، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن سقى لهما، مع أنه في تعب ونصب وجوع وإعياء عند وصوله من مصر، وقد مشى على أقدامه مسافة طويلة تقدر بـ - ثمانمائة وخمسين ميلًا تقريبًا - في مدة - خمسة وأربعين يومًا - يبيت في البر، فصلوات الله وسلامه عليه وجمعنا به وبنبينا محمد ﷺ في جنات النعيم، ولما سقى موسى عليه السلام لهما ذهبتا إلى أبيهما وأخبرتاه الخبر، أرسل إحدى البنتين إليه ليجزيه أجر ما سقى لهما، مع أن موسى عليه السلام لم يطلب الأجر، وإنما فعل ذلك معروفًا ونجدةً، ولكن الله تعالى منَّ عليه بأن هيأ له الأسباب فصار أجيرًا عند شعيب عليه السلام وتزوج بنته وعاش قرير العين بعد الخوف، وقال له شعيب عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢٥] فبلاد مدين تابعة لملك قوي من الكنعانيين، وهم أهل بأس ونجدة، وموسى عليه السلام في جوارهم فلا تناله يد فرعون، وفي ذلك من الأحكام أن الرجل يحرص على زواج بناته، وإذا وجد الرجل الصالح يطلبه زوجًا، وقد عرض شعيب عليه السلام إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام ولم يعين إحداهما، فاختار موسى عليه السلام الصغرى، لما ورد في رواية أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، لأنها التي عرف أخلاقها باستحيائها وكلامها، وبقي لديهم أجيرًا عشر سنوات، ثم عاد إلى مصر وهو خائف من فرعون، كما قال عن نفسه: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص:٣٣] ولكن الله طمأنه وشد عضده بأخيه، وجعل لهما سلطانًا فلا يصلون إليهما

وجعلهما ومن اتبعهما الغالبين، ومكن لبني إسرائيل في الأرض، وأهلك فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.

فائدة: استهزاء المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان:٤١] هذا الاستهزاء من أذى المشركين للرسول ﷺ إذا رأوه في زي غير زي الكبراء والمترفين، لا يجر ثيابه، ولا يمشي مرحًا، ولا ينظر خيلاء، ويجالس الفقراء والمستضعفين، وقد انتكست أخلاقهم فصاروا يرون الحق باطلًا والباطل حقًّا، ولكن موعدهم حين يرون العذاب فيعرفون حينذاك من أضل سبيلًا، فهم حين انتكاسة أخلاقهم وكبرهم وعنادهم واتخاذهم إلٰههم هواهم ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

فائدة: آداب دخول البيوت

تضمنت الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣] عدة فوائد منها:

١- النهي عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا لطعام دعاهم إليه، ويلحق به كل إذن منه ﷺ بالدخول إلى بيته.

٢- أن المسلم لا يدخل في البيوت إلا بعد الاستئذان، وأن الدخول بدون إذن محرم.

٣- ألا يحضر إلى البيت للطعام قبل تهيئته للتناول فيقعد ينتظر

نضجه.

٤- ألا يتحين الطعام فيقعد إلى أن يدركه ثم يأكل.

٥- أن يخرج بعد إطعامه، ولا يجلس مستأنسًا للحديث، قال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾.

٦- أن ذلك كان يؤذي النبي ﷺ، ولكن أخلاقه الكريمة تمنعه من إخراجهم أو تكليمهم في ذلك.

٧- حياؤه ﷺ ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾.

٨- أن هذه البيوت ملك للنبي ﷺ ﴿بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ وليست لأزواجه.

٩- أن طعام الوليمة وطعام الضيافة ملك للمضيِّف، وليس ملكًا للمدعوين ولا للأضياف، لأنهم إنما أذن لهم في الأكل من الطعام خاصة ولم يملكوه، فلذلك لا يجوز لأحد رفع شيء من ذلك الطعام معه.

١٠- أن السكوت ليس دليلًا على الرضا، إذا كان بسبب الحياء أو الإحراج ونحوه.

١١- تحريم إيذاء النبي ﷺ ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾.

١٢- أن أسباب الحياء بين الخلق منتفية عن الخالق سبحانه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

فائدة: المراد بمكر الله تعالى ومكر الناس

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] مكر الله كله خير محض، فهو سبحانه ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ وأفعاله تعالى منزهة عن القبح والسوء، أما أفعال الناس ففيها الخير

والشر والفقه والسفاهة وحسن الطوية وقبحها والشجاعة والجبن والقوة والضعف، ومكرهم يكون سيء العاقبة وحسنها.

فائدة: فسالوا اهل الذكر إن كنتم لاتعلمون

سأل المسلمون عن الخمر والميسر فنزلت: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩] فالمنافع دنيوية والإثم أخروي، فتقدم المصلحة الأخروية على المصلحة الدنيوية.

وسألوا ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢١٩] فأجيبوا ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩] أي ما فضل عن الحاجة يجوز إنفاقه حال الحياة، أما الوصية فبالثلث، والثلث كثير.

وسألوا عن اليتامى فنزلت: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠] وسألوا عن المحيض فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

فائدة: من معاني اللمم

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢] اللمم ما دون الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه» [البخاري:٦٢٤٣ ومسلم:٢٦٥٧] فمن اللمم النظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١].

فائدة: البركة هي الخير

البركة هي الخير، قال تعالى: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١] وقال: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود:٤٨] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وفي دعاء الاستفتاح «وتبارك اسمك» فالتبارك تعاظم في الخير وتوفر وكمال، والله تعالى عظيم كامل، والرسول ﷺ مبارك، وهو رحمة للعالمين، والقرآن مبارك، وأي شيء يذكر فيه اسم الله فهو مبارك. قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] البركة الخير الكثير، والعبودية أعلى صفات الرسول ﷺ، فهي تشريف، وأفضل الأسماء عبدالله وعبدالرحمن، ورسالة محمد ﷺ رسالة عالمية، فهي لجميع الإنس والجن، ومن لم يؤمن به ولم يتبع شريعته فهو كافر، وإن سمى نفسه مسيحيًا أو إسرائيليًا أو غير ذلك، فمن كفر بنبي واحد كفر بالأنبياء كلهم، وقد ختمت الديانات بدين الإسلام العالمي.

فائدة: المراد بأهل البيت

قول الله تعالى في نساء النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] المراد بأهل البيت هنا زوجات الرسول ﷺ، وهذا نظير قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣] وقد دخل معهن في أهل البيت: الحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم كما في صحيح مسلم [٢٠٨١] عن عائشة رضي الله عنها قالت:

خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] [تفسير الطبري:٢٨٤٨٧ وما بعده] كما دخل في أهل البيت سلمان الفارسي رضي الله عنه لقوله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» [الحاكم:٣/٥٩٨، والطبراني في الكبير:٦/ ٢٦١] .

أما قصر الروافض أهل البيت على علي وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم، وأن أزواج النبي ﷺ لسن من أهل البيت فهو مصادم للقرآن الكريم بجعل هذه الآية حشوًا لا معنى لها، نسأل الله العافية.

فائدة: المؤمن يفرق بين الحق والباطل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] قال مجاهد: للمتفرسين، وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾» [الترمذي:٣١٢٧، وضعفة الألباني] فالمؤمن يفرق بين الحق والباطل، والصدق والكذب، ويستدل بما يرى على ما غاب، وبما يشاهد على مالا يشاهد، وقد نبه الأنبياء عليهم السلام على ذلك، وبينه رب العزة والجلال في كتابه الحكيم، أما غير المؤمنين فقد عميت بصائرهم، ودخلت قلوبهم في أكنة وأظلمت وعميت، يرون الحق باطلًا والهدى ضلالًا، والباطل حقًا والغي رشدًا، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

فائدة: وصف الله لرسول صلى الله عليه وسلم بخمس صفات

وصف الله النبي ﷺ بخمس صفات في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ○ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥،٤٦] فهو ﷺ شاهد بصحة ما هو صحيح من الشرائع، وشاهد ببطلان ما ألصق بها، وشاهد على أمته في الدنيا والآخرة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي مخبرًا بالبشرى، والبشارة لأهل الإيمان ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين والعاصين ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ فهو يدعو الناس إلى ترك عبادة غير الله، وإلى عبادة الله وحده ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ فهو كالسراج المنير الهادي الواضح المضيء الوقاد المعلم المنير، فالعلم نور وسراج، يهدي إلى الحق المبين.

فائدة: أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر ووعده بالنصر

قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] هذا أمر للرسول ﷺ بأن يصبر، فإن وعد الله آت وقريب، وأن الله ناصره ومهلك أعدائه، والاستخفاف حالة من الجزع والغضب والتسرع والاضطراب، وهو عكس الرسوخ والثبات، ومن ذلك قوله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤].

فائدة: وجوب إبلاغ العلم والنهي عن كتمانه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩،١٦٠] كتمان ما أنزل الله وبيان الباطل وفتوى الناس بالخطأ، لابد له من توبة وإصلاح وبيان، ولا تكفي التوبة وحدها، بل لابد من البيان وتفنيد الخطأ، والفتوى التي صدرت من كاتم الحق

أو المفتي بالباطل، لا تقبل إلا بهذا البيان للناس، حتى لا يغتر الناس بفتواه، ويكون سبب انحرافهم، وهذا الكتمان من صفات اليهود، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥] وقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩] وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] فشرط التوبة إصلاح الفساد وبيان الحق وتدارك الخطأ.

فائدة: مدة الإيلاء

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ○ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦، ٢٢٧].

عن سعيد بن المسيب قال: (كان الرجل في الجاهلية لا يريد المرأة ولا يحب أن يطلقها لئلا يتزوجها غيره، فكان يحلف ألا يقربها مضارة لها) ثم كان بعض المسلمين يفعلون ذلك، فأنزل الله هذه الآية مبينًا أن التربص أربعة أشهر، فإما أن يعودوا عن قولهم خلال هذه المدة، وإما أن يجب عليهم الطلاق، واتفق العلماء على أن غير القادر كالمريض والمسجون والمسافر يكفي أن يفي بالنية والعزم وبالتصريح لدى الحاكم، والحكمة في كون المدة أربعة أشهر لأنها مدة طويلة، وهي ثلث السنة والثلث كثير، كما قال ﷺ في الوصية، وقد حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدة لغياب الرجل عن امرأته في الغزو بأربعة أشهر، لما سمع امرأة تنشد:

ألا طال هذا الليل واسود جانبه
وأرَّقني أن لا خليل ألاعبه

فلولا حذار الله لا شيء غيره
لزعزع من هذا السرير جوانبه

فائدة: الصبر على الإبتلاء والأذى في سبيل الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] كتب الله الابتلاء والامتحان على المسلمين، وذلك بالمصائب وبالخيرات، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] ومن ذلك الابتلاء في نفقات الجهاد وذهاب الأموال، والابتلاء بالأنفس كالقتل والجراح والأذى، قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾ [آل عمران:١١١] وقد وصف الله هذا الأذى بأنه ﴿أذى كثيرًا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ﴾ [آل عمران:١٨٦] ولا مخرج منه إلا بالصبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وقوله تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] وكل داعية إلى الحق سيسمع من أعدائه الأذى الكثير، فلابد له من الصبر، ولا يجوز أن يتراجع عن الدعوة إلى الله، فقد أخذ الله الميثاق على

الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

فائدة: من معاني الإسلام

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وجماع ذلك المعاني الآتية:

١- العبودية لله وحده، وعدم عبادة غيره، أو الإشراك به أحدًا من خلقه.

٢- الإخلاص في العمل، وعدم المراءاة والمصانعة.

٣- الإخلاص في القول، فلا يقول إلا ما يرضي الله تعالى بالصراحة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحق بدون خوف من الناس.

٤- تعلم العلم ليعرف مراد الله، وتلقيه بدون كبر وعناد.

٥- امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

٦- قبول حكم الله كله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٧- طلبه لمراد الله في كل شيء، ومساءلة أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

٨- البعد عن الهوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

٩- أن تكون جميع معاملاته جارية على مراد الله.

١٠- التصديق بالغيب مما أخبرنا الله به ورسوله ﷺ.

فائدة: الأموات لا يسمعون

الأموات لا يسمعون كلام الأحياء، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] هذا هو الأصل، ويستثنى من ذلك ما ورد عن سماع قتلى المشركين الذين في قليب بدر حين كلمهم رسول الله ﷺ وقال لأصحابه: «ما أنتم بأسمع لي منهم» [البخاري:٣٩٧٦ ومسلم:٢٨٧٥ وأحمد:١٣١/٢] وكذا التسليم على رسول الله ﷺ فإن الله يرد عليه روحه، فيرد على المسلم سلامه، وذلك البلاغ حيث كان المصلي والمسلم، فصلاة المصلي وسلامه تبلغ الرسول ﷺ حيث كان المصلي.

فائدة: اعتراض المشركين وافتراؤهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بشر

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ [الفرقان:٤].

قال المشركون ومنهم النضر بن الحارث وعبدالله بن أمية ونوفل ابن خويلد هذا القول، ومعنى قولهم: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ أي أعانه على هذا القول الموالي الذين كانوا نصارى فأسلموا، وهم: عداس مولى حويطب بن عبدالعزى ويسار أبو فكيهة الرومي مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر، فزعموا أن الرسول ﷺ كان يتردد إليهم سرًا، ويستمد منهم أخبار ما في التوراة والإنجيل، وهذا الكلام اعتداء وظلم وزور وكذب، فالذي أنزل القرآن الكريم هو ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الفرقان:٦] وقد تعجب الكفار من كون الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠] واختلفوا في اتهامه، فمنهم من قال: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ○ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ [الفرقان: ٧، ٨] ومنهم من قال: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ [الفرقان: ٨] والقائل به هو: عبدالله بن الزبعرى، وكان كبراء المشركين يبثون هذه الاتهامات كعتبة بن ربيعة وشيبة وأبي سفيان وأبي البختري والأسود بن عبدالمطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبي جهل وأمية بن خلف وعبدالله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه بن الحجاج ومنبه بن الحجاج والنضر بن الحارث، وكانوا يشيعونها بين الناس ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٩].

فائدة: اسباب الكمال البشري

كمال الإنسان يكون بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله تعالى بالعلم والمعرفة والصبر، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ○ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣] وما عدا ذلك فهو الخسران المبين، ولا تتوفر هذه الصفات التي تكمل الإنسان إلا بتدبر القرآن الكريم ومعرفة كنوزه وتفهم آياته والعمل بمقتضاها.

فائدة: أنواع الحياة الحقيقة

أنواع الحياة الحقيقية التي تسعد المرء كثيرة منها:

١- حياة العلم، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢- حياة القلب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من واظب على (ياحي يا قيوم، لا إله إلا أنت) كل يوم بين سُنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيا الله بها قلبه).

٣- حياة الأخلاق، قال الشاعر:

وما للمرء خير من حياة
إذا ما عد من سقط المتاع

٤- حياة السرور وقرة العين بالله والاطمئنان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ○ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقال: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

٥- حياة الروح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٦- حياة الدوام والاستمرار، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فائدة: ميل رسول الله ﷺ وحبه لاستقبال الكعبة

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ميل الرسول ﷺ ورضاه بأن تكون الكعبة هي القبلة، لا بيت المقدس، ميل إلى توحيد الله تعالى، ولأن استقبالها استقلال لدين الإسلام عن دين أهل الكتاب، وبيان لهوى الرسول ﷺ ومحبته لذلك، وللمصلحة العامة بعد انتهاء الأديان كلها عدا الإسلام، ودليل على ولاية وولاء الرسول ﷺ لهذه القبلة، حيث قال تعالى: ﴿فَوَلِّ

وَجْهَكَ﴾ وقوله: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي جهته، وسمي بالمسجد الحرام، أي الممنوع من المعاصي بخصوصه منع تعظيم، والممنوع من الظلمة والمعتدين والجبابرة، والمعظم المحترم، وهو أول بيت وضع للناس والمساجد الأخرى تابعة له، تتفاضل بالقدم، وفي استقبال المسجد الحرام بشارة بنصر الإسلام.

فائدة: الرؤيا الصالحة

قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤] ومن البشرى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، ومنها ملائكة الرحمة التي تبشره عند الموت، والجنة من أعظم البشرى، والثناء على ألسنة الناس من البشرى، قال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

فائدة: من صفات المؤمنين أنهم يستأذنون أميرهم للدخول والخروج

الاستئذان للدخول مطلوب شرعًا، وكذا الاستئذان للخروج ومفارقة المجامع عند رسول الله ﷺ كاجتماعهم للشورى والقتال والوعظ والأمور المهمة، فالاستئذان من صفات المؤمنين، أما المنافقون فهم يتسللون لواذًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧] وقال عن المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور:٦٢] وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يأذن لهم ويستغفر لهم الله، إن الله غفور رحيم، لأن استئذانهم خلاف ما ينبغي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٦٢] ومن السنة أن يكون للمجتمعين رئيس يدير أمر اجتماعهم، فهو قائم مقام ولي أمر المسلمين، وعلى المجتمعين استئذانه قبل الخروج، وكذا استئذانه في حالة التخلف عن الاجتماع أو التأخر، وهدد بأن الذين يخالفون ذلك قد تصيبهم فتنة أو عذاب أليم، فقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقال تعالى عن أهل المدينة والأعراب: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ [التوبة:١٢٠] وهذا أدب عظيم من آداب الإسلام الكريمة.

فائدة: إحاطة علم الله بكل شيء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤] وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ﴾ [ق:١٦] إذا عرف المسلم أن الله يراه ويراقبه ويعلم خائنة نفسه وما يخفي قلبه وما توسوس به نفسه استحيا من الله وخجل من ذنبه وتصرفاته، فالحياء شعبة من الإيمان، وهو خير كله، وبسبب قلة الحياء أو نقصه يعمل الإنسان أمورًا مشينة، فلو استحيا من الله حق الحياء لحفظ رأسه وما وعى وبطنه وما حوى، وتذكر الموت والبلى، وترك زينة الدنيا، وعمل للآخرة، إنه حياة القلوب والأرواح ورؤية التقصير والشكر على النعماء والهيبة من الله وتذكر العيوب، ورقة

القلب، فهو كالمطر يحيي القلوب بعد موتها، وينبت الخشية من الله والورع ودمع العين، فبالحياء يحصل علم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، واستعظام ذنوبه ومحبة خالقه ورازقه والاعتراف بتقصيره، وعلم أن الله قريب منه، وأنه معه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] وقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة:٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].

فائدة: من خصوصيات رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزواج

يحل للنبي ﷺ تزوج المرأة التي تهب نفسها له بدون مهر، لقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠] أما غيره فلابد لها من مهر، ولهذا لما وهبت امرأة نفسها للنبي ﷺ، وكان ﷺ لا حاجة له بها، قال رجل: زوجني إياها يارسول الله، فقال له النبي ﷺ: «هل عندك من شيء تصدقها» قال: ما عندي إلا إزاري، فقال: «إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئًا» فقال: ما أجد شيئًا، فقال: «التمس ولو خاتمًا من حديد» فلم يجد، فقال: «أمعك من القرآن شيء؟» قال: نعم، سورة كذا وسورة كذا، لسور سماها، فقال: «زوجناكها بما معك من القرآن» [البخاري:٥١٣٥ ومسلم:١٤٢٥] وقد ورد أن النسوة اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ أربع، هن: ميمونة

بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر الأسدية أو العامرية وخولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، فأما الأوليان فتزوجهما النبي ﷺ، وهما من أمهات المؤمنين، وأما الأخريان فلم يتزوجهما، كما أن من خصوصياته أنه لا يجوز له تزوج الكتابية، ولا من لم تهاجر، ولا من لم تكن مؤمنة، لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ فوصفها بالإيمان، وقد كان في الجاهلية إذا وهبت المرأة نفسها للرجل تعين عليه نكاحها ولم يجز له ردها، فأبطل الله هذا الالتزام بتخيير النبي ﷺ في قبول هبة المرأة نفسها له وعدمه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠] وقال تعالى: ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فلم يضيق عليه بإلزامه بقبول من وهبت نفسها كيلا يكون عليه حرج، والله أعلم.

فائدة: الأدب مع الله تعالى في الدعاء

الأدب مع الله تعالى في الدعاء وغيره مطلوب من المؤمن، ومن ذلك قول عيسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ١١٦] ولم يقل: لم أقله، وقال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ [المائدة: ١١٦] ثم برأ نفسه من علمه بالغيب، فقال: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] ثم أثنى على ربه فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ثم نفى أن يكون قال لهم إلا التوحيد وما أمره الله به، فقال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧] ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المائدة: ١١٧] ثم بين أن الله سيدهم

وهم عبيده، وشأن السيد المغفرة، والله غفور رحيم، فقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ومن ذلك أدب إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ولم يقل: إذا أمرضني، وقول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] ولم يقل: (فأراد ربك أن أعيبها) بينما قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وقول مؤمني الجن رحمهم الله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] ولم يقل: (رب أطعمني) وقول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولم يقل: قدرت وقضيت علينا كذا، وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل: اشفني عافني، وقول يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: أخرجني من الجب أدبًا مع أخوته، وقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] مع أن الشيطان نزغ في قلوب إخوانه، وقال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: دفع عنكم جهد الجوع والحاجة والفقر، وهذا كله من الأدب.

فائدة: من أسباب محبة الله تعالى

قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ولمحبة الله تعالى أسباب، خلاصتها:

١- قراءة القرآن بتدبر.

٢- التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل.

٣- دوام ذكره.

٤- إيثار محابه على محاب العبد وهواه.

٥- التدبر لاسمائه وصفاته.

٦- تذكر إحسانه وبره وفضله ونعمه.

٧- انكسار القلب بين يديه.

٨- قيام آخر الليل والخلوة به.

٩- مجالسة الصالحين ومحبتهم، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

١٠- الابتعاد عن كل شغل يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

١١- اتباع الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] . وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار» [البخاري: ١٦، ومسلم: ٤٣] وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

[لقمان:١٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

فائدة: من منافع الزيتون

قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٠] وقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ○ وَطُورِ سِينِينَ ○ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣] وقال: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور:٣٥] فذكر الزيتون في القرآن الكريم عدة مرات للاهتمام به، فهو غذاء ودواء وإنارة وإصلاح، ومن أعوادها وقود، وهو مبارك ينبت في البلاد معتدلة المناخ كالشام، قال تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: إنها أفضل الأشجار والنبات، وأن الله تعالى تجلى لموسى عليه السلام على جبل طور سيناء المليء بشجر الزيتون فصار مباركًا، ومن بركته أنه يستعمل في جميع الأرض، وورد في الحديث «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة» [الترمذي:١٨٥١،١٨٥٢، وابن ماجة:٣٣٢٠ وأحمد:٤٩٧/٣ والحاكم:٣٩٨/٢ وصححه الألباني] وقد ضرب الله بزيت الزيتون مثلًا لنوره، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور:٣٥] يدهن به الناس أجسادهم ويرجلون به شعورهم ويجعلون به عطورًا ﴿وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٠] يصبغ به ما يؤكل من الخبز وغيره، ويوضع على الطعام، ومنافعه عديدة وهو خال من الكوليسترول الضار بل يخفضه، فالحمد لله على منته وفضله.

فائدة: ابتلاء الله لبني إسرائيل، وحسدهم لطالوت ونقضهم للعهود

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ

﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦] في هذه الآية وما بعدها التعريض بتحذير المسلمين من الاختلاف على رسولهم، وهذا النبي من بني إسرائيل اسمه (صمويل) وجاء اسم نبي في قوله تعالى: ﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ نكرة، للإشارة إلى أن محل الاعتبار ليس هو شخص ذلك النبي عليه السلام، وإنما المقصود حال القوم، ولم يقل: لنبيهم، وإنما قال: ﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ إذ لم يكن هذا النبي معهودًا عند السامعين، وقولهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ حيث لم يكن لهم ملك في حالة الحاجة إلى ملك، وكأن حالهم تستدعي حضوره، ولكن نبيهم قال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦] فردوا عليه بقولهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦] قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٦] وهكذا بنو إسرائيل يخلفون العهد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قيل: إن ذلك في أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث قال لهم نبيهم لما طلبوا أن يبعث الله لهم ملكًا: (إن الملك يأخذ بنيكم لخدمته وخدمة خيله، ويتخذ منكم من يركض أمام مراكبه، ويسخر منكم حراثين لحرثه، وعملة لعُدد حربه وأدوات مراكبه، ويجعل بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويصطفي من حقولكم وكرومكم وزياتينكم أجودها فيعطيها لعبيده، ويتخذكم عبيدًا، فإذا صرختم بعد ذلك في وجه ملككم لا يستجيب الله لكم، فقالوا: لابد لنا من ملك لنكون مثل سائر الأمم، وقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦] وقد ذكر ذلك في تاريخ بني إسرائيل، وهي حادثة انتقال

نظام حكومة بني إسرائيل من الصبغة الشورية المعبر عندهم عنها بعصر القضاة إلى الصبغة الملكية المعبر عنها بعصر الملوك، وذلك بعد وفاة موسى عليه السلام في حدود عام ١٣٨٠ قبل الميلاد (سفر صمويل الأول، الإصحاح السابع) ثم إن الله تعالى بعث لهم طالوت ملكًا فاعترضوا عليه وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ [البقرة:٢٤٧] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة:٢٤٧] ولقب طالوت لطوله، واسمه (شاول) وكان طويلًا جدًا، وعالمًا وشجاعًا وحكيمًا وصاحب رأي ثاقب ولم يكن نبيًا، ولكنه كان فلاحًا فقيرًا نشأ في بيت فقير غني النفس ذا أخلاق فاضلة، وقد ظنوا أن الملك يكون من كبرائهم وساداتهم وقوادهم وأغنيائهم، ولم يعلموا أن العبرة بسداد الرأي وكمال العقل والعلم والثبات في القتال، فقد ولي أمة الإسلام أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ولم يكونوا ذوي يسار، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ البقرة:٢٤٨] في هذه الآية يبين الله تعالى أن بني إسرائيل لما عارضوا تملك طالوت عليهم، أن الله تعالى جعل آية تدل على ملكه عليهم، وهي أن تابوت العهد بعد أن كان في الفلسطينيين رجع إلى بني إسرائيل بدون قتال، حيث أشار على الفلسطينيين كهانهم بذلك، فرجع فيه سكينة من الله، والسكينة: الاطمئنان والهدوء، وفيه كتب موسى عليه السلام، وبقية مما ترك آل

موسى وآل هارون من الثياب والعصا وغيرهما تحمله الملائكة بإذن الله، وفي هذا آية أنه يسير من غير سائق يرونه.

والآية الثانية من الابتلاء وردت في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ [البقرة:٢٤٩] أي لما تجاوز بالجنود قراهم واعترضهم النهر العذب وهم عطاش وهو نهر الأردن، أمرهم طالوت بعدم الشرب منه، وقال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ وفي هذا اختبار لهم على الطاعة لولي الأمر ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ فلم ينجح الأكثرون، وهكذا صفاتهم المخالفة لأوامر الله وطاعة ولي الأمر وعدم الوفاء بالعهد.

والاختبار الثالث: أنهم لما جاوزوا النهر ورأوا عدوهم جالوت ومعه كثرة من الجنود ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٤٩] وهو قائد من قادات الفلسطينيين الجبابرة، قيل: إن طوله ستة أذرع وشبر، وكان مسلحًا ومدرعًا، فلم ينجحوا أيضًا بهذا الامتحان إلا قليلًا منهم الذين قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩] فلما التقى الجمعان هزت هذه الفئة القليلة المطيعة لله ولقائدهم طالوت أعداءهم بإذن الله، وقتل داود جالوت، وكان داود أحد المقاتلين مع طالوت، وكان راعي غنم ذا شجاعة ونشاط وسمت ونبوغ، وبعد ذلك تزوج داود من ابنة طالوت وصار ملكًا خلفًا عن طالوت، ثم آتاه الله النبوة فصار ملكًا رسولًا، وعلمه الله مما يشاء، وهذا من دفع الله الناس

بعضهم ببعض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١] كما أن إخبار الرسول ﷺ عن هذه المغيبات دليل على صدق رسالته، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥٢].

فائدة: الحذر لا ينجي من قدر

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ○ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٣،٢٤٤] في هذه الآية يبين الله تعالى أن الحذر لا ينجي من القدر، فهؤلاء قوم فروا من عدوهم مع كثرتهم وأخلوا ديارهم وتركوها للعدو، فلم ينجهم ذلك من الموت، حيث قال الله لهم: ﴿مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ﴾ وفي هذا عبرة فقد ذاقوا الموت الذي فروا منه، ليعلموا أن الفرار لا يغني عنهم شيئًا، وأن الموت والحياة بيد الله، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب:١٦] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ﴾ [الجمعة:٨] وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النساء:٧٨] أي يأتيكم الموت في أي مكان وزمان يريده الله تعالى، وقد أبطل الله قول من قال: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٥٦] وأمر بالجهاد في سبيله، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢١٦] وأمر بالإنفاق في سبيله، فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] روي أنه لما نزلت هذه الآية جاء أبو الدحداح إلى رسول الله ﷺ فقال: أو أن الله يريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال أرني يدك، فناوله يده، فقال: فإني أقرضت الله حائطًا فيه ستمائة نخلة، فقال رسول الله ﷺ: «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة» [أحمد:٣/١٤٦، والطبراني:٢٢/ ٣٠٠، وأبو يعلى:٤٩٨٦ والحاكم:٢/ ٢٤] .

فائدة: ما اشتملت عليه سورة الفاتحة

قال ابن القيم رحمه الله في تفسير الفاتحة ما معناه مختصرًا: إنها اشتملت على التعريف بالمعبود بثلاثة أسماء (الله والرب والرحمن) وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة ف ﴿إياك نعبد﴾ مبني على الإلهية ﴿وإياك نستعين﴾ مبني على الربوبية، وطلب الهداية إلى صراطه المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته، والثناء والمجد كمالان لحمده، كما تضمنت إثبات النبوَّات، فلا يليق بالرب أن يترك عباده سدى، كما لا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا عن طريق رسله، كما أن اسمه الرحمن من الرحمة التي تمنع إهمال عباده، وذكر يوم الدين، وما كان الله ليعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليهم، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] وطريق العبادة لا معرفة له إلا برسله، وقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] فالهداية: هي البيان ثم التوفيق، ولا سبيل للبيان إلا من جهة رسله، وكذا في قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ثم ذكر المنعم عليهم ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] ويستلزم ذلك ثبوت الرسالة والنبوة وانقسام

الناس إلى ذلك، ومعرفة الصراط، وكلها يستلزم النبوة. [مدارك السالكين].

فائدة: الأصل في الإنسان الفطرة والتوحيد والصلاح

قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣] كان الناس على الهدى والفطرة والوحدة والتماثل والتوحيد والصلاح، ثم اختلفوا ووقع الشرك والفرقة والباطل، فصاروا بحاجة إلى رسل تبين لهم الحق، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب للحكم فيما اختلفوا فيه، فآدم عليه السلام خلق في أحسن تقويم جسمًا وعقلًا، وألهمه الله معرفة الأسماء والخير واتباعه ومعرفة الشر وتجنبه، فالصلاح هو الأصل الذي خلق عليه البشر، والفساد طارىء وخلل في تكوين الفرد وعقله، بسبب قواه الشهوية والغضبية والتقليد الضار وحب الذات ووسوسة الشياطين، فانحطت فطرته، وحصل عنده الحسد، فقتل ابن آدم أخاه وحصلت الفرقة، فبعث الله نوحًا عليه السلام، وهو أول الرسل، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى:١٣] ثم بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق، قال ابن عباس رضي الله عنه: (إن ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا كانوا من صالحي قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ

العلم عُبدت) [البخاري:٤٩٢٠] وهكذا البدع تجر إلى الضلال والانحراف والفرقة، وقد اختلفت اليهود والنصارى بعدما جاءتهم البينات بسبب البغي والحسد والظلم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:٢١٣] ثم إن الله تعالى بفضله وكرمه منَّ على هذه الأمة بالإسلام فهداهم إليه، قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] وفي هذا دلالة على أن الله بعث محمدًا ﷺ بالإسلام لإرجاع الناس إلى التوحيد الذي كانوا عليه، وأنزل الله تعالى هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا من فضله وكرمه وجوده ومنِّه وإحسانه ورحمته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران:١٩] فالحمد لله على هذه النعمة التي أسداها لنا، ونسأله الثبات على الإسلام حتى نلقاه عليه.

فائدة: فتنة الحياة الدنيا وزينتها

لقد زين الله تعالى للكافرين الحياة الدنيا، وجعلها في قلوبهم، وجعلهم يسخرون من المؤمنين، مع أن المؤمنين فوقهم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢] لقد تمكن في نفوسهم ما هو زين من أمور الدنيا، وأفرطوا في الإقبال على زينتها من المتاع، وزين لهم الشيطان ذلك ورضوا به واطمأنوا، وأعرضوا عن الآخرة، أما المؤمنون فزين الله في قلوبهم الآخرة والعبادة، ولم يحرموا زينة الدنيا المباحة، كما قال

تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت في سادة قريش بمكة سخروا من فقراء المؤمنين وضعفائهم، فأعلمهم الله أن فقراء المؤمنين خير منهم عنده، ووعد الله الفقراء من المؤمنين بالرزق، وقد تم وعده، فهو الرزاق العليم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢].

فائدة: وجوب الجهاد في سبيل الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

القتال مكروه لدى الناس، وقد كلفت به الأمم قبلنا، فكلفت بنو إسرائيل بقتال الكنعانيين مع موسى عليه السلام، وكلفوا بالقتال مع طالوت، وكلف ذو القرنين بتعذيب الظالمين وقتالهم في مغرب الأرض، وأوجبه الله على المسلمين لقتال المشركين الذين آذوا رسول الله والمؤمنين، وأمر به لإعلاء كلمة الله، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج:٣٩] وقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠] وهذا الوجوب فيه خير وإن كرهه الناس، ولا ينبغي تمنيه، كما في الحديث «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا» [البخاري:٢٩٦٦، ومسلم:١٧٤١، ١٧٤] وترك الجهاد الواجب يفضي إلى ضرر عظيم، وكثير من الأمور النافعة مكروهة كالدواء المر، وكثير من الأمور المحبوبة ضررها عظيم كالمعاصي، وفي الخمر والميسر إثم كبير ومنافع للناس ﴿وَإِثْمُهُمَآ

أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩] وكل شيء أمر الله به ففيه خير، وكل شيء نهى الله عنه ففيه شر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

فائدة: وجوب شكر الله على كل حال

قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢١] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] وقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨] وقال: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧] وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٣١] وقال: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان:٢٢] وقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] فالشكر نصف الدين، وكان نبينا محمد ﷺ أعظم الشاكرين، حيث كان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه، ويقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» [البخاري:١١٣٠ ومسلم:٢٨١٩] وعلى المسلم أن يسأل الله تعالى أن يعينه على ذكره وشكره، وأن يكون شكَّارًا خاضعًا لربه، معترفًا بنعمه، مثنيًا بها على مولاه، مطيعًا له، معترفًا بمنة الله عليه وعجزه عن وفائها، وأن يضيف الخير إليه سبحانه، فالمرء مهما عمل فهو غير موف فضل الله عليه، وعلى العبد أن يتلذذ بشكر الله، وأن لا يستعين بنعم الله على معاصيه، وأن يكون تائبًا منيبًا حامدًا معترفًا بفضل الله بلسانه وقلبه، شاهدًا على ذلك

بأعماله وأفعاله، متحدثًا بها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١] وقال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان:١٢] وعلى العبد أن يشكر في السراء والضراء والمحاب والمكاره.

فائدة: تفاوت الذنوب والمعاصي في الإثم

الذنوب تتفاوت، فبعضها أكبر من بعض، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ﴾ [البقرة:٢١٧] ثم بين الله تعالى أن القتال فيه كبير، ولكن الصد عن سبيل الله والكفر بالله وإخراج أهل الحرم منه أكبر عند الله ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾ [البقرة:٢١٧] فالذين استعظموا القتال في الشهر الحرام، واستباحوا حرمات ذاتية بصد المسلمين، وكفروا بالله الذي جعل الكعبة حرامًا، وحرَّم لأجل حجها الأشهر الحرم، وأخرجوا أهل الحرم منه، وآذوهم أشد الإيذاء، قال الحسن البصري لرجل عراقي يسأله عن دم البعوض إذا أصاب الثوب هل ينجسه؟ وكان ذلك عقب مقتل الحسين ابن علي رضي الله عنهما: (عجبًا لكم يا أهل العراق تستحلون دم الحسين وتسألون عن دم البعوض!).

فائدة: أصول المعاصي

المعاصي كلها ترجع إلى ثلاثة أصول: الشرك والظلم والفواحش، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ [الفرقان:٦٨].

والتوحيد يصرف هذه الأمور كلها، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] فالموحد مقسط غير ظالم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ [آل عمران:١٨] والفواحش تدعو إلى الشرك، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور:٣] .

وكلما زاد توحيد الإنسان منعه من الفواحش، وكلما نقص تعلق بها، قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ○ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٦، ٣٧].

فائدة: أهل محبة الله تعالى

محبة الله تعالى معلقة بفعل أوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٦١] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

كما أنه سبحانه ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥] ولا يحب أهله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠] ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء:١٤٨] .

فائدة: العبودية شرف للعبد

العبودية لله تعالى والخضوع والذل له شرف عظيم للعبد، شرف الله بها نبيه محمدًا ﷺ فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩] وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣] وشرف الله بها عباده المتقين، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢] فالإنابة والتوكل

والخضوع والاستعانة من مقتضيات العبودية، وكل ملك للإنسان فهو لسيده، فله المنة والفضل والكرم والجود والإحسان، فهو سبحانه المتصرف بعبيده، ناصية الإنسان بيد الله وقلبه بين إصبعين من أصابعه، وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه إلى الله، والإنسان مخلوق ضعيف ماض فيه حكم الله عدل فيه قضاؤه، وما من مصيبة تحل به إلا بما كسب وقدمت يده، فهو عبد مملوك وابن عبد وابن أمة لله، فسبحان المالك السيد القوي المتين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧] من صفات بني إسرائيل عدم احترام أنبيائهم، وتعنتهم بالأسئلة وإلحاحهم، وعدم امتثالهم لأوامر ربهم، وتحايلهم وكتمانهم الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٧٢] وقولهم لنبيهم في الآية: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾ يدل على استخفافهم بالأوامر والنواهي.

ولهذه الآية أسباب، وهي أن أحد بني إسرائيل وُجِدَ قتيلًا، ولم يُعرف قاتله، فأمر الله تعالى بني إسرائيل أن يُخرجوا بقرة ويقطعوا عنقها ثم يضربوا القتيل ببعضها، فيحييه الله ويخبرهم عمن قتله، وكان من استهزائهم وعدم امتثالهم لما أمروا بذلك أن قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾ أي أتمزح بنا وتستخف بعقولنا، وفي هذا اتهام لموسى عليه السلام، ولهذا استعاذ موسى عليه السلام بالله أن يكون من الجاهلين ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فإنه لا يليق بمقام موسى عليه السلام الرسول الكبير أن يسخر ويمزح

ويستهزىء بأوامر الله والدين.

أما عن تعنتهم فإنهم لم يذبحوها إلا بعد أسئلة، ولم يمتثلوا أمر الله حال أمره، وإنما تعنتوا فقالوا مرة: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة:٦٨] وقالوا أخرى: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البقرة:٦٩] وقالوا الثالثة: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة:٧٠] شددوا فشدد الله عليهم فأمرهم بأن يذبحوا بقرة ﴿لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البقرة:٧١] ﴿صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة:٦٩] ﴿لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة:٦٨] فلو ذبحوا أول الأمر بقرة مهما كانت لنفذوا أمر الله ولكفتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم، وهذا يدل على كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» [مسلم:١٣٣٧، وأحمد:٢/ ٤٨٢].

وفي هذه القصة إظهار لمعجزة من معجزات موسى عليه السلام، وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٢٤٢] إشارة إلى نقص عقولهم.

فائدة: اسباب عدم التوفيق

قال شقيق بن إبراهيم: ما أغلق باب التوفيق عن الخلق إلا من ستة أشياء:

١- الاشتغال بالنعمة عن شكرها.

٢- الرغبة في العلم وترك العمل.

٣- المسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة.

٤- الاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم.

٥- إدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها.

٦- إقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.

وقال ابن القيم: (أصل ذلك عدم الرغبة والرهبة وضعف اليقين والبصيرة ومهانة النفس ودناءتها، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير).

فمن كانت نفسه عالية لم يرض بالذي هو أدنى، وزكى نفسه ونماها بطاعة الله والابتعاد عن معاصيه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وقال: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

فائدة: الذكر غِراسُ الجنة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] وقال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ○ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤] فالذكر مصاحب لجميع الأعمال، وهو جلاء القلوب ودواءها، وقاتل الشياطين ومبعدها وصارعها، يباهي الله بالذاكرين ملائكته، وتحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة ويذكرهم الله فيمن عنده، ومجالسةُ رياض الجنة وهو غراسها، والذاكر لله حي والغافل ميت، وهو سبب محبة الله وزوال النقم وبقاء النعم، ويكون بالقلب وباللسان وبهما، وهو نعيم الدنيا، وخير الأعمال وأزكاها وأرفعها درجة، وخير من إنفاق الذهب والفضة، ومن الجهاد في سبيل الله، وأهله السابقون إلى الجنة، وبه تمحى السيئات وتزاد الحسنات وترفع الدرجات.

فائدة: إن الله لا يُرى في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ○ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨، ٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ○ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] وقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] قالت عائشة رضي الله عنها: (سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ○ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] فقال «إنما هو جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين» [البخاري: ٤٨٥٥ ومسلم: ١٧٧] والصحيح أن الرسول ﷺ رأى نور ربه، أما جبريل عليه السلام فرآه على صورته مرتين [الترمذي: ٣٢٧٨ وأحمد: ٦/٤٩] وقد قال الله تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] وقال ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ○ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] وقال عنه: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي حسن الخلق، وقال عنه ﴿كَرِيمٍ﴾ وقال:

﴿فَٱسۡتَوَىٰ ○ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النجم:٦،٧] أي في ناحية السماء العليا، وهذا استواء جبريل عليه السلام، لأن استواء الله على العرش، وقال عنه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ○ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النجم:٨،٩] وهذا دنو جبريل عليه السلام، وقال: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ○ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣،١٤] قال رسول الله ﷺ لعائشة: «ذاك جبريل» [البخاري:٤٨٥٥ ومسلم:١٧٧] والضمير في قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ وفي قوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ وفي قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النجم:٧] واحد يعود إلى جبريل عليه السلام، وقد نزه الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ عن الضلال والغواية، ونزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانًا قبيحًا، ووصفه بأنه قوي كريم حسن الخلق، ووصف الله الأفق في قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣] وقال: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النجم:٧] فالأفق مبين، وهو أعلى، وقال عن جبريل عليه السلام: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي خلق حسن محكم، وسأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» [مسلم:١٧٨] فجميع الضمائر تعود إلى جبريل عليه السلام، لأنه المذكور في الآيات، حيث قال تعالى: ﴿صَاحِبُكُمۡ﴾ [النجم:٢] وقال: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ○ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم:٥،٦] وكان الذي تدلى وهو في أفق السماء ولم يماره الكفار على الرؤية هذه، وإنما ماروه على رؤية ما أخبرهم به من الآيات التي أراه الله إياها، فهو دنو عبد من عبد ومخلوق من مخلوق. ولابن عباس رضي الله عنهما رأي في أن رسول الله ﷺ رأى ربه، وقال بذلك بعض المفسرين، ولكن الأدلة السابقة لا تدل على ذلك، والله أعلم.

فائدة: يستفيد من الإنذار أهل الخشية

من هو الذي يستفيد من الإنذار والتذكير؟ إنه الذي يخشى ربه بالغيب ويقيم الصلاة، ويحرص على تزكية نفسه وتطهيرها، ويتبع الذكر ويبحث عنه، ويخاف وعيد الله، ويطلب الهداية، ويجاهد للوصول إليها ما يملك من قوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [يس:١١] وقال: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] وقال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ [فاطر:١٨].

فائدة: العلم تركة الأنبياء عليهم السلام

العلم ما قام عليه الدليل وارتفع به الجهل، وهو تركة الأنبياء، وأهله وارثوهم، وهو حياة القلوب ونور البصائر ورياض العقول ولذة الأرواح وميزان الأمور ودليل الحائرين، وهو الحكم العدل بين المتشابهين، به تعرف الأمور، وهو قائد الأعمال، مذاكرته تسبيح وجهاد وقربة، وبذله صدقة أعظم من الصيام والقيام، وحاجة الناس إليه أعظم من الشراب والطعام، وطلبه أفضل من صلاة النوافل، استشهد الله تعالى بأهل العلم فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:١٨] وأمر رسوله ﷺ بأن يسأله المزيد منه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٤] وطرقه السمع والبصر والعقل، وإذا كان الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب باليوم مرتين أو ثلاثًا فإنه يحتاج إلى العلم بكل نفس من أنفاسه، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] وقال: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩] وقال عن الخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣] وقال عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] وفضل أهله كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم وتظلهم بها، ويستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر والنمل في جحورها، وتصلي الملائكة على معلمي الناس الخير، قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل المبطلين» [البيهقي في السنن الكبرى:١٠/٢٠٩] وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى عند الفقر، والكنف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه، به يعرف رب الجلال، ويعبد ويذكر ويوحد ويحمد ويمجد، توصل به الأرحام، ويعرف به الحلال والحرام، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ ومالم يعارض شيئًا من الكتاب والسنة والدليل، ولا طريق إلى الجنة إلا به، قال ابن وهب: كنت بين يدي مالك رضي الله عنه فوضعتُ ألواحي وقمتُ أصلِّي، فقال: (ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه) [مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله].

فائدة: التوحيد أول دعوة الرسل عليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨] التوحيد أول دعوة الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ

غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] وقال هود عليه السلام: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥] وكذا قال صالح وشعيب وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأمر رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن بذلك، فهو مفتاح الدعوة، وأول ما يدخل به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا، وهو ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكل القرآن توحيد لله، لأنه إما خبر عن الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع جميع ما يعبد من دونه، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل التوحيد وجزائهم، وإما خبر عن أهل الشرك وعقابهم، وقد شهد الله تعالى أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم، وهذه أعظم شهادة بالتوحيد المقتضي للعلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول، فهو سبحانه الإله الذي تألهه القلوب محبةً واشتياقًا وإنابةً، مباين لخلقه بذاته وصفاته، قائم بالقسط في أفعاله وأقواله، له العزة والقوة والقدرة والحكمة والأسماء والصفات العلى، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم، يفعل بقدرته ومشيئته وحكمته، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، الكامل في كل صفة مدح، المنزه عن كل صفة ذم، نصفه بما وصف به نفسه، وأخبرت عنه رسله، من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف، فهو المؤمن المصدق بصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، صدق رسله فيما بلغوا عنه وأنزل كتبه.

فائدة: وجوب رد العلم إلى الله تعالى

قول: (لا أعلم) من صفات الورعين من العلماء لكل شيء لا يتأكدون من جوابه، وكان كثير من أصحاب رسول الله ﷺ تصعب عليهم المسائل فلا يجيبون عليها إذا سئلوا، وربما سألوا غيرهم قبل أن يجيبوا، قال عطاء بن أبي رباح: أدركت أقوامًا إن كان أحدهم ليسأل عن شيء فيتكلم وإنه ليرعد من الخوف، وقال الإمام أحمد: من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لأمر عظيم، وقالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] وقال عتبة بن مسلم: صحبت ابن عمر رضي الله عنه أربعة وثلاثين شهرًا، فكان كثيرًا ما يُسأل فيقول: لا أدري. فأين هؤلاء ممن ينصبون أنفسهم اليوم للفتيا وهم غير قادرين عليها، وروي أن سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي إلا ويقول: (اللهم سلمني وسلم مني).

فائدة: زوال الحياة الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢].

هذه الحياة الدنيا زائلة ولعب ولهو، وليس فيها شيء باق، وكل عاقل يفهم ذلك، فمن غرته الدنيا فهو سخيف العقل، وهي قصيرة، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾ [الحديد:٢٠] وقال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ○ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٢،١١٣] ففي الدنيا شهوات قصيرة كالأكل واللذات،

وآلام وأمراض وأحزان ونكد وتعب ونصب، و «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو عالمًا أو متعلمًا» [ابن ماجة: ٤١١٢ وحسنه الألباني] وسعادتها كما قال الشاعر:

وما السعادة في الدنيا سوى أمل
يرجى، فإن صار حقًا مله البشر

وقال آخر:

تعب كلها الحياة فما
أعجب إلا من راغب في ازدياد

ضجعة الموت رقدة يستر
يح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

فائدة: الإحسان

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فمراقبة الله وخشيته ومحبته ومعرفته والإنابة إليه والإخلاص له والأنس به والطمأنينة بذكره والسكون إليه حتى كأنك تراه، وتشاهد الجنة وقد أزلفت، والجحيم وقد سعرت، وبالإحسان ينشرح الصدر ويقوى القلب ويتعلق بالله ويحبه ويخافه ويرجوه ويعبده ويفوض أمره إليه.

فائدة: معاني الحكمة

قال الله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾

[آل عمران:٤٨] وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣] وقال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١] وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨] والحكمة أن تضع الأمور في مواضعها، وتعطي كل شيء حقه بتوازن ووسطية بدون تعجيل عن وقتها ولا تأخير ولا تعدٍّ للحدود، وأكمل الخلق حكمةً محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣] وأمته المتمسكة بالكتاب والسنة أحكم الناس، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٥١] ومن الحكمة الحلم والأناة، والله تعالى أحكم الحاكمين، وجميع أفعاله حكمة وحكيمة، وهو أعلم بالشاكرين، ولما قال المشركون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام:٥٣] أجابهم الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] وأحاديث رسول الله ﷺ كلها حكمة، وهي الخير الكثير والفضل العظيم.

فائدة: من مات ولم يشرك بالله شيئاً دخل الجنة

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ○ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر:٣٢،٣٣] في هذه الأمة بشارة بدخول الجنة للأصناف الثلاثة: الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، ما داموا موحدين لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] ومن مات ولم يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وقال الله تعالى في الحديث

القدسي: «يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» [أحمد:٥/ ١٥٤ والبيهقي في الشعب:١٠٤١ والدارمي:٢٧٨٨ وحسنه محققو المسند] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

فائدة: زخرف القول من صفات المنافقين والعلمانيين

يغتر كثير من الناس ممن لا فقه له في الدين بزخرف القول الصادر من أهل الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢] وقال: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١١٣] وما أكثر ما يزخرف المنافقون والعلمانيون وأعداء الإسلام الكلام ليغرروا بالناس، وتوحي الشياطين لهم الكذب والقول المعسول ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢] فيفتن بعضهم بعضًا، وتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون، ويحبون قائلي الكلام المعسول الكاذب، فيقترفون المنكرات بسبب ذلك، وما أكثر ذلك في وسائل الإعلام، وعلى العاقل أن يبحث عن الدليل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١١١] وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد:٢٥] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١].

فائدة: من معاني الفقر والغنى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر:١٥]

وقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨] فالغنى لله تعالى، أما عبيده فهم فقراء إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والفقر لي وصف ذات لازم أبدًا

كما الغنى أبدًا وصف له ذاتي

فالفقر الحقيقي هو دوام الافتقار إلى الله في جميع الأحوال والأوقات، فالإنسان في كل لحظة وذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فقير إلى ربه فاقةً تامةً من جميع الوجوه، لا يستغني عن الله، فالملك جميعه لله، والمسلم الحق غني بالله ولو كان معدمًا، غني عن غير الله، غني القلب لا يتعلق قلبه إلا بالله، ومن كان عنده مال وتعلق قلبه بغير الله فهو الفقير الحق، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨] فالرسول ﷺ أرضاه الله بما أعطاه، وأغناه عما سواه، فهو غنى قلبٍ ونفسٍ، وهذا هو حقيقة الغنى، كما أن الله تعالى أغناه بالمال من فضله وكرمه، فليس الغنى بالمال مذمومًا إذا كان قلب المسلم متعلقًا بالله فقيرًا إليه، أما إذا استغنى بماله عن ربه وصار قلبه متعلقًا بماله، يلهث في زيادته، ويتحسر إذا فقد منه شيئًا، فهذا الفقير حقًا لما في أيدي الناس، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ○ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ○ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٨] قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» [البخاري:٦٤٤٦، ومسلم:١٠٥١] ولا شك أن رسول الله ﷺ فقير إلى ربه مع ما أعطاه الله من المال ومن الغنائم، كما قال سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨] كما أن إبراهيم عليه السلام كذلك مع ما عنده من الغنى بالأملاك، وكان أبا الضيفان وعنده المواشي وغيرها، وكذلك داود وسليمان عليهما

السلام فقد أعطاهما الله الملك والمال الكثير وهم فقراء إليه، أغنياء بما عندهم من الخيرات والأملاك، وأعطي سليمان عليه السلام ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده.

فائدة: من صفات اليهود

من صفات اليهود ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ○ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢].

اليهود والمنافقون يسارعون في الكفر، والمنافقون اختصوا بأنهم يقولون: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومعنى ﴿يسارعون في الكفر﴾ أي تظهر عليهم آثار الكفر عند أدنى مناسبة وفي كل فرصة، ومعنى ﴿سماعون للكذب﴾ أي يصغون إلى الكذب وهم يعرفون أنه كذب، ويحفلون به ويتطلبونه ويختلقونه ويكثرون القول فيه، ويسمعون ما يقول لهم قوم آخرون من كتم غرضهم عن النبي ﷺ، فهم يذهبون للنبي ﷺ، فإن حكم بما يهوون اتبعوه، وإن حكم بما يخالف هواهم عصوه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: إن

أفتى لكم النبي بكذا اتخذوه، وإن لم يؤتكم هذا فاحذروه، وهؤلاء لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لكثرة سماعهم للكذب، ولأكلهم السحت، وهو المال الحرام، كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم والمغصوب، وسبب نزول هذه الآيات ما رواه أبو داود والواحدي في أسباب النزول: ٣٩٠،٣٩٢ والطبري في تفسيره: ١١٩٢٦-١١٩٢٩ وهو: أن اليهود اختلفوا في حد الزاني المحصن حين زنا فيهم رجل بامرأة من أهل خيبر أو أهل فدك، بين أن يرجم وبين أن يجلد ويحمم - أي يلطخ وجهه بالسواد تمثيلًا به - فذهبوا للرسول ﷺ وقالوا: إن حكم بالتحميم قبلنا، وإن حكم بالرجم لم نقبل، فأمر الرسول ﷺ بالرجم على المحصن، فأنكروا، مع أن ذلك موجود في التوراة، فكتموا ما أنزل الله، وأخفوا هذا الحكم تلبيسًا وتدليسًا، ووضع أحدهم يده على آية الرجم عندهم، فأمره الرسول ﷺ أن يرفع يده فأراه الآية، فقال ﷺ: «لأكونن أول من أحيا حكم التوراة» وأمر برجمهما [أبو داود: ٤٤٥٠ وأحمد: ٢/ ٢٨٠ وعبدالرزاق في المصنف: ١٣٣٣٠، والبيهقي في السنن: ٨/ ٢٤٦،٢٤٧، وحسنه محققو المسند].

فائدة: الغلو من سمات أهل الكتاب وأهل الإرهاب والتكفير

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال النبي ﷺ: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» [البخاري: ٣٩] وقال: «ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد» [البخاري: ١١٥٠ ومسلم: ٧٨٤] وقال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا. [مسلم: ٢٦٧٠] وقال: «عليكم بالأعمال ما

تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا» [البخاري:١١٥١ ومسلم:٧٨٥] وقال ﷺ: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق» [أحمد:٣/١٩٩، والضياء في المختارة:٢١١٥ وحسنه محققو المسند].

وقد حمل الغلو قومًا على الإرهاب والتكفير وتفريق صفوف المسلمين، وحمل آخرين على الكفر، وشرعوا ما لم يأذن به الله، ومنهم من صام الدهر وأيام النهي، ومنهم من رمى الجمرات بالحجارة الكبيرة، ومنهم من يزيد في العبادات ولا يعاشر النساء، ودين الإسلام وسط واعتدال واتباع وامتثال.

فائدة: من المعاني المستنبطة من سيد الاستغفار

سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» [البخاري:٦٣٠٦].

١- فيه الاعتراف بالعبودية.

٢- فيه الإقرار بالألهية لله تعالى وتوحيده.

٣- فيه الاعتراف بأن الله هو الخالق.

٤- فيه الاعتراف بعجز الإنسان عن أداء حق الله وتقصيره بجنابه.

٥- فيه الاعتراف بأن ناصية الإنسان في قبضة الله.

٦- فيه الإقرار بأن العبد لا يتمكن من الهروب من ربه.

٧- فيه الاعتراف بأنه لا ولي للإنسان إلا الله.

٨- فيه الالتزام بالدخول تحت عهد الله وأمره ونهيه حسب الاستطاعة.

٩- فيه الإقرار بأن حق الله عظيم، لا مقدور للعبد الوفاء به كاملاً.

١٠- فيه التصديق الكامل بوعد الله لأهل طاعته.

١١- فيه التصديق بوعيده لمن عصاه.

١٢- فيه الالتزام في إقامة العبد على عهد الله وتصديقه بوعده.

١٣- فيه الاستعاذة والاعتصام بالله من الشرور.

١٤- فيه الاستعاذة من شر الذنوب.

١٥- فيه إثبات أن من لم يعذه الله تعالى يهلك.

١٦- فيه شكر نعمة الله تعالى والإقرار بها.

١٧- فيه الاعتراف بالذنب والرجوع منه.

١٨- فيه أن النعمة من الله والإساءة من العبد.

١٩- فيه سؤال المغفرة.

٢٠- فيه الإقرار بأن الذنوب لا يغفرها إلا الله.

فائدة: لا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار

١- قد يقترن بالمعصية الكبيرة من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من الذنوب من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر.

٢- يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح غيره، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ○ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣،١٤٤].

٣- عبودية التائب يحبها الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] والله يفرح بتوبة عبده أشد من فرح صاحب الراحلة التي ضاعت منه فوجدها بعد التعب، لأن عبودية التائب فيها من الذل والانكسار ما يجعلها محبوبة عند الله.

٤- كثير من الطاعات يكون فيها ما يبطلها كالعجب والمن والكبر والتفاخر وذكرها عند الناس.

٥- يبدل الله تعالى سيئات التائب حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] لأن التائب يندم كلما ذكر معصيته ويستغفر ويتوب، وفي كل مرة يتحصل على حسنة.

٦- ذنب العارف بالله وبأمره قد يترتب عليه حسنات أكبر من عصمته، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ○ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢] ولهذا فداود حالته بعد التوبة أعظم وأتم، وكذا آدم عليهما السلام.

فائدة: من صفات الله تعالى

من صفات الله تعالى أنه رحمن رحيم، قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقد قرن الله اسمه (الرحمن) بالعرش، فقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فرحمة الله محيطة بالخلق واسعة لهم، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده: موضوع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي» [البخاري: ٣١٩٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣ ومسلم: ٢٧٥١] - وفي لفظ - «فهو عنده على العرش» [المرجعان السابقان] فانظر مقارنة الرحمة المحيطة بالخلق بالعرش، فالحمد لله على رحمته الواسعة لكل شيء.

فائدة: عفو الله ومغفرته عن قدرة وعزة وحكمة

قال الله تعالى عن دعاء المسيح عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] وقال عن إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ○ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٥،٣٦] ففي دعاء عيسى عليه السلام قال: ﴿فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ وهو أولى من قول: (فإنك أنت الغفور الرحيم) أي إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة وكمال وقدرة وحكمة وعلم، لأن الموضع يدل على التعريض بطلب المغفرة في غير حينها وقد فاتت، فإنه لو قال: (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم) كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ما ينزه عنه منصب المسيح عليه السلام، لا سيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل لله ولدًا، أو اتخذه إلهًا من دونه، فذكر العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة.

وهذا بخلاف قول الخليل عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦] ولم يقل: (فإنك عزيز حكيم) لأن المقام مقام استعطاف وتعريض بالدعاء، أي وإن تغفر لهم وترحمهم بأن توفقهم للرجوع من الشرك إلى التوحيد ومن المعصية إلى الطاعة، فكل اسم من أسماء الله يناسب لمقام ذكر معه واقترن به في القرآن والسنة.

فائدة: أعمال القلوب افضل من أعمال الجوارح

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] الأعمال القلبية فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب

إلى الله من مستحب أعمال الجوارح، بل إن أعمال الجوارح إذا كانت بدونها لم تنفع أو يقل نفعها.

ومن أعمال القلوب الحب لله ولأجله والتوكل عليه والإنابة إليه والتواضع والخوف منه والرجاء له والصبر والإخلاص والرضا والموالاة فيه والمعاداة فيه والذل له والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة له والإيمان بقضائه وقدره والتسليم لأمره ونهيه وغير ذلك، وكثير من الناس يهتم بأعمال الجوارح أكثر من اهتمامه بأعمال القلوب، وهذا يرجع إلى جهلهم بغايات الدين.

فائدة: استحقاق الحمد لله تعالى وحده

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

استحقاق الحمد لله تعالى واستفراغه له، فهو الذي فطر السموات والأرض من العدم، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ﴾ [الشورى: ٥] وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا الذي فطرتها - أي ابتدأتها - قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠١] والملائكة أجسام لطيفة نورانية أخيار ذوو قوة عظيمة، ولهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، مقرهم السموات، ويرسلون إلى الأرض، شأنهم الخير والطاعة والعلم، أما أجنحتهم فذكر في الآية أنها: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى

﴿ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر:١] وقد رأى الرسول ﷺ جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح سد الأفق، وفي رواية للزهري أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «يامحمد لو رأيت إسرافيل، إن له لاثني عشر جناحًا» [ابن المبارك في الزهد رقم:٢٢١ والزمخشري في تفسير الآية] ومرة تشكل جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي، ومرة في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [البخاري:٥٠، ومسلم:٩ واللفظ له] ومرة رآه النبي ﷺ على كرسي بين السماء والأرض بصورته التي رآه فيها في غار حراء، ورأى الصحابة الملائكة على صورة رجال على خيل يقاتلون معهم يوم بدر.

وكما أن الله تعالى فاطر السموات والأرض، والفطر هو الفتح والانشقاق، فإنه سبحانه فاتح الرحمة للناس وممسكها عنهم، فلا يقدر أحد إمساك ما فتحه ولا فتح ما أمسكه، قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر:٢] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:٦] وعلى المرء أن يذكر نعمة الله عليه، ويتيقن بأن خالق هذه السموات والأرض هو الله وحده، وهو الرازق للمخلوقات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر:٣] ومن ثم يقر بوحدانيته، وأنه المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣] فالمصروف عن عبادة الله مأفوك، قال تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠] فهم مبعدون عن عبادة الله

إلى عبادة غيره، سبحان الله وتعالى عما يشركون.

فائدة: الدعاء لمن بيده الضر والنفع

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ [الأنعام٧١].

أي أندعو ما لا ينفع ولا يضر ونرجع على أعقابنا، وكان من دعاء الرسول ﷺ: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم» [البخاري: ١٢٩٥ ومسلم: ١٢٢٨] كالذي اختطفت الشياطين عقله فسيرته كما تريد، وذهبت به على وجهه في الأرض راكبًا رأسه لا ينتصح لأحد، تائهًا مترددًا، لا يعلم مخرجه، له رفقة يدعونه إلى ما فيه هداه، ويعاندهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] وهذا تشبيه حال من ارتد بعد الإسلام فترك أصحابه وفسد عقله باستهواء الشياطين، فتاه في الأرض حيران بعد أن كان عارفًا بمسالكها، وترك رفقته العقلاء إلى رفقاء السوء. نسأل الله العافية.

فائدة: ما يظفر به الشيطان من الإنسان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] وقال: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ [النور: ٢١].

هذه بعض ما يحاول الشيطان أن يظفر به من الإنسان:

١- الكفر بالله وبالإسلام ويوم القيامة وصفاته تعالى وكتابه، فإن ظفر بذلك فقد حصل على بغيته، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

٢- البدعة بالتعبد بما لم يأذن به الله، واعتقاد خلاف ما أرسل الله به الرسول ﷺ ونزل به الكتاب، ولا يكون علاجها إلا بالتمسك بالسنة.

٣- الكبائر، وهي بريد الكفر إذا تراكمت على الإنسان، وقد تسببت له عدم المبالاة بالذنوب والإرجاء، واعتقاد أنه لا يضر مع التوحيد ذنب.

٤- الصغائر، فيسول له الشيطان أنه ما عليه - إذا اجتنب الكبائر - شيء من اللمم، وأنها تكفر بالحسنات، فيهون من أمرها حتى يكون مرتكب الكبيرة الخائف النادم أحسن منه حالًا، قال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب» [أحمد: ١/ ٤٠٢، ٥/ ٣٣١ والطبراني في الكبير: ١٠/ ٢٦١، والبغوي في شرح السنة: ١٤/ ٣٩٩، وصححه الألباني في الصحيحية: ٣٨٩].

٥- المباحات التي تشغل عن الطاعات.

٦- الأعمال المرجوحة وتقديمها على الراجحة، ولا يعرفها إلا أهل العلم والبصيرة.

فائدة: من دلائل البعث بعد الموت

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

من دلائل البعث بعد الموت أنه سبحانه يرسل الرياح فتثير سحابًا فيسوقه الله إلى أرض جدباء ميتة فتنبت وتحيى وتهتز خضراء يانعة، روي أن أبا زين العقيلي رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «هل مررت بواد

أهلك ممحلًا ثم مررت به يهتز خضرًا؟» قال: بلى، قال: «فكذلك يحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه» [أحمد: ٤/ ١١، وأبو داود: ٤٧٣١ والطيالسي في مسنده: ١٠٨٩ وغيرهما، وحسنه الألباني].

فائدة: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

قول الله تعالى: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] يقتضي ذلك أن نصر الظالم تجاوز للحق، لأن الحق أن لا يكون للظالم نصير، وأن يؤخذ على يد الظالم ويدفع فساده، وفي هذا إبطال لخُلق أهل الجاهلية القائلين «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» [البخاري: ٢٤٤٣، ٢٤٤٤ والترمذي: ٢٢٥٥] وقد أبطله رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين قال: «إذا كان ظالما فتكفه عن ظلمه» [الترمذي: ٢٢٥٥ وغيره] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] أما المظلوم فيجب نصره ورد الظلم عنه لمن قدر على ذلك.

فائدة: من يعمل سوءً يجزى به

قول الله تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٩] يدل على أن الكفار مجازون على أعمالهم السيئة وأقوالهم القبيحة كدعائهم للأصنام وإيذائهم للرسل وتكذيبهم لهم، وقولهم: إن آلهتهم شفعاء عند الله، وقولهم: إن الملائكة بنات الله، وكذا الزنا ووأد البنات والسرقة والقتل، وأن هذه تزيدهم عذابًا على عذابهم، وقد اختلف العلماء هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة أو لا؟ وهذه الآية يظهر منها أنهم محاسبون على ذلك. والله أعلم.

فائدة: القرآن مصدق لما قبله من الكتب ومهيمنا عليها

القرآن مصدق للكتب الصحيحة التي أنزلها الله على أنبيائه،

ومهيمن عليها وناسخ لها، فهو الحكم الحق، وخلافه أهواء، ولا يجوز تحكيم أي قانون أو دين أو منهج مخالف للقرآن الكريم، فهذه الكتب المنزلة على الأنبياء لها وقت محدد انتهى، لهذا أمر الله تعالى بتحكيم القرآن وحده، والسنة مفصّلة لأحكامه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ○ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٨،٤٩] فالقرآن الكريم مصدق لما في الكتب السابقة ومؤيد لها، إذا كانت المصلحة كلية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأمم والشعوب، فهو مصدق ومحقق ومقرر، وهو أيضًا مبطل لبعض ما في الشرائع السابقة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة، مراع فيها أحوال الأمم والشعوب، وقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨] أي لو شاء الله لقدر أن تكونوا أمة واحدة على دين الإسلام، ولكنه رتب جبلّات، وسبّب اهتداء فريق إلى الحق، وضلال فريق حسب الاستعداد والتوفيق والخذلان والميل والانصراف والعزم والمكابرة، وهذا قدر الله وحكمته البالغة، ولا عذر لأحد بلغه هذا الدين في عدم اتباع الإسلام وشريعته الخالدة التي نزلت على محمد ﷺ، وفي هذا

ابتلاء واختبار لظهور من يتبع الحق ومن يعاند ويكابر، قال تعالى: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [المائدة:٤٨] ولا يقبل من أحد غير الإسلام بعد نزوله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فائدة: البركة من الله تعالى

اسم الله تعالى مبارك، وهو سبحانه تبارك، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزخرف: ٨٥] وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ [الفرقان: ٦١] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠] وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] وإذا ذكر اسم الله تعالى على شيء تبارك، وفي الدعاء المأثور: «وتبارك اسمك وتعالى جدك» [الترمذي: ٢٤٣، وأبو داود: ٧٧٥، ٧٧٦، ابن ماجة: ٨٠٦ والحاكم: ١/ ٢٣٥ وصححه الألباني] فالبركة كلها من الله والخير والإحسان منه والرأفة والرحمة من فضله، فهو المتعالى المتعاظم المقدس العلي دائم الخير والإحسان والجلال والفضل المعطي المنعم، والقرآن مبارك، وليلة القدر مباركة، ومكة والمدينة مباركتان، والمسجد الأقصى وما حوله مبارك «تباركت يا ذا الجلال والإكرام» [مسلم: ٥٩١] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

فائدة: جواز استعمال المعاريض

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام حينما طلبوا منه أن يخرج

معهم إلى عيدهم: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩] وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وبينما هو ذات يوم وسارة إذا أتى على جبار من الجبابرة ... فسأله عنها فقال: هي أختي...» الحديث [البخاري:٣٣٥٨، ومسلم:٢٣٧١] وفي هذا إشكال في نسبة الكذب إلى نبي، والجواب على ذلك أن هذا من المعاريض، وتسمى كذبًا باللغة، وهي ليست كذبًا حقيقيًا.

فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي سقيم ومتألم من كفركم.

وقوله: «هي أختي» أي أخوة الإسلام.

وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] مراده التغليظ عليهم وتأنيبهم، فهم يعلمون أن هذا الصنم لا يفعله لأنه جماد، كما أذن الله لأيوب عليه السلام أن يأخذ ضغثًا من عذق نخلة فيضرب به ضربة واحدة ليبر بقسمه في جلد امرأته مائة جلدة، ولم تكن الكفارة مشروعة في دين أيوب عليه السلام.

فائدة: قصة يونس عليه السلام وقومه

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ○ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ○ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٣٩-١٤٢].

يونس بن متى عليه السلام من أهل فلسطين، من أنبياء الله إلى بني إسرائيل، أرسله الله إلى أهل مدينة نينوى من بلاد الأشوريين، وكان بها أسرى من بني إسرائيل، وقوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ○ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات:١٤٠،١٤١] شبهت حالة خروجه

من البلد الذي كلفه ربه فيه بالرسالة وتباعده عن ذلك، بإباق العبد من سيده الذي كلفه عملًا، ولما ركب في الفلك المشحون بالركاب والمتاع هاج البحر فأرادوا تخفيف عدد الركاب، فاستهموا على من يطرحونه من سفينتهم في البحر، فكان يونس عليه السلام ممن خرج سهم إلقائه في البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٢] أي ملوم على فعله وهروبه ممن أرسل إليهم، وكان من المسبحين في بطن الحوت، يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] فأنجاه الله بسبب تسبيحه وتوبته فقذفه الحوت من بطنه إلى البر، قيل: إنه مكث في بطن الحوت ثلاث ليال، وقيل غير ذلك، ولولا هذا التسبيح لبقي في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، ثم خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت سقيمًا فأنبت الله عليه شجرة من يقطين تظله وتستره، واليقطين هو (قرع الدباء) ويسمى (القرع النجدي) سريعة النبات كثيرة الورق تتسلق الأغصان، فكسته وأظلته، وقد وردت أحاديث عن يونس عليه السلام، منها قول النبي ﷺ: «ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» [البخاري:٣٤١٣، ٤٦٠٤، ومسلم:٢٣٧٦] وقوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء» [البخاري:٣٤١٤، ومسلم:٢٣٧٣] أي في أصل الرسالة، أما الأفضلية فقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥] ثم إن الله تعالى تاب عليه وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات:١٤٨] وقد كان الله تعالى أخبر يونس عليه السلام أن العذاب سينزل بهم فخافوا فآمنوا لما

خرج يونس عليه السلام منهم، فكشف الله عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨].

فائدة: تلاوة القرآن وتدبره غذاء الروح

المؤمن في أُنس مستمر مع ربه، يأنس بذكره ويتغذى بكلامه، كأنه يشاهده ويبصره ويسمعه ويراه، فهو يذكره في كل حال، غذاؤه القرآن، يجد به اللذة والروحانية والسرور والفرح والابتهاج والعلوم والمعارف. أما الكافر والمنافق مريض القلب فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأحقاف:٢٦] وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ [الأعراف:١٧٩] وقال: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] وقد جعل الله لنا السمع والبصر والأفئدة لنشكره، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨] وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] وقال عنهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] وقال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨].

وإذا كان غذاء المؤمنين وأنسهم وسعادتهم بتلاوة كتاب الله وتحسين أصواتهم به وتدبره وفهمه والعمل به، فإن غذاء مرضى

القلوب الأغاني والموسيقى ومزامير الشياطين المشتملة على محاب النفوس المريضة ولذاتها وحظوظها، وهؤلاء أبعد الخلق من الله وأغلفهم عنه حجابًا، قال ابن القيم رحمه الله: (حرام على قلب تربى على غذاء السماع الغنائي أن يجد شيئًا من ذلك في سماع القرآن، بل إن حصل له نوع لذة فهو من قبل الصوت المشترك لا من قبل المعنى الخاص) [مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٢٩].

فائدة: ما جعل الله لرجل من قلبين

قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ [الأحزاب:٤] فالقلب ليس له إلا وجهة واحدة، إذا مال إلى جهة لا يميل إلى غيرها، وليس له قلبان يعملان، يطيع الله ويطيع غيره، فإنه إن لم يتوكل على الله توكل على غيره، وإن لم يحب الله ويحب من أحبه أحب غيره، وإن لم يتق الله اتقى غيره، ولم يجعل الله زوجة الرجل أمًّا له، ولا الأدعياء أبناء، ومن لم يعبد الله تعالى عبد غيره.

فائدة: من علامات السعادة والفلاح

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ [فاطر:٣٧] قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره، وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم، ومن علامات الشقاوة أنه كلما زيد في عمله زيد في

فخره واحتقاره للناس وحسن ظنه بنفسه، وكلما زيد في عمره زيد في حرصه، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه) انتهى.

والعاقل يعلم أن هذه الأمور امتحان من الله واختبار للعبد وابتلاء، قال سليمان بن داود عليهما السلام: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ○ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر:١٥،١٦] فالملك والسلطان والمال والجاه ابتلاء وامتحان من الله لينظر أيشكر العبد أم يكفر، وكذا الفقر والمرض وغيرهما من الآفات، وهذه الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان، والسعيد من نجح وفاز، والشقي من سقط وخاب.

فائدة: الغرور

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥].

فالغرور هو الذي يوهم الناس بالنفع فيما فيه ضرر، أو بالضر بما فيه نفع، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣] وقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران:١٩٦] وقال: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢] والشيطان يغر الناس ويخادعهم، قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] وقال: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤] وهو عدو للإنسان، ويجب على الإنسان أن يتخذه عدوًا لدودًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ

لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧] وقال الله تعالى عن الشيطان إنه قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ○ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٣٩،٤٠] وقال: ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢].

فائدة: وعد الله تعالى بنصر جنده المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣] هذا وعد من الله تعالى بأنه كتب لجنده الغلبة وللمؤمنين النصر، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ○ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات:١٧١،١٧٢] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] فالفلاح والغلبة والنصر للمسلمين جند الله وحزبه دائمًا في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيكون إما بظهورهم وتغلبهم على عدوهم واستيلاء بلاد الأعداء وهزيمتهم، وإما بنصر دينهم وظهور الحق وإسلام الكثير من الكفار، ويعتبر ما حصل لأصحاب الأخدود مثلًا نصرًا، لأنهم لم يتراجعوا عن دينهم ولم يخوفهم عدوهم بالنار، وقد فازوا بإحدى الحسنيين وهي الجنة، وأسلم بسبب موقفهم المشرف الكثير، وهكذا يكون النصر بإحدى الحسنيين للمسلمين، وغزوة بدر مثلًا فيها من النصر المبين ما وضحه ابن القيم وغيره.

فائدة: حاجة الإنسان إلى عون الله ولطفه

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] فإذا انتهى القلب إلى الله ووصل إليه استقر واطمأن وسكن، وليس شيء محبوبًا لذاته إلا من إليه المنتهى، وهو الله الواحد الأحد، قال ابن القيم

رحمه الله: (يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين) انتهى كلامه. قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] أي أن الله واحد، وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] فالمرء محتاج إلى عون الله ولطفه، وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، وعلى قدر إكماله القيام ظاهرًا وباطنًا يناله اللطف ظاهرًا وباطنًا، وإن قام بصور الأوامر دون حقائقها وبواطنها ناله اللطف في الظاهر دون الباطن، أو قل نصيبه من اللطف في الباطن.

ومن اللطف ما يحصل للقلب من السكينة والطمأنينة عند المصائب، ومن حصل عنده القلق والاضطراب والجزع قل نصيبه من اللطف بسبب تقصيره في العمل ونقص إيمانه.

فائدة: فضائل القرآن الكريم

القرآن الكريم روح من أمر الله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] فهو نور وشفاء وهدى وحياة عظيمة لمن تدبره وقرأه وعمل به وتلاه حق تلاوته وآمن به، وقال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥] تحصل به حياة القلوب بروح الوحي، فهو حياة بعد حياة ونور على نور، أثنى الله على من تلاه حق تلاوته، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٢٩] وقال: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت:٤٥]

وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل:٩٢] والتلاوة أن يخرج الحروف بعضها بعد بعض لا أن يخرجها جملة واحدة، ومن ذلك معرفة المعنى والاتباع والعمل والتصديق والائتمار بأمر القرآن والانتهاء عن نهيه، وجعله إمامًا وقدوةً، فهؤلاء هم أهل القرآن وخاصته، ولا شك أن تلاوته مع معرفة معانيه وتدبره أفضل من تلاوة اللفظ بدون معرفة المعنى وبدون تدبر وفهم وعمل.

فائدة: كتب الله الموت على كل نفس

الخلق كلهم سوف يموتون، وأعلى الميتات ميتة الشهداء وأشرفها وأسهلها، فإن الشهيد لا يجد من الألم إلا مثل ألم القرصة، فسكرات الموت على الفراش أعظم وأشد من سكرات الموت للشهيد، بل إن الشهيد لا يحس بأي سكرات، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:١٦] فمدة فرار من يفر من الشهادة قليلة، ولا تنفع، ولو نفعت لم تنفع إلا قليلًا، فلا بد من الموت ولو كان الإنسان في برج مشيد، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:١٧] فقد يفر الإنسان من الموت في المعركة فيقع في شيء يسوؤه مما هو أعظم منه ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] ومثل ذلك من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى يسلبه الله منه ويقيض له سبيل إنفاق لا ينفعه في دينه ولا دنياه، بل يعود عليه بالضرر في الدنيا والآخرة، وكذلك من رفه نفسه من التعب في سبيل الله يتعبه الله أضعاف ذلك في أمور لا تنفعه في الدنيا ولا في

الآخرة، فهذا إبليس امتنع عن السجود لآدم عليه السلام فرارًا من الخضوع له والذلة، وكبرًا وطلبًا للعزة، فصار أذل الأولين والآخرين، وكذا عباد الأوثان أَنِفُوا أن يتبعوا رسولًا من البشر وأن يعبدوا إلهًا واحدًا، فعبدوا أحجارًا وأشياء كثيرة، فلا بد للإنسان أن ينظر من يعبده ويتعب نفسه وبدنه ويذل له، فإن تكبر عن عبادة الله أرغمه الله إلى عبادة غيره ممن لا ينفعه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥] ومن لم يسأل الله سأل غيره ممن لا يجيبه ولا يعطيه شيئًا، ومن لم يعبد الله عبد غيره، ومن لم يخف الله خاف غيره، قال ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش». [البخاري: ٢٨٨٦، ٢٨٨٧].

فائدة: أصول كمال النفوس

قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ○ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ○ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] .

في هذه الآية تنزيه الله من كل نقص وعيب، ومن كل شرك ومعصية، والثناء على الرسل والملائكة، وحمد الله على ما سبق ذكره من نعمة على المسلمين من هدى ونصر وفوز بالجنة، وهذه الأمور الثلاثة أصول كمال النفوس في الدنيا والآخرة، فيها معرفة الله بصفاته وأسمائه وتنزيهه عن كل نقص، وأنه رب العزة، وهي صفة تجمع جميع الصفات الكاملة، وربوبية فيها كمال الاستغناء عن الغير، وهذه وتلك تستحق الحمد لله رب العالمين والسلام على المرسلين. روى القرطبي في تفسيره بسنده إلى يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري إلى

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول آخر صلاته أو حين ينصرف: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] [ابن السني في عمل اليوم والليلة ١١٩، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٤٤٢٦].

فائدة: كلام رسول الله ﷺ وحي من الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣،٤] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] هذه الآيات وغيرها والأحاديث الكثيرة تدل على أن ما يقوله الرسول ﷺ أو يفعله أو يقره هو وحي من الله، أمره سبحانه أن يبلغه للناس، وأن من عصى الرسول ﷺ فقد عصى الله، وأنه يجب الأخذ بما جاء به الرسول ﷺ، ومن أنكره وقال: أكتفي بالقرآن فهو ضال منحرف، وليس لأحد خيرة من أمر الله وأمر رسوله ﷺ، ومن ضل عن ذلك فهو متبع لهواه، فإن السنة أصل من أصول الشريعة، وهي التي فصلت القرآن الكريم وهي قرينته، قال

رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وسنتي» [رواه الإمام مالك في الموطأ: ٢/ ٨٩٩/ ح١٥٩٤].

فائدة: أمر الله المؤمنين بأن يصفوا في الصلاة كما تصف الملائكة

قال الله تعالى في سورة الصافات عن الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ○ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ○ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦] في هذا أحاديث كثيرة منها حديث الإسراء أن جبريل عليه السلام وجد في كل سماء ملكًا يستأذنه، ويسأله الملك من أنت ومن معك وهل أرسل إليه؟ فإذا قال: نعم فتح له.

كما أن الملائكة تسبح الله، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورى: ٥] كما أنهم يصفون صفوفًا، وقد أمر المسلمون أن يصفوا بالصلاة كما تصف الملائكة الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] ولهذا لما نزل جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل عليه السلام، فقال له النبي ﷺ: «أهنا تفارقني» [ذكره القرطبي في تفسيره بدون سند] فقال لا أستطيع أن أتقدم عن مكاني، وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] قال رسول الله ﷺ: «جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة» [مسلم: ٥٢٢].

فائدة: الصدق منجاة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وقال: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾

[محمد:٢١] فالصدق منجاة ونفع وخير، أما الكذب فهو مهلكة وشر وضرر، وما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة إلا بمثل الصدق، وما حصلت المفاسد والمضار إلا بالكذب، فهو أصل الأخلاق السيئة من الرياء والجبن والكبر والأشر والكسل وغيرها، وسبب نشوئها، وما حصل خير وصلاح إلا بسبب الصدق، والكذاب لا يتحصل على خير، وهو مثبط عن مصالح الدنيا والآخرة، والصادق موفق للقيام بمصالح الدنيا والآخرة، والكذب أساس الفجور، قال النبي ﷺ «إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار» [البخاري، الأدب:٦٠٩٤ ومسلم، البر والصلة: ٢٦٠٧ وأحمد:١/ ٣٨٤] سئل الرسول ﷺ هل يكذب المؤمن؟ فقال: «لا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾» [النحل:١٠٥] [الخرائطي في مساوئ الأخلاق:١٣٢ والخطيب البغدادي في التاريخ].

فائدة: حال المؤمنين في الجنة

قول الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات:٤٤] أي يجلسون على السرر، وهي أكثر راحة من الكراسي لسعتها، وكذا الأرائك، وهي واسعة يمكن الاضطجاع عليها، ولا يمل الجالس عليها، لأنه يغير جلسته كيفما يريد، وكان الملوك وأمثالهم يجلسون عليها لراحتها، وقوله: ﴿متقابلين﴾ وهذا التقابل للأنس والاجتماع مع أزواجهم وأحبابهم وأصدقائهم، كما قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٦] ينزع الغل منهم، وتدار عليهم كؤوس الخمر، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ○ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ○ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ○ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ

عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٩].

فائدة: ذكر الله تعالى زينة الألسن والقلوب

قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] فالذكر من العبد سبب من أسباب ذكر الله له، وهو عبودية القلب واللسان، وجلاء للقلوب، ودواء الأبدان، وسبب لمحبة الله، والاشتياق إلى رؤيته، ومن ذكر الله حفظه واستنار قلبه، وهو زينة الألسن والقلوب، وهو الباب الذي يلج المسلم منه إلى ربه، فيناجيه في الصلاة وقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد، به يصرع الشيطان، وهو روح الأعمال، فأي عمل ليس فيه ذكر لا قيمة له، فيه ثناء لله وترديد لأسمائه وصفاته وتوحيده وذكر أمره ونهيه ونعمه وإحسانه، والعبد إذا ذكر الله صار ذاكرًا ومذكورًا عند ربه وملائكته، قال ﷺ قال الله تعالى: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» [البخاري: ٧٤٠٥ ومسلم: ٢٦٧٥ وأحمد: ٢/ ٣٥٤، ٤٠٥، وابن حبان في صحيحه: ٣٢٨] والله تعالى يفرح بذكر عبده، ويغضب على من لم يذكره، وهو صفة المؤمنين ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وعدمه صفة للمنافقين ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢] وهو سبب محبة الله، ودليل العبودية والتعظيم والإجلال للرب، أمر الله بذكره كثيرًا، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٦٢] فهو سبب الفلاح في الدارين، ومن لم يذكر الله فهو من الخاسرين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وهو للقلب كالماء للزرع أو للسمك، قال

تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤] فبدون الذكر يشقى المرء في الدنيا والآخرة، ويعمى القلب، وهو سبب الطمأنينة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وقال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: يارسول الله ما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات» [مسلم:٢٦٧٦ والترمذي:٣٥٩٩ وأحمد:٢/ ٣٢٣،٤١١] وقال: «ألا أدلكم على خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا بلى يارسول الله قال: «ذكر الله» [الترمذي:٣٣٧٧ وابن ماجه: ٢٧٩٠، وأحمد: ٥/ ١٩٥، ٢٣٩ وصححه الألباني].

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (ما عمل آدمي عملًا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) [الطبراني في الكبير:٢٠/ ١٦٦ قال الهيثمي في المجمع:١٠/ ٧٣: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح] وكان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله تعالى، كلامه ذكر، قالت عائشة رضي الله عنها: (كان إذا هب من الليل كبر عشرًا وحمد عشرًا وهلل عشرًا، ثم قال: «أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة» ثم يستفتح الصلاة) [أبو داود:٥٠٨٥ وابن ماجة:١٣٥٦ وقال الألباني: حسن صحيح] وكان يقوم حتى تفطرت قدماه، ويطيل القيام من الليل ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ○ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٣،٤].

فائدة: الأمر بالتفكر والتأمل في آيات الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] الحياء من الله ومحبته والشوق إليه والتعلق به وحب لقائه والخوف والرجاء والإنابة،

لا يصل إليها المسلم إلا بالتفكر والتأمل في آيات الله المقروءة في القرآن الكريم، وفهم حديث رسول الله ﷺ، والتفكر في آيات الله المشهودة من العلم بمعاني أسماء الله الحسنى، والتفقه في الأوامر والنواهي والقضاء والقدر والأحكام الشرعية والقدرية، وهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

فائدة: اسم الله الأعظم

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، هو - والله أعلم - ما ورد في حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه قال سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى» [الترمذي: ٣٤٧٥ وابن ماجة: ٣٨٥٧ وصححه الألباني] فقد شمل هذا الدعاء التوسلَ إلى الله بالتوحيد وبصفاته الكاملة وسيادته، وذلك مأخوذ من الأحد الصمد.

ونفى عن الله التشبيه والتمثيل بقوله: الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

وورد حديث آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام) فقال ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا

سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب» [ابن ماجة:٣٨٥٨ وقال الألباني: حسن صحيح] والله أعلم.

فائدة: لا يأنف المسيح والملائكة المقربون يكونوا عباداً لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ذكر الله المسيح والملائكة بأنهم لا يتكبرون ولا يأنفون بأنهم عبيد الله، فليسوا أولادًا ولا بنات، وإنما هم عبيد، وقد قالت النصارى: إن عيسى ابن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقال العرب المشركون: إن الملائكة بنات الله، سبحانه وتعالى عما يصفون، وقوله: ﴿المقربون﴾ صفة للملائكة المقربين وهم (جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل) وغيرهم من الملائكة لا يستنكفون عن عبادة الله ولايستكبرون، ومن حصل منه ذلك من الكفرة فميعاده يوم الحشر، وسوف يعذبهم الله عذابًا أليمًا ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا، وأفضل الأسماء عبد الله ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩].

فائدة: توقير الله تعالى من أعظم الواجبات وأجل الطاعات

توقير الله تعالى من أعظم الواجبات، ومن ذلك أن لا يراك على حالة يكرهها، قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] ومن ذلك الحياء منه، وأن لا تعدل به شيئًا من خلقه، لا في اللفظ، مثل أن تقول: والله وحياتك، أو مالي إلا الله وأنت، أو ما شاء الله وشئت، ولا في المعنى، مثل الحب والإجلال والتعظيم والطاعة والخوف والرجاء، أو تقديم حق المخلوق عليه، أو أن يكون قلبك

معلقًا بالمخلوق أكثر من الخالق، ومن ذلك الحياء من الله في الخلوة أعظم مما تستحي من أكابر الناس، ومن ذلك توقير أمره ونهيه وكلامه وكلام رسوله ﷺ، وتعظيم شعائره وحرمانه، والذل له والانكسار بين يديه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والخوف منه والرجاء، والشكر له والرضا، والتوبة من الذنوب، وتعظيمه ومحبته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

فائدة: الحذر من السيئات

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١] السيئة تحيط بالإنسان وتمنعه من الخير، فإذا كانت السيئة كفرًا، فقد قال الله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١] وإن كانت دون ذلك منعته من الخيرات وعمل الصالحات، وسببت له المصائب، فالذنوب والمصائب بسبب ما كسب الإنسان من السيئات، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وإذا كثرت ذنوبه غشت على قلبه، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] وإذا زادت صارت سدًا حتى لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٩،١٠] والسيئة تجر أختها كما أن الحسنة كذلك،

فليحذر المسلم من السيئات كبيرها وصغيرها، فإنها المهلكات.

فائدة: ذم الغلو

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١] فالغلو المتجاوز للحد منهي عنه، مثل غلو النصارى في دعوى إلهية عيسى عليه السلام، وتكذيبهم محمدًا ﷺ، وتثليث النصارى، وفي هذا اتباع للأهواء، ومن اتبع هواه فقد ضل وأضل وضل عن سواء السبيل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

فائدة: الحذر من الذنوب

مثل ابن القيم رحمه الله الإسلام بالبنيان، ومثل بياضهُ بحسن الخلق والإحسان إلى الناس، ومثل سورة بالحذر من العدو وإرخاء الستور على أبوابه وإقفال بابه وتركيب المفتاح عليه وقفله، فإذا طاف العدو لم يجد منه الدخول، ثم قال: احذر أن ينقب النقوب بمعاول الذنوب، فربما دخل العدو عليك من النقب، فتكون على ثلاث خلال: إما أن يطلبك على الحصن ويستولي عليه، أو يساكنك فيه، أو يشغلك فيفسد الحصن، أو يأخذ ما فيه، أو يدل السُّراق عليه.

فائدة: بحسب قوة إيمان العبد وضعفه يكون سيره إلى الآخرة

الإيمان إذا قوي في القلب سار الإنسان حثيثًا إلى الآخرة، وبحسب قوة الإيمان وضعفه يكون السير إليها، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

والسبب الثاني للسير إلى الآخرة يقظة الحس والعقل والقلب، فإن غفلتها تضعف المسير، وأهم الأمور في ذلك أن يعتني المرء بتحصيل كماله، ويسعى إلى معالي الأمور، ويبتعد عن سفاسفها، ويقدم خير الخيرين، ويعمل جاهدًا في صلاحه، ويتحلى بمكارم الأخلاق ومعالي الشيم، ويحسن ظاهره وباطنه، فإن الغفلة نوم وحجاب، وعلى المرء ألا يشتغل بما لايفيد، وأن يستغل جميع أنفاسه في طاعة الله تعالى، فإن الحياة أنفاس، قال الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

والمرء إذا استغل أنفاسه في طاعة الله أحبه الله، كما في الحديث القدسي عن رب العزة «ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء» [تفسير ابن كثير، الأنفال آية:٢٨] وقوله ﷺ: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» [البخاري:٦٥٠٢] وقوله ﷺ: «لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» [البخاري:٦٥٠٢].

فائدة: أفضل أسماء رسول الله صلى الله ﷺ

اسم محمد هو اسم للرسول ﷺ لائق به، وهو من أفضل الأسماء، يقتضي أن يحمد مرة بعد مرة، موافق لما سمي به، وقد

اشتمل الاسم على الحمد، فإنه ﷺ محمود عند الله وعند الملائكة وعند المرسلين وعند أهل الأرض من العقلاء، وصفاته محمودة، وأمته يحمدون الله في السراء والضراء، والصلاة مبدوءة بالحمد والقرآن، مفتتح بها، واسم أحمد أفعل تفضيل، أي كثير الحمد، والخطب في الجمعة وغيرها تبتدأ بالحمد، ولواؤه الحمد يوم القيامة، ويحمد ربه عندما يسجد يوم القيامة لطلب الشفاعة، ويفتح الله عليه المحامد، ويبعثه الله مقامًا محمودًا، ويحمد أهل الموقف كلهم، ويحمد على ما جبل عليه من الأخلاق، وما أكثر الحامدين له، قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

فائدة: حياة البرزخ

النعيم والعذاب في القبر ثابتان في القرآن الكريم والسنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ○ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦] وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ○ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ○ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

وقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]. أما الأحاديث فكثيرة، منها قوله ﷺ: «فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» [أبو داود:٤٧٥٣ وأحمد:٤/ ٢٨٨ وصححه الألباني] «ويفتح للمؤمن باب إلى الجنة» (الحديث) [[أبو داود:٤٧٥٣ وأحمد:٤/٢٨٨ وصححه الألباني].

فائدة: الشرك والمعاصي تميت القلوب

الشرك وظلمات المعاصي موت، وتكون حياة صاحبه بالإيمان، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] وقال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠].

فائدة: تفسير الآية رقم (٥٤) من سورة يس

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس:٤٥] الذي بين أيديهم أمور الآخرة، والذي خلفهم أحوال الدنيا، قال ذلك مجاهد وابن جبير وابن عباس، وقيل: ما بين أيديهم أحوال الأمم في الدنيا، وما خلفهم أحوال الآخرة، قال ذلك قتادة وسفيان.

فائدة: سبب كثرة سلام العالمين على نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٩] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾

[الصافات:١٢٠] وقال عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم:١٥] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠] كثيرًا ما يبين الله قصص الأنبياء الثلاثة نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، لأن نوحًا عليه السلام القدوة الأولى وإبراهيم عليه السلام رسول الملة الحنيفية التي هي نواة الشجرة الطيبة شجرة الإسلام، وموسى عليه السلام لشبه شريعته بالشريعة الإسلامية في التفصيل والجمع بين الدين والحكم، فهؤلاء أصول. فقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩] فكل العالمين يسلمون عليه، فهو أولهم وأبوهم، وكلهم ينتمون إليه.

فائدة: الشكر لله تعالى واجب على العبد

الشكر لله تعالى واجب على العبد، ولكن الشاكرين قليل، كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] والذين يتبعون الرسل من الذين يكفرون بهم قليل، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود:٤٠] والذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات قليل، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص:٢٤] وقد أثنى الله على نوح عليه السلام بأنه عبد شكور، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣] وذرية نوح عليه السلام هم الباقون، فكل ما على الأرض من بني آدم عليه السلام من ذريته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧] ولا تكون العبادة إلا للشاكرين لله، ومن لم يشكره لم يكن عابدًا له، قال تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢] وأمر الله موسى عليه السلام أن يشكره ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي

وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤] وأوصى الله الإنسان بالشكر له، فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤] وكان إبراهيم عليه السلام شاكرًا لأنعم الله، لهذا أثنى الله عليه، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢٠،١٢١] فالشكر غاية العبادات، وقال الله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣] وهو سبب رضا الله تعالى عن عبده، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧] وقد عم الله تعالى آل داود بالشكر، قال الإمام أحمد عن يسار عن حفص عن ثابت قال: كان داود عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم يكن ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي [ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم:١٧٨٨١] لهذا عمهم الله سبحانه بالشكر، فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

فائدة: ملك داود عليه السلام

قال الله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:١٧-٢٠].

لقد أعطى الله داود عليه السلام ملكًا عظيمًا وسلطانًا لم يكن لآبائه، وأمر رسولنا محمدًا ﷺ أن يتذكر ذلك، فداود عليه السلام عبدالله المخلص، آواه ربه وأيده وآتاه الحكمة وفصل الخطاب،

وأعطاه القوة والشجاعة، فكان يلوي الحديد ليصنعه دروعًا بأصابعه، وقد استعمل قوته ومكانته في نصرة التوحيد، وهو رجاع إلى الحق وإلى أمر الله، واقف عند حدوده، متدارك لما فرط فيه، وقد أعطاه الله الزبور المشتمل على الاستغفار والتوبة، وسخر له الجبال تسبح بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب، وشد الله ملكه، وكانت الطيور ترجع إليه ولا تنفر منه كما تفعل مع الإنس، وأعطي النبوة والعلم والبيان في القول وحسن الصوت والملك وأصالة الرأي والفصاحة، فإذا تكلم جاء بفصل الخطاب.

وما أعطي داود عليه السلام، أعطي مثله أو أعظم منه نبينا محمد ﷺ، فهو أواب رجاع إلى الحق، وهو يستغفر الله في اليوم سبعين مرة ويزيد، وسخر الله له جبل حراء، وعرضت عليه جبال مكة أن تصير ذهبًا، فأبى واختار العبودية، وسخرت له من الطير الحمام فبنَتْ وَكْرَها على غار ثور مدة اختفائه به مع أبي بكر رضي الله عنه في مسيرهما في الهجرة، وشد الله ملك الإسلام له، وكفاه أعداءه من قرابته وغيرهم، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم» [البخاري:٢٩٧٧، ٦٩٩٨، ٧٠١٣ ومسلم:٥٢٣]. وأوتي الكتاب المعجز القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ○ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق:١٣، ١٤] وكفاه الله أعداءه القريبين مثل أبي جهل وأبي لهب وابنه عتبة وغيرهم، والبعيدين ممن ناوؤوه العدى فنصره الله عليهم، وأعطاه الله الشجاعة والأخلاق العظيمة، وكل ما أعطي نبي أعطي محمد ﷺ مثله وأعظم منه، فهو خير المخلوقات أجمعين ﷺ.

فائدة: الناس في أحوال قلوبهم ومداركهم متفاوتون

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٧،٢٨] تختلف أحوال الناس في مثول الحق أو رفضه، وكذلك الظواهر مختلفة الألوان في النباتات والثمرات، والجبال منها السود والبيض والحمر، وكذا الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، وكذا اختلاف الطعم وتفضيل بعضها على بعض، قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ﴾ [الرعد:٤] وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها» [البخاري:٥٠٢٠،٥٠٥٩،٥٤٢٧،٧٥٦٠ ومسلم:٧٩٧] وكذا البشر في أحوال قلوبهم ومداركهم مختلفون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر:٢٨] فالعلماء ليسوا كغيرهم، إنهم الذين يخشون الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩] وكل علم يزيد في الإيمان ومعرفة الله وثوابه وعقابه يزيد من خشية الله، قال الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد: (والعلم دليل على الخيرات وقائد إليها، وأقرب العلماء إلى الله

أولاهم به، وأكثرهم له خشية وفيما عنده رغبة) والذي في صدره كلام الله عالم، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] والذي يتلوه بتدبر أعظم أجرًا من الذي يتلوه بدون تدبر، وهذا له من الأجر والثواب الحظ الوافر والتنور بأنوار كلام الله، والقرآن مهيمن على جميع الكتب ومصدق لها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر:٣١] وما شهد القرآن بحقيته فقد دخل في شهادة قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ [فاطر:٣١] وما جاء نسخه بالقرآن فهو منسوخ، وما حرِّف فقد خرج من القصر، وليس من الحق.

فائدة: طلب سليمان عليه السلام من ربه الملك

طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يهب له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فقال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥] فاستجاب الله له دعاءه، فعم ملكه التصرف في الجن وتسخيرهم وتسخير الطير والريح، وكذا الإنس، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن عفريتًا من الجن تفلت البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه بسارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ﴾ فرددته خاسئًا» [البخاري: ٤٦١، ٣٤٢٣ ومسلم: ٥٤١] وهذه الزيادة من التسخير للشياطين والريح والطير لم تُعطها الملوك من عهد سليمان عليه السلام إلى اليوم، قال الله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾ [سبأ:١٢] وقال: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ [الأنبياء:٨١]

فكان عصف الريح يصير إلى لين بأمر سليمان عليه السلام ورغبته، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦] فكان يسخر الشياطين في الصناعات والبناء وإذلال الطغاة، وألقى الله مهابته بين الأمم، فكانوا يأتون طوعًا للانضمام تحت سلطانه وملكه، كما فعلت بلقيس ملكة سبأ، وكان بعض الشياطين يغوصون بأمره في البحار، ويخرجون له ما يشاء من اللؤلؤ والمرجان وغيرهما، ويبنون له القصور والحصون والمدن، ويعملون له محاريب وتماثيل وجفانًا كالجواب وقدورًا راسيات، كما ذكره الله في سورة سبأ آية ١٣، فخافه الملوك والجن، ومن لم يُطِع قَرَنَهُ بالسلاسل والأصفاد والقيود، وقيَّده فيها حتى لا ينفلت، وكان يصنع الدروع السابغات المتقنة.

ومع كل ذلك التسخير والعطاء من الله، قال الله له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩] فأذن الله له وأباح بأن ينعم على من شاء، أو يمسك بدون محاسبة ووفق ما يريد، فعطاء الله كبير غير محدود ولا مقتر، وواسع لا يضيق، فلا مؤاخذة عليك فيمن مننت عليه بالإطلاق وإن كان مفسدًا، ولا فيمن أمسكته وإن كان صالحًا، ومع ذلك كله قربه الله إليه وأحسن مآبه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٤٠].

فائدة: الحذر من مشاقة الله ورسوله

المشاقة لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين أن يكون الإنسان في شق ورسول الله ﷺ في شق آخر، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣] وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ

وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاحذر أن تكون في شق وجانب غير جانب الرسول ﷺ والمؤمنين، أو في حد غير حدهما، وكن مع الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وإن خالفك الناس كلهم، ووطن نفسك بأن تتبع المؤمنين والعلماء الكبار الراسخين في العلم المستنبطين للأحكام الشرعية خاصة عند النوازل، وعَادِ من عادى الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، ولا تأخذك في الله لومة لائم، أو تجامل أحدًا في معصية الله تعالى، وليكن الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة أحب إليك مما سواهما، ولو كنت وحدك فإن الله معك.

فائدة: اليقين بآيات الله تعالى ثمرة التوكل

قال الله تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] وقال: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] وقد جعل الله تعالى الفرح والسعادة باليقين، وثمرة اليقين التوكل على الله، وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وإذا صار معه الصبر حصلت الإمامة في الدين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] فهو نور القلب، ومن حصل على اليقين امتلأ قلبه نورًا، وانتفى عنه الشك والسخط والهم والغم والحزن والألم، وشكر الله على كل حال، وحمده على كل تدبير، وزهد في الدنيا، وآتاه الله الحكمة والتدبر والتقوى والإحسان، ولا يكمل الإيمان إلا به، ولا تسكن النفس إلا بعد حصوله، وبه يكون المخبر عنه من الله ورسوله ﷺ كالمرئي بالعين، قال عامر بن عبد قيس: (لو كشف الغطاء ما

ازددت يقينا) وكذا قال حارثة: (كأني أنظر إلى عرش الرحمن، وكأني أرى أهل الجنة يتزاورون وأهل النار يعذبون) فهو حقيقة الإيمان والتوحيد، وضده التعطيل والنفي والتجهم، وقد فصل ابن القيم رحمه الله اليقين وجعله ثلاثة: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ومثل ذلك برجل أخبرك أن عنده عسلًا وهو صادق، ثم أراك العسل، ثم ذقته، فالأول علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حق اليقين، فعِلمنا الآن بالجنة والنار علم يقين، فإذا أزلفت في الموقف وشاهدناها فذاك عين اليقين، فإذا دخلنا الجنة بفضله وكرمه ومنه وجوده، ودخل أهل النار النار، فذلك حق اليقين.

فائدة: من أسرار الحكمة

من الحكمة: أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التوحيد، وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور الكذب، وخير القصص القرآن، وكل ما هو آت قريب، وقتال المسلم كفر، وسبابه فسوق، والفجور يهدي إلى النار، والكذب من الفجور، والصادق يكتب عند الله صديقًا، والكاذب كذابًا، وأشرف الحديث ذكر الله، وأفضل كلمة كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع الإثم

وأم الخبائث، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، والافتخار بالآباء والأجداد جاهلية، والطعن بالأنساب كفر، ومن عف يعفه الله، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر ويوقن بالله يكن إمامًا، وشر المكاسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، وأشرف الموت الشهادة في سبيل الله، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يعص الله يطع الشيطان، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تطاول حطه الله، ومن أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًا فالله وقاه، وعين الهوى عمياء، وعين العقل ترك الشرك، ومن هتك ستره مع الله هتك الله ستره عند الناس، إذا خفت المخلوق استوحشت، وإذا خفت الله أنست، ومن أعظم الجهل أن تطلب أن يعظمك الناس، والتوحيد ضده الشرك، والسنة ضدها البدعة، والطاعة ضدها المعصية، ومن كان هدفه رضا الله رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، وإذا قسا القلب قحطت العين، ومن لم يعرف نفسه لم يعرف خالقه، ومن ذكر الله ذكره الله.

فائدة: ثقل العلم

العلم شيء ثقيل، ولا ينبغي للمسلم أن يتعجل بالإجابة على الأسئلة والفتوى، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥] قال أحد العلماء: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك. وقد تعجل في عصرنا هذا كثير من الناس بالفتوى،

فأفتوا بعقولهم دون الدليل، وبالرأي دون النقل، ولهذا كثر الاختلاف وضلوا وأضلوا، وتزعم الفتوى في بعض البلاد من ليس عنده الاستنباط، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] فالذين يعلمون هم المستنبطون للأحكام.

فائدة: مفاتح الغيب خمسة

علم الغيب عند الله تعالى، ومفاتح الغيب خمسة ذكرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤] كما ورد في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ [البخاري:٤٧٧٨] وقد يطلع الله أحدًا من خلقه على جزئية من الغيب، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧] ومن الغيب علم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة من شجر أو حبة في ظلمات الأرض أو رطب أو يابس، وهو سبحانه يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، ويعلم ما عمل الإنسان بالليل والنهار، وهو القاهر فوق عباده ويرسل الحفظة، وينجي الله من يشاء من عباده، فسبحان العليم الخبير.

فائدة: التفاخر بالأنساب من أمور الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] التفاخر بالأنساب والألوان من عمل الجاهلية، ولما سمع النبي ﷺ في بغض غزواته قائلًا يقول: ياللمهاجرين، ويقول الآخر:

ياللأنصار، قال: «ما بال دعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!» [البخاري:٣٥١٨،٤٩٠٥، ومسلم:٢٥٨٤] وهما اسمان شريفان، وأرشدهم بالتداعي بالمسلمين والمؤمنين وعباد الله، وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠،٢٥٤٥،٦٠٥٠ ومسلم: ١٦٦١] وقد كثرت الجاهلية في عصرنا واحتقار بعض الناس لبعض والتفاخر بالقبائل، ونسوا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] ولا يذوقن المسلم حلاوة الإيمان حتى تخرج الجاهلية كلها من قلبه.

فائدة: من معاني الوفاة

قال الله تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] قيل: معنى ﴿متوفيك﴾ أي وفاة نوم، ثم رفع في منامه. وقيل: وفاة حقيقية ثم رفع إلى السماء. وقيل: فيها تقديم وتأخير، أي رافعك ومتوفيك حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] فهو مرفوع إلى السماء حي فيها، أما موته فهو بعد نزوله إلى الأرض، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه أبو داود «فيمكث - أي عيسى - في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون» [أبو داود:٤٣٢٤] وقد سمى الله النوم موتًا، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢] والله أعلم.

فائدة: ردة كثير من مسلمي العرب بعد موت رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى

ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

لقد ارتد كثير من مسلمي العرب بعد موت رسول الله ﷺ، مثل أصحاب الأسود العنسي باليمن، وأصحاب طلحة بن خويلد في بني أسد، وأصحاب مسيلمة الكذاب بن حبيب الحنفي في اليمامة، وارتدت بعض قبائل العرب مثل فزارة وغطفان وبني تميم وكندة، وأتى الله بأقوام آخرين خير منهم مثل الغساسنة بالشام، والمناذرة بالعراق، وأهل فارس والقبط والنبط والبربر، وأهل أسبانيا وصقلية، وأهل خردينيا في البحر الأبيض المتوسط، وأهل تخوم في فرنسا، والترك والمغول والتتار والهند والصين والإغريق والروم، ومعظم ما يسمى اليوم البلاد العربية تعربوا، وأصلهم ليس عربيًا، وأسلموا وصفهم الله بأنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤] ويروى أن الرسول ﷺ قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه: «قوم هذا» أي الفرس، فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فإذا كفر العرب بهذا الدين فإن غيرهم يأخذون به، وقد قال الرسول ﷺ لما نزلت الآية الكريمة: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] «قوم هذا» [البخاري: ٤٨٩٧، ٤٨٩٨، ومسلم: ٢٥٤٦] أي قوم سلمان الفارسي رضي الله عنه. ولو نظرنا إلى تاريخ المسلمين لوجدنا أكثر القادة الذين فتحوا الفتوح، وأكثر علماء الحديث واللغة العربية وغيرها من الموالي الذين دخلوا الإسلام وصاروا عربًا وتعلموا اللغة العربية، فالعروبة باللسان وليست بالنسب، فمن تعلم العربية فهو

عربي، ومن تركها وتعلم لغة قوم آخرين صار منهم.

فائدة: اهمية الوقت في حياة المسلم

المسلم يحافظ على الوقت ولا يضيعه في هواه وراحته وبطالته، فإن عبودية المسلم في كل أوقاته، وهي سبب تقدمه، وإذا توقف عن العبودية فترة من الزمن حصل عليه النقص والوقوف عن الترقي في درجات الكمال، ونزل في دركات النقص، فالعبد سائر إلى الله، وهو إما إلى فوق أو أسفل، إما إلى أمام أو وراء، وإما مسرع أو مبطىء، متقدم أو متأخر، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٥-٣٧] وقد يحصل عليه فتور ثم ينهض (فلكل عمل شرة ولكل شرة فترة) وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر:٣٨-٤٧] واليقين الموت يأتي فجأة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] فهو الذي يلاقيك لا أنت تلاقيه، فهذه الأمور الأربعة المذكورة في الآية هي التي سببت لهم دخول النار، فذكروا عدم الصلاة وعدم إطعام ذوي الحاجات، والخوض بالباطل، والتكذيب بيوم الدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الموضوعات

فائدة: دلائل قدرة الله في بسط الأرض وبناء السماء ٥

فائدة: الفرار إلى الله ٥

فائدة: الساجدون لله ٥

فائدة: الكعبة أول بيت وضع للناس ٦

فائدة: تحدي الله تعالى الكفار بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ٧

فائدة: جواز الهدنة مع الكفار إذا كان فيه مصلحة تجلب أو مضرة تُدفع ٧

فائدة: نبوة الخضر عليه السلام ٨

فائدة: إيمان المنافقين صوري ٩

فائدة: ولاية المنافقين بعضهم لبعض ١٠

فائدة: العمى المجازي والعمى الحقيقي ١٠

فائدة: الله يقسم بما شاء من مخلوقاته ١٠

فائدة: الأمر بمنع المشركين من دخول الحرم ١١

فائدة: سوء أدب اليهود والنصارى مع الله ١٢

فائدة: كراهية الجهاد من صفات المنافقين ١٢

فائدة: من صفات الأعراب ١٢

فائدة: ما أعده الله للسابقين الأولين ١٤

فائدة: الإنكار والتعجب من حال المشركين ١٤

فائدة: أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح بحمده ١٥

فائدة: دروس من غزوة حنين ١٦

فائدة: إذا مس الإنسان ضر فلا يهرع إلا إلى الله ١٧

فائدة: أمثلة من صبر الأنبياء عليهم السلام ١٧

فائدة: كل معبود سوى الله تعالى باطل ١٨

فائدة: بيان حال صنفين من رؤساء الضلال ١٨
فائدة: نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين أخرجه قومه ١٩
فائدة: السكينة نعمة ينزلها الله على رسوله وعباده المؤمنين ٢٠
فائدة: من صفات المؤمنين أنهم لا يتخلفون عن الجهاد إذا استنفر الحاكم ٢٠
فائدة: التدرج بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاتصال بالقوة الملكية ٢١
فائدة: علو قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٢١
فائدة: بعض الظن أكذب الحديث ٢٢
فائدة: جميع الكون يسبح لله تعالى ٢٢
فائدة: القرآن الكريم نور ٢٢
فائدة: الصبر على المصائب من الإيمان ٢٣
فائدة: المجرمون لا يعتذرون يوم الفصل ويعتذرون في جهنم ٢٣
فائدة: العمل الصالح سبب لدخول الجنة وليس ثمناً لها ٢٤
فائدة: أصل الماء من الأرض ٢٤
فائدة: بعض أسماء سور القرآن ٢٤
فائدة: المال والأولاد فتنة ٢٥
فائدة: اقسام المولى سبحانه على وقوع يوم المعاد ٢٥
فائدة: بالحق والعدل قامت السموات والأرض ٢٦
فائدة: منن الله على عباده كثيرة وأعظمها القرآن ٢٧
فائدة: جزاء السابقين من الأمم ٢٨
فائدة: حكم مس المصحف لصاحب الحدث الأصغر ٢٩
فائدة: حقارة الأوثان وحماقة عابديها ٣٠
فائدة: أعمال الخير كثيرة ٣٠
فائدة: ملة إبراهيم ومحمد عليهما السلام واحدة ٣٠
فائدة: جزاء العباد بأعمالهم، حق لا مرية فيه ٣١
فائدة: من صفات المنافقين الجبن ٣١
فائدة: ذم من تولى وأعرض عن الطاعة وبخل بالمال ٣٢

فائدة: كثرة ذكر موسى وإبراهيم دون غيرهما من الرسل عليهم السلام لمعرفة العرب بهما ٣٢
فائدة: من صفات المنافقين الشح والهمز واللمز ٣٢
فائدة: كثرة الأموال والأولاد عذاب للمنافقين وسبب كراهيتهم للموت ٣٣
فائدة: اضرارالنفاق وترك الجهاد ٣٣
فائدة: من علامات الساعة ٣٤
فائدة: يُجمع المؤمنون بأزواجهم وزرياتهم في الجنة ٣٤
فائدة: خلق الله الولدان لخدمة المؤمنين في الجنة ٣٤
فائدة: إذا ما ت ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ٣٥
فائدة: تقول قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٥
فائدة: مؤمنوا أهل الكتاب يؤتون أجرهم مرتين إذا آمنوا بمحمد ﷺ ٣٦
فائدة: توقيرأهل العلم والإيمان ٣٦
فائدة: الصدقة تطهر النفوس وتكفر الذنوب ٣٧
فائدة: صلاح النية تقلب العادات والمباحات إلى عبادة ٣٧
فائدة: بركة بعض الامكنة ٣٨
فائدة: تقليل المشركين والمؤمنين في أعينهم يوم بدر ٣٩
فائدة: حقيقة الزلزلة ٣٩
فائدة: مراحل خلق الإنسان ٤٠
فائدة: قدرة الله على إحياء الموتى ٤٠
فائدة: وجود الكائنات دليل على وجود موجودها وخالقها ٤١
فائدة: هل ينتفع الإنسان بما عمله له غيره أم لا ؟ ٤٢
فائدة: إهلاك المؤتفكات ٤٣
فائدة: عقوبة الخوض في آيات الله بغير علم ٤٤
فائدة: لا عز للعرب إلا بالإسلام ٤٤
فائدة: الصدقة توصل صاحبها إلى الفلاح ٤٥
فائدة: تكريم الله لرسوله ﷺ في مخاطبته إياه بالنبوة والرسالة والعبودية ٤٥

فائدة: الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى ٤٥
فائدة: عدد السموات والأرض ٤٦
فائدة: الحكمة منة من الله لعباده ٤٦
فائدة: لزوم العذاب لأهل النار يوم القيامة ٤٧
فائدة: العبودية أعلى الصفات وأزكاها ٤٧
فائدة: الفرح بالإسلام والإيمان عمل محمود عند الله تعالى ٤٨
فائدة: منة الله على العرب خاصة وعلى العالمين عامة ببعث محمد ﷺ ٤٨
فائدة: لا فرار من الموت ٤٩
فائدة: يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم ٤٩
فائدة: لا يجير أحد أحداً من عذاب الله ٥٠
فائدة: إنزال القرآن مبارك ٥٠
فائدة: إلهام الله لإبراهيم عليه السلام الحجة والحق منذ صغره ٥١
فائدة: طيّ السماء يوم القيامة ٥١
فائدة: شروط ووراثة الأرض والتمكين فيها ٥٢
فائدة: محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ٥٣
فائدة: ذم المنافقين الذين يوالون الكفار ٥٣
فائدة: العزة والنور في و جوه أهل الجنة والذلة والقترة في وجوه أهل النار ٥٤
فائدة: الحق واحد لا يتعدد ٥٥
فائدة: كتب الله الشقاء على أهل الفسوق ٥٦
فائدة: الهداية إلى الحق أعظم المنن ٥٦
فائدة: لا تنفع التوبة عند الغرغرة ٥٦
فائدة: الإختلاف بعد العلم سببه البغي والكبر ٥٧
فائدة: الفرح بنعمة القرآن ٥٧
فائدة: أتباع الحق هم الأشراف خلاف ما يعتقده الجهلة ٥٨
فائدة: أولياء الله هم المتقون ٥٨
فائدة: المعاصي تزيل النعم ٥٩

فائدة: لا ينفع الإيمان بعد نزول العذاب ٦٠
فائدة: الأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض ٦١
فائدة: القرابة لا تنفع مع التكذيب ٦١
فائدة: أجر المجتهد ٦٢
فائدة: تسخير الله الريح لسليمان عليه السلام ٦٣
فائدة: هبة الله لسليمان عليه السلام ملكاً لم يهبه أحدا من العالمين ٦٣
فائدة: عاقبة المكذبين بالرسل ٦٤
فائدة: الرسل يتمنون هداية قومهم ٦٤
فائدة: حكمة الله في تقلب الليل والنهار والأحوال ٦٥
فائدة: آيات لا يقدر عليها إلا الله تعالى ٦٥
فائدة: أمة التوحيد واحدة ٦٦
فائدة: تعدد آلهة المشركين ٦٦
فائدة: زفير أهل النار ٦٧
فائدة: مؤامرة أخوة يوسف على يوسف عليه السلام ٦٧
فائدة: جزاء المحسنين في الدنيا والآخرة ٦٧
فائدة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيارً منه ٦٨
فائدة: دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد في السجن ٦٨
فائدة: توقيت يوسف لمن سأله أن يجيبه عند حضورالطعام ٦٩
فائدة: عتاب الله ليوسف عليه السلام لاستعانته بالبشر ٦٩
فائدة: تسلية الله سبحانه لنبيه ﷺ بذكر تكذيب الأقوام الأولين لرسلهم ٦٩
فائدة: رضا الله عن العبد أعظم النعم ٧٠
فائدة: جهاد ا لكفار والمنافقين ٧١
فائدة: التحذير من قول كلمة الكفر ٧١
فائدة: الفتنة أشد من القتل ٧٢
فائدة: علوُّ همة يوسف عليه السلام وصبره ٧٢
فائدة: اعتراف امرأة العزيز ٧٣

فائدة: الأمر بعبادة الله وحده والبراءة من الشرك وأهله ٧٣
فائدة: لا يملك النفع والضر إلا الله تعالى ٧٣
فائدة: فائدة الهداية للمهتدي ٧٤
فائدة: القرآن الكريم محكم في ألفاظه ومعانيه ٧٤
فائدة: من كان يريد بعمله حظ الدنيا فليس له نصيب في الآخرة ٧٥
فائدة: مقدار الجزاء بقدر المجزئ عليه ٧٥
فائدة: خلق العرش والماء قبل السموات والأرض ٧٥
فائدة: حال الناس في السراء والضراء ٧٦
فائدة: يؤمن بالقرآن من يكون على بينة من ربه مثل بعض اليهود والنصارى ٧٦
فائدة: المرجع والمآل إلى الله تعالى ٧٧
فائدة: كل شيء شاهد ودليل على قدرة الله سبحانه ٧٧
فائدة: غفلة الناس عن النظر والتفكر في موجد المخلوقات ٧٨
فائدة: القرآن كلام الله حقاً ٧٩
فائدة: استبطاء قريش للعذاب حَمَلَهم على التكذيب ٧٩
فائدة: مجرد معرفة القرآن لا تنفع صاحبها إذا لم يؤمن به ٨٠
فائدة: الغلبة للمسلمين إذا صبروا وآمنوا ٨٠
فائدة: قصة أسرى بدر ٨١
فائدة: فتنة بني إسرائيل بالعجل ٨٢
فائدة: من أسباب النفاق وزيغ القلوب ٨٣
فائدة: كفر من لا يصدق برسول الله ﷺ ولا يعمل بشرعه ٨٣
فائدة: منافقوا المدينة ٨٣
فائدة: جزاء الخروج في سيل الله والإنفاق فيه ٨٤
فائدة: طرق الجهاد ووسائله ٨٤
فائدة: خوف موسى عليه السلام من ظهور أمر السحرة ٨٥
فائدة: إيمان السحرة بعد ما علموا يقيناً أن عصا موسى ليست سحراً ٨٥
فائدة: إذا أشرق نور الإيمان في القلب لا يخاف إلا الله ٨٦

فائدة: عناد فرعون وتكذيبه لموسى عليه السالم سبب في هلاكه وهلاك قومه ٨٦
فائدة: من رحمة الله بقريش أمسك عنهم الآيات ٨٦
فائدة: وجوب الجهاد في سبيل الله مستمر إلى قيام الساعة بشروطه ٨٧
فائدة: عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ٨٨
فائدة: أحسن القصص ٨٨
فائدة: مذاكرة القرآن تزيد الإيمان ٨٩
فائدة: الفرقة والاختلاف شر ٨٩
فائدة: الرؤيا الصالحة من المبشرات ٩٠
فائدة: الفرق بين السمع والنظر ٩١
فائدة: المحبة شيء قلبي لا يملك الإنسان صرفه ٩١
فائدة: تقُولُ المشركين على القرآن لما عجزوا عن الإتيان بمثله ٩٢
فائدة: الكعبة قبلة الأنبياء ٩٢
فائدة: المؤمنون الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ٩٢
فائدة: الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ٩٣
فائدة: المنافقون اتخذوا مسجد ضرار لمحاربة الله ورسوله ٩٣
فائدة: الشباب أقرب إلى قبول الحق من الكبار المتعلقين بالآباء ٩٤
فائدة: الظن لايغني من الحق شيئا ٩٤
فائدة: المسلمون موحدون لله تعالى ٩٥
فائدة: الطبع والران والختم على القلوب يستحقها الكفار والمنافقون والظالمون ٩٥
فائدة: من صفات المؤمنين ٩٦
فائدة: لا يجوز الاستغفار للكفار وللمشركين ٩٧
فائدة: الصدق منجاة ٩٨
فائدة: من تعلم العربية فهو عربي ٩٨
فائدة: لا يجوز الافتخار بالأنساب ١٠٠
فائدة: وجوب الاجتماع على التوحيد والتحذير عما يضاده ١٠٢
فائدة: أهل الفتنة والتأويل الكاذب والزيغ يتبعون المتشابه ١٠٣

فائدة: وجوب إعلان العقيدة الصحيحة والدعوة إليها والبراءة من اشرك وأهله ... ١٠٣
فائدة: الليل والنهار من نعم الله تعالى على العباد ١٠٣
فائدة: الله هوالغني الذي له ما في السموات والأرض لا يحتاج إلى ولد ١٠٤
فائدة: الله يمهل الظالم ١٠٤
فائدة: طلب كفار مكة من رسول الله ﷺ قرآناً لا يعيب آلهتهم ١٠٥
فائدة: التوحيد أول هذا الدين وآخره ١٠٦
فائدة: محبة أهل الشرك فسق وضلال ١٠٦
فائدة: لا يحصل الإيمان إلا بتحكيم شرع الله والرضا به ١٠٦
فائدة: الإسلام دين الرحمة واليسر ١٠٧
فائدة: الولاء والبراء أصل التوحيد وروحه ١٠٧
فائدة: الذين اهتدوا زادهم هدى ١٠٨
فائدة: النار مأوى منكري البعث ١٠٩
فائدة: فراسة المؤمن ١٠٩
فائدة: لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ١١٠
فائدة: اعتراف المشركين بكذبهم يوم القيامة ١١٠
فائدة: النكير الشديد على نسبة الولد إلى الله ١١٠
فائدة: دعوة الأنبياء واحدة ١١١
قائدة: القرآن الكريم منزه من الأخطاء ١١٢
فائدة: الناس فريقان يوم القيامة ١١٢
فائدة: الشيطان قرين المعرضين عن ذكر الله ١١٢
فائدة: قوة فراسة يوسف عليه السلام ١١٣
فائدة: الاستثناء عند ا لعزم وذكر الله عند النسيان ١١٣
فائدة: مكابرة فرعون في حواره مع موسى عليه السلام ١١٤
فائدة: تشابه دعوة نبينا محمد ﷺ بدعوه الخليل عليه السلام ١١٥
فائدة: الثناء عاجل بشرى المؤمن ١١٦
فائدة: القرآن نزل به الروح الأمين ١١٧

فائدة: الأمر بإنذار الأقربين ١١٨
فائدة: القرآن الكريم شفاء للقلوب والأبدان ١١٩
فائدة: بتدبر القرآن والعمل به يحصل للعبد النفع العظيم في الدنيا والآخرة ١١٩
فائدة: فضل قيام الليل وصلاة الجماعة ١٢٠
فائدة: محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ١٢٠
فائدة: بعض صفات المنافقين ١٢١
فائدة: السرقة عيب كبير ١٢٢
فائدة: الخاسر من خسر نفسه وأهله يوم القيامة ١٢٣
فائدة: الوحي حياة القلوب ١٢٣
فائدة: الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ١٢٣
فائدة: حال المؤمن المخلص وحال مريض القلب عند نزول الأمر ١٢٤
فائدة: أمر الله لرسوله ﷺ بتلاوة القرآن وعدم الركون إلى الكفار ١٢٥
فائدة: من صفات المنافقين المخادعة والاستهزاء ١٢٥
فائدة: القرابة لا تنجي أحداً من عذاب الله تعالى ١٢٦
فائدة: سلعة الله غالية لا يدخلها أحد بعمله ١٢٧
فائدة: تقديم البشارة على النذارة في قصة مجيء الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام ... ١٢٧
فائدة: استخلاف آدم وذريته في الأرض ١٢٩
فائدة: التنبؤ بغلبة الروم على الفرس ١٣٠
فائدة: قصة أصحاب الكهف ١٣٠
فائدة: عدد أصحاب الكهف ١٣١
فائدة: نجاة بني إسرائيل وهلاك فرعون وقومه ١٣٢
فائدة: تفقد سليمان عليه السلام لأحوال رعيته وجنوده ١٣٣
فائدة: فضل العلم على القوة ١٣٤
فائدة: حال الناس مع المثل ١٣٤
فائدة: وقوف الكبراء والسادة في وجه الدعوة وإيمان السحرة ١٣٥
فائدة: أحوال الإنفاق في سبيل الله تعالى ١٣٦

فائدة: الإسلام دين لا يقبل الله ديناً سواه ١٣٦
فائدة: إتباع الهوى بغير علم ضلال مبين ١٣٦
فائدة: الإيمان يعلي الهمة ١٣٧
فائدة: أسعد الناس من يعبد الله وحده ١٣٨
فائدة: المخلوقات كلها تسجد لله تعالى ١٣٨
فائدة: القرآن هداية الله للمؤمنين ١٣٩
فائدة: الغيث نعمة عظيمة امتن الله بإنزاله على عباده ١٣٩
فائدة: العلم قبل القول والعمل ١٤٠
فائدة: استدلال الكفار على كفرهم بمشيئة الله وقدره ١٤١
فائدة: سنة الله تعالى في سلب النعم لمن كفر بها ١٤١
فائدة: اللغة العربية أشرف اللغات وأبلغها وأفصحها ١٤٢
فائدة: من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ١٤٣
فائدة: أرسل لوط عليه السلام إلى الكنعانيين ١٤٣
فائدة: وجود آثار قرية قوم لوط عليه السلام في البحر الميت ١٤٣
فائدة: تعطيل الجوارح وعدم الانتفاع بها سبب الضلالة ١٤٤
فائدة: إخفاء الله تعالى الساعة لحكم عظيمة ١٤٥
فائدة: اختلاف الأحزاب في عيسى عليه السلام ١٤٥
فائدة: مكانة النخل عند العرب ١٤٦
فائدة: شعيب عليه السلام من سلالة مدين ١٤٦
فائدة: ضرب الله المثل لرؤساء قريش بمن على شاكلتهم من الأمم السابقة . ١٤٦
فائدة: الصلاة سبب لاستقامة الإنسان ١٤٧
فائدة: أعظم الظلم الافتراء على الله الكذب ١٤٧
فائدة: أن من كذب برسول واحد فقد كذب بالجميع ١٤٨
فائدة: ذم الإسراف في الملذات ١٤٨
فائدة: منافع عظيمة من بطن حشرة ضعيفة أين (المنفكرون) ١٤٩
فائدة: مؤاخذة المجتهد إذا قصر ١٥٠

فائدة: الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ١٥١
فائدة: النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى ١٥١
فائدة: الهوى المذموم والهوى الممدوح ١٥٢
فائدة: توبيخ الكفار على تفريطهم في الإيمان ١٥٣
فائدة: تقريع الله لعبدة الأوثان ١٥٣
فائدة: أكبر النعم نعمة الإسلام ١٥٤
فائدة: المراد بالغيب مالا يدرك بالحواس ١٥٥
فائدة: الملائكة تكتب كل شيء ١٥٥
فائدة: سكرة الموت ١٥٦
فائدة: حكم من كفر برسول واحد ١٥٧
فائدة: الجدال عن الخائنين وأهل الزيغ ١٥٧
فائدة: جواز طلب المسئولية إذا علم الإنسان أنه أهل لها ١٥٧
فائدة: في الأنعام وألبانها عبرة للمعتبرين ١٥٨
فائدة: مدة الحمل والفطام ١٥٨
فائدة: من علامات الهداية والضلالة ١٥٩
فائدة: مثل كلمة الإسلام وكلمة الكفر ١٦٠
فائدة: حال أهل النار ١٦١
فائدة: حال المنافقين عند الابتلاء ١٦١
فائدة: أصول المحرمات ١٦١
فائدة: تأخير يعقوب عليه السلام الاستغفار لأبنائه إلى ساعة السحر مظنة الإجابة ١٦٢
فائدة: أيام الله ١٦٢
فائدة: كفر الجحود ١٦٣
فائدة: الصراط المستقيم ١٦٣
فائدة: أوصاف القرآن الكريم ١٦٤
فائدة: شرف العرب وعزهم ١٦٥
فائدة: هل وصف الرحمن كان معروفاً في كلام العرب قبل الإسلام ١٦٥

فائدة: الاعتبار بحال السابقين ممن دمرهم الله ١٦٦
فائدة: من معاني المولى في القرآن ١٦٧
فائدة: اعتراف ناس من قريش بصدق دعوة رسول الله ﷺ ١٦٧
فائدة: الحكمة في خلق السموات والأرض في ستة أيام ١٦٨
فائدة: يُطلق لفظ الأم على الخالة ويطلق الأب على العم ١٦٨
فائدة: تمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين يوم القيامة ١٦٨
فائدة: البسملة ليست آية من الفاتحة ١٦٩
فائدة: الرسول لا يعلم الغيب ١٧١
فائدة: منة الله على العرب بأن أنزل القرآن بلغتهم ١٧١
فائدة: استنكار ورد على الذين يزكون أنفسهم ١٧٢
فائدة: وجوب الجهاد إذا كان المسلمون في قوة ومنعة ١٧٢
فائدة: مجادلة أهل الكتاب بالحسنى ١٧٣
فائدة: الأصل الإنساني واحد ١٧٤
فائدة: الهداية بيد الله تعالى ١٧٦
فائدة: دلائل صدق القرآن ١٧٧
فائدة: من أسباب البغي في الأرض بسط الرزق ١٧٨
فائدة: معنى الأمي ١٧٨
فائدة: جواز الأكل من مال اليتيم عند الإضطرار بالمعروف ١٧٨
فائدة: من أعرض عن الآخرة عاش عيشة البهائم ١٧٩
فائدة: الآيات التسع التي أتاها الله موسى عليه السلام ١٨٠
فائدة: الجنة ليست عوضاً للعمل ١٨٠
فائدة: من سنة الله الكونية أن الشيطان لا يتسلط إلا على الغاوين ١٨١
فائدة: بركة أرض الشام ١٨١
فائدة: حظ الكافرين في الدنيا لا في الآخرة ١٨٢
فائدة: الغيبة من الكبائر ١٨٢
فائدة: طلب صناديق قريش من رسول الله ﷺ ما يثبت صدقه ١٨٣

فائدة: من صفات أهل الإيمان ١٨٣
فائدة: رد الإسلام بالاستدلال الفاسد ١٨٥
فائدة: ذم المجادلة بغير علم ١٨٥
فائدة: سفينة نوح عليه السلام آية وموعظة للعالمين ١٨٦
فائدة: الهجرة لأجل الدين ١٨٦
فائدة: إنزال القرآن الكريم رحمة من الله على رسوله وعلى عباده ١٨٦
فائدة: لا يفلت أحد من عقاب الله تعالى ١٨٧
فائدة: حرمة الفرار من الزحف ١٨٧
فائدة: خرافة زواج الجني بالإنسية ١٨٨
فائدة: الذنوب سبب المصائب ١٨٨
فائدة: وجوب الإحسان إلى الوالدين ١٨٩
فائدة: الأمر بالعزم على الطاعة وعدم التساهل والانقطاع ١٩٠
فائدة: مثلُ العالم الذي ينسلخ عن علمه ١٩٠
فائدة: المراد بالأخ ١٩١
فائدة: الإسلام دين يُسر وسهولة ١٩٢
فائدة: وجوب الصلح بين المؤمنين ١٩٣
فائدة: كلُ يبتلى على حسب دينه ١٩٣
فائدة: الكفار يعرفون أمور الدنيا ويجهلون أمور الآخرة ١٩٤
فائدة: من كمال قدرة الله تعالى أنه يخرج الحي من الميت ١٩٤
فائدة: الله تعالى يعلم الغيب والشهادة ١٩٥
فائدة: شهادة الله كافية وشهادة أولي العلم بأن ما أوحي إلى رسول الله ﷺ حق . ١٩٥
فائدة: بشارة خليل الله إبراهيم باسحاق عليهم السلام ١٩٦
فائدة: التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الألسن ١٩٦
فائدة: أمرالإنسان أن يذكر الله في جميع الاوقات والأحوال ١٩٧
فائدة: الرحمة الخاصة تحصل لأمة محمد صلى ﷺ وللمؤمنين ١٩٧
فائدة: من منن الله تعالى على بني إسرائيل ١٩٩

فائدة: لا ينتفع بالآيات إلا أهل العقول السليمة ٢٠٠
فائدة: الله تعالى يمحو من الكتاب ما يشاء ويثبت ما يشاء ٢٠٠
فائدة: مجادلة الرسل عليهم السلام للمكذبين ٢٠٠
فائدة: محبة الله تعالى تستلزم اتباع الرسول ﷺ ٢٠١
فائدة: القرآن كلام الله غير مخلوق ٢٠١
فائدة: ابتلاء الناس بالخير والشر ٢٠٢
فائدة: النهي عن إبطال الأعمال ٢٠٣
فائدة: أُمر لوط عليه السلام بالمشي وراء أهله ٢٠٣
فائدة: إبطال ما كان عليه المشركون من تعدد الآلهة ٢٠٣
فائدة: تبشير الصديقة مريم بعيسى عليهما السلام ٢٠٤
فائدة: تعريف العبادة ٢٠٥
فائدة: منن الله على بني إسرائيل وتمردهم بعد ذلك ٢٠٦
فائدة: لا يعذر الإنسان عن الخطأ بالاجتهاد إذ كانت الأدلة المخالفة لاجتهاده واضحة ٢٠٦
فائدة: من سخافات المشركين تعريهم عند الطواف بالبيت ٢٠٧
فائدة: في أحوال السابقين عبرة لمن تفكر وتدبر ٢٠٨
فائدة: علم الله أتم واشمل ٢٠٩
فائدة: مدد من الله بالملائكة لنصر عباده ٢٠٩
فائدة: امتنان الله على بني آدم بأنه خلق لهم من أنفسهم أزواجاً ٢٠٩
فائدة: الله يمهل ولا يهمل ٢١٠
فائدة: من رحمة الله على بني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم ٢١١
فائدة: المبادرة إلى الإيمان من سمات أهل العزم والهمة ٢١١
فائدة: صراع الخير والشر ٢١١
فائدة: دعوة الرسل واحدة ٢١٢
فائدة: فضل ليلة القدر وبركتها ٢١٢
فائدة: عجب ذنب الإنسان لا يفنى ٢١٣

فائدة: محراب مريم ٢١٣
فائدة: الفرق بين التكفير والغفران ٢١٤
فائدة: من صفات الإنسان المذمومة ٢١٥
فائدة: الكبر والعناد يمنعان من قول الحق ٢١٦
فائدة: مهما أسرفتم فإن الله رحيم بكم ٢١٦
فائدة: لا مساواة بين الرجل والمرأة ٢١٧
فائدة: من المظاهر الدنيوية التي يتفاخر بها أصحابها ٢١٧
فائدة: سوء أدب فرعون وقومه مع نبي الله موسى عليه السلام ٢١٨
فائدة: نظرة الكفار مادية في كل زمان ومكان ٢١٨
فائدة: من فوائد صلح الحديبية ٢١٨
فائدة: الآداب الإسلامية في سورة الحجرات ٢٢١
فائدة: تحديد طوال المفصل وقصار المفصل ٢٢٢
فائدة: أمر الله تعالى بالتفكر في خلق السموات والأرض ٢٢٢
فائدة: مصالح كثيرة في مشروعية تعدد الزوجات ٢٢٢
فائدة: اعتراف علماء أهل الكتاب بأن القرآن حق ٢٢٣
فائدة: سمي القرآن فرقاناً لتفريقه بين الحق والباطل ٢٢٣
فائدة: التوحيد يقوي العقل والفسق والخرافة والبدع تضعفه ٢٢٤
فائدة: الجن خلق من خلق الله تعالى مكلف بإحكام الدين ٢٢٤
فائدة: شُبه المشركين في رد الحق واحدة ٢٢٥
فائدة: طاعة الله وطاعة رسوله صلى ﷺ مطلقة في كل الأمور ٢٢٦
فائدة: تفاوت الناس في الحياة الدنيا ٢٢٧
فائدة: اللغة العربية تجمع المعاني وتوجز العبارة ٢٢٨
فائدة: القلب أفضل الأعضاء ٢٢٨
فائدة: يضرب الله الأمثال بما شاء صغر أو حقر ٢٢٨
فائدة: الصلاة مما يعين العبد على تحمل المصائب والمشاق ٢٢٩
فائدة: معاذير المتخلفين عن رسول الله ﷺ ٢٣٠

فائدة: البشارة بالفتوحات والمغانم ٢٣٢
فائدة: سنة الله في نصر أوليائه ٢٣٣
فائدة: أعداء الأنبياء من الإنس والجن ٢٣٣
فائدة: التماس العذر من شيم الكرام ٢٣٤
فائدة: طاعة الوالدين في غير معصية الله ٢٣٤
فائدة: صفات المؤمنين برسالة محمد ﷺ من أهل الكتاب ٢٣٥
فائدة: الله يختار للرسالة والهداية من يشاء ٢٣٦
فائدة: الجدال المذموم ٢٣٧
فائدة: بيان بما جاء به عيسى عليه السلام ٢٣٧
فائدة: عاقبة الإنفاق للصد عن سبيل الله ٢٣٨
فائدة: من فوائد القتال في سبيل الله تعالى ٢٣٨
فائدة: الإنصاف والاعتراف بفضل أهل الفضل ٢٣٩
فائدة: كل الناس من آدم عليه السلام ٢٣٩
فائدة: أهل بيعة الرضوان وعددهم ٢٤٠
فائدة: امتنان الله على عباده أن كف عنهم أيدي المشركين ٢٤١
فائدة: تأييس المخاطبين من إجابة المدعوين ٢٤١
فائدة: أجمع آية لمكارم الأخلاق ٢٤٢
فائدة: ذلة المتكبرين عند الله في الدنيا والآخرة ٢٤٢
فائدة: الخصام بالباطل ٢٤٣
فائدة: قوم تبع ٢٤٤
فائدة: تزويج المؤمنين في الجنة ٢٤٤
فائدة: وجوب غض البصر وحفظ الفرج ٢٤٤
فائدة: قصة قارون مثل " ضربة الله للطاغين بأموالهم " ٢٤٥
فائدة: الإسراع إلى نصرة دين الله تعالى ٢٤٦
فائدة: أقسام اليهود والنصارى بعد نزول القرآن ٢٤٦
فائدة: القرآن نزل بلسان العرب ٢٤٧

فائدة: آيات البعث والجزاء ٢٤٨
فائدة: العبد المنيب هو الذي ينتفع بالمواعظ والأمثال ٢٤٨
فائدة: العبد المنيب هو الذي يستحق الهداية من الله تعالى ٢٤٩
فائدة: المولود يولد على الفطرة ٢٤٩
فائدة: الأنبياء كلهم من العواصم ومن الذكور دون الإناث ٢٤٩
فائدة: أمثلة ضربها الله في ثبات الحق وبقائه واضمحلال الباطل وفنائه ٢٥٠
فائدة: الأمر بالصبر على أذى المشركين ٢٥١
فائدة: كل الناس بنو آدم وأكرمهم أتقاهم له ٢٥٢
فائدة: صفات أولي الألباب ٢٥٣
فائدة: من آيات الله الدالة على توحيده خلق السموات والأرض ٢٥٣
فائدة: آل لوط عليه السلام ٢٥٤
فائدة: الاستخلاف سنة الله في الأرض ٢٥٤
فائدة: وعظ لوط عليه السلام لقومه وما دار بينه وبينهم ٢٥٥
فائدة: القرآن الكريم أعظم المعجزات ٢٥٦
فائدة: فساد طبيعة بني إسرائيل واستبدالهم الأدنى بالذي هو خير ٢٥٦
فائدة: اصناف الناس يوم القيامة ٢٥٧
فائدة: عجز المشركين عن الإتيان بمثل هذا القرآن ٢٥٨
فائدة: كفر الإنسان وقد مر بأطوار ٢٥٨
فائدة: عاقبة كفران نعم الله والبغي والاختلاف ٢٥٩
فائدة: من منة الله تعالى على الناس أن سخر لهم ما في السموات والأرض ٢٦٠
فائدة: لا دين لمن لا يؤمن برسول الله محمد ﷺ ويتبعه ٢٦٠
فائدة: أول كلمة خاطب بها موسى عليه السلام فرعون ٢٦١
فائدة: الرزق بيد الله يعطيه من يشاء ٢٦٢
فائدة: من جهالة المشركين طلب الآيات الحسية من رسول الله ﷺ........ ٢٦٢
فائدة: مدة غيبة يوسف عليه السلام عن أبيه ٢٦٢
فائدة: السبع المثاني هي الفاتحة ٢٦٣

فائدة: من دعى إلى ضلالة كان له من الوزر مثل أوزار من تبعه ٢٦٣
فائدة: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس ٢٦٣
فائدة: كل ميسر لما خلق له ٢٦٤
فائدة: الحياة الحقيقية حياة الآخرة ٢٦٥
فائدة: الفرح بالمعصية تزيد شؤم يعقبه عذاب ٢٦٥
فائدة: من كذب برسول من رسل الله عليهم السلام فقد كذب الجميع ٢٦٥
فائدة: الأمر بالجهر بالدعوة ٢٦٦
فائدة: بيان ما فعله السابقون من المكر وما حلَّ بهم من العذاب ٢٦٦
فائدة: دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ٢٦٧
فائدة: الصلاة صلة بين العبد وربه ٢٦٨
فائدة: كان رسول الله ﷺ وأصحابه رهباناً بالليل فرسان بالنهار ٢٦٨
فائدة: نعمة الليل والنهار وتكرارهما دليل على وحدانية الله ٢٦٩
فائدة: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم من التبديل والتغيير ٢٦٩
فائدة: الذي يتلقى آيات الله وأوامره بالسخرية لا تزيده الآيات إلا رجساً ٢٧٠
فائدة: كنوز السموات والأرض ومفاتيحهما بيد الله ٢٧٠
فائدة: دين الرسل واحد ٢٧٠
فائدة: عجائب خلق الإنسان ٢٧١
فائدة: لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ٢٧١
فائدة: التحذير مما يحبط العمل ٢٧١
فائدة: كرم إبراهيم الخليل عليه السلام ٢٧٣
فائدة: أرسل الله الرسل بالتوحيد ونبذ الشرك ٢٧٣
فائدة: أمر الله لنبيه بالعفو والصفح عن المشركين ٢٧٤
فائدة: الشعر الممدوح والشعر المذموم ٢٧٤
فائدة: أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ٢٧٦
فائدة: حياة الكفار مثل حياة البهائم ٢٧٨
فائدة: من افتخر بأصله شابه الشيطان ٢٧٨

فائدة: الفاتحة وما تشتمل عليه من المعاني والفوائد ٢٧٩
فائدة: من نعم الله على عباده تسخير السفن لهم ٢٨٠
فائدة: التعصب لما عليه الآباء سمة من سمات الكافرين ٢٨١
فائدة: إكرام الله لإبراهيم عليه السلام بإنجائه من كيد قومه وخذلانهم ٢٨١
فائدة: نعيم الدنيا عرض وزائل ونعيم الآخرة دائم ثابت ٢٨٢
قائدة: فوائد من لا يقبل الإهانة وإذا قدر غفر ٢٨٢
فائدة: طلب قريش معجزات عينية من رسول الله ﷺ ٢٨٣
فائدة: عقاب الله تعالى لبني إسرائيل لاتخاذهم العجل إلهًا ٢٨٣
فائدة: انقسام بني إسرائيل ٢٨٤
فائدة: الخداع مذموم إلا في الحرب ٢٨٥
فائدة: تنجية بني إسرائيل وإغراق فرعون وآله ٢٨٦
فائدة: لا مساواة بين المحسن والمسيء ٢٨٦
فائدة: من بشارة الله للمؤمنين جمعهم مع أحبابهم في الجنة ٢٨٧
فائدة: تثبيت الأرض بالجبال ٢٨٧
فائدة: تحالف المشركين لصد الناس عن الإسلام وتكذيب الرسول ﷺ ٢٨٨
فائدة: من صفات المنافقين التي في أول سورة البقرة ٢٨٩
فائدة: لم تنتفع عاد الأولى بنعمة السمع والإبصار والأفئدة ٢٩١
فائدة: من اتبع الهوى ألف المنكرات ٢٩١
فائدة: استعجال المشركين للعذاب استكبارا و استخفافا ٢٩٢
فائدة: امتنان الله على عباده بتسخير الحيوانات ٢٩٢
فائدة: أنواع النكاح قبل الإسلام ٢٩٣
فائدة: من لم يشكر نعم الله ويقبلها عوقب بحرمانها ٢٩٤
فائدة: الإسلام حيا ة القلوب ٢٩٥
فائدة: الأمر بدعاء الله بأسمائه الحسنى ٢٩٥
فائدة: لا يقبل الله عمل عبد إلا إذا كان مؤمناً بمحمد ﷺ متبعاً لشريعته ٢٩٦
فائدة: حيل بني إسرائيل ونقضهم للعهود ٢٩٧

فائدة: الكفر ببعض الرسل أو ببعض القرآن يعتبر كفرا بالجميع ٢٩٧
فائدة: المؤمنون هم العالمون ٢٩٨
فائدة: حكم السارق في شريعة بني إسرائيل ٢٩٨
فائدة: حُزن يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف عليه السلام ٢٩٩
فائدة: أنواع المنن على بني إسرائيل ٢٩٩
فائدة: بالحكمة والأدب تنال أعلى الرتب ٣٠٠
فائدة: فضل الإنسان والحكمة في خلقه ٣٠١
فائدة: لا أحد أسفه من المشرك بالله ٣٠٢
فائدة: شرع الإسلام التوريث بالقرابة، وأبطل ما كان عليه أهل الجاهلية ٣٠٢
فائدة: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ٣٠٣
فائدة: توجه إبراهيم عليه السلام إلى الله بالدعاء والبراءة من الشرك ٣٠٤
فائدة: فضل الله الرسل بعضهم على بعض ٣٠٥
فائدة: البحث عن الدليل والبرهان يقضي على الخلاف ٣٠٦
فائدة: لا إله إلا الله تحقن الدماء ٣٠٦
فائدة: وجوب الكفر بالطاغوت ٣٠٧
فائدة: جواز الحوار والمجادلة بالحسنى ٣٠٨
فائدة: أدب الإنفاق في سبيل الله ٣٠٨
فائدة: تفسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه للآية رقم ٢٦٦ من سورة البقرة ٣٠٩
فائدة: أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم ٣٠٩
فائدة: الخيرية المشروطة لأهل الكتاب ٣١٠
فائدة: من معاني الحكمة ٣١١
فائدة: من شروط قبول العمل: الإيمان ٣١٢
فائدة: التحذير من اتخاذ أعداء الإسلام بطانة ٣١٢
فائدة: من صفات الشيطان ٣١٣
فائدة: النذر ٣١٣
فائدة: الصدقة السرية خير من الصدقة العلنية ٣١٤

فائدة: أسباب تحريم الربا ٣١٥
فائدة: إمداد ا لله لأوليائه يوم بدر ٣١٦
فائدة: بيان سعة الجنة وأن سقفها عرش الرحمن ٣١٦
فائدة: أهمية علم التاريخ والنظر في حال من سبق ٣١٧
فائدة: النهي عن الوهن والحزن ٣١٨
فائدة: العلة في كتابة الدين ٣١٨
فائدة: لا تقبل النيابة في الثواب والعقاب ٣١٨
فائدة: لا خلاف بين محكم القران ومتشابهه ٣١٩
فائدة: متاع الدنيا الزائلة ٣٢٠
فائدة: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ٣٢١
فائدة: أسباب الهزيمة والنصر ٣٢١
فائدة: من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٢٢
فائدة: حياة الشهداء ٣٢٢
فائدة: الدعوة إلى الله بالحسنى والأسلوب الأمثل ٣٢٢
فائدة: اللجوء إلى الله عند الشدائد ٣٢٣
فائدة: سوء خلق اليهود ودناءتهم ٣٢٤
فائدة: من نعمة الله على بني آدم أن جعل لهم أزواجا يسكنون إليهن ٣٢٥
فائدة: التفكر في خلق السماوات والأرض من دأب الأخيار ٣٢٥
فائدة: الصبر جماع الفضائل ٣٢٦
فائدة: المؤمن لا يهمه إلا رضا الله ٣٢٦
فائدة: أحوال موالاة الكفار ٣٢٦
فائدة: الفرق بين العلم والمعرفة ٣٢٨
فائدة: شروط قبول العمل ٣٢٩
فائدة: من أعرض عن الحق وقع في الباطل ٣٢٩
فائدة: قصة قوم نوح عليه السلام ٣٣٠
فائدة: الله أعلم بخفايا النفوس ٣٣٠

فائدة: إذا تمكن نور الإيمان في القلب فاض على الجوارح ٣٣١
فائدة: الرد على النصار المدعون إلهية عيسى عليه السلام ٣٣١
فائدة: التمني الممنوع والتمني المشروع ٣٣٢
فائدة: طيرة المنافقين وأحزابهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ٣٣٣
فائدة: عاد من العرب البائدة ٣٣٣
فائدة: الأصل في النفس الخير ٣٣٤
فائدة: تعظيم حرمات الله وشعائره من تقوى القلوب ٣٣٥
فائدة: من صفات المفلحين ٣٣٥
فائدة: عظم حق الوالدين ٣٣٦
فائدة: مفاهيم الجاهلية الخاطئة ٣٣٦
فائدة: الميثاق الغليظ الذي لا يجوز نقضه ٣٣٧
فائدة: الجزاء على الأعمال ٣٣٩
فائدة: تشبيه أعمال الكافرين بالسراب والظلمات ٣٤٠
فائدة: الله يبتلي العباد بعضهم ببعض ٣٤١
فائدة: أخوة العقيدة أعظم من أُخوة النسب ٣٤٢
فائدة: الكائنات كلها تصلي وتسبح لله إلا الكافر ا لذي حُرِمَ من الهدى ٣٤٢
فائدة: حصول انخراق في السماوات مؤذن بنزول الملائكة ٣٤٣
فائدة: اعتراضات الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٤٣
فائدة: قطع حجة السفهاء في استقبال القبلة ٣٤٤
فائدة: حياة الشهداء البرزخية خاصة ٣٤٥
فائدة: الأمر بأكل الحلال الطيب ٣٤٥
فائدة: الله لا يقبل من الصدقات إلا الحلال الطيب ٣٤٦
فائدة: عقوبة المعصية ٣٤٧
فائدة: النجوى مذمومة إلا في ثلاثة أمور ٣٤٧
فائدة: الإجماع حجة واجبة ٣٤٨
فائدة: التغيير المسموح والممنوع ٣٤٨

فائدة: الخُلَّة أرفع درجات المحبة ٣٤٩
فائدة: من آيات الله الليل والنهار ٣٤٩
فائدة: اليهود قتلة الأنبياء ٣٤٩
فائدة: مثلُ نور التوحيد وظلام الشرك ٣٥٠
فائدة: الجبال وما فيها من بديع صنع الله ٣٥١
فائدة: وحدة الجنس البشري وأن فضلهم أتقاهم لله ٣٥١
فائدة: نسب ثمود ومساكنهم وما حل بهم من العذاب ٣٥٣
فائدة: قوم لوط عليه السلام أول من ارتكب الفاحشة الكبرى ٣٥٣
فائدة: من صفات القرآن العظيم ٣٥٤
فائدة: حياة الروح هي الحياة الحقيقية ٣٥٤
فائدة: حرمة مكة ٣٥٥
فائدة: من شعار الصادقين إفراد المحبة لله تعالى ٣٥٦
فائدة: العقول الرشيدة والفطرة السليمة توجب توحيد الله تعالى ٣٥٦
فائدة: الدعاء هو العبادة ٣٥٧
فائدة: أهل العبادة والاستقامة هم أفضل الناس ٣٥٨
فائدة: الورع يطهر القلوب ٣٥٨
فائدة: صراط الله واحد ٣٥٩
فائدة: وجود امرأة فرعون كان سبباً في صد فرعون عن قتل موسى عليه السلام ... ٣٥٩
فائدة: العبودية لله أكمل صفات البشر ٣٥٩
فائدة: فضل الذكر وأنواعه ٣٦٠
فائدة: قدرة الله في خلق السحاب وما يتبعه ٣٦١
فائدة: تخويف مشركي قريش بما حل بالأمم السابقة من أنواع العذاب ٣٦١
فائدة: كم من مكروه يأتي بالخير ٣٦٢
فائدة: التوكل نصف الدين ٣٦٣
فائدة: الناس قسمان : مؤمن تقي وفاجر شقي ٣٦٤
فائدة: شكر موسى عليه السلام لنعمة الله عليه وتجرده من العصبية ٣٦٥

فائدة: عدة المتوفى عنها زوجها قبل النسخ ٣٦٥
فائدة: بيان من يستحق الهداية ٣٦٦
فائدة: أهمية القول السديد في صلاح الأعمال ٣٦٧
فائدة: علم الغيب لله وحده ٣٦٨
فائدة: الغرباء وُجدوا في كل زمان ومكان ٣٦٨
فائدة: أشدُّ العذاب وأعظمه : حجاب القلب عن الرب ٣٦٩
فائدة: إكرام الله وتشريفه لرسوله محمد ﷺ بمخاطبة بوصف النبوة ٣٧٠
فائدة: الله يحب الإعذار ٣٧١
فائدة: معنى الاخبات في القرآن الكريم ٣٧١
فائدة: إيذاء اليهود لموسى عليه السلام ٣٧٢
فائدة: مراحل خلق الإنسان ٣٧٣
فائدة: تهديد من الله سبحانه للمترفين المعرضين عن القرآن ٣٧٣
فائدة: لا تنفع معرفة الحق مع المصانعة لأهل الباطل ٣٧٤
فائدة: فضل الله ورحمته بعباده ٣٧٥
فائدة: حديث الإفك ٣٧٥
فائدة: الإنسان مجبول على العجلة ٣٧٦
فائدة: الزلزلة أول أحوال الساعة ٣٧٧
فائدة: المثبطون عن الخير ٣٧٧
فائدة: لحظة انقطاع الآمال ٣٧٧
فائدة: حال المجرمين عند الاحتضار ٣٧٨
فائدة: لا ينال العبد البر حتى ينفق من أحب أمواله ٣٧٨
فائدة: من علامات المنافقين إشاعة الأخبار الكاذبة ٣٧٩
فائدة: عبودية الجوارح ٣٨٠
فائدة: الشفاعة الحسنة ٣٨١
فائدة: الفرح المحمود ٣٨١
فائدة: التوحيد مفتاح دعوة الرسل والدعاة ٣٨٢

فائدة: الجنة دار الطيبين ٣٨٣
فائدة: الرضا بالقدر خيره وشره ٣٨٣
فائدة: لا ينتفع بالذكر إلا من كان له قلب حي ٣٨٤
فائدة: ثقة موسى عليه السلام بوعد الله له بالنصر ٣٨٤
فائدة: مما وصف به بنو إسرائيل الجهل ٣٨٥
فائدة: القسم لا يدل على صدق المقسم ٣٨٥
فائدة: آية الظل ٣٨٦
فائدة: عدم تدبر القرآن يورث الشك والنفاق ٣٨٧
فائدة: حقيقة البر ٣٨٧
فائدة: قصة أبناء أبي لهب مع النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨٨
فائدة: فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٨٩
فائدة: الزهد الحقيقي ٣٨٩
فائدة: القومية والوطنية والتفرقة بين المسلمين من صنع أعداء الإسلام ٣٩١
فائدة: أقسام العرب ٣٩١
فائدة: وسطية الإسلام ٣٩٢
فائدة: التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب ٣٩٤
فائدة: من علامات محبة الله تعالى الشوق إلى لقائه ٣٩٥
فائدة: فضل الله ونعمه على عباده ٣٩٥
فائدة: الرجاء والخوف جناحان للإيمان ٣٩٦
فائدة: ماهية الإحسان ٣٩٦
فائدة: فضل الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء ٣٩٧
فائدة: نصر الله لأنبيائه واستجابته لدعائهم ٣٩٧
فائدة: من معاني الاستقامة ٣٩٨
فائدة: قصة زيد بن حارثة وزواج رسول الله ﷺ بزينب رضي الله عنها ٣٩٩
فائدة: حال الخلق في النفختين ٤٠٠
فائدة: أولى الناس بإبراهيم عليه السلام ٤٠١

فائدة: الشوق إلى لقاء الله تعالى ٤٠٢
فائدة: وعيد لمن صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ٤٠٢
فائدة: الرد على مُنكر البعث وجزاؤه ٤٠٣
فائدة: نعم الله على موسى عليه السلام ٤٠٣
فائدة: تكليم الله لعبده ورسوله موسى عليه السلام ٤٠٤
فائدة: الفضل والمنة لله أن هدانا للإسلام ٤٠٤
فائدة: آيات في مخلوقات الله العظيمة ٤٠٥
فائدة: امتنان الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم ما ينفعهم ٤٠٥
فائدة: أجر الرسل والدعاة من بعدهم على الله تعالى ٤٠٦
فائدة: مطاردة فرعون وأتباعه لموسى عليه السلام وقومه ٤٠٦
فائدة: المعاصي تصد عن طاعة الله تعالى ٤٠٦
فائدة: العجب والغلو من صفات الخوارج ٤٠٧
فائدة: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ٤٠٧
فائدة: لا يتم إيمان العبد إلا بالرضا والتسليم لحكم الله تعالى ٤٠٩
فائدة: عدم جواز لعن المعين ٤٠٩
فائدة: كبائر القلوب أشد تحريماً من الكبائر الظاهرة ٤١٠
فائدة: الخصال التي تجمع الشريعة كلها ٤١٠
فائدة: من معاني الصلاة ٤١١
فائدة: من مواعظ لقمان وحكمه التي جمعت أصول الشريعة ٤١١
فائدة: من استمع إلى القرآن وطلب الهداية ألهمه الله رشده ٤١٣
فائدة: مراتب اكتساب العلم ٤١٤
فائدة: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ٤١٤
فائدة: المغيبات التي لا يعلمها إلا الله ٤١٤
فائدة: إحياء الأرض بالماء دليل على البعث ٤١٥
فائدة: حلف الأشرار ٤١٥
فائدة: إن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه ٤١٦

فائدة: من شروط لا إله إلا الله محبة الله تعالى ٤١٧
فائدة: حُرمة الأنفس مقدمة على حرمة الأزمنة والأمكنة ٤١٧
فائدة: عظم قدرة الخالق جل وعلا في تقلب الليل والنهار ٤١٨
فائدة: عذوبة الإيمان وملوحة الشرك ٤١٨
فائدة: أهل التعبد المطلق هم أفضل الناس ٤١٩
فائدة: أهل الترف والكبر هم سبب ضلال الشعوب ٤١٩
فائدة: المراد بالوفاة في شأن عيسى عليه السلام ٤٢٠
فائدة: بشرى للسائلين بأن الله يجيب دعوتهم ٤٢٠
فائدة: لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ٤٢١
فائدة: التذكير بالبعث وانقضاء الأمر ٤٢٣
فائدة: بشارة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن دينه سيظهر ٤٢٣
فائدة: ولاية النبي صلى الله وسلم وأمومة أزواجه للمؤمنين ٤٢٤
فائدة: دلائل قدرة الله التامة وسلطانه العظيم على خلق الأشياء المختلفة المتضادة .. ٤٢٥
فائدة: خطر الإشاعة ودور المنافقين فيها ٤٢٦
فائدة: وجوب الصبر والثبات على الحق ٤٢٦
فائدة: التوحيد سبب للأمن والأمان ٤٢٧
فائدة: تحكيم الحكمين للإصلاح بين الزوجين ٤٢٧
فائدة: التوحيد أساس الإسلام ٤٢٨
فائدة: مآل المكذبين يوم القيامة ٤٢٩
فائدة: الاختلاف بسبب البغي ٤٢٩
فائدة: أكابر القوم وعظماؤهم هم المتصدرون لرد الحق ٤٣٠
فائدة: أمر الله لعباده بإخلاص الدين له ٤٣١
فائدة: الصدق أساس الدين ٤٣٢
فائدة: بطلان تأويل الصفات ٤٣٣
فائدة: من فضل الله ورحمته أن جعل الأرض قارة ساكنة ٤٣٣
فائدة: الحياة الحقيقية ٤٣٤

فائدة: لا إيمان لمن لا أمانة له ٤٣٤
فائدة: وجوب إقامة الحجة قبل إيقاع العذاب ٤٣٥
فائدة: إذا امتلأ القلب بشيء أعرض عما سواه ٤٣٥
فائدة: الفرح المحمود ٤٣٦
فائدة: الأحاديث الكاذبة والأغاني من لهو الحديث ٤٣٦
فائدة: كلمات الله لا تحصى ولا تنفد ٤٣٧
فائدة: تهديد من الله للمكذبين والمستهزئين ٤٣٧
فائدة: التعلق بموروثات الآباء سبحية المتكبرين ٤٣٨
فائدة: قيام الليل من شعار الصالحين ٤٣٩
فائدة: قصة شعيب عليه السلام مع قومه ٤٣٩
فائدة: الحث على طهارة القلوب ٤٤١
فائدة: لعن الله اليهود لكتمانهم العلم ٤٤١
فائدة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد هي الهلكة ٤٤٢
فائدة: مراحل خلق الإنسان ٤٤٢
فائدة: صفات عباد الرحمن ٤٤٣
فائدة: وجوب الحج على المستطيع ٤٤٤
فائدة: أحكام النسب مقدمة على أحكام التبني ٤٤٥
فائدة: خروج موسى عليه السلام إلى مدين ٤٤٦
فائدة: الخاشعون هم المفلحون ٤٤٦
فائدة: حفر الخندق وبشائر النصر ٤٤٧
فائدة: حال العرب قبل البعثة ٤٤٧
فائدة: أسباب سلامة الصدر ٤٤٨
فائدة: وجوب الحجاب على المؤمنات ٤٤٩
فائدة: عظم الأمانة وجهل الإنسان ٤٥٠
فائدة: وجوب حسن الظن لما وقع بين الصحابة من القتال ٤٥١
فائدة: الرسول ﷺ مخير في القسمة بين زوجاته ٤٥٢

فائدة: آية الله في خلق السموات والكواكب ٤٥٢

فائدة: لا إيمان لمن كره الحق وابتع هواه ٤٥٣

فائدة: لم يكن للعرب ذكر في التاريخ قبل الإسلام ٤٥٣

فائدة: الباطل مكروه عند الله تعالى ٤٥٤

فائدة: تفاوت المسلمين في توحيدهم لله تعالى ٤٥٤

فائدة: لا يعذب الله أحداً حتى يقم عليه الحجة ٤٥٥

فائدة: قصة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ٤٥٥

فائدة: الإسلام يصلح الظاهر والباطن ٤٥٦

فائدة: الاستغفار بعد الطاعات ٤٥٦

فائدة: أرجى آية في القرآن الكريم ٤٥٧

فائدة: مضاعفة عذاب الكبراء والسادة ٤٥٧

فائدة: قصة قوم صالح ٤٥٨

فائدة: قُوبِلَ الرسل كلهم بالتكذيب ٤٥٨

فائدة: من معاني الإحسان ٤٥٩

فائدة: هجرة موسى عليه السلام تشبه هجرة إبراهيم ولوط ومحمد ﷺ ٤٦٠

فائدة: أمر الله تعالى لنساء النبي ﷺ بالقرار في البيوت ٤٦٠

فائدة: العقوبة المترتبة على إيذاء رسول الله ﷺ وإيذاء أصحابه ٤٦١

فائدة: الآجال محدودة ٤٦١

فائدة: الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ٤٦٢

فائدة: من أساليب فرعون في الإفساد ٤٦٢

فائدة: آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٦٣

فائدة: شؤم الكبر ٤٦٣

فائدة: تنزيه الله سبحان عن اتخاذ الولد ووجود إله غيره معه ٤٦٤

فائدة: الصفا والمروة من شعائر الله تعالى ٤٦٤

فائدة: المراد بالليلة ٤٦٥

فائدة: الجماع في ليالي رمضان ٤٦٥

فائدة: تحديد وقت السحور ٤٦٥
فائدة: من صفات المتقين ٤٦٦
فائدة: حُرمة الأعراض ٤٦٧
فائدة: حديث الإفك ٤٦٧
فائدة: وجوب الرد على أهل الباطل وذم المداهنة ٤٦٨
فائدة: جزاء المحاربين ٤٦٩
فائدة: أول بيت وضع في الأرض للعبادة ٤٧٠
فائدة: الولاء والبراء من كمال الإيمان ٤٧١
فائدة: فضل الصبر والصابرين ٤٧٢
فائدة: عاقبة قذف المحصنات ٤٧٣
فائدة: دعاء رسول الله ﷺ على قريش ٤٧٣
فائدة: يود الكفار لو يكفر المسلمون ٤٧٤
فائدة: حال المرأة قبل الإسلام إذا مات زوجها ٤٧٤
فائدة: المصائب سببها الذنوب ٤٧٥
فائدة: حقيقة البر ٤٧٥
فائدة: أمر الله لنبيه بأن يدفع الأعداء بالتي هي أحسن ٤٧٦
فائدة: طلب رسول الله ﷺ مباهلة نصارى نجران ٤٧٧
فائدة: عدل الإسلام وإنصافه ٤٧٧
فائدة: تحريم أكل الأموال بالباطل ٤٧٨
فائدة: الصلاة الوسطى ٤٧٨
فائدة: نصيحة موسى لأخيه هارون عليهما السلام ٤٧٩
فائدة: تحريم نكاح الزانية ٤٨٠
فائدة: أهمية القوة والأمانة ٤٨١
فائدة: الأعمال الصالحة سبب رفعة العبد في الدنيا والآخرة ٤٨١
فائدة: الأنبياء أكثرُ الناس بلاءً ٤٨١
فائدة: وجوب رد السلام ٤٨٢

فائدة: مثل نور قلب المؤمن وظلمة قلب الكافر ٤٨٢
فائدة: آيات الله في تسيير الكون ٤٨٢
فائدة: الملاعنة ٤٨٤
فائدة: معنى الخبيث والطيب ٤٨٤
فائدة: كل نفس ذائقة الموت ٤٨٥
فائدة: أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين ٤٨٥
فائدة: الله هو الحق ٤٨٦
فائدة: إعلان حد الزاني ليرتدع غيره ٤٨٦
فائدة: الأمر بإخلاص الإ يمان والثبات عليه ٤٨٦
فائدة: التحاكم إلى غير شرع الله تعالى منافي الإيمان ٤٨٧
فائدة: لا تسقط التكاليف الشرعية عن أحد بحال من الأحوال ٤٨٨
فائدة: من صفات اليهود ٤٨٩
فائدة: وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٨٩
فائدة: الأمر بإعطاء الأموال للمستحقين وإخلاص النية في ذلك ٤٩٠
فائدة: شناعة شهادة الزور ٤٩٠
فائدة: تحويل القبلة ونفاق اليهود ٤٩٠
فائدة: مآل الكافرين وجزاء المتقين ٤٩١
فائدة: قصة موسى عليه السلام مع صاحب مدين وابنتيه ٤٩١
فائدة: استهزاء المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٩٣
فائدة: آداب دخول البيوت ٤٩٣
فائدة: المراد بمكر الله تعالى ومكر الناس ٤٩٤
فائدة: فسالوا اهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ٤٩٥
فائدة: من معاني اللمم ٤٩٥
فائدة: البركة هي الخير ٤٩٦
فائدة: المراد بأهل البيت ٤٩٦
فائدة: المؤمن يفرق بين الحق والباطل ٤٩٧

فائدة: وصف الله لرسول صلى الله عليه وسلم بخمس صفات ٤٩٧
فائدة: أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر ووعده بالنصر ٤٩٨
فائدة: وجوب إبلاغ العلم والنهي عن كتمانه ٤٩٨
فائدة: مدة الإيلاء ٤٩٩
فائدة: الصبر على الإبتلاء والأذى في سبيل الله تعالى ٥٠٠
فائدة: من معاني الإسلام ٥٠١
فائدة: الأموات لا يسمعون ٥٠٢
فائدة: اعتراض المشركين وافتراؤهم بأن رسول الله ﷺ يعلمه بشر ٥٠٢
فائدة: اسباب الكمال البشري ٥٠٣
فائدة: أنواع الحياة الحقيقة ٥٠٣
فائدة: ميل رسول الله ﷺ وحبه لاستقبال الكعبة ٥٠٤
فائدة: الرؤيا الصالحة ٥٠٥
فائدة: من صفات المؤمنين أنهم يستأذنون أميرهم للدخول والخروج ٥٠٥
فائدة: إحاطة علم الله بكل شيء ٥٠٦
فائدة: من خصوصيات رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزواج ٥٠٧
فائدة: الأدب مع الله تعالى في الدعاء ٥٠٨
فائدة: من أسباب محبة الله تعالى ٥٠٩
فائدة: من منافع الزيتون ٥١١
فائدة: ابتلاء الله لبني إسرائيل، وحسدهم لطالوت ونقضهم للعهود ٥١١
فائدة: الحذر لا ينجي من قدر ٥١٥
فائدة: ما اشتملت عليه سورة الفاتحة ٥١٦
فائدة: الأصل في الإنسان الفطرة والتوحيد والصلاح ٥١٧
فائدة: فتنة الحياة الدنيا وزينتها ٥١٨
فائدة: وجوب الجهاد في سبيل الله تعالى ٥١٩
فائدة: وجوب شكر الله على كل حال ٥٢٠
فائدة: تفاوت الذنوب والمعاصي في الإثم ٥٢١

فائدة: أصول المعاصي ٥٢١
فائدة: أهل محبة الله تعالى ٥٢٢
فائدة: العبودية شرف للعبد ٥٢٢
فائدة: اسباب عدم التوفيق ٥٢٤
فائدة: الذكر غِراسُ الجنة ٥٢٥
فائدة: إن الله لا يُرى في الدنيا ٥٢٦
فائدة: يستفيد من الإنذار أهل الخشية ٥٢٨
فائدة: العلم تركة الأنبياء عليهم السلام ٥٢٨
فائدة: التوحيد أول دعوة الرسل عليهم السلام ٥٢٩
فائدة: وجوب رد العلم إلى الله تعالى ٥٣١
فائدة: زوال الحياة الدنيا ٥٣١
فائدة: الإحسان ٥٣٢
فائدة: معاني الحكمة ٥٣٢
فائدة: من مات ولم يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ٥٣٣
فائدة: زخرف القول من صفات المنافقين والعلمانيين ٥٣٤
فائدة: من معاني الفقر والغنى ٥٣٤
فائدة: من صفات اليهود ٥٣٦
فائدة: الغلو من سمات أهل الكتاب وأهل الإرهاب والتكفير ٥٣٧
فائدة: من المعاني المستنبطة من سيد الاستغفار ٥٣٨
فائدة: لا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ٥٣٩
فائدة: من صفات الله تعالى ٥٤٠
فائدة: عفو الله ومغفرته عن قدرة وعزة وحكمة ٥٤١
فائدة: أعمال القلوب افضل من أعمال الجوارح ٥٤١
فائدة: استحقاق الحمد لله تعالى وحده ٥٤٢
فائدة: الدعاء لمن بيده الضر والنفع ٥٤٤
فائدة: ما يظفر به الشيطان من الإنسان ٥٤٤

فائدة: من دلائل البعث بعد الموت ٥٤٥
فائدة: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٥٤٦
فائدة: من يعمل سوءً يجزى به ٥٤٦
فائدة: القرآن مصدق لما قبله من الكتب ومهيمنا عليها ٥٤٦
فائدة: البركة من الله تعالى ٥٤٨
فائدة: جواز استعمال المعاريض ٥٤٨
فائدة: قصة يونس عليه السلام وقومه ٥٤٩
فائدة: تلاوة القرآن وتدبره غذاء الروح ٥٥١
فائدة: ما جعل الله لرجل من قلبين ٥٥٢
فائدة: من علامات السعادة والفلاح ٥٥٢
فائدة: الغرور ٥٥٣
فائدة: وعد الله تعالى بنصر جنده المؤمنين ٥٥٤
فائدة: حاجة الإنسان إلى عون الله ولطفه ٥٥٤
فائدة: فضائل القرآن الكريم ٥٥٥
فائدة: كتب الله الموت على كل نفس ٥٥٦
فائدة: أصول كمال النفوس ٥٥٧
فائدة: كلام رسول الله ﷺ وحي من الله ٥٥٨
فائدة: أمر الله المؤمنين بأن يصفوا في الصلاة كما تصف الملائكة ٥٥٩
فائدة: الصدق منجاة ٥٥٩
فائدة: حال المؤمنين في الجنة ٥٦٠
فائدة: ذكر الله تعالى زينة الألسن والقلوب ٥٦١
فائدة: الأمر بالتفكر والتأمل في آيات الله تعالى ٥٦٢
فائدة: اسم الله الأعظم ٥٦٣
فائدة: لا يأنف المسيح والملائكة المقربون يكونوا عباداً لله تعالى ٥٦٤
فائدة: توقير الله تعالى من أعظم الواجبات وأجل الطاعات ٥٦٤
فائدة: الحذر من السيئات ٥٦٥

فائدة: ذم الغلو ٥٦٦
فائدة: الحذر من الذنوب ٥٦٦
فائدة: بحسب قوة إيمان العبد وضعفه يكون سيره إلى الآخرة ٥٦٦
فائدة: أفضل أسماء رسول الله صلى الله ﷺ ٥٦٧
فائدة: حياة البرزخ ٥٦٨
فائدة: الشرك والمعاصي تميت القلوب ٥٦٩
فائدة: تفسير الآية رقم (٥٤) من سورة يس ٥٦٩
فائدة: سبب كثرة سلام العالمين على نوح عليه السلام ٥٦٩
فائدة: الشكر لله تعالى واجب على العبد ٥٧٠
فائدة: ملك داود عليه السلام ٥٧١
فائدة: الناس في أحوال قلوبهم ومداركهم متفاوتون ٥٧٣
فائدة: طلب سليمان عليه السلام من ربه الملك ٥٧٤
فائدة: الحذر من مشاقة الله ورسوله ٥٧٥
فائدة: اليقين بآيات الله تعالى ثمرة التوكل ٥٧٦
فائدة: من أسرار الحكمة ٥٧٧
فائدة: ثقل العلم ٥٧٨
فائدة: مفاتح الغيب خمسة ٥٧٩
فائدة: التفاخر بالأنساب من أمور الجاهلية ٥٧٩
فائدة: من معاني الوفاة ٥٨٠
فائدة: ردة كثير من مسلمي العرب بعد موت رسول الله ﷺ ٥٨٠
فائدة: اهمية الوقت في حياة المسلم ٥٨٢
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٥٨٢